

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

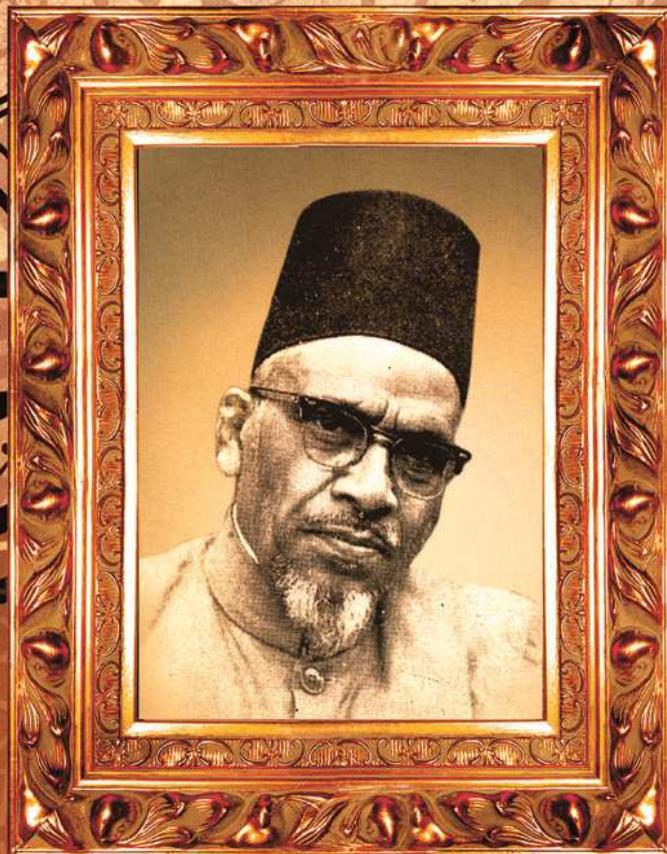
مجلة

الصباح للبحوث

مجلة بحثية محكمة سنوية

المجلد - ١، يناير ٢٠١٦

ISSN: 2454-7824



قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

(كلية ذات كفاءة للامتياز معترفة لدى المجلس الأعلى للجامعات، نيودلهي)

كيرالا، الهند



يناير ٢٠١٦

مجلة الصبّاح للبحوث

ISSN: 2454-7824

المجلد ١:

مجلة الصباّح للبحوث

مجلة بحثية محكمة سنوية



قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي)

كالیکوت، کیرلا، الهند، ۶۷۳۶۳۲

(كلية ذات كفاءة للامتياز معترفة لدى المجلس الأعلى للجامعات، نيو دلي) ٢٠١٦

٢٠١٦

هيئة التحرير

رئيس هيئة الاستشارة

• الأستاذ إيه. بي. إمبيجي كوي، عميد كلية فاروق، كيرالا

الأعضاء

- د/ محمد بشير. كي، شيخ الجامعة، جامعة كالிகوت، كيرالا
- د/ عبد المجيد. تي. أهي، وكيل الجامعة، جامعة كالிகوت، كيرالا
- د/ سي. بي. أبوبيكر، أستاذ مشارك والرئيس سابقاً، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- د/ بشير أحمد جمالى، الأستاذ، مركز الدراسات العربية والإفريقية، جامعة جوهر لال هنرو، نيو دلهى
- د/ حبيب الله خان، الأستاذ، قسم العربية، الجامعة الملة الإسلامية، نيو دلهى
- د/ ثناء الله الندوى، الأستاذ، قسم العربية، جامعة عليكة الإسلامية، عليكرة
- د/ أن. أهي. محمد عبد القادر، الأستاذ الفخرى، جامعة كالிகوت، كيرالا
- د/ أهي. بي. محي الدين كوتى، رئيس قسم العربية، جامعة كالிகوت، كيرالا

رئيس التحرير

• د/ علي نوفل. كي رئيس القسم ، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا

المحرر

• د/ محمد عابد. يو. بي أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا

الأعضاء

- د/ عبد الجليل، أم، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها
- السيد صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها
- د/ عباس كي. بي، أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها
- السيدة رينة. يو. تي، أستاذة بديلة، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها
- السيد ياشد ماتاي، أستاذ بديل، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها
- د/ أنيس النكادن، أستاذ بديل، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها

هيئة المراجعة والتحكيم

- د/ أن. عبد الجبار، أستاذ مشارك والرئيس سابقاً، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- د/ بي. أحمد سعيد، أستاذ مشارك متلاعنة، قسم دراسات الماجستير والبحث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا
- د/ جمال الدين الفاروقى. كي، عميد كلية دار الأيتام، موقل، ويناد، كيرالا
- د/ يو. سيد علوى، عميد كلية مليبار للدراسات العليا بونغارا، ملايرم، كيرالا
- د/ سيد علوى، عميد كلية يونيتي للبنات، مانجيري، كيرالا

قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا في سطور

○ تأسيس: ١٩٤٩ م

○ البكالوريوس في اللغة الشرقية (BOL): ١٩٤٩ م

○ البكالوريوس في اللغة العربية: ١٩٥٩ م

○ البكالوريوس في اللغة العربية والتاريخ الإسلامي: ١٩٦٦ م

○ الماجستير في اللغة العربية: ١٩٦٧ م

○ البحث في اللغة العربية وأدابها: ٢٠٠٠ م

الرؤساء السابقون

- د/ سي. بي. أبو بكر (٢٠١٢ - ٢٠١٥)

- د/ أن. عبد الجبار (٢٠١٢ - ٢٠١١)

- الأستاذ كي. تي. حمنة (٢٠١١ - ٢٠١٠) تاريخ الالتحاق بالكلية سنة ١٩٨١ م

- د/ دي. بي. عبد الرشيد (١٩٩٣ - ١٩٩٥ و ٢٠٠٣ - ٢٠١٠)

- الأستاذ وي. بي. عبد الحميد (١٩٩٥ - ٢٠٠٣)

- الأستاذ أم. محمد (١٩٨٧ - ١٩٩٣)

- الأستاذ كنج محي الدين كوتى (١٩٨٣ - ١٩٨٧)

- الأستاذ علي كنجي

- الأستاذ وي. محمد

أعضاء هيئة التدريس السابقون

- د/ بي. أحمد سعيد

- الأستاذ وي. سوبي

- الأستاذ كي. بي. كنج محمد

- الأستاذة طاهرة بي وي

- د/ أحمد ابراهيم رحمة الله

- د/ كي. وي. ويران محي الدين

- د/ كي. أم. محمد

- د/ اسماعيل لبي

- الأستاذ أن. عبد الحميد

- الأستاذ بي. بي. عبد الحميد
- الأستاذ علي كنجي
- الأستاذ وي. محمد
- الأستاذ أم. أمي. فريد
- الأستاذ بي. أم. سليم
- الأستاذ إي. سي. أبوبكر
- الأستاذ أو. كي. حسن
- الأستاذ أم. أبوبكر
- الأستاذ كي. عنمان
- الأستاذ كي. بي. أبوبكر
- د/ أن. أمي . محمد عبد القادر
- د/ أمي. بي. محي الدين كوتى
- د/ يو. سيد علوى

هيئة التدريس الحالية

- د/ علي نوفل. كي، أستاذ مساعد ورئيس القسم
- السيد يونس سليم. سي، أستاذ مساعد (في إجازة البحث)
- السيد ساجد إي. كي، أستاذ مساعد (في إجازة البحث)
- السيد عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد (في إجازة البحث)
- د/ محمد عابد. يو. بي، أستاذ مساعد
- د/ عبد الجليل. أم، أستاذ مساعد
- السيد صغير علي تي. بي، أستاذ مساعد
- د/ عباس كي. بي، أستاذ مساعد
- السيدة ربينة يو. تي، أستاذة بديلة
- السيد ياشد ماتاي، أستاذ بديل
- د/ أنيس آنكاندن، أستاذ بديل



الافتتاحية

صباح لا مساء له

بسم الله الرحمن الرحيم

يقدم قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية الفاروق، كاليلكوت، كيرالا المجلد الأول لـ"مجلة الصباح للبحوث"- بحثية محكمة سنوية.

لا حاجة إلى تعريف كلية الفاروق بكاليلكوت لأنها من أقدم المعاهد التعليمية العالية بولاية كيرالا ومعروفة بعلیکرة جنوب الهند. نالت مكانة مرموقة في تطور اللغة العربية ولا تزال تتمتع بتلك المكانة في الولاية.

الشيخ أبو الصباح أحمد علي هو الذي أسس كلية الفاروق وكان هدفه الهمام نهضة الأمة المسلمة في مجال التعليم الديني والدنيوي وهذا الهدف أداه إلى تأسيس المعاهد العلمية الكبيرة في فاروق آباد. وكان صاحب شخصية ممتازة وخلق عظيم وبذلك نال اعتراف العوام والخواص وإحترامهم. وإنه قد تأثر بأفكار الإمام محمد عبد وأعماله الإصلاحية فقد الشیخ قیادة ممتازة في نهضة الأمة المسلمة خاصة في مجال التعليم ولم يكن له نظير في مجال الخدمة والعلم في ذلك الوقت وكان "صباحا لا مساء له" كما وصفه العالم المصري الشيخ عبد المنعم النمر^١.

أسس قسم العربية وأدابها بعيد تأسيس الكلية سنة ١٩٤٨ م وأصبح قسم البكالوريوس سنة ١٩٥٩ م وارتفع إلى قسم دراسات الماجستير سنة ١٩٦٧ م حتى صار مركزاً للبحوث سنة ٢٠٠٠ م وخلال هذه المسيرة الأكademie لهذا القسم لقد ساهم أعضاء هيئة التدريس إسهاماتهم الجليلة في تطور اللغة العربية وأدابها كما انجب هذا القسم أعلاماً بارزين في مختلف ميادين الحياة يعملون داخل الهند وخارجها. والفضل يرجع إلى العلامة أبي الصباح أحمد علي والذين اتبعوا خطواته وهذا هو السبب في تسمية هذه المجلة باسمه. فتتمنى أن تصبح ذكرياته خالدة في حرم كلية فاروق حيث نقتدي بآثاره ونتمسك بسننه متقدمة بالنشاطات المتنوعة والخدمات الرفيعة للغة العربية وثقافتها.

تهدف هذه المجلة إلى نشاطات البحث المبتكرة ذات الصلة ب المجالات الأدب واللغة والنقد والتربية والثقافة والفنون. ومن أهم أغراض المجلة

- نشر البحوث القيمة في حقول الآداب العربية في العالم.
- نشر الدراسات في فضاء العلوم العربية من نحو وبلاغة وصرف وعرض.
- نشر المقالات البحثية في الاتجاهات الأدبية وما إليها.
- نشر المقالات المبتكرة حول الوسائل التعليمية النظرية والتطبيقية.

فيهذه يقدم قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها المجلد الأول لـ"مجلة الصباح للبحوث" وإن شاء الله سيساهم القسم إسهاماته في ترقية اللغة العربية في ولاية كيرالا وخارجها وينال أعلى التقديرات من القراء في الأوساط اللغوية والأدبية والثقافية.

¹ Muhammed Kuttassery, Moulana Abussabah Ahmed Ali, Grace Educational Association, First Edition, 2012, Page: 66

المحتواه

محور العدد: كيرلا واللغة العربية وأدابها

- الشیخ أبو الصبّاح أحمد علی وروضۃ العلوم
- مولانا أبو الصبّاح أحمد علی؛ مجده جنوب البند
- النهضة التعليمية الإسلامية في كيرلا. منطلقاتها وأبعادها
- كلية فاروق ومساهمتها في تطور اللغة العربية
- خدمات الحضريين في تطور اللغة العربية بكيرلا
- مساهمة جمعية التعليم الإسلامي وكلية ممداد في ترقية اللغة العربية
- المراحل الأولى للدراسات الدينية في كيرلا
- الإستعمار البرتغالي في كيرلا؛ قراءة تاريخية
- تجربة مليبار في أدب المقاومة العربي
- اسهامات كلية دار الأيتام في اللغة العربية وأدابها

دراسات وأبحاث

- أصوات بلاغية من السيرة النبوية
- مساهمة "مولانا أبو الكلام" في الصحافة العربية
- اتجاهات جديدة في الشعر السوري بإشارة خاصة إلى الشاعر محمد عمران
- المرأة في شعر المقاومة الفلسطينية
- محمد زفراو والقصة القصيرة العربية
- عبد القدس الأنباري؛ رائد الأدب والصحافة في المملكة العربية السعودية
- نشأة القصة القصيرة وتطورها في المملكة العربية السعودية
- فلسفة الحب في الأجنحة المتكسرة و'منان' لجنغامبوزها كريشنا بيلاي
- محمد الحسني؛ رائد الصحافة العربية الهندية
- المقاومة والوطنية في شعر الشابي
- تأثير شعر حسان بن ثابت الأنباري في المجتمع العربي
- أساليب السرد في قصص الأطفال الحديثة وتطبيقاتها في تدريب المهارات اللغوية
- الأمثال القرآنية؛ أقسامها وانسجامها مع البيئة
- الإتجاهات الجديدة في الرواية الفلسطينية
- مساهمة الشاعر عبد الله البردوني في تطور الشعر اليمني المعاصر
- حقوق الإنسان وتصوراتها في القرآن الكريم

- العجائب اللغوية والبيانية في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً
 - عاشق يجري وراء امرأة متزوجة؛ التصادم الحضاري في 'قصة حب مجوسية'
 - أدب السير والتراجم لأنيس منصور
 - جبران خليل جبران؛ شاعر متشائم
 - المكان في روايات غالب هلسا؛ دراسة تحليلية
 - الترجمة؛ مرآة العلاقات وانعكاس الحضارات
 - قراءة عامة في روايات ثروت أباظة
 - الأبطال هي الأرقام في رواية (٣١) لأشرف أبو اليزيد؛ دراسة تحليلية
 - صور خيالية من التراتيل الدينية في كتابة الشاعر فاروق موسي
 - الأدب من وجهة نظر القرآن الكريم
 - النسوية في وجهة الإسلام
- متابعات وقراءات**
- الكتاب الإلكتروني قادر رغم أنفة الورق
 - الهند في التراث العربي
- | | |
|-----|---------------------------------|
| ١٦٥ | السيد عبد اللطيف
كوزيارامبان |
| ١٧٢ | السيد عبد المجيد. تي |
| ١٧٧ | السيدة عرفاني رحيم |
| ١٨٥ | السيد فردوس مون. كى |
| ١٩٣ | السيد محسن. أم. وي |
| ١٩٩ | السيد محمد أويس. بي |
| ٢٠٥ | السيد رفيق. أم |
| ٢١٢ | السيدة سبينة. كى |
| ٢٢٠ | السيد محمد رافع. سي |
| ٢٢٧ | د/ يوسف محمد الندوى |
| ٢٣٥ | السيدة سفينة. أى. كى |
| ٢٤٨ | الكاتب عبده حقي |
| ٢٥١ | الكاتب محمود سعيد |

الشيخ أبو الصباح أحمد علي وروضة العلوم

الأستاذ محمد كوتاشيري^١

الملخص

من أكبر رواد النهضة التعليمية وأعظم أعلام العلم والفكر في جنوب الهند الشيخ أبو الصباح أحمد علي الذي وصفه الدكتور عبد المنعم "صباها لا مساء له". لأن الشيخ بني في فاروق قلب مليبار منارة علم لا تزال تماً قلوب الآلاف نوراً مادامت الشمس طالعة. والتلاميذ الذين تلقوا ضوء الصباح من الشيخ يعملون في حقول الدعوة وتتغیر الأمة ناشرين أفكار التجديد ومحاربة أسباب التخلف ولا يزال اسم الشيخ خافقاً في سماء الهند مادامت المعاهد العلمية الفاروقية تشع الأنوار وتثقف الأجيال. وحياة الشيخ حافلة بحوادث تثير الإعجاب ومضيئته بالخدمات الجليلة التي بذله في سبيل الدين والعلم والثقافة وما كانت الطريقة التي سلكها الشيخ ناعمة مفروشة بالأزهار بل كانت مشaque مملوقة بالأشواك والأحجار الحادة. ولكنه تخطتها بعزم نادر واثقاً بعون الله دون أن يهزم أمام العقبات والتحديات. هذه المقالة تضيّع إلى حياة وخدمة الشيخ أبي الصباح أحمد علي واسهام جامعة روضة العلوم وكلية روضة العلوم العربية في تنوير الأمة دراسة وتدريساً وبحثاً.

الشيخ أبو الصباح أحمد علي

ولد الشيخ أبو الصباح سنة ١٩٠٦ في قرية تشاوكاد الواقعة في وسط مليبار، كيرلا، الهند في أسرة فقيرة . ولم يوافقه الحظ لرؤيته أبيه لأنَّه فارق الدنيا قبل أن يفتح الصبي عينيه إلى الأرض. وبعد أن أتم أبو الصباح الدراسة الإبتدائية في مدرسة القرية التحق كعادة المسلمين في ذلك الوقت بدراسة المسجد لقراءة الكتب العربية ودراسة العلوم الدينية. ثم حمله حرصه على اغتراف العلم على الإشتغال بالدراسة تحت أستاذة ماهرین في بلدة "ماهي" شمال مليبار . وبعد أن قضى فيها سنوات ارتحل إلى ويلور قاصداً كلية الباقيات الصالحة. ولكن المسؤولين فيها أغلقوا أبوابها أمام هذا الصغير الغير البالغ الرشد في نظرهم فاتجه مليباً دعوة بعض الأصدقاء إلى كولالمبور وتعرف على بعض الأزهريين فيها. وما علم منهم أشياء كثيرة عن الأزهر الشريف صار ذلك المعهد العالي حلماً لا يفارقه. ولكن عقبات كثيرة تعوقه عن الوصول إليها. فاستطاع بعزم الثابت أن يتغلب على جميع الموانع. وركب السفينة من بمباي إلى مصر والتحق بالأزهر سنة ١٩٢٥ م.

لم يكن أبو الصباح دودة كتاب في الأزهر. بل كان مشتركاً في جميع النشاطات. ونظم جمعية خاصة لطلاب الهند باسم الرابطة الشرقية. وقدم طلباً إلى شيخ الأزهر لإنهاء التمييز الذي يقع من بعض المسؤولين نحو طلاب الهند. وعندما تشرف السيد مولانا محمد علي زعيم حركة التحرير بزيارة

^١ عميد الكلية سابقاً، كلية روضة العلوم العربية، فاروق

^٢ رئيس البعثة الأزهرية عند زيارته سنة ١٩٥٨ م

إلى الأزهر الشريف منحه طلاب الهند استقبلاً باهراً تحت قيادة أبي الصباح. ولما وَجَهَ السَّيِّدُ رَشِيدُ
رَضاً انتقاداً لاذعاً نحو مواقف السَّيِّدِ مُحَمَّدِ عَلِيٍّ دَافِعُ أَبْوَ الصَّبَاحِ عَنْ زَعِيمِ الْهَنْدِ بِسَلاحِ قَلْمَهِ الْحَادِ.
وَبَعْدَ أَنْ قَضَى الشَّيْخُ فِي الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ وَأَخْذَ مِنْ عِلْمَائِهِ الْمُشَهُورِيْنَ فَنُونَ الْعِلْمِ وَالْأَدْبَرِ
وَثَقَبَ ذَهْنَهُ بِأَفْكَارِ التَّجَدِيدِ وَتَرْقِيَةِ الْأَمَّةِ وَحَازَ شَهَادَةَ الْعَالَمِيَّةِ أَرَادَ أَنْ يَبْقَىَ فِي مَصْرُ وَيَتَوَلََّ وَظِيفَةَ
الْمَحَاكَمَةِ. وَلَكِنَّ السَّيِّدَ مُولَانَا مُحَمَّدَ عَلِيٍّ ثَبَطَهُ عَنْ عَزْمَهُ وَحَرَضَهُ عَلَىِ الرَّجُوعِ إِلَىِ الْهَنْدِ لِيُبَذِّلَ جَهَدَهُ فِي
تَرْقِيَةِ الْأَمَّةِ الْمُسْلِمَةِ.

وبعد عودته إلى الوطن أقام أياماً في كراتشي يفسر للناس القرآن الكريم ثم تجول في أنحاء الهند وأخيراً وصل إلى مدراس واتصل بالشيخ عبد الوهاب بخاري عميد كلية جمال محمد وعين مدرساً فيها. ولكن تحمسه الديني اشتد غليانه لما رأى عادة يخالف التوحيد في بيت رئيس المدرسين فرفع الشيخ صوته ضدها بقوة، وخرج من البيت مستنكرة، وطبعي أن يعد المدرس هذه الواقعة أهانة له أمام الضيوف، وأضمر في قلبه العداوة ضد الشيخ، وأشاع عنه الأكاذيب بين الناس فاضطر أخيراً إلى مغادرة الكلية.

ثم حبب إليه الوحدة، واشتد شوقه إلى الإطلاع على حياة الزهاد، فارتحل إلى ميسور قاصداً السكن في الغابة، ثم صعد جبلاً واختار غابة مظلمة ليسكن فيها، وأوى إلى كهف في وسطها، وكانت السابعة تتطلع إليه وترجع دون أن يؤذيه. وكان في أسفل الجبل عين يجري فيها الماء، فالشيخ يهبط إليها ويأخذ الماء ويتوضاً منه. وبينما هو على هذه الحال أصابته الحمى الشديدة حتى صار عاجزاً حتى عن القيام، ثم أغنى عليه ولا يدرى ماذا وقع بعد. وحينما أفاق رأه في بيت في قرية مجاورة وحوله أناس كثيرون، كأنهم اعتقدوا فيه قدرات غير المألوفة وعدوه ولها من الأولياء. وعلم من الحديث معهم أن سكان الغابة البدائيين لما رأوا إنساناً مفقوداً في كهف حملوه إلى هذا البيت، وصاحب رجل يسمى محمد سلطان وما كثر من يتقرب إلى الشيخ راجين منه علاج مرضاهم وضاق بهم ذرعاً عزم على مغادرة المكان، وانتقل إلى مسجد صغير مهجور في جانب الغابة حيث يعتقد الناس أنه مأوي الجن. ولكن الحديث عن الشيخ شاع في القرية المجاورة، فكثر الزوار والمشتشفون، وكان بينهم رجل يسمى كنج علي كوتى الحاج الذي له أراضٌ وحدائق في المكان المجاور. وقويت العلاقة بينه وبين الشيخ ومرة دعا الحاج إلى زيارة بيته في قرية آنكيم - مالابرم. فرفض الشيخ هذا الطلب وأخيراً اضطر أن يخضع للحاج من الحاج والشيخ ما كان يريد إلا أن يقوم في بيت الحاج يومين أو ثلاثة أيام وفاء لوعده. ولكن طال المكث، وحدث تغيير واضح في موقف الشيخ. وتفكر ما هي وظيفته في هذه الحياة؟ ولم اكتسبت من هذه العلوم دون أن ينفع بها الأمة المسلمة. فطلب من الحاج أن يهياً له بناء لتأسيس كلية عربية تستهدف إعداد العلماء وتسلیحهم بالتعليم العالي. فالحاج استعد لتحقيق رغبة الشيخ وأتم له كل مطلوبه حتى ابتدأ في عمارة قديمة غير مسكنونة في قرية آنكيم الكلية العربية التي كانت في حلمه سنة ١٩٤٢م والطلاب الذين التحقوا بالكلية كلهم كانوا علماء أتموا الدراسة في المساجد. وإنما كانت غايته

التعليم العالي في اللغة والأدب والعلوم الدينية. وسميت هذه الكلية الجديدة بروضة العلوم. ولما كثُر عدد الطالب وضاق بهم البناء نقلت الكلية إلى عمارة واسعة في منجيري قلب المسلمين في مليبار وفي سنة ١٩٤٤ م نالت الكلية الاعتراف من جامعة مدراس. وكان الشيخ نظم جمعية باسم روضة العلوم لإدارة الكلية تضم شخصيات بارزة مثل سيدى صاحب زعيم رابطة المسلمين في الهند ورئيس المجلس التشريعي في كيرلا، والسيد راجا عبد القادر الحاج المشهور بالجود، والمحامى السيد حيدروس. ورأى الشيخ أنه من الضروري لتوسيعة الكلية أن تنقل إلى أرض واسعة. واستعد السيد عبد الله كوتى الحاج أن يتبرع للكلية بأرض تبلغ مساحتها ٢٧ فدانا في فاروق القرية من كاليكوت. وأخذ الشيخ في بناء عمارة جديدة.

كانت الأمة المسلمة في ذلك الوقت متأخرة جدا في ناحية التعليم الحديث. ولم يكن لهم كلية خاصة للعلوم والفنون في حين أن غير المسلمين لهم معاهد متعددة. فرأى الشيخ أن الأمة لا ترتقي إلا بالجمع بين العلوم الدينية والعصرية معا. وقدم الشيخ هذه الفكرة أمام أعضاء جمعية روضة العلوم فكلهم وافقوها بقلب رحب. فارتاحل الشيخ دون أن يضيع الوقت إلى مدراس ليقدم طلبا في هذا الشأن إلى رئيس جامعة مدراس. قبلت الجامعة هذا الطلب وأرسلت مندوها إلى فارق لتفتيش الأرض المفروضة والأبنية لإبتداء الكلية وتمت الإجراءات الرسمية اللازمة للإعتراف بالكلية حتى افتتحت في ١٦ يونيو ١٩٤٧ وسميت كلية فاروق للعلوم والفنون، والعمارة الجديدة التي بنيت في فاروق الكلية العربية تركها الشيخ لإبتداء كلية الفاروق وبنيت عمارة أخرى خاصة للكلية العربية ونظمت لجنتان تحت جمعية روضة العلوم واحدة لإدارة كلية فاروق وثانية لإدارة الكلية العربية. واستمر الشيخ في رئاسة الجمعية. وارتقت كلية فاروق درجة بعد درجة حتى صارت أكبر معهد للعلوم الحديثة في جنوب الهند حتى دعاه الناس بجامعة عليجرا في مليبار. وجعل الشيخ أبو الصباح كلية روضة العلوم العربية مركزا علميا ثقافيا يعد علماء الدين والحداقين في اللغة العربية وآدابها. وكان يحاول بطريق التدريس أن يملأ قلوب التلاميذ الأفكار الحديثة ويحررهم من قيود الجمود والتقاليد المضادة للعقل. ربما يقول البعض للطلاب: باضط الخرافات في مخك وفرخت. وكان يزرع في قلوب التلاميذ الحرص الشديد على خدمة الأمة والعمل على ترقیتهم في كل النواحي! وعندما يلقى المحاضرات في تفسير القرآن الكريم يخوض بالطلاب إلى أعماق كتاب الله ويربط به جميع العلوم النقلية والعلقانية القديمة والحديثة فالذين تخرجوا من مدرسة الشيخ كلهم رواد حركة التجديد، ومحاربو البدع يعملون لترقية الأمة دينيا وعلميا وثقافيا حاملين لواء التوحيد.

وكان الشيخ مثالا للعزم الثابت وقوة الإرادة. إذا أزمع أمرا فيبذل لتنفيذ كل جهد دون تردد ولا تأخير ولا يبالي بالموضع والعقبات، فيتقدم متوكلا على الله ومتغالبا على جميع الصعوبات وكان الشيخ يعاني بعض المشاكل الصحية، ولكنها لم تكن عائقا له عن الخوض في معارك الحياة.

والشيخ كان يمتاز بالعربية الفصحى في كلامه وكتاباته، ويستعمل أسلوباً أدبياً خلاباً يعبر عن ذوقه السليم. وعندما كان عميد الكلية كان محظوظاً في الفصل استعمال غير اللغة العربية، وهذا الحظر كان مكتوباً على باب كل فصل. ولا يلقي الدرس إلا في هذه اللغة. ولا يقبل من الطلاب أي طلب إذا كتبت في اللغة المليالية. ويحضر الفصل للتدرис في الوقت المعين مهما كانت له من الأعمال التي تتطلب الإستعجال. وإذا تأخر الطالب عن الحضور دقيقة أو دقيقتين فيندز ويعظ حتى لا يتكرر منه هذا التقصير. وكان يولي اعتماء كبيراً بتربية الطالب على الأخلاق الفاضلة كما يهتم بتنمية قدراتهم العلمية.

وكان الخط العربي الجميل للشيخ مشهوراً بين الناس في ذلك الوقت. لأن الخط الرقعي كان نادراً جداً في ربوع مليبار في النصف الأول في القرن العشرين. يقول الأديب الكبير صاحب كتب عربية كثيرة الدكتور محي الدين الألواني: "ما كنت طالباً في درس واذكاد كنت أذهب إلى منجيري البعيدة بأميال مشياً على الرجل لتقر عيني بمشاهدة الخط الجميل للشيخ أبي الصباح"^١. والميزة الكبرى التي يتجلّى بها الشيخ هي نظرته الخاصة إلى اختلاف الأمة وتفرقها إلى أحزاب وشيع. ما كان شخصية الشيخ يميل إلى أي حزب في الفرق وكان يسد حاجات الناس. وفوق ذلك كان ينادي إلى الإتحاد ونبذ الانفراق. وجميع الفرق الدينية والسياسية كانت تنضم إلى الدين أو الحزب. وفي آخر أيامه وإن كان في أضعف الأحوال صحياً إلا أن قلبه القوي كان يفيض النشاط والتحمس. وعلى فراش المرض أدار أمور الكلية. ولكن هذه الحالة لم تطل وفجأة حدث تغير كبير في صحته، ووقع في قبضة شدة المرض حتى نقل إلى المستشفى وفارق الدنيا ليلة يوم الخميس ٩ سبتمبر ١٩٧١ م.

نعم، غاب ذلك الصباح المنير عن الأعين ولكن ضوءه الفضي الخلاب لا غياب له. لأن الشيخ أبو الصباح بنى في فاروق منارة علم تضيئ الأماكن القريبة والبعيدة، تبث أنواراً تنور القلوب بالعلم والأدب والثقافة والأفكار الدينية.

فما دامت المعاهد العلمية قائمة في فاروق ومadam الملائين من الطلبة يقتربون العلم منها جيلاً بعد جيل لا يزال أبو الصباح حياً في الدنيا وإن وري جثمانه في التراب أمام مسجد الأزهر وسط المعاهد الفاروقية التي بناها الشيخ. فليتخذه مثالاً وقدوة جميع من يحب الدين والعلم والثقافة ويحرص على خدمة المجتمع الإنساني. ولبيق أبو الصباح صباحاً مضيئاً في قلوبنا يبعث النشاط والحيوية يحركنا للإقدام على العمل الخيري راجين التوفيق من الله غير خائف من الخيبة.

جامعة روضة العلوم

قامت في جامعة روضة العلوم معاهد علمية مختلفة. أهمها: كلية روضة العلوم العربية للدراسات الإسلامية وكلية الفاروق لدرجات البكالوريوس والماجستير في مختلف العلوم والفنون

^١ محي الدين الألواني، روضة العلوم ودورها في الصحوة الإسلامية، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، ٩٤-٩٣، ص: ٢٢٩

واللغات والآداب وكلية التربية الفاروقية لإعداد المدرسين والمدرسة الثانوية الفاروقية والمدرسة الإبتدائية الفاروقية والمدرسة الفاروقية الإنجليزية الداخلية ومركز الفاروق العلمي لتدريب الكمبيوتر والمهن المختلفة ودور الإقامة للطلاب والطالبات ومسجد الأزهر والمكتبة المركزية.

كلية روضة العلوم العربية

وأما كلية روضة العلوم العربية فهي أولها بل أهمها، فمهمها انتهت المعاهد العلمية، فهي خاصة لتدريس المواد الإسلامية والأدب العربي وتدرس فيها الإنجليزية كلغة ثانية، يلتحق الطالب بالكلية بعد أن أتم الدراسة الثانوية. قد أجبت روضة العلوم خلال هذه السنوات الطويلة كثيراً من علماء ومثقفين يخدمون الأمة كمدرسون الدين واللغة في المدارس والكليات وأئمة وخطباء في المساجد وقادوا الحركات الدينية والإجتماعية، ومنظمي الجمعيات الإسلامية، وكتاب المقالات ومؤلفي الكتب والمشتغلين بإدارات الصحف الإسلامية^١.

تضم روضة العلوم مكتبة زاخرة بالكتب القيمة القديمة والحديثة يقصدها مئات الطلبة والأساتذة للمطالعة والمراجعة وإعداد المذكرات والرسائل والفتاوی الدينية وتأليف الكتب. اهتمت روضة العلوم منذ بدئها بتهيئة التسهيلات الازمة لسكنى الطلبة، لأن التربية الدينية الحق لا تتحقق إلا بالسكان الطلبة تحت مراقبة الأساتذة، وكانت الكلية مصحوبة في جوارها بدار إقامة الطلاب. وتحتل روضة العلوم ومعاهدها العلمية المختلفة المكانة الأولى بين المؤسسات التي ساهمت بدور كبير في ترقية المسلمين علمياً وثقافياً في منطقة كيرلا.

الخاتمة

إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة المسلمة بكيرلا بمصلح كبير الشيخ أبوالصباح أحمد علي ، الذي تخرج من الأزهر الشريف سنة ١٩٣٦ م ، رأى الشيخ بحاذق ذهنه أن الجهل هو السبب الوحيد لهبوط المسلمين، ولا يمكن إنقاذهما إلا بالعلم – العلم الديني الذي يصرهم طريق الهداية والعلم العصري الذي يلحقهم بركب الحضارة – فاختار ربوة واسعة مباركة قربة من مدينة كالياكاوتش التاريخية، وأسس فيها مجتمعاً علمياً، سماها روضة العلوم ، وشكل هيئة لهذا الإسم نفسه تضم العلماء والأعيان، وهكذا تأسست معاهد علمية مختلفة ولا تزال تخدم الأمة الإسلامية في مجال العلوم والثقافة.

المصادر والمراجع

- الأستاذ وي. محمد(تحرير)، مجلة تذكارية، جامعة روضة العلوم العربية، فاروق، ٩٤-٩٣،
- منشورة، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، ٢٠١٣،

^١ منشورة، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، ٢٠١٣، ص: ٤

مولانا أبو الصباح أحمد علي؛ مجدد جنوب الهند

د/ سي. بي. أبو بكر^١

الملخص

أبو الصباح أحمد علي - هذا الإسم العظيم شأن مسماه هو الذي يتبارى إلى عقولنا ومشايعينا أولاً وثانياً عندما نذكر تاريخ كلية الفاروق التي ذاع صيتها في ديار كيرلا وأقصاء الهند الشاسعة. لأن من سمي بهذا الاسم كان قوة حركة وراء تأسيس هذا المعهد الشهير الذي اتسع ضوؤه في جميع طرق تقدم الأمة المسلمة في بلاد كيرلا وتطورها بعدما كانت مطروحة في قعر التخلف الاجتماعي والإنحطاط العلمي والإقتصادي.

ولادته ونشأته

ولد هذا العالم الكبير عام ١٩٠٦ الميلادي بقرية تشاوكاد في محافظة ترسيور في أسرة فقيرة. نشأ فيها وتربى والديه فأدخله أبوه المدرسة الابتدائية فيها حيث أتم دراسته الابتدائية كما تلقى القرآن والعلوم الشرعية من المساجدين الجامعين في كولور وميازي. وبعدما أتم دروسه في هذين الجامعين قدم إلى كلية "جمالية" بولاية مدراس آنذاك للدراسة العليا وأثناء دراسته هناك أنه وفق للرحلة إلى جمهورية مصر العربية للالتحاق دارساً بجامعة الأزهر الشريف. وقام برحلته إلى ذلك المنبع للعلوم النفيسة والثقافات العالية والمحضن للحضارات والمدنيات السامية بعدما باع كلما عنده من ممتلكاته وجمع بها ما يكفيه من الأموال للرحلة والإقامة هناك.

حياته في الأزهر

من الحقيقة التي لا غبار عليها أن هذه العقبة التي تبدأ من عام ١٩٢٤ الميلادي وتنتهي إلى عام ١٩٣٥ الميلادي والتي كان في فترتها طالباً نشيطاً فعالاً في الأزهر أثرت في هذا العالم العبقري تأثيراً شاملاً وقد شمل هذا التأثير حياته الفردية والاجتماعية كما تضمن قيمه الروحية والعقلية والمادية. وجدير بالذكر هنا أنه كان طالباً ذا فكرة ثورية امتهن في دمائه شعور الرفض عن الظلم والقهر السياسي والاجتماعي والتصدي لهما وانحيازه الكامل لحرية الفرد والمجتمع وحرية الرأي والتعبير التي أقامها الإسلام، والدفاع عن قيمة المجتمع الرفيعة وتقاليده السامية وناهيك من جوّ الأزهر المتکثف بالثقافات المصرية والحضارات الإسلامية العالية، قوى عقل هذا الطالب النشيط وأفكاره. وكان يعالج مشكلات زملائه في الأزهر في صورة حيوية وفعالية ويقدم لها حلولاً مفيدة وناجحة. كما أسس جمعية باسم "الرابطة الشرقية" للدفاع عن حقوق طلاب الأزهر وحاجاتهم حتى عرف بينهم بـ"السيد أمير" إجلالاً لنشاطاته وأعماله المحمودة. وكان لا يخلو من أوقاته النفيسة إلا وكان فيها يطالع الكتب ويقرأ الجرائد اليومية وكان يشتريها كل مساء بثمن رخيص ثم يقرأها، لأن الجرائد بالنسبة إليه كانت بمثابة

^١ رئيس القسم السابق ومشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق.

الماء الأبرد لدى العطشان اللاهث. وقد قضى حياته في الأزهر في نشاط وقوة وجهد، وقد كان مشغوفاً عند الأساتذة والطلاب ومحباً لهم وكافيك دليلاً على مكانته المرموقة عندهم أن ينادوه بـ "يا بني" كما يخاطبون أبناءهم.

الرجوع إلى الهند

خلال فترة حياته في الأزهر تعرف بالشاعر الهندي الكبير العالمة محمد إقبال وزعيم الإستقلال الهندي المشهور مولانا محمد علي هو الذي نصحه للرجوع إلى الهند وللقيام بالعمل لنهضة الأمة المسلمة بعد إتمام دراسته في الأزهر. وفي عام ١٩٣٥م رجع إلى الهند بعد عشر سنوات قضها في الأزهر، ووصل في كراتشي بعد زيارته فلسطين والبصرة . وخدم هناك بعض السنوات في كلية حماية الإسلام ثم زار بيهار وكلكتا حيث لقي زعيم الإستقلال الهندي المولود في مكة المكرمة مولانا أبو الكلام آزاد، ثم رجع إلى مدراس وأصبح أستاذًا في كلية محمد بن. وجدير بالذكر هنا أنه قد جاهد كثيراً لنهضة الأمة المسلمة وترقيتها كما جاهد السر السيد أحمد خان لأمته، وبذل كل جده وجهده لإصلاح هذه الأمة وكرس نفسه ونفسه لإعلامها حتى وفاته أن يبني معهد علم كبير في فاروق آباد عرف باسم "روضة العلوم"، ومن الحقيقة التي لا غبار عليها أن صاحب هذه الشخصية المحترمة كان هو مؤسس كلية فاروق ومصممها الرئيسي الوحيد أيضاً وكان هدفه الهام تأسيس هذه الكلية المشهورة في بقعة مليبار وهو رفع شعبه وجعله قادراً على مواجهة تحديات العصر الحديث وفاته لتحقيق هذه الرغبة التي راها في صميم فؤاده مدید السنين في ١٢ حزيران عام ١٩٤٨م، وقد ظهرت هذه الكلية المشهورة في حيز الوجود نتيجة لجهوده المخلصة التي بذلها في مجال التعليم والتربية.

مصلحة الأمة ومجددها

رغم كل هذا، إنه كان نقيراً تقيراً في حياته وورعاً متواضعاً في كل معاملاته، خاف ربه في أفعاله وأقواله والتزم بالصدق والأمانة والوفاء في جميع أموره كما كان عالماً متواضعاً وخطيباً ماهراً ومصلحاً ومجدداً ذا معرفة عميقه ورؤيه صحيحة وكان قصيراً القامة وتظهر الهيئة والوقار في وجهه دائماً تأثر بأفكار الإمام العقري المصري محمد عبد الله وأعماله الإصلاحية، وكان راسخ القدم في التوحيد وبارعاً في تفسير القرآن وتلاوته، لم يكن له نظير في مجال الخدمة والعلم في ذلك الوقت. وكان يدرس تفسير القرآن وكتابة المقالة وغيرها من الموضوعات ذات القيمة العالمية.

كان صاحب شخصية ممتازة وخلق عظيم وبذلك نال اعتراف العوام والخواص وإكرامهم، وكان يزوره الأغنياء والأشخاص الكبار ورؤساء السياسة والعلماء مثل مولانا أبو الحسن علي الندوبي وعبد المنعم النمر المصري والشاعر الكبير عبد الله مليباري وبافقى تنغل ويناقش معهم أشياء مختلفة. وكان متواضعاً في لباسه وفي معاملته وفي جميع أموره ومتمسكاً بالصبر عند جميع المصائب والمشقات ومع ذلك كان معلماً ماهراً في اللغة العربية الحديثة، وقد اتخذ للتدرис والكتابة أسلوباً جذاباً متضمناً بالحكم والأمثال والمجازات والمحسنات اللفظية والمعنوية، وكانت عباراته بلغة وكلماته فصيحة وأجاد

كتابة العربية في خط الرقعة الجميل وتقلده الأساتذة والطلاب في كتابتهم. يقول عنه الدكتور محي الدين الأولاني: "كنت أذهب ماشيا من كلية دار العلوم وازداد إلى كلية روضة العلوم في منجيري لسماع درس أبي الصباح في اللغة العربية ولرؤيتها خطه الجميل الذي يكتبه في السبورة، وكان العالم الفريد الذي يعالج هذا الخط في كيرلا آنذاك، وقد درسه من معهد الخطوط في مصر"^١. وبالجملة أن أبو الصباح كما وصفه العالم المصري الشيخ عبد المنعم النمر كان "صباحا لا مساء له"^٢. كان شمسا طالعة لا غروب لها اتسع نورها في جميع طرق تقدم هذه الأمة وتطورها كما أن جميع المعاهد التعليمية التي توجد الآن في فاروق آباد تنطق بعظامه صاحبها ومؤسسها أبو الصباح وذكرياته الحلوة .

لبي هذا الجوهر النير نداء ربه وانتقل إلى جوار بارئه ليلة يوم الخميس في التاسع سبتمبر عام ١٩٧١م بعد أن خلف وراءه تراثا ضخما لهذه الأمة، فيه أسوة حسنة لكل من يحب اقتداء سبيله من هذه الأمة، جمعنا الله معه في ظلال عرشه مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

المصادر والمراجع

- Farook College Orma – Anubhavam, Farook Publication Division, First Edition, 2013.
- Muhammed Kuttassery, Moulana Abussabah Ahmed Ali, Grace Educational Association, First Edition, 2012.
- Navodhanam Vidhyabhaysathilude, Farook Publication Division, First Edition, November, 2013.

^١ محي الدين الأولاني، روضة العلوم ودورها في الصحوة الإسلامية، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، ٩٤-٩٣، ص: ٢٢٩

^٢ Muhammed Kuttassery, Moulana Abussabah Ahmed Ali, Grace Educational Association, First Edition, 2012, P: 66

النَّهْضَةُ التَّعْلِيمِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ فِي كِيرَالَا - مِنْطَقَاتُهَا وَأَبْعَادُهَا

د/ جمال الدين الفاروقى. كى^١

الملخص

"النَّهْضَةُ بِمَثَابَةِ مَاءِ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ الْمَجَمِعَاتِ، وَهِيَ . عَلَى حِدَّ تَعْبِيرِ الْعَالَمَةِ ابْنِ خَلْدُونَ. تَحَافَظُ عَلَى كِيَانِهِمْ وَتَحْقَقُ لَهُمِ الْإِنْجَازَاتُ الثَّقَافِيَّةُ وَالْعُقْلِيَّةُ. وَكَانَ مِنْ سَنَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ اتَّخَذَ النَّسَامَةَ الْمُحْكَمَ لِاستِمْرَارِهِمْ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ لِكِيَ يَتَحَرَّكُوْا فِي الْمَسَارِ الصَّحِيحِ فِي الْعِقِيدَةِ وَالْعَبَادَاتِ وَالْثَّقَافَةِ وَالْتَّقَالِيدِ، لِتَبْنَى عَلَيْهَا اِتِّجَاهَهُمُ الْعُقْلِيَّةُ وَالْتَّرَبُوْيَّةُ فَيَعُودُوْا بِفَوَائِدِهِمْ عَلَى كَافِلَةِ الْأَفْرَادِ. وَيَتَمُّ مَعَ ذَلِكَ بَنَاءُ الْمَجَمِعِ مِنْ جَدِيدٍ. وَجَمِيعُ الإِصْلَاحَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي شَهَدَهَا التَّارِيخُ فِي أَدْوَارِهِ الْمُخْتَلِفَةِ، كَانَتْ كَفِيلَةً بِتَرْسِيقِ الْبَنِيةِ التَّحْتِيَّةِ لِلتَّكَافِلِ الثَّقَافِيِّ وَالْعَلِيِّيِّ وَالرَّصِيدِ الْفَكَرِيِّ لِدِيْهُمْ. وَقَدْ اسْتَلَمُوا الْمُسْلِمُونَ فِي سَالِفِ أَيَّامِهِمْ مَبَادِئَ الْنَّهْضَةِ وَالْيِقْظَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي يَقُدِّمُ مَنْهَجَيْةً صَالِحةً لِلنَّهْضَةِ الْمُؤْثِرَةِ، وَالْنَّهْضَةُ فِي الْمَنْظُورِ الْقُرْآنِيِّ لِيَسْتَ ثُورَةً وَلَا انْقِلَابًا، بَلْ هِيَ تَوجِيهٌ وَتَبْنِيَّهُ. وَهُوَ يَدْعُو إِلَى الْبَنَاءِ وَيَقْضِي عَلَى الْهَدْمِ وَالْأَنْهَىْرِ، وَمِنْ الْأَنْطَوَاءِ إِلَى الْاِنْشَارَ وَمِنَ التَّشَاؤِ إِلَى التَّفَاؤُلِ وَمِنَ الْمَذَلَّةِ إِلَى الْمَكْرَمةِ. وَصَفَحَاتُ التَّارِيخِ مَزَدَانَةُ بِرْجَالٍ أَفْنَادُوا حَيَّاتِهِمْ لِتَجْدِيدِ أَحْوَالِ الْأَمَّةِ وَتَبْصِيرِهِمْ بِمَصْبِرِهِمْ.

وَقَدْ تَجَاوَبَتْ أَصْدَاءُ الْنَّهْضَةِ الَّتِي حَصَلَتْ فِي الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ فِي أَرْجَاءِ الْهَنْدِ بِزَعْمَةِ السِّيدِ إِسْمَاعِيلِ الشَّهِيدِ وَالْعَالَمِ شَبْلِيِ النَّعْمَانِيِّ وَمَوْلَانَا مُحَمَّدَ قَاسِمَ النَّانَوَتِيِّ وَالسِّرِّ سِيدِ أَحْمَدِ خَانِ وَالْعَالَمِ مُحَمَّدِ إِقْبَالِ وَغَيْرِهِمْ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَلْبِثْ أَنْ ظَهَرَتْ بِوَاكِيرِهَا فِي كِيرَالَا، تَصَدَّى لَهَا زَمْرَةُ الْعُلَمَاءِ السَّادَاتِ، وَأَيَّقَظُوا الْمَجَمِعَ الْإِسْلَامِيِّ مِنْ سَبَاتِهِمْ، وَصَعَدُوا بِهِمْ سَلَّمَ الرُّقِيِّ وَالتَّقْدِيمِ فِي مَجَالِ التَّرْبِيَّةِ وَالْتَّعْلِيمِ، حَتَّى أَحْرَزَتْ كِيرَالَا تَقْدِيمًا مَلْحوِظًا فِي الْمَجَالَاتِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْدِينِيَّةِ وَالْعَلِيَّمِيَّةِ، وَالَّذِي أَطْلَقَ عَلَيْهِ فِيْمَا بَعْدَ "الْنَّمُوذِجَ التَّقْدِيمِيِّ لِكِيرَالَا". وَالْمَجَمِعُ الْإِسْلَامِيُّ الْرَاهِنُ فِي رَقْمِهِ وَتَقْدِيمِهِ مَدِينُونَ بِالْفَضْلِ لِأُولَئِكَ الْأَسْلَافِ الَّذِينَ أَخْذُوا زَمَانَ الْمَبَادِرَةِ لِإِصْلَاحِ الْمَجَمِعِ وَتَحْرِيرِ الْوَطَنِ فِيْوَقْتٍ وَاحِدٍ.

بِوَاكِيرِ الْنَّهْضَةِ فِي مجَمِعِ كِيرَالَا

إِنَّ تَارِيَخَ الْإِصْلَاحِ وَالْتَّجَدِيدِ فِي الْمَجَمِعِ الْإِسْلَامِيِّ فِي كِيرَالَا لَمْ يَكُنْ مَصْنُوعًا فِي عَشِيشَةِ أَوْ ضَحَاها، وَالَّذِي نَرَاهُ آلَانُ مِنَ الْنَّهْضَةِ وَالْتَّقْدِيمِ الْعُلَمَىِّ، تَرْجَعُ جَذْوَرَهَا إِلَى مَا وَرَاءِ الْقَرُونِ، وَيَكَادُ يَتَفَقَّدُ الْمُؤْرِخُونَ أَنَّ كِيرَالَا هِيَ الْوَلَايَةُ الْهَنْدِيَّةُ الْأَوَّلَى الَّتِي حَظِيتُ بِدُخُولِ الْإِسْلَامِ فَورًا ظَهُورَهُ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، وَالْمُسْلِمُونَ الْوَافِدُونَ إِلَيْهَا مِنَ الْبَلَادِ الْعَرَبِيَّةِ وَجَدُوا صَدُورًا رَحِيْبًا فِي بَقَاعِهَا، وَقَدْ أَقْطَعُوا لَهُمُ الْمَلُوكُ الْهَنَادِكَةُ الْأَرْضَ وَالْعَقَارَاتِ، وَسَمِحُوا لَهُمْ بِإِقَامَةِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ كَمَا حَدَثَ ذَلِكَ بَيْنَ الْمَلَكِ جِيرَمَانَ

^١ عميد كلية دار الأيتام، موتل، وبناد، كيرالا ومشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق.

برومال والوفد العربي الذي قاده مالك بن الدينار^١. مما يدل على أن أهل كيرلا على استعدادهم الفطري وعقلتهم الإيجابية للتغير الذاتي منذ تلك الأيام.

ولم تكن منظمات الإصلاح والتجديد الحالية إلا نتيجة لتلك الأعمال التي قام بها علماء وزعماء رئيسيون حين أهمتهم الأحوال المتردية التي خيمت على المسلمين آنذاك. وقد وهبوا حياتهم ونذرها ثروتهم لدعوة الناس والعودة بهم إلى تعاليم الدين الحنيف، حتى صارت هذه المنظمات دوحة كبيرة شامخة يستظلها الآن عشرات الآلاف، وعلى مرور الزمن اصطف على مسرحها المئات من الكتاب والخطباء والمؤلفين والتربويين. ونجد العلماء في الأسرة المخدومية في طليعة من قاموا بترويج التعليم القائم على المنهج المدروس، ومنهم زين الدين المخدوم الأول وحفيده زين الدين المخدوم الثاني، وقام كل منهما بتطوير الدراسات الدينية وإدخال المواد الدراسية الأخرى مما يمكن الطالب مساعدة المجتمع الذي يعيشها. وكانت حلقات الدروس في مسجد فوناني وقتئذ يؤمنها طلاب العلم من البقاع البعيدة مثل جاوي وسماطرة وإندونيسيا وملازيا. كما نراهم يسايرون المتطلبات العلمية الأخرى في تلك الأيام، وخير دليل على ذلك كتاب "هورتونس ملاباركوس" الموسوعة الطبية الهندية الكبرى التي تصدى لها الوالي الهوليندي وان رايد (Wan Read) في إثنى عشر مجلداً الصادر من Amsterdam عام ١٦٧٨، تم جمع أسماء النباتات والأعشاب الدوائية الموجودة في غابات كيرلا، والمعلومات الواردة فيها بأربع لغات: اللاتينية والمليالمية والعربية والنكيرية، وعلماء المخاديم ساهموا في تزويدها بأسمائها العربية. وكان من عبث الأقدار أن تعرض المسلمين بعد ذلك بقليل للبدع والتقاليد المنافية لروح الدين، وابتعدوا عن الدين، وتخلعوا في مجال التعليم والعالم حولهم يتحرك إلى الأمام.

جهود الشيخ ثناء الله مقدي تنغل

كان السيد مقدي تنغل (١٩١٢ - ١٨٤٧م) رجلاً ثورياً عمد إلى أسلوب عمل خاص، يهدف التهوض بالآمة المسلمة والأخذ بهم نحو الإصلاح والتقدم، وذلك في كل مقالاته وخطبه، وأسلوبه يعروه شيء من الخشونة والحدة. ورأى من الضرورة النطق بلهجـة مستحدثة لنجاح الدعوة الإسلامية والعودة بالأمة إلى حظيرة الثقافة والتربية. كما أنه تحمس لابتکار الحروف العربية المليالمية ليتوصل بها إلى أفهم المخاطبين. وألف بهذا الصدد كتاب "علم الإخوان"، والكتاب يشكل من الأهمية اللغوية بقدر ما يعتبر كتاب "كيرلا باننيام" في اللغة مليالمية وفي إطار التعليم المدرسي أتى بإصلاحات جذرية، وقد أدخل في النظام المدرسي أساليب التعليم الحديثة، وبدأ نظام الفصل حيث جعل الطلاب في صفوف حسب مستواهم العلمي. ونادي بالناس والنساء على وجه الخصوص إلى التعليم العصري لكي تقف الأمة في مصاف الشعوب الراقية، وهو يقول: "إن المسلمين ابتعدوا عن تعليم الإنجليزية ظنا منهم أنها لغة جهنم، وتركوا ملايالاً لكونها لغة الديانة الهندوكية، لكننا نرى في هذه الأيام عدداً قليلاً

^١ الشيخ زين الدين المخدوم، تحفة المجاهدين، مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٨، ص: ٢٣

منهم في شمال كيرلا ممن نالوا التعليم الإنجليزي، ورغم ما يتعرضون ملام الناس ومسباتهم إلا أنهم يبقون رمزاً للتفاؤل والاعتزاز^١

وكانت أعماله بهذا الصدد نداءً انبعث من ضميره ينادي الشعب أن يتأنبو للتسليح بالتعليم الديني والعصري. وقد ألف معجماً ثلاثة اللغات - السنسكريتية والماليالمية والعربية - لتسهيل الدراسة والتعليم على العوام. ويدل على حرصه على العلم واكتسابه من منابعه ما قال لتلميذه سى. وي. عبد الرحمن واهباً قلمه إياه، وكان محضراً "حان لي الرجوع إلى ربِّي، وليس عندي ما أهدي إليك سوى هذا القلم، ول يكن هذا القلم يضيئ درب حياتك".

جهود الشيخ همداني تنغل

كان الشيخ محمد ماهن همداني تنغل (١٩٢٢م) خلفاً صادقاً للشيخ مقدمي تنغل في أعمال النهضة والتجديد. وقد أهله الانحطاط والتردí الذي ساور الأمة، وقدم أفكاره التعليمية المزججة بين العلوم الدينية والعصرية لكي يتأهل الشباب المسلم للقيام بالمهام الدينية حافظين على هويتهم الثقافية حتى يجدوا لأنفسهم المكانة المناسبة بين سائر الأمم.

وانطلاقاً من النشاطات التربوية والثقافية التي قام بها السر سيد أحمد خان في شمال الهند وامتداداً لها، نهض الشيخ محمد ماهن الهمداني ونظم جمعية تربية باسم المؤتمر الإسلامي، وكان على طراز المؤتمر الإسلامي التربوي لعموم الهند الذي شكله السر سيد أحمد خان، وتعززت تحت إشرافها الأعمال التربوية المختلفة بهدف رفع مستوى المسلمين. وكتب كثيراً من المقالات التي تدفع المسلمين إلى التعليم العصري وتأسيس المعاهد التربوية. وكان يهمه ما لمس من أحوال العلماء وقتئذ، كما أن المدارس الدينية في تلك الأيام لم تعد قادرة على تخريجهم، وهي ضعيفة في هيكلها وعاجزة في رسالتها وعقيمة في أدائها. وقد كان لإصلاحات الشيخ محمد عبده في جامعة الأزهر وتجديد نظام التدريس هناك رد فعل إيجابي بين علماء الهند آنذاك. مما انجذب إليه الشيخ الهمداني وأرسل بعثة من العلماء تحت قيادة الشيخ علي مولوي ليهلاوا من ينابيع الأزهر، إلا أن جهوده بهذا الصدد لم تتكل بالنجاح.

خمس وصايا

نشر مرة في مقالة له في صحيفة "المسلم" خمس وصايا بهدف التقديم التربوي بين أبناء الأمة. وهي:
 ١. ينبغي إنشاء المدارس الدينية في المناطق ذات الأغلبية المسلمة، وهي تعمل منذ المراحل الابتدائية. شأن المدارس الحكومية، وأما في المدن فالأهمية هناك للمدارس الثانوية.

^١ عبد الرحمن منقاد، وقام عبد القادر المولوي، الصحافة الإسلامية في كيرلا، مجلة بريونان، كالிகوت، ١٩٩٨، ص: ٢٤

^٢ المصدر السابق، ص: ٧٥

٢. للتعملق في القرآن والسنة يجب تأسيس معاهد عليا في كيرلا، وعلى وجه الخصوص في مدينة ترافاندرم وكوشن ومليبار، ولا رقى للأمة المسلمة ما دامت نسوانهم في الجهة المطبقة، وطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة كما قال به صلى الله عليه وسلم، ولذا يجب أن نزود النساء المسلمات بالتعليم الديني وشيء من العلوم العصرية التي تنور لهن الطريق في الحياة..
٣. إن الذين لم يحالفهم الحظ لتلقي العلوم والدراسة، يجب تنظيم جمعية خاصة لتدريسهم مهام الأمور الدينية والدنيوية.
٤. كما يجب إنشاء الشركات والجمعيات التعاونية بهدف التقدم الاقتصادي للمسلمين.
٥. يلزم إنشاء جمعية تقوم برعاية المستضعفين وإغاثتهم وتأهيلهم حتى يبلغوا الإتجاه السائد في المجتمع.

تقديرًا بجهوده واعترافاً بفضله منحه الملك سراج كوبالاجاري أرضاً في مدينة آلوائي بمساحة ٨ فدانات لتكون مقراً لأعماله وللمؤسسات التعليمية التي كان يحلمها، وقد نظم الشيخ جمعية الثقافة الإسلامية لتكثيف الأعمال في هذا المقر. إلا أنها ما تعمرت طويلاً، إذ لم يجد من بين المسلمين من يسانده وبعزره في مهامه النبيلة. وعمل في طليعة عدد من الجمعيات بعد ذلك تم تشكيلها بهدف توفير وسائل التعليم للمسلمين، ومنها اللجنة المحمدية في آبوزي ولجنة المسجد المحضر في كوشن. وقد أكرمه حكومة ترفادانكور حين رشح الملك اسمه عضواً في البرلان ، ورفع فيه صوته لحقوق المسلمين في ديار كيرلا.^١ ومقالته المنشورة في صحيفة مسلم التي أصدرها وقام مولوي تدلنا على اهتمامه بنشروعي التعليمي بين المسلمين، وفيما يلي نموذج منها: "يجب أن يكون بيننا الأخوة والتضامن منبثقاً من الدين الحنيف، ولا يتم هذا إلا بذبوع التعليم الديني والعصري. وهذا يتطلب مزيداً من المال والجهد، وينبغي أن يقودها نخبة من علماء الأمة العارفين بحقيقة الدين ومنافع الدنيا"

وكام عبد القادر المولوي

الشيخ وقام محمد عبد القادر كان هو الآخر في هذا المضمار، الذي حقق إنجازات كثيرة في مجال التعليم وال التربية. وضع بصماته في المسار الثقافية بكيرلا خطيب وكاتب وسياسي محنك وصحافي أمعي ومخصص تربوي. وقد أنشأ صحيفة "مسلم" لتكون ناطقة بأهمية التعليم ولتقدم إلى العوام كل ما يحدث في المجال العلمي والفكري. وكتب فيها مرة ما يشير إلى سوء حال المسلمين في مجال التعليم.

"يوجد في منطقة ترافانكorum زهاء مائة ألف مسلم، يتشكلون الستة في المائة، ويندر بينهم من يعرف القراءة والكتابة، وهم على معيشتهم من التجارة والزراعة مكتوبون، وذلك مبلغ علمهم، والكثير منهم انحرقوا عن الدين الحنيف وتسربت إليهم التقاليد الباطلة المستعارة من الأمم الأخرى مما يقضي

^١ مجموعة من الكتاب، موسوعة "الإسلام" المجلد ٥، يوادا بوك هوس، كاليكوت، ١٩٩٨، ص: ٣٦٨

على هويتهم، وقد آن الأوان للقيام بتغيير جذري بينهم، وهذا يتطلب خروجهم إلى المدارس العامة والاطلاع على العلوم الحديثة. وأريد بهذه الصحيفة إرشاد هؤلاء وتبصيرهم وتوعيهم. ونرجو من الله أن تبقى هذه الصحيفة مشكاة تشعل نور الهدى والمعرفة إلى مسلمي كوشن ومليبار^١.

وهذه الكلمات التي سجلها صاحبها قبل مائة سنة لا زالت تنبض بالحيوية، وتجسد تعطشه الشديد لبناء أمة نموذجية صالحة مزودة بالعلوم الدينية والعصرية. والمولوي بنفسه أخذ زمام المبادرة بهذا الصدد، وقد أحى اللجنة المحمدية في الأبوبي وأسس مدرسة ثانوية تابعة لها. وهي أول مدرسة إسلامية اهتمت بالتعليم العصري في ترفاكتور. وترددت أصداء صحفته "مسلم" كل قاصية ودانية وتحمس الكثير من المسلمين في إنشاء المدارس على طراز المدرسة المحمدية، وتم تأسيس ٧٥ مدرسة في مختلف القرى. وقد قدر بجهوده التربوية مدير شؤون التربية والتعليم آنذاك قائلاً: "الخدمات التي أدلاها المولوي وصحفته مسلم من أهم الإنجازات التي لا تقاد تقوم بها أمة بأسرها.

واستطاعت حكومتنا أن تحقق النجاح الملحوظ بجهوده المخلصة التي نعترف ونقدر بها^٢

بجانب هذا وذاك كان كبير الاهتمام بتدريس اللغة العربية في المدارس العامة، قدم بهذا الخصوص عدداً من الطلبات إلى البرلمان الملكي وقام بأكبر قدر من الضغط في تعيين أساتذة العربية في المدارس العامة ، وذلك جلباً لأولاد المسلمين إليها. وقد نجح في ذلك أيمماً نجاح، إذ وافقت الحكومة على إدراج العربية في إطار المقررات الدراسية، ووكل إليه تحرير الكتب المدرسية العربية وتدريب المعلمين. وحالياً نحتفل بالذكرى المئوية لتلك الانطلاقة الهادفة التي قام بها وقام مولوي عام ١٨١٢ م. واللغة العربية في كيرلا في انطلاقها وانتشارها وتهيئة الظروف المواتية لها لمدينة بالفضل للشيخ وقام مولوي. وعشرات الآلاف من أساتذة الولاية من يجدون لقمة بذاته بتدريس العربية ينبغي أن تتحفي رؤوسهم أمام عظمة هذا العالم الجليل اعترافاً بصنعيه الجميل.

دور الصحف الإسلامية في تطوير التعليم العصري

بجانب ما ذكرنا كان هناك عدد من الجرائد والصحف الإسلامية أسست بهدف تنشيط التعليم والتربية ودعوة الناس إليها. ومن هذا القبيل صحيفة ماني ولاك (Manivilak) التي أنشأها الشيخ سليمان مولوي عام ١٨٩٤ م، وصحيفة صلاح الإخوان لصاحبه سيد علوى كوتى ماستر (١٩١٧ م) والتي بقيت ثمان سنوات، ومجلة الإرشاد التي بدأها جمعية الاتحاد عام ١٩٢٣ م وصحيفة الهدى والمعرفة التي أسسها الشيخ كوموكوتى مولوي في ملابورم عام ١٩٢٩ م وصحيفة الاتحاد لصاحبه إي. ك. مولوي والتي تعمرت ١٢ سنة. وقد كانت لهذه الصحف ولأمثالها أثر بالغ في تحريك ضمير الناس ودفعهم إلى المدارس.

^١ عبد الرحمن منغاد، وقام عبد القادر المولوي، الصحافة الإسلامية في كيرلا، مجلة بريونانام، كاليكوت، ١٩٩٨، ص: ١٦٣

^٢ مجموعة من الكتاب، موسوعة "الإسلام" المجلد ٥، يوادا بوك هوس، كاليكوت، ١٩٩٨، ص: ٣٨١

دور السادات من أسرة ماناباد - كودونغلور

وما إن نشطت أعمال النهضة في أنحاء مناطق كيرا لا حتى داهمتها ثورة مليبار عام ١٩٢١م، وهي من أخطر الحوادث التي غيرت مجرى تاريخ كيرا لا السياسي والاجتماعي، وقد كانت الحياة بعدها أليمة ضنكا، وكان المسلمون والهنಡاكة على حد سواء في هذه المأساة التي خطط لها النظام البريطاني والتي حصدت المئات من أرواح الأبرياء، مما صار عشرات المئات أيتاما وأرامل وثواكل، لا أحد يوجد لمسح دموعهم ودمائهم، وجموا ساكتين أمام هذه المعاناة والمجازر البشرية، تدهورت معها الأوضاع الاجتماعية.

وكانت مدينة كودونغلور أول بقعة أشرقت بنور الإسلام في الهند. هي مأوى للمتضاربين والمتشددين لهذه الثورة، هربوا إليها تخلصا من أيدي الإنجليز، وقد كانت هناك أسرة مانابات، ومعهم كوتابورت سيدي محمد حاجي، رحبوا بهؤلاء الأشقياء وأووههم وأمنهم من خوفهم وقلقهم ، وقد نهض منهم جماعة من الشبان المتحمسين وبدأوا يفكرون عن الوسائل المفيدة لإنقاذ الشعب المسلم من مثل هذه الدواهي، وفي طليعتهم بعض الأريجيين من مسلمي كودونغلور. وكان النزاع والمنافسات قائمة بين أسرتين بارزتين هناك، مما صار هو الآخر سببا لإيجاد مسرح لتوحيد صفوف المسلمين ولحل المشاكل الطارئة بين بينهم، وقام السيد ك. أم. مولوي وإي. كي. مولوي ومنباث كنج محمد حاجي وكوتابورت سيدي محمد بإصلاح ذات البين لتحقيق الوئام والتكافل بين الأسرتين، وعقدوا مؤتمراً كبيراً عام ١٩٢٢م في إيرياد(Eriyad) تحت رئاسة محمد ماهن همداني تنغل، وتم فيه تشكيل جمعية باسم جمعية اللا إنحيازية (Nishpaksha Sangam) للقيام بالإصلاح والتوفيق بين الأطراف المختلفة والتماسك الاجتماعي، ولا يتحيزوا إلى أي واحد من القبائل حين تشب بينهم الخلافات، ورغم أن كانت أعمالهم ما نجحت كثيراً في تخفيف الفجوة بين الأسرتين، إلا أنهم صاروا محل اهتمام في المجتمع الإسلامي، وقويت مبادرتهم هذه على مرور الأيام، وبدأت أعمالهم التطوعية تتعشّل الآمال في النفوس. وتداعى عدد كبير من زعماء المسلمين لمساندتهم وللوصول إلى جانب خدماتهم، ولم يلبث حتى أقاموا اجتماعاً آخر وجعلوا اسم الحركة (جمعية الاتحاد) إلى جانب الأربع المذكورين انضم إليهم إي . ميدو مولوي. واستخدمو الاجتماعات السنوية للتوعية الشعب الإسلامي في أمور الدين تثبيتاً في دينهم وتجنبها للبدع، وانعقد أول مؤتمر للجمعية عام ١٩٢٣م في إيرياد، وأخرجوا توصيات عديدة فيما يتعلق برقي الأمة التعليمي. وفي عام ١٩٢٤م حين انعقد المؤتمر الثاني في آلوائي شكلوا جمعية العلماء وأهابوا الأمة أن يجودوا بسخاء للمتضاربين، وقد أصدروا مجلة المرشد لتكون بوقاً لأعمال النهضة التعليمية بين المسلمين، وفي عددها الأول (١٩٣٥م) كتب الشيخ كي . أم. مولوي ما يلي :

"وقد وجدنا أنفسنا مندفعين إلى نشر هذه الصحيفة في العربية المليالية علماً بأن هناك العدد الكبير من يحسنها كتابة وقراءة أكثر من المليالية الصافية، لكي يحبذها عامة المسلمين،

وخصوصا النساء المسلمات اللاتي لا يعلمون إلا هذه اللغة الدارجة، ف تكون الصحيفة في متناول أيدي المسلمين كلهم، وقد جعلنا تعليم الأمة نصب أعيننا، ونأمل أن تكون المجلة تدفع عجلته إلى الأمام^١.

دور الشيخ أبي الصباح أحمد علي في الإصلاح التعليمي

وفي عام ١٩٣١ م حين تشكل المجلس الإسلامي بكميراً اندمجت فيه جمعية الاتحاد وأصبحوا حركة واحدة تسير إلى هدف واحد. ويقال إن جمعية الاتحاد أعطت ممتلكاتها الوقفية بعد ذلك لإدارة كلية الفاروق.

وقد كان العقد الخامس من القرن العشرين معطفاً مصرياً في مسيرة التعليم الإسلامي بكميراً، إذ برزت في خارطة التعليم والتربية "روضة العلوم"، انطلقت نشاطاتها من قرية آناكا أيام عام ١٩٤٢ م ثم انتقل بعد خمس سنوات إلى ربوة الفاروق. فتحولت الجرولة الجدباء هناك إلى روضة فيحاء، والصخور الناثنة إلى صرح شامخ للعلوم والمعارف، وتظل تقوم هذه الربوة تحدث أخبارها ليسمعها وبعيها من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

ولم يكن في حسبان أحد قبل سبعين سنة أن أرضاً ترعرع فيها النمور والثعالب ستتصبح كعبة للعلوم والثقافة الإسلامية ومقرًا للعلماء والطلبة. وكان وراء هذا الرقي نية صادقة أنقى من الزلال وإرادة قوية أصلب من الحديد، كان يحملها ضمير رجل نذر حياته وكرس جهوده لإصلاح الأمة، وهو لم يتطرق إلى الإصلاح بالوسائل التقليدية المتuelle، بل وأكثر من ذلك إنه صمم لبناء مجتمع متسلح بالعلوم الشرعية وبالعلوم العصرية. والشيخ أبو الصباح أحمد على رحمه الله هو ذلك الرجل الذي تبدد على يديه ظلام الجهة وأتت إليه الأيام وهي راغمة. وقد استمد نياته وإراداته وحماساته من إيمانه وثقته بالله وتوكله عليه وتضرعاته إليه، وشهدت البلاد انطلاقاً جديدة هادفة منذ ذلك اليوم في مفهوم التربية والتعليم. والشيخ أبو الصباح هو بنفسه قاد القافلة حتى إلى آخر نفسه، مستلهما العبر من تجاربه الذاتية حين كان في جامعة الأزهر، حيث تفتقد ذهنه وشرح صدره وحمل منها ذلك القبس الوضاء إلى هذه البقعة المسكينة ليباقي على ضوئه وبهائه إلى الأبد.

الشيخ أبو الصباح أحمد على رحمه الله قد سبقه مصلحون، ورافقه آخرون في عصره وجيله، وثلة أخرى جاؤوا بعده، إلا أن الإصلاح الذي كان يصبو إليه الشيخ فريداً عديم النظير. وقد اختار التربية والتعليم مجالاً لأعماله الإصلاحية، لأنها أمضى سلاحاً لمقاومة الجهة وأقدر وسيلة لتنوير القلوب والعقول ولغرس القيم الأخلاقية في نفوس الشباب. وكلماته المذكورة أدناه تنطق بأحلامه التربوية: "ونحن نحتاج إلى مزيد من المؤسسات التربوية بما فيه كلية الطب والهندسة ومركز التعليم

^١ صحيفـة المرشد . العدد الأول : فبراير ١٩٣٥ (نقلـاً من مقالـة السيد عبد الرحمن منغـاد في مجلـة بـريـونـام) . ص : ٣

العالى الذى يضم مختلف الدراسات العلمية والإنسانية، ودار للمنشورات الإسلامية مما يستفيد منه أبناءنا وبناتنا، فتكتب لنا من العزة والشرف ما كتب الله لأولئك السلف من الأمة^١.

وتحقيقا لهذه الأهداف بذل كل ما في جهده. وتكافته في مهمته الرجال من ذوي الأريحية والنعمة، تبادلوا العمل ليلاً وهاراً، والشيخ أبو الصباح أحمد علي بموقفه هذا شارك في صنع تاريخ جديد لمسلي كيراً بعيداً عن الصخبات والصيغات التي تصك الأسماع. وجامعة روضة العلوم والمعاهد المنشقة منها على هذه الربوة تظل تبقى رمزاً خالداً لأخلاصه ووفائه وتفانيه وتكريسه، وسيبقى أثره فاعلاً ملماوساً إلى الأبد.

والنهضة مهما كانت بسيطة متواضعة فإنها بدون شك بمثابة لبنة هامة في بناء المستقبل الأفضل وتوسيع الآفاق الثقافية بين الشعوب.

المصادر والمراجع

- الشيخ زين الدين المخدوم، تحفة المجاهدين، مكتبة البدي، كاليفورنيا، ٢٠٠٨م
- صحيفة المرشد، العدد الأول، فبراير ١٩٣٥م (نقاً من مقالة السيد عبد الرحمن منقاد في مجلة بريونانام)
- عبد الرحمن منقاد، وكان عبد القادر المولوي، الصحافة الإسلامية في كيرلا، مجلة بريونانام، كاليفورنيا، ١٩٩٨م
- مجموعة من الكتاب، موسوعة "الإسلام"، المجلد: ٥، يوادا بوك هوس، كاليفورنيا، ١٩٩٨م

^١ الأستاذ محمد كوتاشيري، "ذكريات الشيخ أبو الصباح أحمد على"، كلية روضة العلوم العربية، فاروق، ٩٤-٩٣، ص: ٥١

كلية فاروق ومساهمتها في تطور اللغة العربية

د/ ك. علي نوفل^١

الملخص

كلية فاروق هي من أقدم الكليات وأكبرها في ولاية كيرلا. أسست هذه الكلية سنة ١٩٤٨ م بعيد استقلال الهند من الإستعمار البريطاني. ولهذه الكلية دور كبير في ترقية المجتمع في منطقة مليبار عامة وفي ترقية مستوى تعليم المتخلفين خاصة. قسم اللغة العربية هو من الأقسام القديمة وتم تأسيسه سنة ١٩٤٩ م بعد سنة من تأسيس الكلية. أصبح قسم العربية مركز البحث في اللغة العربية وأدابها سنة ٢٠٠٠ م. وخرج جوسم العربية يخدمون ويعملون في مناصب عليا داخل الهند وخارجها. قد ساهم قسم العربية مساهمة قيمة في مجال التدريس والتأليف والبحث. قام القسم بمشروعات أنفق عليها المجلس الأعلى للجامعات الهندية ونشر نتائجها في صور الكتب. يعتبر قسم العربية لكلية فاروق من الأقسام الحية لدى المسؤولين والمحبين

المقدمة

كلية فاروق هي التي لقبت بـ"جامعة عليكرا جنوب الهند" نظراً إلى مساهمتها في تطور منطقة مليبار عامة وتطور المجتمع الإسلامي خاصة. أسست هذه الكلية سنة ١٩٤٨ م وتكرست نشاطاتها في سبيل الرقي الاجتماعي في مجال التعليم العالي حتى أصبحت مركزاً للتعليم العالي يشار إليه بالبنان. وقد تقوم جمعية روضة العلوم برعاية مجموعة من المعاهد التعليمية في حرم هذه الكلية. حيث يفي بالمتطلبات الأكademie والنشاطات التعليمية. توفر كلية فاروق للطلبة فرص الأكاديمية من خلال خمس عشرة دورة دراسية على مستوى البكالوريوس وثلاث عشرة على مستوى الماجستير. ومن ضمن عشرين قسماً تعمل ثمانية أقسام كمراكز بحثية معروفة بها من قبل الجهات المعنية.

الدورات على مستوى البكالوريوس

العربية والتاريخ الإسلامي والإنجليزية والإنجليزية الوظيفية والماليالية وعلم الاقتصاد والدراسات التجارية ودراسات إدارة التجارة وعلم الاجتماع والعلوم المكتبية والرياضيات والإحصائيات وعلوم الحاسوب الآلي والفيزياء والكيمياء وعلم النبات وعلم الحيوان والوسائل المتعددة والدراسات المهنية - تقنية المعلومات والدراسات المهنية - علوم السيارات

على مستوى الماجستير:

العربية وأدابها وإنجليزية وعلم الاقتصاد والتاريخ والدراسات التجارية والإدارية وعلوم المكتبة والمعلومات والرياضيات والإحصائيات وعلوم الحاسوب الآلي والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوانات والصحافة والاتصال الجماهيري.

^١ رئيس القسم، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرلا، الهند

مميزات كلية فاروق

إن ميزة توافر تسهيلات السكن الداخلي هي التي تميز هذه الكلية من غيرها من الكليات التابعة لجامعة كاليكوت، حيث أن هناك أربعة مباني سكنية للبنين وأربعة أخرى للبنات. وبالإضافة إلى عشرين مقراً سكنياً لأعضاء سلك التدريس. فحرم هذه الكلية يوفر محيطاً مثالياً لحياة اجتماعية متسمة بقيم ثقافية عالية مقرونة بالانسجام الاجتماعي وروح التسامح الديني والتعايش السلمي. كما أن المرافق الرياضية والألعابية الداخلية والخارجية هي الأخرى متوفرة. كما يوجد في هذا الحرم مركز العناية الصحية التي أقيمت بمناسبة احتفال الكلية بيوبيلها الفضي، والتي تقدم خدماتها الصحية إلى السكان المحليين، وعيادة الألم والرعاية الملطفة التي تعمل تحتها هي الأخرى إضافة إلى هذا المحيط السككي المثالي.

فلا غرو، أن اهتمام الكلية بالتعليم العالي قد حظي بقبول حسن وإعجاب لدى العديد من الجهات والبيئات. فقد اختارت مؤسسة فورد بنيو يورك هذه الكلية أهلاً لاستلام منحة في ظل مشروعها "مبادرة تنوع الحرم الجامعي" (Campus Diversity Initiative). ومن ثم بفضل نجاح الكلية في تحقيق أهداف هذا المشروع أحرزت منحة أخرى من نفس المؤسسة تحت "مشروع الطرق" (Pathways Project). وحازت الكلية عامي ١٩٩٧ - ٩٨ و ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ على جائزة آر شانكار (R. Shankar) التي أسستها حكومة كيرالا لأفضل كلية من فئة التصنيف الخاص في الولاية. كما أن الكلية قد حازت بجائزة مولانا أبو الكلام آزاد المعرفية التي تمنحها مؤسسة مولانا آزاد التعليمية، بنيو دلهي (Ministry of Social Justice and Empowerment) – حكومة وزارة العدالة الاجتماعية والمعونات (MOSJE) – الهند. فكلية فاروق هي الأولى تحت جامعة كاليكوت لتسلّم المنزلة الرفيعة "كلية باحتمال الامتياز" المنوحة من قبل المجلس الأعلى للجامعات الهندية (UGC) التابعة للحكومة الهندية المركزية. وقد تم اعتماد المنحة المخصصة للمرحلة الثانية في الآونة الأخيرة. وبفضل المزيد من الجهود الهدافة لقد تم رفع الكلية إلى مستوى درجة حسب نظام معدل التقديرات الدراسية التراكمية (CGP) مع نقطة (3.34) على أساس سلم التقديرات المكونة من أربع نقاط وذلك من قبل المجلس الوطني للتقييم والإشراف في بانغlore. كما أن الكلية معروفة بها كونها معهداً تابعاً للأقلية من قبل الهيئة الوطنية لمعاهد تعليم الأقليات، حكومة الهند.

مجمع مكتبة أبي الصباح

مجمع مكتبة أبي الصباح الذي تم افتتاحه على يد الدكتور أ. بي. جي. عبد الكلام، الرئيس الهندي السابق هو أكبر المكتبات تحت جامعة كاليكوت حيث يحتوي على أكثر من ٨٠٠٠ كتاباً في مختلف فروع المعرفة، و ٤٢ مجلداً من الكتب المطبوعة على البريل ومكتبة ناطقة رقمية لمساعدة الطلبة كفيفي البصر. يوجد بجوار المكتبة ملحق مدرج مجهز بأحدث الوسائل السمعية والمرئية في أرقى مستوى من التكنولوجيا يستخدم لإلقاء المحاضرات العامة وعقد الندوات والمؤتمرات.

قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها

قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها هو أول قسم الماجستير في كلية فاروق التي أُسست سنة ١٩٤٨ م ثم ارتقى إلى مكانة قسم البحث سنة ٢٠٠٠ م مع تسهيلات للبحوث والدراسات لنيل الدكتوراه.

يبلغ عدد الطلاب في دورة البكالوريوس حوالي ٤٠٠ طالبا وفي دورة الماجستير ٤٠ طالبا بالإضافة إلى ٣٥ عددا من الباحثين يبحثون حول موضوعات مختلفة في اللغة العربية وأدابها. وقد تم تقديم سبعة رسائلات الدكتوراه في القسم، ومنها ما قدمت تحت إشراف الدكتور تي. بي. محمد عبد الرشيد، الرئيس السابق:

- (١) فرقة الشيعة وتأثيرها في الأدب العربي الإسلامي: دراسة نقدية - السيد عبد الأحد. بي. أن.
 - (٢) مساهمة الجمعيات الإسلامية في تطور اللغة العربية وأدابها في كيرلا - السيدشيخ محمد. كي
 - (٣) الآيات القرآنية في المعاملات المالية - عبد الحميد آيابالي كالو والإليل
 - (٤) الكعبة المعمظمة وتأثيرها في الأدب العربي - السيد كوياكوتி. تي. وي
 - (٥) الشيخ ابن باز ومساهمته في الأدب العربي - السيد مصطفى. بي
 - (٦) مساهمة توفيق الحكيم في فن الرواية والمسرحية - السيد محمود. وي. أم
 - (٧) سيد قطب ومساهمته في الأدب العربي - السيد محمد. كي
- ومنها ما قدمت تحت إشراف الدكتور أن. عبد الجبار، الرئيس السابق:
- (٨) تيسير النحو العربي: الطرق وتطبيقاتها في النحو المدرسي - السيد حمزة. كي
 - (٩) تجليات الثقافة الهندية في الأدب العربي الحديث - السيد عبد الرحمن شiroوكارا
 - (١٠) عناصر التزعة الإنسانية في الأدب العربي الحديث بعد ١٩٥٠ م - السيد محمد بوتانغودان
- ومنها ما قدمت تحت إشراف الدكتور سي. بي. أبو بكر، الرئيس السابق:
- (١١) مساهمة صلاح عبد الصبور في تقدم المسرحية العربية - السيد عبد العزيز. وي. أم
 - ومنها ما قدمت تحت إشراف الدكتور أحمد سعيد. بي، الأستاذ المشارك السابق:
 - (١٢) الأمثال النبوية: جمعها وتقسيمها وتحليلها الأدبية - السيد محمد وي. أم
- ومنها ما قدمت تحت إشراف الدكتور يو. سيد علوى، عميد كلية مليبار للدراسات المتقدمة، وينغارا، بمحافظة ملابورام، وهو يتشرف بالعمل في هذا القسم مشرفا للبحوث:
١. المدائح النبوية في الشعر العربي بجنوب الهند بإشارة خاصة إلى القاضي عمر البلينكوتி - عبد الرحيم. أم. كي

المشروعات البحثية في قسم العربية

قد أتم قسم اللغة العربية مشروعات قيمة ولا تزال تجري فيه مشورعات مختلفة على رئاسة الأساتذة المختلفة. منها مشروع جمع الأشعار العربية التينظمها شعراء كباراً وتحريرها ونشرها، قد حصل القسم لهذا المشروع على مبلغ قدره مائة ألف روبية هندية من المجلس الأعلى للجامعات الهندية سنة ٢٠٠٩م. أتم القسم هذا المشروع كما قام بنشر القصائد المختارة مع ترجمتها الإنجليزية باسم "تراث المقاومة ضد الاستعمار". ومشروع قاموس المصطلحات - العربية والإنجليزية الذي حصل على مبلغ قدره مائة وثلاثة وثمانون ألف روبية هندية من المجلس الأعلى للجامعات الهندية سنة ٢٠٠٩م. قد أتم القسم هذا المشروع وقام بنشر القاموس بفضل الله وتوفيقه. والمشروع الثالث من هذا القبيل هو الذي يجري برعاية القسم منذ هذه السنة الدراسية بعنوان "تطوير المواد الدراسية للطلاب الذين يتحدثون بصربيا من دورة بكالوريوس في اللغة العربية وأدابها. حصل القسم لهذا المشروع على مبلغ قدره إثنى عشرة مائة ألف روبية هندية.

إضافة إلى هذه المشروعات العامة يقوم الأساتذة من القسم بمشروعات صغيرة في مسؤولياتهم. وذلك أيضاً بمساعدة المجلس الأعلى للجامعات الهندية. ومنها ما يقوم به الأستاذ يونس سليم بعنوان "علم النفس في ضوء القرآن الكريم"، وحصل على مبلغ قدره ثمانون ألف روبية سنة ٢٠١٠م. والدكتور علي نوفل بعنوان "المليباريون في الخليج العربي ومساهماتهم الثقافية والأدبية؛ دراسة خاصة حول الإمارات العربية المتحدة" وحصل على مبلغ قدره مائة وخمسة وعشرون ألف روبية سنة ٢٠١٣م. والأستاذ صغير علي بعنوان "العلاقة العربية والهندية: دراسة تاريخية" وحصل على مبلغ قدره مائة وخمسة وثلاثون ألف روبية سنة ٢٠١٣م. والدكتور محمد عابد. يو. بي. بعنوان "الأدب العربي ضد الاستعمار بكيراً في القرون الوسطى؛ نظرة اجتماعية وثقافية" وحصل على مبلغ قدره مائة وخمسون ألف روبية سنة ٢٠١٤م.

النحوت والمؤتمرات

قد عقد قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها بكلية فاروق ندوات وطنية وورشات العمل حول عناوين مختلفة هامة. منها ما عقد القسم سنة ٢٠٠٩م بعنوان الندوة الوطنية حول: "اللغة والأداب العربية: بوابة عالمية للعمل والتعليم والتجارة". وحصل على مبلغ قدره مائة وخمسة ألف روبية من قبل المجلس الأعلى للجامعات. وسلسلة الورشات حول فن القواميس وقاموس المصطلحات التي عقدت سنة ٢٠١٢م. وعقدت ورشة في فبراير ٢٠١٤م بعنوان "الورشة الوطنية حول: الخطوط العربية: وجهة فنية" التي حصل على مبلغ قدره مائة وإثنان وأربعون ألف روبية هندية من المجلس الأعلى للجامعات.

هيئة التدريس

هيئة التدريس لقسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، بكلية فاروق، هي من أقدم الهيئات التدريسية من كلية فاروق. ولها تاريخ غني وطويل في مسيرة هذه الكلية حيث أنها أنجبت كثيراً من الخريجين بعد أن أسست سنة ١٩٤٩ م بعيد سنة من تأسيس الكلية.

وقد ساهمت هيئة تدريس اللغة العربية في ترقية لغة الضاد مساهمة قيمة بمؤلفاتهم ومحاضراتهم وغيرها من الأعمال الأكademie الحية. وقد خدم حوالي ثلاثة أستاذًا في هذا القسم قبل أن تقاعدوا من الوظيفة أو انتقلوا إلى الجامعات أو الكليات الحكومية. ومن رؤساء القسم الأستاذ وي. محمد الذي أصبح عميد الكلية سنة ١٩٧٩ م، والأستاذ علي كنجي، والأستاذ أم. محي الدين كوتى (١٩٨٣ - ١٩٨٧)، والأستاذ أم. محمد (١٩٨٧ - ١٩٩٣)، والدكتور بي. محمد عبد الرشيد (١٩٩٣ - ١٩٩٥ و ٢٠٠٣)، والأستاذ أم. محمد (١٩٩٣ - ٢٠١٠)، والدكتور بي. عبد الحميد (١٩٩٥ - ٢٠٠٣)، والأستاذ ك. تي. حمزة (٢٠١١ - ٢٠١٠)، والدكتور أن. عبد الجبار (٢٠١١ - ٢٠١٢)، والدكتور سي. بي. أبو بكر (٢٠١٢ - ٢٠١٥)، والدكتور ك. علي نوفل (منذ سنة ٢٠١٥ م).

ومن الأساتذة البارزين المتقاعدين الأستاذ وي. سوبي (١٩٨٧ - ٢٠٠٦)، والأستاذ ك. بي. كونجي محمد (١٩٧٧ - ٢٠٠٨)، والأستاذة طاهرابي (١٩٧٨ - ٢٠٠٨)، والدكتور بي. أحمد سعيد (١٩٨٢ - ٢٠١١).

ومن الأساتذة الذين خدموا هذا القسم ثم انتقلوا إلى الجامعات والكليات الأخرى الأستاذ أم. أبو بكر الذي انتقل إلى كلية تي. كي. أم بمحافظة كولام، والأستاذ بي. بي. عبد الحميد الذي انتقل إلى كلية سر سيد بتاليباراما في محافظة كانور، والأستاذ ك. عثمان والأستاذ أن. عبد الحميد الذي انتقل إلى الكلية الحكومية.

ومنهم الأساتذة الذين انتقلوا إلى جامعة كاليكوت بما فيهم الدكتور ك. أم. محمد، والدكتور ك. بي. أبو بكر، والدكتور إسماعيل لبي، والدكتور ك. وي. ويران محي الدين، والدكتور أحمد إبراهيم رحمة الله، والدكتور أن. أمي. محمد عبد القادر، والدكتور أمي. بي. محي الدين كوتى.

ومنهم الأستاذ أم. أمي. فريد، والأستاذ بي. أم. سليم الذي غادراً القسم لأن يتوظفاً في الخليج العربي، والأستاذ إيه. سي. أبو بكر والأستاذ أو. كي. حسن التحقاً بالكلية الحكومية، والأستاذ يو. سيد علوى الذي خدم هذا القسم مدة من الدهر التحق بكلية دار الأيتام بمومباي في محافظة وايانادو. فهذه القائمة الطويلة للأساتذة هي بنفسها خير دليل لدور هذا القسم ومساهمته القيمة في تطور اللغة العربية وأدابها في منطقة مليبار خاصة وفي ولاية كيرالا عامة.

المؤلفات الهمامة لهيئة التدريس

- ١) المراسلات التجارية
 - ٢) العربية الصحافية
 - ٣) المدخل إلى الأدب العربي الحديث
 - ٤) الأدب العربي الكلاسيكي
 - ٥) شرح المعلقات
 - ٦) القصص الشعبية
 - ٧) ترافق الأعلام
 - ٨) المختارات العربية
 - ٩) تاريخ الأدب العربي العباسي
 - ١٠) تاريخ الأدب العربي الأموي
 - ١١) العربية الفنية والتجارية والقانونية والصحفية
 - ١٢) قاموس اللغات الثلاثة
 - ١٣) تاريخ الأدب العربي
 - ١٤) تيسير الإتصال بالعربية والإنجليزية
 - ١٥) التدريب على الإنشاء والترجمة
 - ١٦) قصص أخلاقية
 - ١٧) النظريات الاجتماعية والإقتصادية في الإسلام
- الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^١
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٢
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٣
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٤
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٥
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٦
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٧
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٨
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^٩
الأستاذ وي. بي. عبد الحميد، الرئيس السابق^{١٠}
الأستاذ تي. بي. محمد عبد الرشيد، الرئيس السابق^{١١}
د/ بي. أحمد سعيد، الأستاذ السابق^{١٢}
د/ بي. أحمد سعيد، الأستاذ السابق^{١٣}
د/ أن. عبد الجبار، الرئيس السابق^{١٤}
د/ أن. عبد الجبار، الرئيس السابق^{١٥}
د/ أن. عبد الجبار، الرئيس السابق^{١٦}
د/ ك. علي نوبل، رئيس القسم^{١٧}

^١ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٤ م، والطبعة الخامسة، سنة ٢٠١١ م^٢ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^٣ (في اللغة الإنجليزية)، الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت، ١٩٩٨ م^٤ (في اللغة الإنجليزية) الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت، ١٩٩٩ م^٥ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^٦ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^٧ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^٨ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^٩ الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^{١٠} الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^{١١} الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٧ م^{١٢} الناشر: مكتبة البلال، كاليكوت، ط: ١، ٢٠٠٥ م، ط: ٣، ٢٠٠٨ م^{١٣} الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت^{١٤} الناشر: دار الأديب، تيور، ٢٠٠٩ م^{١٥} الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٠ م^{١٦} الناشر: مكتبة عربنت، كاليكوت، ٢٠٠٤ م^{١٧} الناشر: مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠١١ م

- ^١ د/ ك. علي نوفل، رئيس القسم
^٢ د/ ك. علي نوفل، رئيس القسم
^٣ ود/ محمد عابد. يو. بي. أستاذ مساعد
^٤ د/ ك. علي نوفل، رئيس القسم
^٥ ود/ محمد عابد. يو. بي. أستاذ مساعد
^٦ ود/ عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^٧ السيد عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد
^٨ السيد عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد
^٩ السيد عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد
^{١٠} السيد عبد المجيد. تي، أستاذ مساعد
^{١١} الدكتور عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^{١٢} الدكتور عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^{١٣} الدكتور عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^{١٤} الدكتور عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^{١٥} الدكتور عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^{١٦} الدكتور عبد الجليل. أم. أستاذ مساعد
^{١٧} د) الميسر في الإصطلاح الحديث
^{١٨} (١٨) ياكوش (مجموعة فيديو)
^{١٩} (١٩) مجتمع اللغة العربية ومساهماتها في تحديث اللغة
^{٢٠} (٢٠) الشيخ زين الدين المخدوم وكتاب تحفة المجاهدين
^{٢١} (٢١) حبات البرتقال
^{٢٢} (٢٢) دروس الأدب
^{٢٣} (٢٣) كتابات معاصرات في الأدب العربي
^{٢٤} (٢٤) تنبية الغافلين (ترجمة إنجليزية)
^{٢٥} (٢٥) كوتوبالي مala (ترجمة إنجليزية)
^{٢٦} (٢٦) رامانتالى مala (ترجمة إنجليزية)
^{٢٧} (٢٧) تاريخ شفوي جمع من قاضي كاليكوت
^{٢٨} (٢٨) منشورات قسم العربية

تشرف القسم بنشر الكتب والمجلات في اللغة العربية في العقد الأخير بما فيها نتائج المشروعات
ومحاضر الندوات وأعمال الطلاب والأساتذة.
من أهمها ما يلي:

(١) **تراث المقاومة ضد الإستعمار:** هي ترجمة إنجليزية لمختارات من أشعار كيرلا العربية في القرون
الوسطى. قام بها القسم مشروعًا من المجلس الأعلى للجامعات الهندية سنة ٢٠٠٨ م.

^١ مجموعة فيديو في اللغة العربية الإنجليزية، مكتبة إيجو مارت، كاليكوت، ٢٠١٠ م

^٢ الناشر: دار الأديب، تيور، ٢٠٠٧ م

^٣ قراءة كتاب تاريخي من جديد بعد ٤٣٠ سنة من تأليفه، الناشر: قسم اللغة العربية، كلية فاروق، كاليكوت، ٢٠١٥ م

^٤ الناشر: المكتبة العربية، كوتاكال، كيرلا، ٢٠١٦ م

^٥ الناشر: المكتبة العربية، كوتاكال، كيرلا، ٢٠١٥ م

^٦ الناشر: المكتبة العربية، كوتاكال، كيرلا، ٢٠١٥ م

^٧ الناشر: مكتبة أكميل، ملابورام، كيرلا، ٢٠١٠ م

^٨ (ترجمة إنجليزية) الناشر: المخطوطات بتيربونيتارا وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

^٩ (ترجمة إنجليزية) الناشر: مركز المخطوطات بتيربونيتارا وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

^{١٠} (ترجمة إنجليزية) الناشر: مركز المخطوطات بتيربونيتارا وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

^{١١} الناشر: مركز المخطوطات بتيربونيتارا وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت

- ٢) أوراق أعمال الندوة: محاضر الندوة العربية الوطنية حول "اللغة والآداب العربية : بوابة عالمية للعمل والتعليم والتجارة": هي مجموعة المقالات والمحاضرات التي قدمت في الندوة الوطنية حول المحور المذكورنظمها قسم العربية (٢٠١٠)
- ٣) قاموس التعابير والإصطلاحات (عربي - إنجليزي): هذا القاموس هو نتيجة مشروع قام به قسم العربية بمساعدة مالية من قبل المجلس الأعلى للجامعات الهندية سنة ٢٠١٤ م.
- ٤) كاتارسيس : هذه ترجمة متنوعة لقصيدة عربية واحدة في لغة مالا يالم. وهي قصيدة مشهورة في عنوان كوليرا كتبها شاعرة عراقية ذاعت صيتها في الأوساط الأدبية العربية. يتميز هذا الكتاب حيث أنه محاولة من قبل طلاب البكالوريوس بما فهم الطلبة الذين يدرسون العربية كلغة ثانية من أقسام غير العربية. فيتضمن هذا الكتاب حوالي خمسين ترجمة لقصيدة كوليرا في لغة مالا يالم كما فيها بعض من ترجماتها الإنجليزية.
- ٥) مجلة الفاروق: هذه مجلة عربية يصدرها القسم منذ سنة ٢٠١٠ م لتشجيع الأعمال الأدبية والإنشاء اللغوي للطلاب والباحثين. فهي مجموعة القطعات الأدبية من أقلام التلاميذ والباحثين.
- ٦) الواحة: هي مجلة الأخبار تصدر من قسم العربية منذ سنة ٢٠١٤ م. تتضمن هذه المجلة مجموعة الأخبار والصور للبرامج والحفلات التي عقدها القسم في مختلف الأوان. وقد نشرت ثلاثة من أعدادها حتى الآن.
- ٧) مجلة الصباح: وهي المحاولة الأخيرة من جانب قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها في كلية فاروق في نشر اللغة العربية وتطورها. وإنها كانت أمنية القسم منذ زمن بعيد حتى وفقه الله لنشرها سنة ٢٠١٦ م.

الخاتمة

خلاصة القول إن كلية فاروق قد ساهمت مساهمة قيمة في سبيل ترقية مليبار عامة وفي تطور شؤون الأمة المسلمة خاصة كما لعبت دوراً بارزاً لارتفاع مستوى دراسات اللغة العربية وأدابها. قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها له دور مهم في تطور اللغة العربية وأدابها في سواحل مليبار حيث يقوم بمشروعات وندوات وورشات وغيرها من الأعمال الأكادémie حيناً فآخر. مؤسس كلية فاروق أبو الصباح أحمد علي كان معلم اللغة العربية وهو الذي أسس كلية روضة العلوم العربية قبل تأسيس كلية فاروق في نفس الحرم. ولذا تعتبر كلية روضة العلوم العربية أم الكليات والمعاهد في هذا الحرم.

الكتب التي ألفها الدكتور وي. بي. عبد الحميد، رئيس قسم العربية السابق كانت من المصادر التي يعتمد عليها كثير من الطلبة والأساتذة. وكتابه "المراسلات التجارية" طبع خمس مرات لكثرة رواجها ونظرًا إلى حاجة القراء والدارسين إليه. وقد حاز الدكتور أن. عبد الجبار، رئيس قسم العربية

السابق جائزة أ.م. غني تقديراً لخدماته في مجال التدريس والبحوث. وقاموس اللغات الثلاثة الذي حرره الدكتور بي. أحمد سعيد طبع ثلاث مرات حتى حصل رواجاً كبيراً في الأوساط الأدبية والعلمية.

وقد أصبحت كلية فاروق كلية ذات حكم ذاتي منذ يونيو ٢٠١٥ م وأخذت تبتكر في أساليبها الأكademie كما تحاول لتجديد المناهج الدراسية حتى تلبي متطلبات العصر الراهن وتحدياتها الجديدة.

قسم العربية يقوم في مقدمة هذه المحاولات الإبتكارية لأنّه هو قسم البحث يبحث فيه ٣٥ عدداً من الباحثين حول الموضوعات المختلفة. والطلاب بمستوى البكالوريوس والماجستير يستفيدون من مجرى البحث ونشاطاتها. لأنّهم أيضاً يحضرون في برامج البحث وتقديماتها التي تعقد أحياناً في قسم العربية. وبالجملة كلية فاروق وقسمها العربية لها دور بارز في تطور اللغة العربية وأدابها في منطقة مليبار خاصة وفي ولاية كيرالا عامة.

المصادر والمراجع

- د/تي. بي. محمد عبد الرشيد، تراث المقاومة ضد الاستعمار، الترجمة الانجليزية لمختارات من أشعار كيرلا العربية في القرون الوسطى، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، ٢٠٠٨ م
- د/تي. محمد علي وإي. كي. فضل الرحمن وتي. أى. محمد، النهضة بواسطة التربية والتعليم؛ تاريخ كلية فاروق ودورها، قسم المنشورات، كلية فاروق، ٢٠١٣ م
- قاموس التعابير والأصطلاحات (عربي – إنجليزي)، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، ٢٠١٤ م
- محاضر الندوة العربية الوطنية حول "اللغة والآداب العربية، بوابة عالمية للعمل والتعليم والتجارة"، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، ٢٠١٠ م
- Handbook with Academic Calendar 2015–16, Farook College (Autonomous), 2015

خدمات الحضريين في تطور اللغة العربية بكيرالا

د/ سيد علوى^١

الملخص

هذه حقيقة بيضاء بأن تاريخ الإسلام في ولاية كيرالا متصلة بأهل البيت الذين جاءوا من حضرموت واستوطنوا في ساحل هذه الولاية أولاً ثم انتشروا واشتركوا وتشابكوا في جميع ميادين الحياة حتى تعمقوا في ثقافة الناس قاطبة. وكانوا مرشدین لأهالي كيرالا نورا وهداية. وهذه الورقة مسيرة إلى خدمات أهل البيت بذلوا كثيراً لتطور اللغة العربية في ولاية كيرالا وهم الذين يعرفون "بأشراف" و"هاشمي" و"حضرمي" وشريف ونحو ذلك.

وقد جاء العرب إلى ولاية كيرالا ماراً كما جاؤوا إليها في عهد رسول الله صلعم. منهم قد إستوطنوا هذه الأرض ومنهم قد ارتحلوا من هنا بعد تجارتهم وغرضهم. وهم من جاء هنا بعد مالك بن دينار مغيرة بن شعبة وبعض أتباعه. وأتوا إلى ساحل كاليكوت في عهد عثمان(ر)، وجاء العرب من اليمن إلى مليبار جماعة وفرداً. ومن هذه القبائل مشهورة مثل قبيلة "أيديد" وقبيلة شهاب الدين وقبيلة جمل الليل وقبيلة قرد ومساوي وثقاف وحيدروس وباعلوى وجفري.

ومن هؤلاء اليمانيين أتوا إلى مليبار في القرن الثامن عشر قبليتان مشهورتان من "حضرموت" وهم قبيلة "السيد" و"جفري" كما بقية قبيلة أخرى وهي قبيلة "براهمي" من المقلة وتميم من المدينة. وجاءت هذه القبائل للتجارة أولاً ثم أصبحت قطعاً من الآثار التاريخية إذ أن العرب جاؤوا إلى ساحل مليبار من قبل كما نجد بعض الآثار من المعلمات ومن الآثار القديمة. وهذا الاسم "ما بلا" في أول الوهل ينتمي إلى من يسكن في ولاية تمل نادو ثم استعمل على من يسكن في كيرالا أيضاً.

والإسم "ما بلا" مشتق من الكلمة Pilla و الكلمة Mahapilla يطلق على الهنود الذين يسكنون في منطقة "تروتام كور". وكانوا الكتاب الرسميين للملوك ويقال أيضاً إن هذه الكلمة مشتقة من الكلمة "محفل" العربي وإنما معناه مكان يحتفل فيه الناس. وهناك تفسير آخر حول هذه الكلمة وهو أن الكلمة جاءت من أصل "فلح" ومهما كان الأمر أن المسلمين في مليبار كانوا بهذا العنوان لما أتوا إليهم الأجانب المسلمين وكانوا يشتربون مع الأبناء والملوك الذين يحكمون كيرالا ومن أخصهم ذكرها وأجلهم مكاناً ملكاً Manavikraman الذي يعرف باسم "ساموتري" وكان يعطي لهؤلاء الضيوف الحضريين مكاناً مرموقاً اذ أنه عين أول من أتى من "حضرموت" وهو السيد "جفري" إماماً في مسجد كوتيجيرا Kuttichira في كاليكوت عام ١٧٥٦ م وملك ساموتري أمر قاضي المسجد محي الدين عبد السلام بإعطاء ما يحتاج إليه. وهكذا قد وقف الملك لهم أرضاً واسعة وبيتاً خاصاً قريباً من مدينة كاليكوت الذي يسمى "بماليك هوس" وهو لا يزال يبقى حتى الآن. وتحرر الملك السيد حتى من دفع الجزية وما أتى

^١ عميد كلية يونيتى، مانجيري ومشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا

إلى ذلك من الضرائب. وتحت رئاسة القاضي بدأ هذا العالم الحضري تدرس الناس العلوم وتعليمهم القرآن وعلوم الدين والعقيدة. وبمساعدة هذه الأعمال قد انتشر الإسلام في مليبار كثيرا بين الطبقة القادحين من الناس قاطبة ومما يدل على شهرته قدوم ملك "تيبو" Tippiu من ميسور إليه يتغنى الهدایة منه وبني قصرا في فاروق قرب كاليكوت. وجدير بالذكر هنا إن الشيخ جفري قضى جهودا كبيرة لإنشار علوم الدين وثقافة الإسلام وتتركيبة الناس في منطقة مليبار عامة وفي كاليكوت خاصة. وفي كيرالا تعرف هذه القبيلة باسم "تنغل" ويحترمهم الناس جميعاً والمسلمون خاصة. وإنهم الذين أخرجوا الأمة المسلمة من الظلمات الجهلة إلى نور الهدایة. لا شك أن السيد جفري قادر على تحريك المسلمين بعلمه حتى لقي ربه سنة ١٨٠٨ م وكان عمره إذ ذاك ٨٣ سنة ودفن قريباً من هوس كوتيجيرا في مقبرة خاصة له.

ومن إخوة "جفري" السيد حسن جاء إلى كاليكوت بعد تسع سنوات بقدوم الشيخ جفري الذي أتى أولاً وجاء إلى فناني واشتعل فيها في تدريس علوم الدين والإشتراك مع الناس في أعمالهم الثقافية كأخيه في كاليكوت ثم وصل إلى تروونغادي وتزوج بنت كمد مولي Kammad Molla الذي كان مؤذناً في المسجد الكبير المشهور بالجامع تروونغادي وفي هذا المسجد يحتفل المسلمون لمشاورة أمورهم الدينية. حيث أقام الأستاذ في تروونغادي في أرض أعطاهما له كمد مولي. وله بنت في هذه العلاقة اسمها فاطمة ثم تزوجت فاطمة بسيد علوى المنبرمي المشهور "منبرم تنغل" وفي سنة ١٧٦٤ م توفي حسن جفري وقبره في منبرم بجانب الغرب في ساحل النهر الكدلوندي .

وجاء السيد علوى من حضرموت سنة ١٧٣٢ م في عنفوان شبابه أي في السنة السابعة عشر. وما أن وصل إلى مليبار حتى اتبع ملة أخلاقه وشرع تشابكهم بأمورهم الدينية بالوعظ والعبرة والتدریس والمناقشة وسكن هو أيضاً في مكان اسمه منبرم لواسعة عمله وبمعاملته بين الناس معاملة طيبة حسنة وخالصة.

والشيخ "سيد علوى" اشتراك في حركة الإستقلال مع أنه أيد المسلمين ببناء المساجد والمدارس الدينية في شتى بقاعات أرنادو ولوونادو . وهذا اسم يطلق على منطقة التي يسكن فيها المسلمون كثيراً وهؤلاء المسلمون في هذه البقاعات يأتون إلى المسجد لدراسة القرآن والحديث وما إلى ذلك من الموضوعات الدينية. وهذه العادة لا تزال تنتشر في كيرالا خاصة في مليبار. وهذا ما يسمى Palli Dars بمالياً حيث يكون هناك مدرس واحد في المسجد دائمًا والطلبة يأتون إليه لكي يتعلموا منه. وهو يجلس في داخل المسجد والطلبة يستمعون إليه. وهذه العادة لا شك أنها متعلقة بالعرب. ومما يدل على فخامة سيد علوى تنغال وبرصانة علومه نرى في كيرالا كثيراً من أتباعه ومربيه. وهم يعتبرون هذا العالم كمرشدتهم حيث كانوا أميين لمناسك الدين وبعلومه والأكثريّة العظيم من "المجدد الديني" أتوا إلى الإسلام تابعين بفخامة هذا الشيخ سيد علوى ولما مات السيد علوى المنبرمي حزن البلد حزناً

شديدا حتى نعى الشعرا و العلماء ومن هذا الصدد نرى مرثية عربية لعمر القاضي العالم المشهور في
كيرلا حيث يرثى الشاعر:

من بين محبوبه إلى الذي نكرا بسعيه الخير أو شرا هنالك يرى ميتاً وحياً لذكر الله مدخراً ولا هنالك بل متتصحاً حضراً سابع قد قضى وفاته سحراً	وكل حي له موت يفرقه قبر وظلمته والدور مرتها طوبى لمن ربه محبوبه أبداً فلا يفرقه المحبوب هذا هنا في ليه الأحد من محرم في
--	---

وكما ذكر في هذه الأبيات قد انتقل الشيخ علوي إلى ربه سنة ١٨٤٤ م وتبعه ابنه السيد "بوكوا".
ولاشك فيما نقول بأن الصدارة التي أممت بالسيد علوي المنبرى ومن تبعه ساعدت كثيرا بتطور
حالة المسلمين في مجال الثقافة والسياسة في القرن الثامن عشر. واشتراك الناس في حركة الاستقلال
تحت هؤلاء العظام مع التصرف في صورته الكاملة الشائعة بين الناس حيث أن العوام احترموا هؤلاء
السادات كثيرا لأنهم قادرون بهضمهم وبإدارك حوانجهم ومشاكلهم. وهذا ما أدت بعد ذلك إلى تجمع
الأمة على الأعداء. والشخصية الموفورة والإمامية المرحومة من جانب هؤلاء السادات ساعدوا كثيرا
لارتفاع مستوى المسلمين كما أن غير المسلمين أيضا احترموا هؤلاء السادات احتراما بالغا. وهؤلاء
السادات كانوا يحثون الناس على محاربة مع البريطانيين. وهم يعتبرون البريطانيين أعداء الوطن ضد
الدين والعقيدة والفتاوی التي أصدرت من هذه العلماء والأمراء لا شك هزت أذهان سكان البلاد
وفكروا بترك البريطانيين قوله وفعلاً وما يدل على ذلك أن الأسياد الذين يؤممون جمهور كيرلا وكانوا
من الأقوياء حتى قدروا تبديل فكرة أهالي مليبار وهذا ما يعد من أحد أسباب الفلاح في حركة ضد
البريطانيين.

وتبع السيد بوكايا (١٩٠١-١٨٢٣) لأبيه "السيد علوي" المنبرى بعد وفاته بإصدار الفتاوی
وبالتدریس في المساجد ونشر الكتب في علوم الإسلام ويقال أن البريطانيين نفوذهم إلى السعودية خوفاً
من أعماله ونفوذه على عامة الناس إذ أن الفتاوی التي أصدرت "بنغل" كانت تعتبر قدیساً في
إعتقادهم. والناس مستعدون لاستخدام هذه الفتاوی حتى يلاقوا حتفهم. وبعد مدة يسيرة حاول
البريطانيون بإسترجاع أتباع هذه المسادة إلى بلدتهم وفي سنة ١٩٣٥ م اجتمع نحو مائة ألف شخص
تحت رئاسة محمد عبد الرحمن صاحب طلب رجوع ابنه علي تنغل إلى مليبار سنة ١٩٣٥ م وبعد
استمراً لطلب من جهة الحكومة والملوك رجع حتى إلى "ماجي" ثم رجع إلى مصر. وبالقول الصریح
نفهم أن قدوم هذه العلماء من "حضرموت" سقى وخصب كيرلا دینا ودنيا حتى أصبح مسلمو كيرلا
ماهرين في اللغة العربية وعقيدة الإسلام. ونتيجة لهذا قد ظهرت في كيرلا لغة خاصة تسمى لغة
"عربي مليالم". وهذا طريق سهل لقراءة مليالم في لهجة العربية .

وهناك فرقة أخرى لهذه القبيلة -قبيلة تنغل - وهم الذين يسكنون في كونتوتي وهم أقرب إلى عقيدة الشيعة وجاؤوا من ممباي إلى كيرالا ولغتهم كانت لغة فرنسية. ومن أهمهم حضرت محمد شاه الذي قال "الإسلام ديني و Mohammad رسول القرآن إمامي والإمام المكرم علي معلمي وهو الذي وحد طريقة الشيخ معين الدين الأجميري والشيخ محى الدين. وشهرة شاه أيضا زادت سريعا وزاره العظماء حتى المخدوم من "فوناني" وفي سنة ١٧١٨ م ملك "دبو" جاء إليه ووعده أرضا مجانا في "فاروق" و"كتنوت". وله امتياز خاص لدفع الجزية وبعد برهة تطور بعض العداوة بينه وبين تنغل من متبرم حتى قال الأول معتبا عن الثاني وهم يقودون العوام ضد العقيدة والإيمان .

ومما يذكر هنا باهتمام بالغ أن السيد فضل قد عمل عملا جيدا بالعلاقة للحركة سنة ١٨٣٢ م اذ أنه أطفأ نار الحركة بقوله القيم. وأن المتحرفين من جهة الحركة ومن جهة المسلمين دائما يلتقطون إلى قول السيد الذي يهتم به الناس قوله أخيرا. وهم يأتون إليه قبل إشتراك في أي عمل ويسألون رأيه.

نتائج إشتراك أسرة تنغل التي أنت من "حضرموت": وغيرها:

- قد تطور في كيرالا أسلوب الدراسة الخاص في المساجد. وهذا ما يعرف بعد ذلك "درس المسجد" ويبقى هناك حتى الآن. وقد بدأ أولا في المسجد الجامع واليابكولا نغرا تحت رئاسة عبد الله الحضري سنة ١٢٦٤ م. وهناك منهج خاص يدرس فيه القرآن والعقيدة كموضوع هام. وما يذكر هنا أن الطالب أو الدارس يجب أن يكون عارفا بالحروف العربية مع النحو العربي. وبعد مائة سنة استأنف هذا الدرس في مسجد مشكال في كاليكوت تحت رئاسة القاضي فكر الدين أبو بكر ثم سنة ١٤٢٤ م تجدد هذا الدرس وليس عند المؤرخين دلائل قاطعة على مدة بقاء هذا الدرس حتى بدأ في فوناني سبقا آخر تحت علي بن أحمد العربي سنة ١٤٦٧ م. ومن هذا نفهم أن المسلمين في هذه البقعات يعرفون الكتابة القراءة حتى في القرن الثالث عشر وهم الذين يستغلون بالعلم وبالدراسة مع أنهم نابغون بالشعر والنظم. وما يدل على ذلك شعر" محى الدين مala" الذي كتبه القاضي محمد من كاليكوت سنة ١٦٠٧ م الموافق ٧٨٢ هـ. وهذا مما يعد من خصائص قدوم العرب إلى كيرالا.

- قد تطور أسلوب كتابة مليالم بالعربية وهذا ما يقال "عربي مالاalam" وحسن الاعتقاد يقودنا إلى أن نؤمن بأن هذه اللغة تطورت في كيرالا بالمحادثة مع العرب الذين أتوا إلى كيرالا للتجارة أولا ثم بقوا هنا واشترکوا في كل الحركات فتبادلت الآراء والمعلومات بين هذه الضيوف وبين أهالي كيرالا وإنهم بدؤوا أولا بكتابة مليالم في العربية وأصبح هذا الأسلوب شائعا بين المسلمين. وهذا ما يعد أحج خصائص قدوم العرب إلى كيرالا وأيضا هذه اللغة تستعمل كوسيلة الأدب بين قراء المسلمين. إن أكثرية العظمى تعرف قراءة هذه اللغة. ونرى كثيرا من آثار الأدب مكتوبة في هذه اللغة. ومنها محى الدين مala، ونفيسيه مala، وبدر مala، وهكذا . وفي البداية تكتب هذه اللغة ٣٥ حرفا مع أن لغة

مليالم تحتوي على ٥٦ حرفاً. والباقي يكتب بأسلوب خاص مع الزيادة والنقص. وبعد ذلك شاع استعمال هذه اللغة حتى ضمن الحروف كلها وفهما كثير من الحروف من لغات مثل سنسكريت، فرنسي، تاميلي، أردو، كندا، تلوكو ونحوها. وترجم القرآن إلى هذه اللغة سنة ١٨٦٧ م بماين كوتا إلى فرنسية، ثم ترجم إلى إبراهيم مسليل كونغنم ويتل". ونرى ترجمات كثيرة للقرآن في بعد ذلك ترجم إلى عمر المولوي ثم إبراهيم مسليل كونغنم ويتل". ونرى ترجمات كثيرة للقرآن في عربي مليالم منها ،ترجمة تين برامبييل عبد الرحمن ،ترجمة بي. ك. موسى مولوي وأيضاً نرى بعض القصص التي ترجمت إلى هذه اللغة مثل قمر الزمان، شمس الزمان، أمير حمزة، وألف ليلة وليلة وبعض القواميس وأيضاً كتب في هذه اللغة منها: قاموس عبد القادر المسلامي، قاموس عبد الله، قاموس ك. تي. إبراهيم ومثلها.

المصادر والمراجع

- Bahavudheen KM, History of Struggle of Kerala Muslims (Malayalam), IBH Calicut, 1995
- Balakrishnan Vallikkunnu, Mappila Literature and Muslim Renaissance, Calicut, (Malayalam), 2008
- Hussain Randathani , Mappila Malabar, Calicut, 2005
- Hussain Randathani, A study of society and anti-colonial struggles,Calicut, 2007
- Kareem MA ,Panakkatte Pachathuruthu ,Calicut, 2008
- Madhavan Nair K, Malabar Rebellion, Calicut, 2002
- Mohammed Koya Parappil , History of Kerala Muslims ,Calicut, 1994
- Mohammed Kunhi PK, Muslims and Kerala culture (Malayalam), Trichur, 1982
- Rolend E. Miller, Mappila Muslims of Kerala, A study in Islamic trends, orient Eongman, Madras, 1992
- Sreedhara Menon A, Kerala History and its makers , DC books,Kottayam, 2008
- The legacy of Anti-colonial struggle, Research Project, Farook College, Calicut, 2010

مساهمة جمعية التعليم الإسلامي وكلية ممباد في ترقية اللغة العربية

السيد سابق. أ.م. كى^١

د/ جمال الدين الفاروقى. كى^٢

الملخص

هناك موضع متميز ومكانة مرموقة لجمعية التعليم الإسلامي في ترقية اللغة العربية وإثراء أدابها وانتشار ثقافتها. وكانت كلية ممباد قدّمت للجمهور ومحبي لغة الضاد للمرة الأولى الندوات الدراسية العالمية في اللغة العربية وأدابها في رحاب كليات كيرلا.

جمعية التعليم الإسلامي لعموم الهند

نشأت في مختلف نواحي الهند جمعيات خيرية تنشر رسالة الإيمان والدعوة والثقافة والعلم والخدمة، وتوجه جهودها إلى تشييد المعاهد العلمية والثقافية والتقنية. فأحرزت نجاحات ملموسة في هذه الحقول، كانت هذه الجمعيات محلية – وإقليمية- بحيث تقتصر نشاطاتها على منطقة ولاية دون أخرى. ولم يكن لها مركز لتنسيق نشاطاتها وبرامجها على مستوى عموم الهند، والأمة الإسلامية في بيئتها الهندية. أحوج الناس إلى التضامن ووحدة الكلمة والتقاء الهدف، وتداركوا هذا الضعف في صفوفهم وتنظيم هيئة مؤلفة من عدة جمعيات خيرية. هكذا نشأت جمعية التعليم الإسلامي لعموم الهند. ففي اذن جبهة متحدة للأمة الإسلامية تنظوي تحت لوائها إحدى وعشرون جمعية، منها جمعية التعليم الإسلامي كاليكوت، كيرلا. هذه المنظمات الجمعية ترعى عشرات من الكليات والمعاهد للتعليم العالي والجامعي، وتمتاز هذه المراكز العلمية بجدها الإسلامي بما تنطوي من أقسام إسلامية وعربية مجاورة على العلوم والفنون الحديثة التي تمكن منهاجها الدراسي. هذه الكليات والمعاهد معروفة بمختلف جامعات الهند ومستوى التعليم فيها راق جدا حتى جاوز صيت بعضها خارج الهند، ونذكر منها كلية فاروق، اس. اي. تي كلية النساء مدراس، أنجمن خير الإسلام، كلية العلوم والفنون بممباي، كلية شibli الوطنية أعظم كره، كلية جمعية التعليم الإسلامي ممباد، كلية جمال محمد بترشتابلي، المدرسة العالية كاسركود، كلية دار العلوم وازكاد، إلخ.

جمعية التعليم الإسلامي

جمعية التعليم الإسلامي منظمة إسلامية خيرية ثقافية تعمل في كيرلا. أنشئت هذه الجمعية برئاسة الدكتور بي. كى. عبد الغفور مع أصدقائه الأطباء والأثرياء من كيرلا سنة ١٩٦٤ م. بعد ذلك وسع نطاقها طوال كيرلا وصارت جمعية تربوية ثقافية قوية. وهناك كلية الطب وكلية الهندسة وكليات الفنون والعلوم بمساعدة الحكومة في ممباد ومناركاد وولانجيري وفناني وكودنغلور ونيدمكندم،

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية يم. اي. بيس ممباد وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق

^٢ مشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق وعميد كلية دار الأيتام، موتل، ويناد

والمدارس العديدة وديار الأيتام ومستشفيات ومراكز الصحة ومراكز التدريب التقنية وما إلى ذلك تحت إشراف هذه الجمعية. منذ البداية تساعد الجمعية الطلبة بالمنح الدراسية لإتمام دراساتهم الجامعية. ومن مشروعها الجدير بالذكر تنمية المواهب، وهذا يستهدف إلى مد المساعدة إلى الطلبة الذين أظهروا التفوق والنبوغ في دراساتهم.

كلية جمعية التعليم الإسلامي، ممباد

أنشئت هذه الكلية عام ١٩٦٥ م في قرية ممباد لتحقيق الأهداف التالية

(١) نشر العلوم والآداب الحديثة والإسلامية بين المسلمين

(٢) تجهيز الشباب الإسلامية بأحدث الأساليب العلمية والحضارية والإدارية لمواجهة التحديات تحيط

بـ:

(٣) جعل الكلية مركزاً لحفظ التراث الإسلامي الضخم الذي تركه العلماء القدماء في كيرلا

(٤) إنشاء قائدة للدراسة العليا والعلوم الإسلامية والبحث في جو إسلامي

لما توسيع نشاطات جمعية التعليم الإسلامي في كيرلا، واندمجت فيها عدة جمعيات ثقافية إسلامية محلية انتقلت إليها إدارة هذه الكلية عام ١٩٦٥ م. فقد تخطت أشواط بعيدة في مسيرتها إلى الأمام، وتغيرت مجريها وأحرزت تطورات شاملة. الآن هناك بكالوريوس في ثلاث عشرة دورة مثل اللغة العربية والتاريخ الإسلامي، والإنجليز والتاريخ والاقتصاد والتجارة ووسائل الإعلام وعلم الحيوان والفيزياء والكيمياء وعلم النباتات والرياضيات وتقنية الأطعمة، وماجستير في سبعة أقسام، وعلم الحيوان قسم البحث تحت جامعة كاليكوت

تتمتع الكلية بمستوى التعليم العالي بين الكليات في هذه الديار، وأحرزت النسبة الكبرى بين الكليات التابعة لجامعة كاليكوت في نتائج الامتحانات في مرحلة ما قبل الدرجة ونال الطلاب عدة مرات الرتبة الأولى في نتائج الجامعة كما أنها أحرزت مائة في المائة في نتائج امتحان البكالوريوس وماجستير خاصة قسم اللغة العربية. أما نشاطات الطلبة في حقول الرياضيات والفنون والخدمات الإنسانية فهي عبارة عن سلسلة من الإنجازات والتفوقات التي نوهت بها السلطات المعينة.

الندوات العربية العالمية

تحقيقاً للأهداف التي أنشأت لها الكلية أقيمت فيها أربع ندوات عالمية وندوات عديدة وطنية.

هذه هي المرة الأولى في تاريخ الهند الحديث أن تنسج فرصة الممارسين باللغة العربية فيها ليتبادلوا الخبرات مع إخوانهم في الأقطار العربية والاختلاط بهم اختلاطاً أدبياً.

كانت أول ندوة عالمية في شهر ديسمبر ١٩٧٨ م عن الإتجاهات الحديثة في الأدب العربي المعاصر. وكانت مدة الندوة أسبوعاً حضرها الأدباء والأساتذة من أقطار العربية ممثلين الجامعات والمؤسسات الإسلامية منها الجامعة إمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة الرياض، وجامعة قطر، وجامعة الإمارات العربية المتحدة، ومعهد البحث والدراسات العربية بالقاهرة، وسفارة

جمهورية مصر العربية بدلهي. وافتتح الندوة سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوبي، ممثل رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وعضو مجلس التأسيس لها. واشترك في الندوة أربعون أستاذًا جامعيًا ممثلين الكليات الملحوقة ب مختلف جامعات الهند. وكانت الندوة نجاحاً عظيماً بمعطياتها الأدبية وثمراتها الثقافية.

وفي سنة ١٩٨١ م أقيمت في الكلية ندوة عربية عالمية عن مميزات الأدب العربي المعاصر وعقدت ما بين ١٣-١٠ ربیع الأول، وشارک فيها الوفود البالغة عددهم كان مائة أستاذ من جامعات الهند وجامعات البلاد العربية والمعاهد الرئيسية التي طرحت البحث فيما يخص بتنقيم الأدب المعاصر على أسس القيم الروحية، الأدب العربي بين الجامعات الإسلامية والقومية العربية، المواهب الأدبية والنقد المعاصر، مكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية، ملامح الأدب السعودي، آثار النكبة الفلسطينية في الشعر والقصة، مشاكل الدراسة العربية للأجانب وما إلى ذلك.

وفي السنة نوفمبـر ١٩٨٣ م أقام القسم ندوة دراسية عالمية حول موضوع انعكـاس الأحداث المعاصرة في الأدب العربي، ومهرجان الفليم العربي العالمي حول موضوع "التاريخ يستمر" في ١٧-١٣ سبتمبر ٢٠١١ م. علـوة على هذا عقدت الكلية والقسم ندوـات وطنـية عـديدة بـمساعدة لـجنة الجامـعـات الهندـية ولـجنة الـبحـوث التـارـيخـية الهـنـديـة ومـجلس الـدرـاسـات العـلـيا لـحـكـومـة كـيرـالـا.

ضيوف الكلية

هـنا بعض الشـخـصـيـات الأـفـاضـلـة الـذـين شـارـكـوا فـي النـدوـات المـخـلـفـة

- سماحة الشيخ أبو الحسن علي الندوبي، ممثل رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة
- الدكتور محمد طيب عبد الفتاح بركة (جامعة الأزهر، القاهرة)
- الدكتور إبراهيم فوزان، عبد القدوس ناجي (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)
- الدكتور عبد القادر حسين (جامعة الإمارات العربية المتحدة)
- الدكتور عبد العزيز الناصر (جامعة الرياض)
- الدكتور عين الدين حسن الفهيمي (جامعة عين الشمس)
- الدكتور ماهر حسين فهيمي (جامعة قطر)
- المرزوقي محمد الدسوقي (دار الإفتاء، رياض)
- الدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي (جامعة الأزهر)
- الدكتور عبد الله الحامد (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)
- الدكتور محمد فهيمي حجازي (جامعة قطر)
- محمد عبد الله المليباري (عضو وفد الرابطة)

• محمد صادق المنزلي (جامعة يمن)

عبد العزيز مولوي منكدا

الأستاذ تي. عبد العزيز مولوي منكدا كان خطيباً وكاتباً وصحافياً ومؤرخاً مشهوراً في ربوع
كيرلا. وكان رئيس قسم اللغة العربية وعميد كلية ممباد. هنا جدير بالذكر إن مهاراته في تنسيق
الندوات العربية العالمية وضيافة الوفود من بلدان العربية. وجعلت هذه الجهود الخالصة كلها محظوظة
لدى الطلبة والأساتذة في الكلية والشعب خارج الرحاب.

المصادر والمراجع

- M.E.S Brochure, M.E.S Kerala, Calicut, 1978
- Marikkatha Ormmakal Mayatha Mathrikakal, Panchayath Muslim League Committee, Mankada, 2009

المراحل الأولى للدراسات الدينية في كيرلا

السيد شفيق. بي. بي^١

د/ ك. علي نوبل^٢

الملخص

هذه دراسة حول المراحل الأولى للدراسات الدينية في كيرلا بإشارة خاصة إلى أوتو بورا وأتو بالي^٣، إنها كانت مراكز الدراسات الدينية في عصر ظهور الإسلام وانتشارها في بقعة كيرلا، تضيئ هذه الدراسة إلى المناهج الدراسية التي كانت تتبعها هذه المدارس.

يعتقد أن الإسلام قد ظهر في سواحل كيرلا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم، والدراسات الإسلامية التي بدأت في العهد الأول نراها الآن في حالة منظمة بعد عبور عدة مراحل في تطورها وارتفاعها التدريجي، فلا شك أن الجيل القادم سيقوط العلم عن النشاطات العلمية إن تركنا هذا الموضوع دون نقاش وبحث.

إن الإسلام، يهتم بالدراسة والعلم اهتماماً وافراً وشجع على خوض الإنسان في جميع الحالات للحياة، وللإسلام نظريات خاصة عن الحياة الإنسانية يغلب على كل الأديان لكونه من الله وتفوق قوانينه ونظرياته ويتنازع عن كل الأديان، إن وجود الإسلام وحياته ودومته لا يمكن إلا بقوم مثقف ومؤدب بالأداب الإسلامية وشريعته، ولذلك دل النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية العلم الكبيرة وضروريه الأعمال العلمية والتعليمية كما نرى أسرى البدر كانت فديتهم للعقل من قبضة المسلمين تعليم الصبيان المسلمين الكتابة والقراءة، والثورة التعليمية التي بدأت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم جعلت تلك الأمة سادات العالم وزعمائها بفترة قصيرة، إن آفاق العلم ومجاله قد اتسعت في عهد الخلفاء الراشدين المهديين وفي الخلافة الأموية وفي عهد العباسية وصلت إلى ذروتها حتى صارت بغداد عاصمة المملكة الإسلامية ومركزاً للعلم والثقافة وازدهر فيها طلاب العلوم المتنوعة ومحبوها.

تناقش هذه المقالة عن "أتو بورا" و"أتو بالي" التي كانت هي الصورة الأولى في الدراسات الدينية الإبتدائية وعن طرائفها ومناهجها الدراسية وعن عيوبها ونقائصها وينذكر فيها عن "بالي درس" التي كانت سائدة في كيرلا في مجال الدراسات الدينية منذ العهد القديم وعن مناهجها الدراسية.

^١ محاضر، كلية دارالإرشاد العربية ، بارال، كنثور

^٢ مشرف البحث والرئيس، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق

^٣ كتاب

المراحل الأولى للدراسات الدينية في كيرلا

الإسلام في كيرلا: ترى العلاقة العميقة القديمة بين كيرلا والدول العربية قبل انتشار الإسلام في الجزيرة العربية، يقول المؤرخ الهندي الكبير تارا جاند "كانت هناك أماكن كثيرة للعرب قبل الإسلام طول شاطئ البحر في مليبار"^١ بدأ العرب رحلتهم إلى ملبار للتجارة قبل قرون الإسلام، وكانت المحصولات الكيرالية تصدر إلى شواطئ المناطق العربية الجنوبية بواسطة البحر العربي، وكانت مدينة "ظفار" التي تقع شاطئ "حضرموت" مركزاً تجارياً للمحصولات الملبارية، وكانوا يشتغلون بالتجارة مع كيرلا مباشراً، وفي رأي أغلب المؤرخين إن الإسلام قد وصل إلى كيرلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وذلك نظراً إلى العلاقات العميقة بين العرب وكيرلا، ويقال إن ملكاً كيراليانا كان يزور النبي صلى الله عليه وسلم ليعتنق الإسلام على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد اعتناقها رجع إلى كيرلا مع جماعة من الدعاة لدعوة الإسلام، ولكن أصحابه مرض شديد أثناء رحلته وتوفي في "شهر مقلاد" في السنة العاشرة للهجرة، ولكن الدعاة وصلوا إلى كيرلا واستغلوا بدعوة الإسلام، وبنوا مساجد كثيرة في مواضع مختلفة في ولاية كيرلا.

"أتو بورا" و"أتو بالي" (Othu Pura and Othu Palli)

اهتم المسلمون بدراساتهم الدينية وتعليم اللغة العربية أكثر مما یهتمون بتعليم لغتهم الأم لوجود كثير من الكتب الأساسية الإسلامية في اللغة العربية، وكانت الدراسات الدينية تتعلق بثقافتهم الإسلامية، أقيمت الدراسات الدينية الإبتدائية بكيرلا في باكورتها في معاهد خاصة التي كانت تعرف باسم "أتو بورا" أو "أتو بالي"، يقول الدكتور أحمد كوتى إي. كي "كانت تنعقد الفصول الدينية الإبتدائية خارج المساجد أو قريباً منها مخصصة للعلوم الإبتدائية، يقال لها "أتو بالي" ومن أهم غايتها تعليم اللغة العربية لثلاثة القرآن الكريم، ومع ذلك يعلم الأساتذة فيها الأمور الفقهية في لغتهم الأم، واتخذوا خطاباً خاصاً وأصبح هذا الخط لغة مستقلة سائدة في مليبار تعرف باسم "عربي- مليالم" لتعليم المسائل الفقهية.

ليس عندنا دلائل واضحة لشرح عن بداية أتو بورا وأتو بالي بل يظن المؤرخون بأن الدراسات الإسلامية قد بدأت في كيرلا في عهد ظهور الإسلام، وإن الدعاة الذين جاءوا من البلاد العربية إلى كيرلا أسسوا اثني عشر مسجداً في كيرلا، وكانت هذه المساجد مراكزاً للدعوه الإسلامية كما كانت توجد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت الدعاة يقضون أوقاتهم بعد ما فرغوا من نشاطات الدعوة في هذه المساجد، وفي ذلك الوقت لم تكن توجد تسهييلات خاصة للدراسات الإسلامية في كيرلا بل كان الناس يصلون إلى الدعاة في المساجد لحل مشكلاتهم عن الإسلام، ويستفدون الفتوى من الدعاة

¹ Thara Chand, Influence of Islam on Indian culture, Indian press publication, Alahabad, 1953, P:32

² Dr. EK Ahmed Kutty, Kerala and Arabic language, Golden Jubilee Souvenir, Rouzathul Uloom, 1993-94, Calicut, P:129

مباشراً، والعلم الذين استفادوا من دعوة العرب الآخرين من المجتمع، وكان الآباء هم من يتعلّم أولادهم وبناتهم. ولكن لما انتشر الإسلام في كثيرون انتشاراً كاملاً عجزوا على إعانته أولادهم على أحسن صورها ومن أسبابها قلة العلم للأباء وعدم الفرص لقضاء أوقاتهم لطلب الرزق ولو كانوا عالمين، فاضطروا لأن يفكروا عن سبيل آخر لإيصال الدراسات الدينية إلى المجتمع عامّة، فعزّموا على أن يعينوا أساتذة خبراء بعلوم الدين لتعليم الطّلاب في القرى والأرياف، ووافقوا على إعطاء الطعام والمعاش وغيرهما من النفقات الضرورية على حسب قدرتهم لمؤلاء الأساتذة الذين عينوا لتعليم الطّلاب، وهكذا دخلت الدراسات الدينية الإبتدائية في كثيرون إلى طريق جديد تحت إشراف الأساتذة، وكانت هذه المعاهد ملحقات للمساجد أو لديار الأساتذة.

شكلها

هناك أسباب خاصة لتسمية هذه المعاهد بأتو بورا وأتو بالي، في بدايتها كانت المعاهد ملحقة للمساجد، كانت تقام في قاعة بجوار المساجد، ولذلك تعرف باسم أتو بالي (أتو معناه القراءة، بلي معناه المسجد)، وكذلك كانت تقام بجوار دار الأساتذة وتعرف باسم أتو بورا (بورا معناه الدار) كما ذكر في كتاب علماء كيرلا(Panditha Keralam) "كانت وتعرف هذه الدراسة في بداية عصرها باسم أتو بالي، وعادة كانت تقام هذه الدراسات الإبتدائية الدينية في قاعة تتصل بالمسجد، ولذلك كانت تعرف هذه الدراسة باسم أتو بالي،"^١ وتكون أحياناً خارجاً من المساجد والديار في ملك الأساتذة، وتبني خيمة خاصة وتكون على ست أعمدة بغير جدار ورصيفها من التراب وسقفها من سعف شجرة النارجيل، ولم تكن هناك مانع لتعليم البنات مع البنين، وكان الطّلاب من الستة إلى ستة عشر عمرا غالباً، ولم يكن هذا المعهد الذي أسس في خارج المسجد في ملك القرويين بل كان في ملك الأساتذة فقط، يقول محمد صغير مولوي "ما كانت أتو بورا في ملك القرويين بل كانت في ملك الأساتذة أو في بناء خاص تحت ملك الأساتذة"^٢.

كانت هناك رسوم خاصة للتحاق الطّلاب بأتو بورا، يبدء الدخول غالباً إلى المعهد في الأسبوع الأول من شهر المحرم، والآباء كانوا يدعون الأستاذة وأعضاء أسرته إلى بيتهم لتناول العشاء وبعد تناول الطعام يتلو الأستاذ سورة الفاتحة على الطّالب ويكرر الطّالب الفاتحة لفظاً بلفظ، أخيراً يدعو الأستاذ الله تعالى للعافية والرحمة على الطّالب وأسرته ويعطي الآباء هدية ثمينة للأستاذ لإظهار سعادتهم، ولم يكن للأستاذ راتباً معيناً وكان يختلف باختلاف المكان والجهات.

¹ Abubaker Saqafi, Panditha Keralam, Samastha Keral Jam'eyy ul-Ulama, Calicut, 1997, P: 173

² Ibid, P:76

كيفية التدريس في أوتو بورا

كانت الدراسات في أوتو بورا دراسات شفوية كما تدل اسمها على القراءة (أوتو)، يقول الدكتور ك. تي. محمد علي "كان الأستاذ يكتب فصلا على لوحة الطلاب ويطلب منهم تكرير الفصل حتى يقدر الطالب على القراءة مرتجلا"^١ وما كانت في أوتو بورا اهتمام للكتابة ولذلك لم يكن الطالب أن يستطيع على تحسين الكتابة كما كان يستطيع على تحسين القراءة كما كانت أهم الغاية لأ Otto بورا تعليم قراءة العربية حتى يستطيع تلاوة القرآن، كان المعلم يكتب على لوحة الطالب الحروف الهجائية العربية، وإذا تمرن الطالب يكتب درسا آخر حتى إلى أن يتمرن على تلاوة الفاتحة وجزء أو جزأين من آخر القرآن وبعد ذلك فقط يؤذن له التلاوة من المصحف لتعلم القرآن، وكان طلابها لا يمرنون على الكتابة ولا يدرسون شيئا غير تلاوة القرآن. ويقضون الطلاب حوالي خمس أو ست سنوات لتمرين قراءة القرآن فقط، وبعض الأساتذة كانوا يعلمون الطلاب المسائل الفقهية في لغتهم الأم مثل الفروض والشروط للصلوة والصوم والطلاب يعتمدون على السمع لدراسة الحكم الفقهية.

نقائص في دراسة أوتو بورا

كان الأستاذ يعتمد في أوتو بورا في تعليم الطلاب على وسيلة قديمة غير علمية، تشاهدت هذه الوسيلة بطريقة غير مرتبة تحت أستاذ واحد (Ungraded single teacher system) ولذلك كان يقضي الطالب خمس أو ست سنوات لتعليم قراءة القرآن مع قوانين التجويد الإبتدائية، يقول المؤرخ كي. مoidoo المولوي "ويكون فيها أستاذ واحد ولو كان في المعهد مائة تلميذ وتكون الفصول مختلفة غالباً لكل طالب أي تكون مائة فصول ولو كان هناك مائة تلميذ، ومن الضروري إلقاء الأبواب الجديدة إلى كل طالب وكتابة فصل جديد لكل طالب جديد ابتدائي على لوحاته واستقراء النصوص التي علمها من قبل قبل بداية الدراسة اليومية. في الجملة لا يمكن لأي أستاذ أن يعلم حوالي مائة طالب بكل عناءية كاملة واهتمام بالغ"^٢. ومع ذلك كانوا لا يهتمون بتدریس كتابة الأحرف العربية، ولم يكن طلابه مقسماً إلى الفصول بل كانت الدروس تلقى على كل واحد على حدة وكذلك كانوا لا يهتمون بتدریس معاني القرآن وشرحه ولا يستعملون فيها اللغة العربية كلغة حية. وكذلك ما كانت فيها تسهيلاً لتعليم الموضوعات العصرية ولا تعقد أية مناقشة ولا حلقة دراسية على هذا الموضوع ولذلك لا يمكن للطلاب أن يحصلوا ملكرة على تناول المعلومات الإبتدائية حول موضوعات الدين والدنيا، وكذلك ما لم يعالج الأساتذة الطلاب على طريق العلوم النفسية الحديثة، في الحقيقة لم يفهم الأساتذة أهمية علوم النفس في التدريس خاصة في تدريس الإبتدائية.

¹ Dr. KT Mohamed Ali, The Development of Education among the Mappilas of Malabar, Nunes Publishers, New Delhi, 1990, P:38

² K Moidoo Mulavi , Ormakkurippikal, IPH, Calicut, 2001, P:18

نظام الدراسات في المساجد

إن الدراسات في المساجد أقيمت للطلاب الذين يرغبون في الدراسة العليا بعلوم الدين بعد دراسة أوتو بورا، يجري هذا المعهد داخل المساجد ولذلك يعرف هذا المعهد في كيرلا باسم بالي درس (بالي معناه المسجد)، يقول الدكتور ك.تي. محمد علي "سميت هذه الدراسة ببالي درس، التي أقيمت في داخل المساجد"^١ ليس في ذلك الوقت طريق آخر لتعليم العليا للطلاب الذين يرغبون في الدراسات العليا وفي العربية، ليست عندنا دلائل معينة إلى بداية بالي درس بل يشير المؤرخون إلى أن هذه الدراسة نشأت في المساجد التي بنيت على أيدي مالك بن دينار وجماعته في أنحاء كيرلا، كانوا من أول دعاة الإسلام إلى كيرلا من العرب، وبعد ذلك أسس بالي درس في كل مراكز المسلمين في كيرلا.

التاريخ

قد أخذت دروس المساجد في كيرلا بواسطة طريق النبي صلى الله عليه وسلم في دراسة علوم الدين التي أقام بها النبي في المسجد النبوى، يقول المؤرخ أ.ي. عبد القادر المصلح "يقضي المتعلمون الأجانب الذين جاؤوا من القرى والمدن الأخرى أو قاتلهم تماماً في المساجد لتعليم الدراسات الدينية، ولكن كان الطلاب القررويون قسموا أوقاتهم لتعلم الدين مع معاملاتها الدنيا مثل التجارة والزراعة".^١ يحسب المؤرخون أن الدراسات في المساجد قد بدأت في عهد الدعاة الأولين في كيرلا وكان مالك بن دينار وجماعته قضاة في المساجد الأولى في كيرلا حينما اشتغلوا في الدعوة اعتنق كثير من الناس الإسلام وبذلك أسست مساجد كثيرة ومراكز عديدة في أنحاء مختلفة في كيرلا، فإذاً عجز مالك بن دينار وجماعته عن سيادة هذه المساجد والمراكز جميعاً، ففكروا أن يستعدوا الدعاة من الرجال الذين اعتنقوا الإسلام من القرى.

نرى في التاريخ دلائل كثيرة عن مراكز الإسلام التي أنشئت بجوانب المساجد الأولى في كيرلا، وكانت تلتتحق بها المعاهد الدراسية أيضاً، كان في مسجد ماداي (Madai) في هيلي (Ezhimala) – هو كان من المساجد الأولى في كيرلا- استعداداً خاصاً لتعليم الطلاب ولمساكفهم ولطبخ طعامهم، يقول المؤرخ المشهور ابن بطوطة الذي عاش في القرن الرابع عشر "ذهبنا إلى هيلي الذي تقع في مكان جميل وهناك مسجد كبير له مال كثير ويراقب السيد حسين المال وهو خطيب المسجد وحسن السان هو من أغنىاء القرية، وكانت في المسجد جماعة من المتعلمين الذين يتعلمون فيها ليلاً ونهاراً وتؤخذ نفقاتهم من أموال المسجد، ورأيت مطبخاً كبيراً بجانب المسجد" يشير المؤرخ إلى ماداي فقط ولكن كان في ذلك الوقت مراكز إسلامية أخرى دون ماداي مثل كودونغالور (Kodungallur) وكاساركود (Kasargod)، ومن الطبيعي أن تكون هناك معاهد أخرى بجوار المساجد في كودونغالور وكاساركود.

^١ Dr. KT Mohamed Ali, The Development of Education among the Mappilas of Malabar, Nunes Publishers, New Delhi, 1990, P:38

كيفية الدراسات في بالي درس

كانت الدراسة في بالي درس تعتمد على دراسة ملفوظية وشفوية، يقرأ المعلم العبارات من كتب ويشرح والطلاب يستمعون إليه، يكتب الدكتور إي. كي. أحمد كوتى "يجلس المدرس في مكان خاص في المسجد على فراش، ويجلس الطالب حوله على شكل نصف دائرة، ليست فيها آلات تدريسية مثل السبورات والكرامي والمقاعد والطاولات، ويدرس المدرس الطالب على طريق شفوي فقط، يقرأ الأستاذ الدرس من الكتب العربية لفظاً بلفظ بصوت عال ثم يشرح معناه في مليالم، ويستمع الطالب إلى الأستاذ ويفهمون ويحفظون منه"^١.

تشبه الدراسات في المساجد في أسلوبها بدراسة "غورو كولا" (Guru Kula) كان المتعلمون يقضون أوقاتهم كاملاً في المساجد ويتعلمون تحت إشراف أستاذ واحد كما يقضي الطالب أوقاتهم في دراسة "غورو كولا" تحت إشراف أستاذ "غورو" ويتعلمون كل شيء من هذا الأستاذ ويحاولون أن يقلدوا الأستاذ في كل أمور الدين والدنيا، ويرونه المثل الأعلى في جميع الأمور خاصة في أمور الدين، ويقتبسون من حياته المثالية، وكذلك يراعي الأستاذ في كل الحركات والمعاملات ومناسكات التلامذة، ويلقي ارشادات قيمة إليهم حسب الحاجات والأحوال، فإذاً يتطور الطالب في أخلاقهم وفي عاداتهم تطور كامل تحت إشراف الأستاذ ولو كان الطالب من طبيعة خبيثة من قبل، وكذلك كان هناك علاقة عميقة بين الطالب والأستاذة ومثل هذه العلاقة لا توجد في مجال آخر من المعاهد الدراسية، وتذوم هذه العلاقة الروحية طوال حياتهم.

يعملون القرويون الأستاذ والطلاب مع كل سماحة وشهامة، يعطي كل أسرة من أهل القرية الطعام إلى طالب أو طالبين من دروس المسجد كل يوم، وبواسطة هذا يستطيع صاحب الدار أن يشاور به الأمور التي يواجه فيها الريب والشك حول الدين من المتعلمين حين ما يجيئون إلى بيتهم للطعام، ولهذا دخلت دعوة الإسلام إلى طريق مفید علمي، ويستمر هذا في كيرلا حتى الآن.

المنهج الدراسي في أوتو بالي

كان المنهج الدراسي في أوتو بالي تامة ومفيدة في أول وقتها، يقول الدكتور كي.تي. محمد علي "واشتمل هذا المنهج الدراسي على موضوعات عديدة مثل القرآن والأحاديث والفقه ولغة العرب وأدابها والنحو وعلم العروض والبلاغة وعلم الفلك وعلم الرياضيات وعلم التصوف والتاريخ والطب والمنطق والمعنى والفلسفة وغيرها من الموضوعات"^٢ وكان الأستاذة يعلمون في هذه الموضوعات كتاباً معروفة ومشهورة سوى الكتب الدينية مثل كتاب "العقلينس" (Euclids) في علم الهندسة وكتاب "تصريح الأفلاك" في علم الفلك وتشريح المنطق وشرح التهذيب وقطبي في علم المنطق، وكتاب المبدي في علم

¹ Dr. EK Ahmed Kutty,Kerala and Arabic language,Golden Jubilee Souvenir, Rouzathul Uloom, 1993-94,Calicut, P:129

² Dr. KT Mohamed Ali,The Development of Education among the Mappilas of Malabar, Nunes Publishers, New Delhi, 1990, P:40

الفلسفة وكتاب الرحمة في الطب، وكان المتعلمون يقضون في المساجد حوالي خمس عشرة سنة للتعليم على الأقل في ذلك الوقت، ولكن بعد سنوات قل دور المنهج الدراسي بأسباب عديدة مثل عدم الأوقات للمتعلمين.

قسم المنهج الدراسي في الدروس في المساجد إلى أربعة أقسام: الإبتدائية والثانوية والعالية والنهائية. والطلاب يلتحقون أولاً بالقسم الإبتدائي في بالي درس بعد دراسة أوتو بورا لدراسات العليا. ويبدأ الطالب الدراسات الإبتدائية بكتاب مجموعة لعشرة كتب، يتضمن على عشرة كتب صغيرة حول موضوعات مختلفة مثل العقائد والأخلاق والفقه والتصوف، يحتوي هذا الكتاب على علوم ابتدائية فقط، لا يمكن بهذا تعليماً وافراً حول الموضوع.

ويحصل الطالب الدخول إلى القسم الثانوي بعد اتمام الدراسات الإبتدائية ويركزون في الدراسة الثانوية تركيزاً تاماً على النحو والصرف منها كتاب الميزان والأجناس والزنجان وعوامل تقويم اللسان وقطر الندى وتحفة الوردية، يقرأ الأستاذ الكتب لفظاً بلفظ مع شرح إعرابها وقوانينها في النحو والصرف في مليالم، وبعد دراسة مجموعة هذه الكتب كان الطالب يحصلون على ملكة ابتدائية في قوانين الصرف والنحو، ومع يتعلمون كتاباً أخرى ومع ذلك كتب النحو والصرف مثل كفاية العلوم في النظم وكتاب رياض البديعة في التراث.

وكان الطلاب يتناولون الكتب المهمة في قسم العالية والنهائية، ويدرس فيها كتاب "الألفية" لإبن مالك في علوم النحو، يتضمن على ألف بيت حول قوانين النحو وهذا كتاب مشهور ومقبول في علوم النحو في بالي درس في كيرلا حتى الآن، يقرأ الأستاذ هذه الأبيات لفظاً بلفظ مع شرح قوانين النحو، وهكذا تدرس علوم البديع مثل كتاب "النفائس" و"المختصر" و"المطول"، وتدرس علوم الفقه مثل كتاب "فتح المعين بشرح قرة العين" لشيخ زين الدين المخدوم وبعد ذلك كتاب "المحلبي" وأخيراً كتاب "تحفة المحتاج" لإبن حجر العسقلاني.

وكذلك من اللازم تعليم أصول الفقه لفهم علوم الفقه وعن أحكامها ويتناول الأستاذة في قسم هذا الفن كتاب "جمع الجوامع" ومع ذلك يدرس بعضاً من الكتب في علم التصوف لتربية النفس مثل كتاب "الإرشاد" والمرشد وإحياء علوم الدين، وكان الطالب يتعلمون كتاب تصريح المنطق وشرح التهذيب وكتباً أخرى في المنطق لكتسب الملة لدفاع عن الزنادقة وعلى من يؤمّن على مذهب المادية، وكذلك يطالعون كتاباً مشهوراً في علوم الفلك وفي علوم الرياضيات وفي علوم الهندسة مثل كتاب تصريح الأفلاك وعقلينيس ورسالة، يدرس الأستاذة القرآن والأحاديث مثل تفسير الجلالين لعبد الرحمن المحلي وإمام السيوطي وتفسير البيضاوي للإمام البيضاوي ومع ذلك يتم كتاب الصحاح الستة من الأحاديث الشريفة، والغاية من تدرّس التفاسير والأحاديث لفهم الدين كما فهم الأئمة الصالحون. ولكن انخفض المنهج الدراسي في بالي درس على مر العصور على كتب معين قليلة، وقللت كتب محددة حول النحو والصرف والقرآن والحديث والفقه، وكان من الكتب التي كانت تدرس فيها على علوم النحو

هي كانت مجموعة كتب تشمل على ثمانية كتب صغيرة حول الصرف والنحو، وهكذا كتاب الألفية لإبن مالك في النحو وكتاب مجموعة من عشرة كتب محتوية على موضوعات مختلفة مثل الفقه والعقائد والأخلاق، وفي الفقه يدرس كتاب فتح المعين بشرح قرة العين لشيخ زين الدين المخدوم وهكذا انخفضت علوم تفسير القرآن على تفسير الجلالين لعبد الرحمن بن أبي بكر المحملي والسيوطي، وفي الحديث الشريف كتاب المشكواة ، وهكذا تغيرت الدروس في بالي درس ناقصة غير تامة.

الخاتمة

الدراسات الدينية في سواحل كيرلا لها تاريخ طويل كما لها مساهمات قيمة في تطور ثقافة المجتمع الكيري عمّة وتتطور ثقافة المسلمين خاصة. فأوتو بورا وأوتو بالي إنها كانت صورة بدائية لهذه المعاهد التربوية التي لعبت دوراً ملماوساً في ترقية المجتمع الإسلامي في سواحل كيرلا. وقد أنجبت هذه المدارس والمراكز الدينية علماء بارزين في مختلف الميادين وأصبحوا رؤساء لهذه الأمة فيما بعد حتى فتحوا مدارس جديدة في مختلف أنحاء الولاية وقادوا هذه الأمة إلى النمو والتطور.

المراجع والمصادر

- Abubaker Saqafi, Panditha Keralam, Samastha Keral Jam'eyyt ul-Ulama, Calicut, 1997
- Dr. EK Ahmed Kutty,Kerala and Arabic language,Golden Jubilee Souvenir, Rouzathul Uloom, 1993-94, Calicut,
- Dr. KT Mohamed Ali,The Development of Education among the Mappilas of Malabar, Nunes Publishers, New Delhi, 1990
- K Moidu Mulavi , Ormakkurippukal, IPH, Calicut, 2001
- Thara Chand, The History of freedom movement in India, Ministry of information and broad casting, Govt of India, New Delhi, 1983
- Thara Chand,Influence of Islam on Indian culture, Indian press publication, Alahabad,1953

الإستعمار البرتغالي في كيرلا: قراءة تاريخية

د/ محمد عابد . يو. بي^١

الملخص

الإستعمار هو مصطلح يشير إلى ظاهرة سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية أو ظاهرة دولية تتعلق بجميع أنحاء حياة الإنسان. وهذه الظاهرة تشمل على إقامة مستوطنات أوروبية خارج أوروبا منذ القرن الخامس عشرة واستيلاء الدول الأوروبية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً على مناطق واسعة في جميع القرارات الأخرى في العالم، بما في ذلك إخضاع الشعوب القاطنة فيها لحكم الدول الأوروبية واستغلال كنوزها الطبيعية وعمل السكان المحليين لصالح الدول الأوروبية. انتهى الإستعمار تدريجياً خلال النصف الآخر من القرن العشرين ولكنه يعتبر من أكثر الظواهر السياسية تأثيراً على صورة العالم المعاصر. هذه الدراسة تقصد بيان صورة عن الإستعمار البرتغالي وما إليها من الأعمال القبيحة والشنيعة التي تعرض لها المسلمين أطفالاً وشيوخاً، رجالاً ونساء.

الإستعمار البرتغالي

إن الإمبراطورية البرتغالية هي أول إمبراطورية عالمية في التاريخ. والبرتغالية أول دولة بحرية قامت بحركة الكشوف الجغرافية، فإنهم أيضاً كانوا أول الدول الأوروبية وصولاً إلى آسيا، وعلى الرغم من أن محاولات الوصول إلى آسيا قد بدأت في العقد الأول من القرن الخامس عشر.

البرتغاليون هم الذين وصلوا إلى ولاية كيرلا أول مرة من أوروبا واستولوا على سيطرة التجارة البحرية في سواحلها. وصل فاسكو دي غاما - الربان البرتغالي إلى الشواطئ الهندية بسفنه، عن طريق التجار العرب. ومع هذا وصل فاسكو دي غاما إلى كاليكوت مع أصحابه، إنهم خرجوا من عاصمتها لسبن مع ثلاثة سفن مسميات بأسماء سانت غابريل وسانت ميكائيل وأرسلوا سفينهم في كابات يبعد ١٥ كم من شمال مدينة كاليكوت التي كانت مركزاً تجارياً مشهوراً.

على مر الأزمنة استطاعت البرتغال تكوين إمبراطورية في منطقة الشرق، تقوم أساساً على بعض جزر الهند الشرقية وشبه القارة الهندية. وقد ساعدت البرتغال في السيطرة على هذه المناطق. وشبه القارة الهندية، وكانت دويلات، بعضها كانت مسلمة وبعضها هندوسية عند قدوم البرتغاليين تتصارعان من أجل البقاء.

^١ أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها، كلية فاروق، كيرلا

² Willian Logan MCS, History of Malabar, Mathrubhumi Books, Calicut, October 2000, ISBN 81-8264-046-6, P:316

محاولات القضاء في كيرلا

وكان للبرتغاليين محاولات للقضاء على نفوذ العرب والمسلمين في جميع المجالات والأنحاء للهند وانتهزوا جميع الفرص لتهديد العرب وتحطيمهم. أدركت القوى البرتغالية أن الهند وعلى الخصوص ولاية كيرلا ولاية مناسبة لرغبتهن.

لما رست سفنهن على ساحل كاليكوت أرسل غاما اثنين من أصحابه ليعلمما أوضاع الساحل وأخبار السوق خلال تجولها علما أن سلطنة التجارة الخارجية في أيدي العرب المسلمين. فحسدوا عليهم وسعوا لإختطافها منهم.

كان البرتغاليون متغصبين على المسلمين ومضطهد़ين عليهم على اعتبار أن هذا الإضطهاد جزء من الحروب الصليبية القديمة. هذا واضح في قول فاسكودي غاما عندما يخاطب السامي وهو يقول: "نحن نحب جميع الناس في العالم ما عدا المسلمين لأنهم يريدون الخيانة علينا دائمًا". وبعد الوصول إلى كاليكوت بدؤوا الأعمال الإعتدائية على المسلمين بإحرق المسجد الجامع الذي بناه ناخوذنا مثقال في مدينة كاليكوت.

عاشت الأمة المسلمة في مليبار إبان الاحتلال البرتغالي البغيض للأراضي مليبار في ظروف قاسية والإضطهادات الفظيعة التي تعرض لها المسلمون أطفالاً وشيوخاً، رجالاً ونساءً والهوان الذي استشعر المسلمون تحت وطأة الاحتلال، حيث لا ركن يلجمون إليه، ولا سلطان قد يرہبون به.

وإن العرب المسلمين كان لهم النفوذ الكامل في مجال التجارة البحرية التي مقرها سواحل مليبار، كيرلا، عبر التاريخ. وما سقطت الأندلس على أيدي الإفرنج بدأت القوات الاستعمارية تنشر نفوذها في السواحل الشرقية حرصاً منها على إمتلاك خيرات هذه المناطق وجلبها إلى بلادها وفرض حكمها على أهلها. وهدفوا توسيع نطاق النشاط التجاري. ولكنهم قد أضموا في نفوسهم مطاردة التجار العرب حتى تصبح التجارة البحرية حكراً عليهم. وكان ملوك مليبار بسذاجتهم وصفاء قلوبهم، لم يفطنوا في بادئ الأمر، إلى هذا الأخطبوط القاتل، حيث تسامحوا وتصالحوا معهم.

إن البرتغاليين الذين احتلوا بلادهم وأحرقوا ديارهم، وأهانوا أشرافهم، وهاطروا أعراضهم، ودنسوا مقدساتهم^١. وفعلوا فعائلاً قبيحة شنيعة لا تحصى من ضررهم، والإستهزاء بهم، والضحك عليهم اذا مرروا بهم استخفافاً، وجعلهم في محال الماء والوحش، والبسق على وجوههم وأبدانهم^٢. هكذا قاسى المسلمون من ألوان العذاب والهوان^٣.

والقسم الرابع من "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين" يتحدث عن وصول الإفرنج إلى مليبار وشيئاً من أفعالهم القبيحة بعد وصول البرتغاليين بقيادة فاسكودي غاما إلى فندرينة في

¹ Dr.Herman Gundart, History of Malabar from AD 1498-1531, Vidyarthimithram Bukk Dippo, Kottayam,1983,P:7

² Prof. A. Sreedhara Meon,Keralacharithram,DC Books, Kottayam,Aug, 2007, ISBN 81-264-1588-6, P :224

³ Willian Logan MCS,History of Malabar ,Mathrubhumi Books, Calicut,Oct, 2000,ISBN 81-8264-046-6, P:361

ثلاث مسماريات ثم إلى بندر كاليكوت، ثم رجوعهم إلى البرتغال بعد شهور. وبعد سنتين جاء البرتغاليون في ست مسماريات ودخلوا كاليكوت على هيئة التجار، وطالبوه مسؤولي السامری بمنع المسلمين من التجارة؛ كما أساووا المعاملة إليهم فقتل السامری عدداً منهم وفر الباقيون إلى بندر كتشي وبنوا فيها قلعة صغيرة، ثم بنوا قلعة أخرى في كنور، ثم عادوا بالفلفل والزنجبيل والسلع الأخرى إلى البرتغال. ثم تتابع قدوتهم إلى مليبار كل عام. ونظراً لطموحاتهم السياسية وأهدافهم الإستعمارية حاربهم السامری في كشي وخرها، وشارك فيها المسلمون بكل رغبة واستعداد واستشهد عدد منهم في الحرب. وقد غضب البرتغاليون على المسلمين كثيراً لمشاركتهم في الحرب فهدموا بعض المساجد وحرضوا الحكام والأمراء على الإساءة إلى المسلمين وقتلهم. ثم تتابع مجدهم إلى كيرا ورسخت أقدامهم فيها، ففتحوا مناطق وبنوا قلاعاً، وقد حاول السامری وجنوده الهندوس والمسلمون أن يدافعوا عن وطنهم، وأنفق السامری أموالاً طائلة حتى ضعفت مملكته وذهب قوته. وقد استنجد المسلمين والسامری من سلاطين المسلمين من جزرات ومصر وغيرهما فلبي بعضهم دعوتهم وساعدوههم مالاً وأرسلوا إليهم جنوداً. ولكن نفوذ البرتغاليين ظل يزداد يوماً في يوماً^١.

كان المسلمون في مليبار يملكون أموالاً ويعيشون حياة طيبة، وكانوا أيضاً آمنين وساملين فيها قبل مجع البرتغاليين. وهم بدأوا يظلمون المسلمين ظلماً شديداً؛ كما أفسدوا تجارتهم وأضايقوا عليهم حياتهم. وكان المسلمون تجارة مغامرين، ومهرة في الحروب البحرية، وكانوا حجر عثرة في سبيل التجار الأوربيين. وهم لم يربحوا بقدوم فاسكو دي غاما في كاليكوت^٢.

وبالجملة ازداد فساد البرتغاليين وظلمهم في كاليكوت، ووُقعت الفتنة بينهم وبين المسلمين. فقام البرتغاليون بأعمال قبيحة كثيرة ضد المسلمين المليباريين لا يحيها شخص مثقف فقصروا على وجوههم، وأجبروا على إلغاء سفرهم للحج، ونهبوا أموالهم، وهدموا مساجدهم وأحرقوها، ووظوا المصاحف والكتب المقدسة بأرجلهم، وحرضوهم على قبول قول الردة والسجود لصلبيهم، وسبوا الرسول جهاراً، وجاءوا بهم إلى السوق لبيعهم كما يباع العبيد، وأهانوا العلماء وأذلوا النساء، وحاولوا تنصير المسلمين. وجدير باللحظة هنا أن الحكم الهندوس ساعدوا المسلمين دائمًا وشاركوا في آلامهم.

المصادر والمراجع

- A Sreedhara Menon, Kerala History and its makers, DC Books, Kottayam, 2008, ISBN 978-81-264-21992.
- Prof. A. Sreedhara Meon, Keralacharithram, DC Books, Kottayam, August 2007, ISBN 81-264-1588-6.
- Sathish Chandra, Medieval India, DC Books, Kottayam, 2008, ISBN 978-81-264-17520.
- Willian Logan MCS, History of Malabar, Mathrubhumi Books, Calicut, October 2000, ISBN 81-8264-046-6.
- الشيخ أحمد زين الدين المخدوم ، تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين، مكتبة الهدى، كاليكوت، ١٩٩٢ م

¹ Willian Logan MCS, History of Malabar, Mathrubhumi Books, Calicut, Oct, 2000, ISBN 81-8264-046-6, P:361

² Ibid, P: 361

تجربة مليبار في أدب المقاومة العربي

السيد حمزة علي. أى. بي.^١

الملخص

إن الثبات والدفاع عن النفس والحياة من عناصر المقاومة، فمن الممكن أن نقول أن القطعات الأدبية التي تحتوي على هذه الأفكار هي من أداب المقاومة. فأما أدباء المقاومة فهم الذين يتكلمون عن حقوق الشعب الضائعة، وتحريض المظلومين على استرجاع حقوقهم من الظالمين، وتنبيه المستضعفين على عدم التسلیم للمستكرين. وكانوا يتحدثون عن كلمات مأخوذة من قلوب الأمة ويعالجون عن المشاكل التي يواجهونها تحت احتلال الإستعمار والصهيونية. وإن عديداً من الأدباء والعلماء حثوا الأمة المسلمة على النضال ضد المستعمرين والصهيونية بأقوالهم الحادة والمتأثرة في النفوس.

منذ بداية الإستعمار والإحتلال قد ظهرت عناصر المقاومة في الأدب في كثير من أنحاء العالم. فأما البلدان العربية مثل فلسطين وتونس ولبنان وسوريا ومصر فنرى فيها وجود القطعات الأدبية التي اشتغلت على عناصر المقاومة لمطالبة من الشعوب على الإعتناء بالدفاع ضد الأعداء المستعمرين.

وللهند تجربة عتيقة وقديمة في مجال أدب المقاومة. لأن المستعمرين هم حكموا الهند واحتلوا أراضيها بعض القرون، فبسبب اضطهادهم الوحشية وارتكاباتهم وأفعالهم العنيفة تولدت وظهرت المقاومة في أداب أصحاب الهند، خاصة في أدب كيرلا. وكان في كيرلا علماء أجلاء خدموا الدين والعلم واللغة بمؤلفاتهم الرائعة وكتاباتهم البدية في مجال النثر والشعر، خاصة في موضوعات دينية. وفي نفس الوقت قاموا بقيادة الحركات الوطنية والثورات الإستقلالية ضد الإستعمار والمستعمرين، وحرضوا المواطنين على النضال والجهاد ضد الإستعمار والإحتلال الأجنبي من خلال تأليفاتهم المميزة. ومن أهم العلماء الذين قاوموا الإستعمار بكتاباتهم، الشيخ زين الدين المخدوم الصغير^٢ هو الذي قاوم بكتابه الشهير "تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين"، والشيخ زين الدين المخدوم الكبير^٣ بكتابه "تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصليبان" والشيخ قاضي محمد الكاليكوني^٤ قاوم

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية أم أي أس، ممداد

^٢ وهو أحمد زين الدين الصغير بن الشيخ محمد الغزالي ابن الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد المعتبري (١٠٢٨-٩٣١ هـ) . هو الذي كان متضلعاً في تفسير القرآن والحديث والفقه والتاريخ واللغة. وعمل مدرساً في مسجد الجامع بفنانى حوالي مدة ٣٦ سنة. بالإضافة إلى الكتب في المقاومة ألف عديداً من المؤلفات في موضوعات دينية مثل الفتح المعين، الذي اختص باليساطة والإيضاح حتى يعم نفعه ويفهم العوام، وإحكام حکام النكاح، وارشاد العباد إلى سبيل الرشاد وهو في الوعظ والنصائح.

^٣ عالم من أسرة المخاديم بفنان في مقاطعة ملابرم، القادمة من بلاد اليمن. وهو حفظ القرآن في صغره وقرأ علوم الصرف والنحو والفقه وغيرها من العلوم اللغوية والدينية. وإليه يرجع الفضل في أنه قام ببناء المسجد الجامع الكبير في فنانى الذي اشتهر في تكوين العلماء البارزين، وبدأ فيه الدروس الدينية. وله تأليفات كثيرة نثراً وشعراً، ومن أشهر نثره مرشد الطلاب، وسراج القلوب، وكفاية الفرائض وغيرها، ومن أهم شعره هداية الأذكياء إلى طريقة الأولياء ، تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصليبان

بـ"خطبته الجهادية" وبقصيده "الفتح المبين"، والسيد علي المنفرمي^١ بكتابه "السيف البتار"، والسيد فضل بن علوى^٢ بتأليفه "عدة الأمراء والحكام لإهانة الكفرة وعبدة الصليبان"، كما قام عمر القاضي البلنكتو^٣ بمقاومة من خلال مؤلفته "الرسائل الشعرية"، وباريكوتى مسليار^٤ بـ"مهما المؤمنين". هذه الدراسة إشارة إلى هذه المؤلفات ومضمونها وخلفيتها التاريخية.

تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصليبان

وهي قصيدة ألفها الشيخ زين الدين المخدوم الكبير، يصف في قصيده حالة بائسة لمجتمع المسلمين خلال فترة الاستعمار البرتغالي، وبين المسؤولية الدينية للمسلم بإجراء الكفاح ضد البرتغالي وحماية أراضيهم من المحتلين.

"يصف فيها الشاعر الشداد المؤلمة التي أصابت الأمة المسلمة والشعب الكيرالي بأيدي البرتغاليين الذين دخلوا البلد للتجارة ثم تغلبوا وخرقوا بيوت المسلمين ومساجدهم ودكوا أمصارها وتغلبوا على أسواقها، من الأمور التي يحزن عليها كل من له قلب سليم، ومن مقصد الشاعر أن يحرض المسلمين على الجهاد ضد البرتغاليين الأجانب الظالمين. ومن أجل هذا كانت القصيدة ممنوعة من النشر والحفظ والطباعة إلى عدة قرون. تحتوي القصيدة على ١٧٣ بيتاً رائعاً".^٥

تببدأ القصيدة:

لَكَ الْحَمْدُ يَا اللَّهُ فِي كُلِّ حَالَةٍ
وَأَنْتَ عَلَيْمٌ بِالْكُرُوبِ وَحَاجَةٍ
صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى خَيْرِ خَلْقِكَ
مُحَمَّدٌ الدَّاعِيُّ إِلَى خَيْرِ مَلَةٍ

^١ واحد من أشهر شعراء كيرلا، ينتمي إلى أسرة القضاة بكاليكوت، نال العلوم الإسلامية من أقاربه وكتاب القرية ، تولى منصب القضاء بعد موته أخيه وتتابع على ذلك المنصب إلى أن توفي سنة ١٦١٦ م. ترك القاضي محمد وراءه تأليفات كثيرة ما يبلغ الخمسين نثراً وشاعراً، وأكثرها منظومة في العلوم الإسلامية والعربية والتاريخ ، وهي ما تنفي على خمسة عشر شعراً. ومن أهمها : إلى كم أنها الإنسان، والفتح المبين ، ومقاصد النكاح ، ومرثية على الشيخ عثمان لى القابي.

^٢ السيد علوى المنفرمي (١٧٥٣ - ١٨٤٤ م) هو عبّيم مسلعي كيرلا الذي قاد النضال الإستقلالي والثورات الوطنية ضد المستعمرين، ولد في تريم بحضرموت في اليمن، ثم جاء إلى كيرلا واستقر المكان في معمرب حتى صار هذه المكان مركزاً لنشاطاته السياسية والثقافية والاجتماعية، وله دور عظيم في إثارة عواطف الناس ضد أعداء الهند، فخافه الإنجليز خوفاً شديداً . وثار تأليفه السيف البتار في المجتمع.

^٣ هو يعرف بالسيد فضل بوكونيا تنغال منفرمي (١٨٢٤ - ١٩٠١ م)، وهو عالم شهير عاش في عهد وقعت فيه ثورة الخلافة بميلبار، وصار عالماً في القرآن والسنّة في وقت قصير، وقد خافه الإنجليز حتى لم يتذمروا أي إجراءات للقبض عليه والحبس برغم أنه كان من أشد أعدائهم وقادتهم الناس ضدهم. ولكن عندما فهم هذا الرئيس العظيم خطراً استقراره بترورناغادي هاجر مع أقاربه إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٥٢ م.

^٤ هو القاضي عمر بن علي (١٧٥٧- ١٨٥٢ م) عالم من أسرة شهيرة بالعلم والفضل المسماة بكاتاري، الذي ولد في لينينغود في مقاطعة ملابرم بكيرلا. وبعد دارسته الدينية والعلمية رحل إلى السيد علوى المنفرمي، وقاما بنشر الإسلام في أجزاء البلاد، وفي نفس الوقت قاما بمقاومة عنيفة ضد أعداء الإسلام والبلد. بالإضافة إلى تلك النشاطات كان شاعراً موهوباً، قرضاً كثيراً من مجموعة الأشعار، ومن أهمها نفاس الدرر ومقاصد النكاح وأصول النجح وغيرها.

^٥ وهو شارك في العديد من النشاطات الثائرة ضد الاحتلال، وكان الأمين العام للجنة الخلافة بفرع تانور.

^٦ الدكتور ويران معي الدين الفاروقى، الشعر العربى فى كيرلا - مبدأ وتطوره، مكتبة الهدى، كاليكوت، ١٩٩٨، ص: ٧٧٦

وقد صورا صادقا عن أعمال العنف والتخريب التي فعلها الإفرنج مثل تمزيق القرآن الكريم وانتهاك عفة النساء وإحراق المساجد واعتقال الناس كالعبد، وعن الأحوال التي عانها المجتمع، عبر أبياته:

وأنواع شدات وأجناس فتنة	بغوا في مليبار بأصناف بغيهم
وخرق كتاب ثم هتك لحرمة	من الأسر والنهب وإحراق مسجد
وعتique; أسفار وتعطيل عيشة	وتحريق أموال وتخنيق مسلم
وتزيين نسوان لتفتين نسوة	وتخريب بلدان وتعبيده مؤمن
ودك ذرى الأمصار مع كل قرية	وفك عرى البلدان والثغر كلها

وبعد بيان اضطهادهم الوحشية يطلب المساعدة من الملوك وسدادات البلاد القرية قائلاً:

فيما أيها السادات أنتم رجاؤنا	بفضل إله العرش في كل شدة
ونحن عطاش وأنتم السحب تمطر	فيما ليت شعري هل نفوز بربة

ثم يقول عن ضرورة الجهاد وعظمته وفضله وأهمية الصدقة في سبيل الله وعن عقاب الذين ابتعدوا عن jihad، كما ورد في الأبيات :

بفضل جهاد فاسمعن بنبذة	وقد جاء أخبار صحاح كثيرة
لخير من الدنيا ومال كروحة	لغدوة شخص في سبيل إلهه
فقد فاز من فضل الكريم بجنة	ومن قاتل الأعداء فوقا لناقة
لأفضل من دنيا ومال بجملة	رباط بيوم في سبيل إلينا

تحفة المجاهدين في بعض أخبار البرتغاليين

وضع هذا الكتاب الشيخ زين الدين المخدوم الصغير الفنانى، أحد كبار العلماء فى كيرلا. وإلى هذا الكتاب يرجع الفضل فى أنه أول كتاب فى تاريخ كيرلا قام بتأليفه أحد أهالها. وله دور بارز فى إثارة شهوة الجهاد فى قلوب المسلمين. وقد عاش المؤلف ومليبار ترزا تحت وطأة الاحتلال البرتغالي، وكان شاهد عين لتلك الأحداث الالمية التي عانها أهل مiliabir من ظلم وجور وتشريد وهتك أعراض وإتلاف أموال وما إلى ذلك من المعانات النفسية والمالية. فسجلها فى كتابه وصار مرجعا رئيسا موثقا به لتلك الحقبة الزمنية فى تاريخ كيرلا بصفة خاصة وتاريخ الهند بصفة عامة^١. ويقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام :

- القسم الأول : البحث فى بعض أحكام الجهاد وثوابه والتحريض عليه
- القسم الثاني : فى بدء ظهور الإسلام فى مليبار
- القسم الثالث : فى ذكرنبذة يسيرة من عادات كفرة مليبار الغريبة

^١ جمال الدين الفاروقى، علماء العربية فى الهند ومؤلفاتهم، مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٨، ص ٢٧.

- القسم الرابع : في ذكر وصول الإفرنج إلى مليبار وشيء من أفعالهم القبيحة
- القسم الأخير يتضمن أربعة عشر فصلاً ويتحدث عن تاريخ البرتغاليين في مليبار وما قاموا به فيها من القتل والفساد والإساءة إلى الإسلام والمسلمين .

وقدمه المؤلف وأهداه إلى سلطان بيجابور علي عادل شاه^١، يطلب بهديته مساعدته إلى المسلمين للدفاع عن أعدائهم، وترجم إلى شتى اللغات، ومن أهمها ترجمة إنجليزية قام بها Rowlandson^٢، وترجمة برطانية نقلها David Copes^٣، وترجمة أردية قام بها شمس الدين القادرى، وترجمة لغات هندية متعددة ومنها ترجمات مليالمية ترجمها كثير من العلماء، مثل الأستاذ سي حمزة.

الفتح المبين

الفتح المبين هي القصيدة الرائعة الطويلة المشتمل على ٥٣٨ بيتاً جميلاً، من الشيخ القاضي محمد بن عبد العزيز الكاليكوتى، وهي التي تعتبر بأهم المراجع التاريخية تذكر معاملة البرتغاليين العنيفة والخاشنة مع المسلمين في كيرلا وحروفهم مع السامرى الذي كان ملكاً في كاليكوت آنذاك. وهي التي تشير إلى عديد من الواقع التاريخية التي حدثت في ربوع كيرلا أثناء أيام احتلال البرتغاليين.

"الموضوع الهام في هذا الكتاب هو فتح قلعة شاليم التي شيدتها البرتغاليون على أيدي جنود ساموتري، كما أنه مرآة صادقة للحياة الإجتماعية التي كان يسودها المؤاخاة والألفة بين المسلمين والهنಡكة. وأما قلعة شاليم فإنهما أضعافاً لقوى الملك ساموتري. ففي أكبر القلاع وأحصنها وأوفرها عدة، لأنها كانت في موقع إستراتيجي. وقد تم إنشاء هذه القلعة بارشاد من ملك كوشن الذي كان يضم الحقد والبغضاء للملك ساموتري، ومعه ملك ويتام الذي هو الآخر من يرغب أن يتحرر من زعامة ساموتري، لأنهم ما داموا تحت زعامته ليس في وسعهم التدخل في الشؤون التجارية البحرية إلا بواسطته وبموافقة منه. وقد بنوا قلعة شاليم لتكون مقراً لهم للإرصاد البحري لكي يطلعوا على سفن العرب والمسلمين التي تعبر البحر العربي ويجهمون عليها"^٤.

وبعد القاء الحمد إلى الله يصف ملك ساموتري الذي يحب الإسلام والمسلمين والذي يحمي الإسلام، ويشرح جميع المشقات التي واجهتها الأمة الإسلامية وعناته ملك ساموتري ومحاولته الجادة لحل هذه المشكلات، كما يصف اشتراك المسلمين ومساعدتهم مع الملك ساموتري ضد البرتغاليين في حرب شديدة قائلاً:

^١ واحد من سلاطين بيجابور الذين حكموا في الدكن في جنوب الهند بين ١٤٩٠ - ١٦٨٦ م، وكان مقرهم ببيجابور، عندما قام السلطان المغولي أورنجزب بغزو الدكن قضى على دولة العادل شاه، ثم ضم أراضيه إلى مملكة المغول الهندية.

^٢ المستشرق الإنجليزي الشهير

^٣ متنا وترجمة في الأسپانية مع مقدمة وحاشية في ٣٣١ صفحة

^٤ جمال الدين الفاروقى، علماء العربية في الهند ومؤلفاتهم، مكتبة الهدى، كاليكوت، ٢٠٠٨ ، ص: ٣٤

و معهم المخدوم ذو الإتقان عبد العزيز المعبرى الفنانى^١
 وهكذا قاضي قضاة المسلمين عبد العزيز الكالكتوى كالمعين
 ومنهم مقدم الشجعان كنج على المشهور^٢ في البلدان
 وكانت الساعة مثل الساعة وقد جرت عجائب في ساعة
 قد أصبح النهار كالليل وبالبخار والدخان العالى
 ولمعان السيف مثل اللمع وكالرعد صوت كل المدفع
 يتبع الأعداء كالشهاب كنا رماحهم مع النشاب
 كمطر يمطره الغمام^٣ وحجر المدفع والسمام

الخطبة الجهادية

"وكما ذكرنا أن قاضي محمد قد قاوم ضد البرتغاليين واستعمارهم ببراعته الأدبية الشعرية. وألّف خطبة في اللغة العربية لتحريض المجاهدين الذين شاركوا في حروب فتح قلعة شاليام^٤ ضد البرتغاليين، ولاستعدادهم في سبيل القتال. هذه الخطبة أنشأها أيام حروب فتح قلعة شاليام وأرسلها إلى الواقع في شاليام لأجل الوعظ في أمور الجهاد والقتال والإتفاق في سبيل الله. إن فترة هذه الكتابة سنة ١٥٧١ م / ٩٧٩ هـ أيام حروب فتح قلعة شاليام. وكذا نفهم من مضامين الخطبة أيضاً أن فترة كتابتها أيام حروب فتح قلعة شاليام فحسب وليس غيرها".^٥

إن مضمون الخطبة وعناصر المقاومة فيها:

- أولاً: مقدمة : تشتمل هذه المقدمة على الحمد والصلوة، ثم على بيان عن فضائل الجهاد والقتال والشهادة وفضل الإنفاق في سبيل الله، وبين عدم استواء المجاهدين بالقاعددين.
- ثانياً : الحمد لله والصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم.
- ثالثاً: النداء إلى الجهاد والتحريض عليه: ثم ينادي الكاتب ساميته إلى الجهاد ضد البرتغاليين نداء مباشراً. ويختاطفهم ويحرّضهم على الخروج للجهاد ويقلّل مخايفهم من الموت في سبيل الله.
- رابعاً : التحريض على الإنفاق في سبيل الله وفي هذا الجهاد ضد البرتغاليين.
- خامساً: بيان مظالم البرتغاليين وإفسادهم.
- سادساً: التحريض على الجهاد ببيان الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.^٦

^١ عالم شهير من سلالة مخدوم، بعد خدماته الخالصة في مجال الدين انتقل إلى جوار ربه سنة ١٥٨٦ م
^٢ بطل من أسرة مركار، الذي قاد أسطول ملك ساموتري ضد البرتغاليين.

^٣ عبد القادر الفضفري، جواهر الأشعار، ص: ٢٥٥

^٤ مكان يقع على ضفة البحر بقرب مدينة كاليكوت.

^٥ د/ مجتبى مسافر، الخطبة الجهادية وموقف قاضي محمد من المقاومة ضد الإستعمار البرتغالي (مقالة) التي نشرت في www.allugah.com

^٦ نفس السابق: www.allugah.com

مهمات المؤمنين^١

هذا من الكتب الإسلامية المؤثرة خلال منتصف القرن العشرين، ألفه بريكتي مسليار الذي توفي عام ١٩٤٢ م. جمع فيه فتاواه أصدرها ضد البريطاني، قد تأثر المسلمون بهذا الكتاب لتعزيز أنشطتهم ضد الحكومة البريطانية وتأكيد دعمهم لحزب المؤتمر الوطني الهندي ومهاجماً غاندي. سرعان ما تأثر هذا الكتاب في المجتمع الإسلامي، ولذا منعت الحكومة البريطانية على ملكته وقراته، وأعلنت عقاب فاعله مع خمس سنوات في السجن. ولكن نال هذا الكتاب قبول العلماء البارزين مثل تشرشيري أحمد كوتى مسليار وبانيايكولم عبد الرحمن مسليار وبافا مسليار^٢ مدرس جامع كوتاي وغيرهم. وقبضت الحكومة على أحمد كوتى مسليار لتوقيع هذا الكتاب وتصححه كما أرسلت بريكتي مسليار، الأمين العام للجنة الخلافة بفرع تانور، إلى المنفى بالجزيرة العربية.

السيف البثار على من يوالي الكفار

وقد تم تأليف هذا الكتاب على يد السيد علوى المنفري في تشرين الثاني سنة ١٨٤١ م تابعة لثورة موتيجيرا (muttichira)^٣، وجمعها عبد الله بن عبد الباري الأهدل^٤. واسمها الكامل هو "السيف البثار على من يوالي الكفار ويتخذهم من دون الله ورسوله والمؤمنين أنصار" الذي رتب في قالب أسئلة تلتها أجوبتها، وهو يحتوي على ٨ أسئلة مهمة وأجوبتها الوصفية. جوابه بالضوء إلى القرآن الكريم والحديث الشريف والإجماع والقياس. وهذا يدل إلى معرفته العميقه الواسعة في الفقه والقرآن والحديث برغم هذا الكتاب قصير في حجمه. واستعمل أسلوباً جديداً لكي يفهم العوام معانيه وجواهره.

ويأمر هذا الكتاب الشعوب أن يقاوم ضد الغزاة المستعمرات خارج حدود الطوائف والعقائد والدين والمنطقة، وأن يحارب ويعقد النضال ضد Zemindars الذين يتحالفون ويتشاركون مع الحكومة البريطانية .

ان الزمندار كانوا يتعاونون مع الجيش البريطاني على الإستمرار في الإضطهاد على الفلاحين المسلمين، وذات يوم الجمعة بصدق بعض من أنصار زميندار في الثياب التي وضعت لتجف في باحة المسجد، فعزم المسلمون على الإنقاص، ولكن حبس الجيش الإنجليزي المسلمين في السجن وقضى على ١٣ أسيراً بهذا الصدد. وتم تأليف السيف البثار سنة ١٩٤٠ بعد هذا الحدث .

^١ ألفها المؤلف في لغة عربي- ميلالم، ليس في اللغة العربية المحضة، وحينما لم يكن للغة ميلالم خط يعرفها العوام كتب المسلمين منذ قديم الزمان أمرهم الدين في ذلك اللغة مستعملين الخط العربي وعرفت هذا الكتاب فيما بعد بالعربية الميلالية.

^٢ هم من علماء سمسست كبيرة لا جماعة العلماء

^٣ مكان يقرب ترورنفادي في مقاطعة ملايرم بكنيا، المسافة حوالي ٦ كيلومتر من ترورنفادي

^٤ عالم ينتهي إلى أسرة الأهدل أحفاد الإمام حسين بن علي (ر). هذه الأسرة لها جذور عميقه في الثقافة الإسلامية ، وهي تتبع المذهب الشافعي الشافعي في الأمور الدينية .

وبعد ظهور هذا الكتاب حاول البريطانيون أن يهلكوا كتاب "سيف البثار" وحرموا قراءته وحفظه وتوزيعه في كيرلا. وأفسدوا نسخة سيف البثار بعد غاراتهم في بيوت المسلمين. وقد ساعد كتاب سيف البثار ليمحرك البنية الأساسية للحكم البريطاني في كيرلا. لأن تأثيره المبكي والمؤثر في المجتمع عليه جداً كما نرى في قول روبرت دي دانكور "الكلمة أقوى من السيف".
عدة الأماء والحكام لإهانة الكفرة وعبدة الصليب

مؤلف هذا الكتاب هو السيد فضل بن علوى المنفرمي، ابن السيد علوى المنفرمي لعب هذا الكتاب دوراً بالغاً في حث الشعوب ضد الإستعمار، وله يد بخاصة في إثارة العواطف ضدهم . وانقسم هذا الكتاب إلى عشرة الأقسام، تناقش جميع الأقسام مواقف المسلمين من القوى الإستعمارية. والقسم الأول يشمل على تحريض المسلمين على حياة دين الإسلام ويثبت آراء المؤلف بدلائل القرآن والسنة. والقسم الثاني يبين عن حاجة اطاعة الرعية للراعين وأحكامه في الإسلام.

قد اشتهر السيد فضل بن علي في مواقف عنيفة وخاشنة نحو المستعمرين. وبعد وفاة والده تولى قيادة النضال والثورة المابالية. وقام بتحليل الخرافات نشرت بين مابلا في هذا العصر، وأوضح أنه لا يجوز للمسلمين أن يركعوا أمام زميندار، وأمر بتوقف جميع أنواع الخدمات لاحترامهم. زعمت الحكومة البريطانية أن له مسؤولية عن ثورات الفلاحين الواقعة في هذا العهد، بسبب تدخلاته في المشاكل الاجتماعية، فأصبح قذى في عيون الحكومة البريطانية.

وكتب سيد الفضل العديد من النشرات والكتيبات المحرضة المسلمين على القتال ضد الغزاة البريطانيين. وفي وقت لاحق تم جمعها في اسم "عدة الأماء" التي كتبت فصولها الأخرى في القدسية بتركيا، والتي يهدى إليها المؤلف إلى الخليفة العثماني السلطان عبد العزيز^١. وفي ١٨٥١ م منع حاكم المقاطعة بملابرم كونولي (Conolly)^٢ عن نشر هذا الكتاب فيها، هذا يدل على عمق تأثيره في قلوب المواطنين .

المصادر والمراجع

- أحمد زين الدين المخدوم، تحفة المجاهدين، مؤسسة الوفاء، بيروت، ٢٠٠٨ م
- الأستاذ محمد. ك. أم، مساهمة كيرلا في الأدب العربي (مليالي)، مكتبة أشرفى، كاليلكوت، ٢٠١٢ م
- د/ جمال الدين الفاروقى، علماء العربية في الهند ومؤلفاتهم، مكتبة الهدى، كاليلكوت، ٢٠٠٩ م
- د/ مجتبى مسافر، الخطبة الجهادية ضد الإستعمار البرتغالي (مقالة) التي نشرت في www.allugah.com
- الدكتور ويران معى الدين الفاروقى، الشعر العربي في كيرلا مبدأ وتطوره، كاليلكوت، عرب نيت، ٢٠٠٣ م
- مؤلفون، أعلام الأدب العربي في الهند، مكتبة الهدى، كاليلكوت، ٢٠٠٨ م

^١ عبد العزيز الأول (١٨٣٠ - ١٨٧٦ م) من خلفاء العثمانيين، ومكث في السلطة ١٥ عاما، وهو السلطان العثماني الوحيد الذي قام ب زيارات خارجية سياسية إلى مصر وألمانيا وفرنسا وبريطانيا ، ولم يشهد عهده أي حروب خارجية للدولة.

^٢ هو Henry Valentine Conolly (1806-1855) ضابط بريطاني لدى جنوب الهند، قد قتل على أيدي ثوار مابلا في بيته في كاليلكوت.

اسهامات كلية دار الأيتام في اللغة العربية وأدابها

السيد نجم الدين. بي^١

د/يو. سيد علوى^٢

الملخص

تأسست كلية دار الأيتام للعلوم والفنون عام ١٩٩٥ م تحت إشراف دار الأيتام المسلمين بoinad، استجابة واحتراماً للإحتياجات العلمية والأكاديمية بمنطقة ويناد. هي الأولى في نوعها تحت لجنة مسلمة مع المساعدات الحكومية. كثير من الناس في منطقة ويناد ينتموون إلى الطبقات المصنفة والمجتمعات المختلفة الأخرى، وكانوا غير قادرين للحصول على التعليم العالي، لعدم وجود مؤسسات تساعدهم على ذلك مما أدى بالقائمين إلى الفكر الجاد حول تأسيس هذه الكلية بهدف رفع المستوى التعليمي لدى الأقليات وخصوصاً المسلمين منهم. حالياً توفر الكلية سبع دراسات بمستوى البكالوريا وخمس بمستوى الماجستير، تتوزع في علوم الفيزياء والإلكترونيات وعلوم الحساب والكمبيوتر وعلوم التجارة والأدب الإنجليزي واللغة العربية. ويقع رحاب الكلية في موقع وارف الجمال مطلاً على الطريق الرئيسي من كاليكوت إلى بنكلور، في قرية موتل على بعد ٦ كلومتراً من عاصمة المنطقة.

قسم اللغة العربية

اللغة العربية هي لغة الثقافة الغنية والحضارة التي يعود تاريخها إلى قرون عديدة. وهذه المنطقة أيضاً شهدت رواجاً واسعاً للغة العربية. ومنذ أن استوطنها المسلمون انتشرت في ربوعها عشرات المساجد التي تكتنف الدروس الدينية حيث تدرس فيها أمهات الكتب العربية إلى جانب المدارس الدينية ل التربية الناشئين، ومنذ تشكيل ولاية كيرالا عام ١٩٥٧ م، وبذلت النشاطات التعليمية تكتشف ونالت العربية حظها في التقدم. إذ كانت تدرس في كثير من مدارس المنطقة كما أن هناك بعض الكليات العربية التي تعد الطلبة للإمتحانات العربية الجامعية.

وقد ظهر قسم اللغة العربية بالكلية إلى حيز الوجود في أغسطس ١٩٩٥ م مع انطلاقتها الكلية. ويقدم برنامج بكالريوس باللغة العربية وأدابها. وتمت ترقيتها إلى ماجستير سنة ٢٠٠٢ م. وقد سجل تقدماً ملحوظاً في السنوات السالفة من حيث التفوق العلمي والمهارة المهنية لدى الطلبة. كما نال الطلبة المراتب الأكاديمية العليا في نطاق الجامعة. والمتخرجون يخدمون شتى الوسائل في مجال التعليم والإدارة والهيئة التجارية وفي قسم الأمن والسلامة وفي دول الخليج أيضاً. وقد اهتم القسم العربي بعقد الندوات العربية ذات الطابع العلمي في مختلف الموضع: في الأدب العربي الهندية،

^١ أستاذ مساعد ورئيس القسم، قسم اللغة العربية وأدابها، كلية دار الأيتام، موتل، ويناد وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق

^٢ مشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق وعميد كلية مليبار للدراسات العليا بونغارا، ملابرم، كيرالا

ملامح الإستعمار في الأدب العربي، حضور المرأة في الأدب العربي، والشعر العربي الهندي في القرن العشرين والقرآن والنهضة الإجتماعية. كما أنها عقدت ورشة في صياغة المناهج والمقررات الدراسية للمستوى الجامعي عام ٢٠١١ مع مساعدة مالية من المجلس الأعلى للجامعات.

وإن القسم لا يزال يرتقي يوماً فيواماً منها مجلة الريحان وهي مجلة البحث العلمية والأدبية، والجدير بالذكر أن المجلة قد نالت الرقم الدولي (ISSN) من المجلد السادس الذي صدر أول الشهر مارس ٢٠١٥. عمل فيه عديد من العلماء البارعين إلى فترات مديدة حتى أوجدوا له أساساً ثابتاً وفروعاً راقصة لا تزال تنهض بالعلوم والفنون، وترثية متبللة تصبح قطب الرحى للعلوم العربية والأدبية على جهودهم ووجودهم المستجدة.

د/ك. جمال الدين الفاروقى

هو عميد الكلية دار الأيتام للعلوم والفنون ويناد، وسابقاً كان في كلية روضة العلوم، عمل هناك ١٥ سنة والتحق بهذه الكلية عام ١٩٩٦. اتسعت شهرته إلى آفاق مديدة كأنه لا يحتاج إلى تعريفه شخصياً وخلفياً ثم وظيفياً، لأنَّه هو كونز جوهري في الأدب العربي والعلم الإسلامي، ومليباري فريد من أوعية العلم في اللغة بآدابها والتفسير ببحوثها. وله نمط فريد الإبداعية وبراعته الإنسانية في التأليف، لم يزل يهدى ثروة ضخمة في الأدب العربي من ناحية الثقافة الإسلامية من ناحية أخرى، هي الحقيقة المحضة التي تلمع جاذبية عواطفه في الكتب والمقالات والمحاضرات، أنه قطرة من بئر زمزم لا يجف ولا يهدى علومه أبداً...

أعدَّ عدَّة مقالات رائعة وأصدرها في مختلف المجالات والجرائد. كما أنه شارك ندوات كثيرة وورشات عديدة.

ومن إنجازاته العلمية:

قدم المقالات العلمية والأدبية في واشنطن والكويت ودولة قطر وشارك في ١٤ ندوة دولية أقيمت في الهند. كما قدم المقالات في ٦١ ندوة وطنية وحضر ورشة أكاديمية بعده ١٢ وقام بتقييم أطروحة الدكتوراه وعددها أربعة. حالياً يدرس تحت إشرافه ٨ باحثين لدرجة الدكتوراه. من أهم أعماله:

- دراسات في علوم البيئة ٢٠٠٩-٢٠٠٩ م
- أعمال الأدب العربي في الهند ٢٠١٠-٢٠١٠ م
- المؤلفات العربية لعلماء الهند ٢٠١١-٢٠١١ م
- أعمال المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية (نشره مركز جمعة الماجد للثقافة والتراجم، دبي، الإمارات)
- دراسات في الثقافة والحضارة ٢٠١١-٢٠١١ م

- الدروس النحوية - ٢٠١٠.

- المهارات الضرورية للغربية التطبيقية - (بالمشاركة)

كما يعمل عضوا في هيئة الدراسات العربية بجامعة كاليكوت وجامعة كيرالا وجامعة مدراس وكلية جمال محمد في ترشي. وعضووا في هيئة الدراسات الإسلامية في جامعة كانور كما يعمل بدورة في تحرير المقررات الدراسية في SCERT، كيرالا.

ونشرت مقالاته بعدد ١٥ في المجالات العربية الصادرة من البلاد العربية مثل: المنهل، البشري، الوعي الإسلامي، وأفاق الثقافة.

وكما نشرت المقالات وعددها ٦٢ في المجالات: البعث الإسلامي، الراعي، ثقافة الهند، الصحوة الإسلامية، صوت الأمة، التضامن، العاصمة، الريحان، حكيم الهند، المهارة، مجلة الجامعة، ومجلة كيرالا، ومنار النهضة ومجلة التوحيد.

د/تي. أى. عبد المجيد

الوكليل الحالي للجامعة كاليكوت، صاحب فنون وذكاء مفرط وحفظ واسع إلى الغاية. هو بحر القصائد الحية بضمطي صدر وكتاب في آن واحد، قدم عدة أوراق في ندوات لم تحصر عددها لأجل تشاركه المستمد والمستطيل، وقد نال شهادة الدكتوراه في " الاتجاهات الإسلامية في الشعر العربي الحديث"

ومن أهم أعماله المجدورة بالذكر:

- أضواء عكااظ (تدرس في الفصل الثالث لبكالوريوس - جامعة كاليكوت)

- جولة في الشعر العربي الحديث (تدرس في الفصل الثاني للماجستير- جامعة كاليكوت)

- الحاسوب ومبادئه (تدرس في الفصل الأول للماجستير- جامعة كاليكوت)

- تدريب الترجمة (تدرس كلغة ثانية في الفصل الثاني لبكالوريوس- جامعة كاليكوت)

- شرارات الشعر العربي الحديث (الفصل السادس لبكالوريوس- جامعة كاليكوت)

- قبس (في الفصل الثالث لغة ثانية لبكالوريوس- جامعة كاليكوت)

د/يو. سيد علوى

كان عميداً لهذه كلية قبل أن يتولى عمادة كلية المليبار للدراسة المتقدمة بوينغرا(ملبرم) في هذه الأيام. كما أنه شارك في ندوات كثيرة وقام بتقديم عدة مقالات جليلة علمياً وبحثياً. من أعماله الممدوحة:

- المهارات الضرورية للغربية التطبيقية (مع مشاركة الدكتورة الأفاضلة من تي.أى. عبد المجيد،

وجمال الدين الفاروق) تدرس كاللغة الثانية BCA

- صرح الخيال (قصة قصيرة ومسرحية عربية من عمل تشاركي مع د/تي. أى. عبد المجيد) تدرس في الفصل السادس لبكالوريوس
- النقد العربي (في الفصل السادس لبكالوريوس- جامعة كاليفورنيا)
انه حصل على الدكتوراه في مساهمة محمد عبد الله المليباري في الأدب العربي؛ دراسة نقدية.
ومما لا ريب فيه قد تطورت هذه التطورات المباركة المتعددة بسعى كثير من الأساتذة المجددين الذين حملوا لواء العلم والحلم في القسم العربي للكتابة، رفعوها إلى قمة عالية تدريجيا.

د/يوسف الندوبي

أنه تزين مناصب متعددة في هذا المجال علمياً ووظيفياً، امتلاً في الندوات والجلسات بتقديم الأوراق القيمة والمحاضرات الجيدة، أصدر عدة مؤلفات في مختلف الفنون، حصل على الدكتوراه في النواحي الصحية في القرآن والحديث، ومن أشهر كتبه:

- علم الصحة في القرآن الكريم
- علم الطب في القرآن
- علم الأغذية في القرآن الكريم
- النواحي الصحية للعبادات الإسلامية
- باقة الحب
- دليل الصالحين

د/عبدالرشيد بي

يعمل رئيساً لقسم اللغة العربية في الكلية الحكومية برنن بتلشيري الآن، كان أستاذاً في قسم اللغة العربية في كلية دار الأيتام، إنه حصل على الدكتوراه في "طه حسين وجبران خليل جبران؛ دراسة مقارنة بين فلسفتهما عن الحياة"

- كتابه: **الحاسوب تدرس في الفصل الثاني لبكالوريوس**
وفي المستقبل يهدف القسم إلى ترقية قسم البحوث العلمية ملتحقة بالجامعة. كما نريد إطلاق قسم خاص للنشر والتأليف حتى يصبح القسم مركزاً بارزاً من يرتاد العلوم والأداب العربية.

الملحق

- د/ك. جمال الدين الفاروقى، عميد كلية دار الأيتام للعلوم والفنون، ويناد
- د/تي. أى. عبد المجيد، وكيل الجامعة. جامعة كاليفورنيا
- د/يو. سيد علوى، عميد كلية المليبار للدراسة المتقدمة، وينغرا، مالايرم
- د/عبدالرشيد بي، رئيس قسم اللغة العربية، كلية برنن الحكومية، تلشيري
- د/يوسف الندوبي، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية دار الأيتام للعلوم والفنون، ويناد

أضواء بلاغية من السيرة النبوة

د/ خلدون سعيد صبح

المُلْكُوكُ

تبدأ بlagة السيرة النبوية من القرآن الكريم، فبلغة الرسول صلى الله عليه وسلم لاحت، وظهرت في إصاله القرآن الكريم، وفي حديثه الشريف، ولا أعتقد أن أحداً استطاع أن يباريه في بلاغته مهما حاول لأن الله عز وجل وكله بإصال الرسالة من خلال القرآن ، ودليلنا الشرعي هو قوله تعالى في سورة المائدة (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك)^٣ ومعنى بلغ أي أوصى والوصول هو من تعاريف البلاغة، فالبلاغة تعني الوصول إلى الآخرين إلى عقولهم، وإلى قلوبهم وهذه أهم سمة من سمات السيرة النبوية ومن هذا التفسير لل فعل بلغ نستخلص أمراً شرعاً بضرورة نشر الإسلام في العالم لأنه يمثل الإسلام ويتخذ من الرسول الكريم قدوة حسنة.

بلاغة السيرة النبوية

بلاغة السيرة النبوية يبوح بها محمد الرسول الكريم حينما يقول: أنا أفصح العرب بيد أنني من قريش، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثقته بلغته ومعجزته اللغوية، فأول هدف في القرآن هو الإعجاز البلاغي لهؤلاء الذي يعتقدون أن البلاغة قد وقفت عندهم من العرب في قريش وغيرهم. وإذا دققنا النظر بлагاعيا في الحديث الشريف سنجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام اعتمد على فن بدعيي هو المدح على طريق الذم، وهو أسلوب يزيد المدح مدحا، والجمال جمالا بعد أن يظن السامع أن صفة ذم ستأتي بعد الاستثناء، فالرسول هو الأفصح مستخدما اسم التفضيل ثم يتابع بقوله (بيد) وهي للاستثناء لكنه يدهشنا ويفاجئنا بصفة مدح جديدة هي (أني من قريش). قريش صاحبة الفصاحة والشعر والأدب. فيه أفصحيهم، ورد علم، ذلك أنه قشة، البلاغة.

كان مَوْلِدَه في بَنِي هَاشِم ، وَهُمْ ذُرُوْة قُرْيَاش ، سَلَاسَة لِسَان ، وَفَصَاحَة كَلَام ، وَسَمَاحَة بَيَان؛
وَأَخْوَالُهُمْ مِنْ بَنِي زُهْرَة ، وَرِضَاعَهُ فِي سَعْدَ بْنَ بَكْرٍ ، وَنِسَائِهِ فِي قُرْيَاش ، وَتَزْوِجَ خَدِيجَة وَهِي مِنْ بَنِي أَسْدٍ،
وَكُلُّ هَذِهِ قَبَائِلُ خَصَّهَا اللَّه بِعِرْقٍ فِي الْفَصَاحَة عَرِيق ، وَسَبْبُهُ مِنَ الْبَلَاغَة وَثِيق.. وَكَانَ ذَلِكَ كَلَهُ إِعْدَادًا
مِنَ اللَّه لِنَبِيِّهِ، لِيَهْبِطَ بِأَتَمْ دَعْوَة، وَأَكْمَلَ رِسَالَة.. وَكَذَلِكَ كَانَ فَصِيحَ الْمَنْطِق، سَلِسُ الْأَسْلُوب، مُونِقٌ
الْعِبَارَة، رَائِعُ الْحِكْمَة، قَوِيُّ الْحُجَّة، بَلِيعُ التَّأْيِيرِ فِي النُّفُوس، يُجْسِدُ الْمَرْءَ لِكَلَامِهِ حَلَاوةُ الْعَسَل،
وَيُسْتَشْعِرُ اللَّذَّةُ الْفَنِيَّةُ الَّتِي تَهُزُّ النُّفُوس، وَتُثْبِرُ الْأَحَاسِيس، وَتَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوب. إِذَا تَكَلَّمَ حَشَّعَتُ
الْقُلُوبُ مِنْ جَلَلِ الْعِظَة، إِذَا خَطَبَ انْقَطَعَتُ السُّبُّهُ لِبَلَاغَةِ الْحُجَّة، وَامْتَلَأَتِ النُّفُوسُ اقْتِنَاعًا
بِالْحَقِيقَة، وَرَضَا بِرَأْيِهِ، وَامْتَثَلَّا لِأَمْرِهِ.

^١أستاذ البلاغة، جامعة دمشق، سوريا

٦٧/٥ سورة المائدة، الآية:

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله -: لقد رأينا هذه البلاغة النبوية قائمة على أن كل لفظ هو لفظ الحقيقة لا لفظ اللغة، فالعنابة فيها بالحقائق، ثم هي تختار ألفاظها اللغوية على منازلها، وبذلك يأتي الكلام كأنه نطق للحقيقة المُعِرَّ عنها. ومعلوم أنه- صلى الله عليه وسلم- لا يتكلّف ولا يتعلّم . ومع هذا لا تجد في بلاغته مَوْضِعًا يَقْبِلُ التَّنْقِيْحَ، أو تَعْرِفُ لَهْ رَقَّةً مِنَ الشَّأْنِ، كأنما بين الألفاظ ومعانها في كل بلاغته مقياس وميزان .

ومن أهم الكتب التي تناولت السيرة النبوية كتاب سيرة ابن هشام ، وقد بدأ ابن هشام كتابه بعنوان: ذكر سرد النسب الذي: من محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إلى آدم عليه السلام . ويبدأ ابن هشام متنه باسم الإشارة مشيرا إلى السيرة العطرة مخصوصا الكتاب باسم الإشارة إلى رسول الله فيقول: هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد اعتمد أبو محمد عبد الملك بن هشام (النحووي) على منهج ذكر الكل ثم الجزء وهذا أفضل منهج لسرد وللتوسيط فهو يذكر أجداد الرسول ثم يفصل في نسب كل جد وهو بذلك يسير بالقارئ خطوة بخطوة للتعرّف بالنبي فيقول: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، واسم عبد المطلب: شيبة بن هاشم، واسم هاشم: عمرو بن عبد مناف^١

أثر السيرة النبوية في التفسير القرآني

استعان المفسرون بالحديث الشريف في تفسير القرآن الكريم فاعتمدوا على الحديث الشريف لفهم أسرار الآيات بلاغياً فوجدوا في الحديث الشريف حجتهم وتخریجهم لمعنى أمهם أو لتركيب لم يجدوا له تخریجاً إلا في بلاغة النبي فكان مرجعهم في تفسير القرآن بعد الاستعانة بالقرآن الكريم ومن الأحاديث الشريفة التي اعتمد عليها المفسرون لتوضيح واو الحال في قوله تعالى (و إذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله و إلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون)^٢.

وإذا عدنا إلى تفسير الآية في كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي سنجد أنه استشهد بالحديث الشريف لتأكيد رأيه النحووي في أن الواو في أولو هي واو الحال ودخلت عليها أو وسبقتها همزة الاستفهام، فأبو حيان يستعين بثلاثة أحاديث شريفة احتوت على واو الحال قبل لـو وهي قوله عليه الصلاة والسلام: (أعطوا السائل ولو جاء على فرس)^٣ (وردوا السائل ولو بظلفٍ محرق)^٤ (واتقوا النار ولو بشق تمرة)^٥

^١ السيرة النبوية لابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ٢٠٠٢، ص: ٤١

^٢ سورة المائدة، الآية: ١٤/٥

^٣ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، ٢٠٠٠، ١/١٥٠

^٤ المصدر السابق: ١/٥٩٩

^٥ المصدر السابق: ١/٢٣

فالمعنى أعطوا السائل على كل حال ولو على الحالة التي تشعر بالغنى وهي مجئه على فرس، وكذلك يقدر ما ذكرنا من المثل على ما يناسب. فالواو عاطفة على حالٍ مقدرة ، فمن حيث هذا العطف صح أن يقال إنها واو الحال ، وقد تقدم الكلام على ذلك بأشبع من هذا ، فالتقدير في الآية أحسهم أتباع ما وجدوا عليه آباءهم على كل حال ، ولو في الحالة التي تنفي عن آبائهم العلم والهدایة ، فإنها حالة ينبغي ألا يتبع فيها الآباء لأن ذلك حال من غلب عليه الجهل المفرط.^١

و نلاحظ أن أبا حيان استطاع أن يخرج الواو على أنها حالية وهذا ما أكده الزمخشري في كتابه الكشاف خلافاً لمن قال أنها واو العطف مثل ابن عطية في تفسيره وبذلك استطاع الحديث الشريف أن يفصل القول في معنى الآية الكريمة فالواو حالية والمعنى هو إنكار أن يكون آباءهم لا يعلمون شيئاً ثم يقوم الناس باتباعهم .

ومن الأحاديث الشريفة التي استعان بها المفسرون لتفسير القرآن: (إن الله يبغض الغريب)^٢ يعني الذي يخضب شعره بالسود. فنجد أن هذا الحديث استشهد به أبو حيان لتوضيح التقديم والتأخير في قوله تعالى: ((وغرائب سود))^٣

ويبحث أبو حيان في التقديم اللفظي والتأخير المعنوي في قوله تعالى ((وغرائب سود)) فيقول والظاهر أنه لما ذكر الغرائب وهو الشديد السود لم يذكر فيه: مختلف ألوانه لأنه من حيث جعله شديد السود وهو المبالغ في غاية السود لم يكن له ألوانه بل هذا لون واحد بخلاف البيض والحرم فإنهما مختلفة، والظاهر أن قوله بيض وحرم ليسا مجموعين بحدة واحدة بل المعنى جدد بيض، وجدد غرائب ويقال أسود حلكوك وأسود غريب، ومن حق الواضح الغاية في ذلك اللون أن يكون تابعاً. فقال ابن عطية قدم الوصف الأبلغ وكان حقه أن يتاخر، وكذلك في المعنى، لكن كلام العرب الفصيح يأتي كثيراً على هذا وقال الزمخشري : الغريب تأكيد للأسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكّد، كقولك أصفر فاقع، وأبيض يفق، وما أشبه ذلك، ووجهه لأن يظهر المؤكّد قبله فيكون الذي بعده تفسيراً ما أضمر، كقول النابغة:^٤

ركبانٌ مكةَ بينَ الغيلِ والسندِ والمؤمنُ العائدنَاتِ الطيرَ ممسحها

وإنما يفعل لزيادة التوكيد، حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الإظهار والإضمار جميعاً، انتهى. وهذا لا يصح إلا على مذهب من يجيز حذف المؤكّد، ومن النها من منع ذلك، وهو اختيار ابن مالك، وقيل هو على التقديم والتأخير، أي سود غرائب، وقيل سود بدل من غرائب، وهذا أحسن،

^١ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان أثير الدين الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠/٤/٢٥.

^٢ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، ٢٠٠٠/١، ٢٤٩.

^٣ سورة الإسراء، الآية: ٢٢/١٧

^٤ النابغة النابغاني، ديوان النابغة، ط: ٣، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٩٦، ص: ٢٠.

ويحسن كون غرائب لم يلزم فيه أن يستعمل تأكيدا، ومنه ما جاء في الحديث: إن الله يبغض الشیخ الغریب يعني الذي يخضب بالسود.^١

فأبو حیان يخالف رأی ابن عطیة على التقديم والتأخر، ويستشهد بالشعر والحديث الشریف ليخرج لفظ (سود) إلى البدلية معتمدا على بلاغة الرسول عليه الصلاة والسلام . فكانت حجته بلاغة. والحقيقة أن المتقصي للتفسیر القرآنی سیكتشف أن هذا البحث جدير بالدراسة والتفصیل في استنباط المعنى من خلال السیرة النبویة وما احتوت من أحادیث وضحت معانی مهمة في القرآن الكريم .

بلاغة الحديث الشریف في السیرة النبویة

الصدق في الدعاء من أهم شروط الدعاء فلا يمكن أن ندعوا الله، ونحن ننطق بكلمات، وقلينا معلق بشيء من أمور الدنيا فالدعاء يعتمد على الصدق، والصدق يوصل الدعاء إلى الله. لأنه يمثل شفافية الروح، ويؤكد هذه المقوله قوله تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكرون عن عبادي سيدخلون جهنم داخرين)^٢ فالآلية الكريمة تربط الدعاء بالعبادة والصدق، ولايمكن أن يقبل الدعاء من دون عبادة، ويرز ذلك من خلال فن بدیعی هو التذییل أي تذییل الجملة بمعنى يتمها ويوضحها وهو: (يستکبرون عن عبادتی) .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لم يسأل الله يغضبه عليه)^٣ ونلاحظ أن الأسلوب في الحديث الشریف اعتمد على أسلوبی الشرط وهو إنشاء غير طبی لا يقبل الصدق والكذب وفيه إقناع لأنه يعتمد على السبب والنتیجة وأسلوب الشرط يحمل الحجة ويجنح نحو الإقناع .

وعن أبي مسعود البدری رضي الله عنه قال: قال رسول الله : (سروا الله، فإن الله يحب أن يُسأل، وأفضل العبادة انتظار الفرج).^٤

ونلاحظ أسلوبیا أن الرسول الكريم ابتدأ بفعل الأمر اعتمادا على الآية السابقة، وأسلوب الأمر يحمل معنى وجوب تنفيذ الفعل من الأعلى إلى الأدنى، ثم يستأنف بفاء الاستئناف ليوضح سبب الدعاء وهي محبة الله لذلك ثم يتلو هذا الدعاء الفرج بعد الشدة. فالأسلوب ينبغي على التولید في اللغة فكل جملة تمهد للجملة التي تتبعها وتتمهد لها المعنى .

^١ أبو حیان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حیان أثیر الدین الأندلسی، تفسیر البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠/٢٢٠١١-٣١٢.

^٢ سورة غافر، الآية: ٦٠.

^٣ محمد بن عیسی بن سَوْرَةَ بن موسی بن الضحاک الترمذی، جامع الترمذی، دار الغرب الإسلامی، بيروت، ١٩٩٨ رقم ٣٣٧٠ في الدعوات وهو حدیث حسن. جامع الأصول: ٤/١٦٦.

^٤ المصدر السابق: في الدعوات باب رقم ١٢٦ وهو حدیث حسن. جامع الأصول: ٤/١٦٦.

وقد كتب الدكتور عبد الرزاق محمد محمود فضل كتاباً بعنوان (في بلاغة الدعاء النبوى توسيع فيه فأجاد وهو كتاب صدر عن رابطة العالم الإسلامي)

فالدعاء في السيرة النبوية مطلوبة ومحبوبة فهي تدل على محبة الخالق وتعلقه بربه الذي خلقه ووهبه رزقه وقدمه له، فحتى قولنا: الحمد لله هو دعاء لقبول شكرنا لله وحمدنا له .

وقد أخرج الترمذى قول الرسول : (ما من رجل يدعو الله بداع إلا استجيب له فإذاما أن يعجل له في الدنيا، وإنما أن يؤخر له في الآخرة ، وإنما أن يكفر عنه ذنبه بقدر ما دعا ما لم يدع باش أو قطيعة رحم، أو يستعجل، قالوا يا رسول الله، وكيف يستعجل؟ قال يقول: (دعوت ربى فما استجاب لي).^١

والمتأمل في الحديث السابق سيكتشف شروط الدعاء كامنة في الحديث الشريف وهي: الدعاء مع بعده عن الإنعام، الدعاء مع بعده عن قطيعة الرحم، عدم الاستعجال في إجابة الدعاء لأنه لا يعرف طبيعة استجابة رب العالمين ومتي يستجيب وكيفية الإجابة. فهي خير في كل الأحوال. وسيأتيه مطلب في الدنيا أو الآخرة. ونلاحظ أسلوب النفي والاستثناء في الحديث (ما من رجل يدعوه... إلا) وهو أسلوب يفيد الشمول في الاستجابة لكل مؤمن يدعوه الله بصدق، والقصر على الداعي فهذا أسلوب بلاغي يقوم على قصر الموصوف وهو الرجل على صفة الدعاء. وجمالية القصر أنه يقوم على الإيجاز فجملة القصر تعوض عن جملتين فمن جماليات القصر أيضاً الإيجاز .

وأشارت الأحاديث إلى الأوقات المفضلة في الدعاء ودليلنا السيرة النبوية العطرة ومن هذه الأوقات الثالث الأخير من الليل فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فاستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟).^٢ والاستفهام هنا خرج إلى غرض بلاغي هو التشويق والبحث على الدعاء. وهناك أوقات أخرى يفضل فيها الدعاء مثل بعد الصلوات وفي رمضان أثناء الإفطار.

وتقول أم معبد، تصف كلامه صلى الله عليه وسلم في جملة ما وصفت به النبي الأمين بعدها رأت وسمعت بلاغته ومنطقه: حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هزر، كأن منطقه خرزات نظم، وكان جهير الصوت، حسن النغمة.^٣

ونلاحظ التشبيه في قول أم معبد كأن منطقه أي طريقة حديثه خرزات نظم وهذا ما نسميه في علم البدع الانسجام وحسن التاليف بين الكلمات وأحسنت أم معبد في تشبيهها لأن العقد أجمل ما تحبه الأعين في النظر إليه من حسن النظم والاصطفاف والتاليف بين الخرزات والجواهر.

^١ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الصحاح الترمذى، جامع الترمذى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، رقم ١٤٥

^٢ رواه البخارى و مسلم .فتح البارى ٢٥/٣، ٢٦ في التهجد بباب الدعاء و الصلاة من آخر الليل.

^٣ دكتور عبد الرزاق محمد محمود فضل، في بلاغة الدعاء النبوى، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٩٧، ص: ٣٢

ويطالعنا صاحب العبريات مصطفى صادق الرافعي في كتابه عبرية محمد فعندما يتحدث عن البليغ يدهشنا بحسن المطلع وحسن الافتتاح فينقل جملة من كلام الرسول وهي (اللهم هل بلغت) ويعلق عليها بطريقة دراسة العناوين الحديثة أو نظرية التلقي التي تربط بين المرسل والمرسل إليه فيحلو التواصل ويعلو التفاهم، ويعلّق الرافعي قائلاً: هذه هي اللازمة التي ردها النبي في أطول خطبه الأخيرة، وهي خطبة الوداع.

وهي لازمة عظيمة الدلالة في مقامها. لأنها لخصت حياة كاملة في ألفاظ معدودات. فما كانت حياة النبي كلها بعملها وقولها وحركتها وسكنها إلا حياة تبلغ وبلاط. وما كان لها من فاصلة خاتمة أبلغ من قوله عليه السلام وهو يوجد بنفسه (جلال ربي الرفيع فقد بلغت !)

وكلام النبي المحفوظ بين أيدينا إما معاهدات ورسائل كتبت في حينها. وإما خطب وأدعية ووصايا وأجوبة عن أسئلة كتبت بعد حينها وروعيت الدقة في المضاهاة بين روایاتها جهد المستطاع . والإبلاغ هو السمة المشتركة في أفانين هذا الكلام جميعاً حتى ما جرى منه مجرى القصص أو مجرى الأوامر إلى المرؤوسين أو مجرى الدعاء الذي يلقنه المسلم ليذعن الله على مثاله.^١

انظر إلى قصة أصحاب الغار الثلاثة وتسلّهم بصالح الأعمال وهي كما جاء في مختار مسلم:

حدثني محمد بن إسحق المسيبي حدثني أنس يعني ابن عياض أبا ضمرة عن موسى بن عقبة عن نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر فأتوا إلى غار في جبل فانحاطت على فم غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض انظروا أعمالاً عملتموها صالحة لله فادعوا الله تعالى بها لعل الله يفرجها عنكم فقال أحدهم اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران وأمرأتي ولِي صبية صغار أرعى عليهم فإذا أرحت عليهم حلبت فبدأت بوالدي فسقيهما قبل بني وأنه نائي بي ذات يوم الشجر فلم آت حتى أمسيت فوجدهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحليب فقمت عند رأسهما أكره أن أوقفهما من نومهما وأكره أن أسفى الصبية قبلهما والصبية يتضاغون عند قدمي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا منها فرجة نرى منها السماء فرج الله منها فرجة فرؤوا منها السماء وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحببها كأشد ما يحب الرجال النساء وطلبت إليها نفسها ، فأبانت حق أنها بمائة دينار فتعجبت حتى جمعت مائة دينار، فجئتها بها ، فلما وقعت بين رجلها . قالت : يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا منها فرجة فرج لهم وقال الآخر: اللهم إني كنت استأجرت أجيراً بفرق أرز فلما قضى عمله قال أعطني حقي فعرضت عليه فرقه، فرغل عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعت منه بقراً ورعاها فجاءني فقال: اتق الله ولا تظلموني حقي قلت اذهب إلى تلك البقر ورعاها فخذها

^١ عباس محمود العقاد ، عبرية محمد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ٢٠١٠، ص: ٦٧

قال: أتق الله ولا تستهزي بي فقلت: إني لا أستهزئ بك خذ ذلك البقر ورعاها فأخذنه فذهب به فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا ما بقي ففرح الله ما بقي .
إن فن التبليغ من خلال القص هو أبلغ تعليم لأن الإنسان منذ نعومة أظفاره يحب القصة ويستمتع بها وما سمعنا لقصص أمهاطنا ونحن صغار إلا دليل على ذلك .
والمسلمون اليوم في حاجة إلى حكمة رسولهم يتذربونها، ويتشربونها إلى الأعمق في حاجة لأن يرجعوا إلى العلم قداسته واحترامه. وقد صاروا يتلهون في عبث فاضح لا يليق بال بشر العاديين فضلا عن المسلمين .

إيّهم يأخذونه في استخفاف العابث .. إن كانوا طلبة في المدارس والمعاهد، أو أساتذة يدرسون للطلاب !
غايتها الوظيفة أو الكسب أو الشهرة من أقرب طريق. لذلك هم في حاجة لحكمة الرسول. ترددتهم إلى احترام العلم وتقديره وتعيدهم لروح الجد والإخلاص .^١

إن السيرة النبوية تدعوا إلى الحب والمودة والصدق والإخلاص وأي رابطة يمكن أن تربط القلوب أقوى من المودة والحب ؟ .

يقول تعالى تأكيداً لتتأليف القلوب والحب (وألف بين قلوبهم. لو أنفقتم ما في الأرض جمِيعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله أَلْفَ بَيْنَهُمْ).^٢

إنها هبة الله هبة تأليف القلوب، والنعم المادية أو الاقتصادية كذلك هبة الله ولكن الآية تضع كلاماً في مكانه في ميزان القلوب وميزان الحياة !

لا يكفي المال وحده لتتأليف القلوب. ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية. فلابد أن يشملها وبلغفها ذلك الروح الشفيف المستمد من روح الله. ألا وهو الحب. الحب الذي يطلق البسمة من القلب فينشرح لها الصدر وتتفجر القسمات ... فيلقى الإنسان أخيه الإنسان بوجه طليق. ذلك الحب هو الذي يصنع المعجزات. هو الذي يؤلف القلوب. هو الذي يقيم البناء الذي لا يهدمه شيء ولا يصل إليه شيء^٣

(جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي يوماً يطلب منه شيئاً فأعطاه، ثم قال له : أحسنت إليك ؟ قال: لا ولا أجملت ! فغضب المسلمون وقاموا إليه، وأشار إليهم أن كفوا. ثم دخل منزله فأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً. ثم دخل منزله فأرسل إلى الأعرابي وزاده شيئاً. ثم قال: أحسنت إليك ؟ قال : نعم. فجزاك الله من أهل ومن عشيرة خيراً . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك. قال: نعم. فلما كان الغداة جاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذا الأعرابي قال

^١ محمد قطب، قبسات من الرسول، دار الشروق، مصر، ١٩٩٧، ص: ٥٢-٥١

^٢ سورة الأنفال. الآية: ٦٣/٨

^٣ محمد قطب، قبسات من الرسول، دار الشروق، مصر، ١٩٩٧، ص: ١٢٤-١٢٥

ما قال، فزدناه، فزعم أنه رضي. أكذلك ؟ فقال الأعرابي: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. فقال صلى الله عليه وسلم: إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة وشردت عليه، فتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيتي وبين ناقتي، فإني أرفق بها وأعلم. فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردها هونا هونا، حتى جاءت واستناخت، وشد عليها رحلها، واستوى علمها. وإنني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار) !

فما أروعها من قصة تأديبية تعليمية بلاغية إيحائية بعيدة عن المباشرة لكي يستطيع أن يصل إلى مبتغاه في علاقته مع الله عزوجل وعلاقته مع الناس.

هذا الدرس العجيب من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من سلوكه العملي يشرح لنا القيم التي أودعها أحاديثه المروية بهذا الاتجاه .

فقد يكون المال الزائد هو الذي أرضى الأعرابي في ظاهر الأمر بعد ما كان ساخطاً على العطاء القليل. ولنفرض جدلاً أنه كذلك، ولكن فلننظر إلى الأمر من جانب النبي صلى الله عليه وسلم - من جانب المعطي - أكان يزيد في عطاء الرجل ل ولم يكن هذا المعين الفياض بالرحمة والمودة والحب؟. ولننظر إلى الأمر خاصة بعد أن قال الأعرابي قوله المنكرة الجادة .

أوقد كان غير هذا القلب الكبير وهذا الروح الشفيف يمكن أن يقبل القولة الجارحة ويرد علمها بعطاً جديداً؟

إن الصدقة المادية الزائدة ليست هي حقيقة الموقف ! إنها مجرد التعبير المادي المجسم للشعور السامي البسيط. إنها ترجمة للأصل وليس هي الأصل ! إنها الصدى والقلب هو الحقيقة ! هذا القلب هو الذي يربيه الرسول الكريم هذه التربية المبدعة ليقيم عليه رباط البشرية^١

(وألف بين قلوبهم) إن الرحمة والمودة والإخاء هي وحدتها التي يمكن أن يقوم علمها البناء الحي القوي المتماسك فييدعوا إلى الحب: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ويجلو القلوب لتفيض بالحب ويعلمها الوسيلة لكي تجحب وتحب: أن تلقى أخاك بوجه طلاق وعلى فمك ابتسامة على الوجه الطلاق لتعمل عمل السحر ! جرّها ! جرّب أن تلقى الناس بوجه طلاق وعلى فمك ابتسامة مشرقة ولن تندم على التجربة قط ! إنها ل تستطيع - وحدها - أن تفتح مغاليق النفوس وتنفذ إلى الأعمق. تنفذ إلى القلب! إلى الطاقة المكنونة في الكيان البشري فترتبط بيها وبينك برباط الجاذبية ! حينئذ تصير قطعة من الكون الأعظم، دائرة معه في فلكه الفسيح، لأنك تلتقي بفطرتك الصحيحة مع فطرته الحقة، فتلتقيان في الناموس الكبير ! حينئذ ترى الله ! وهذا هو الطريق !

^١ محمد قطب، قبسات من الرسول، دار الشروق، مصر، ١٩٩٧، ص: ١٢٦

ومما سبق نستنتج: إن السيرة البلاغية النبوية بربت في أحدياته التي فسرت ما أغلق من معاني القرآن واعتمدت على القص الكنائي الإيحائي الذي يعلم ويلهم المعاني النبوية الكبيرة في الحب والعطاء بأسلوب امتلك أسرار اللغة.

وأخيراً أنهى هذا البحث المتواضع بجملة صغيرة: نحن ما تعلمنا السيرة النبوية إلا من خلال القصة الممتعة التي تعلمنا كيف نقتدي برسول الله وبحبه وبيانه والحمد لله.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، *تفسير البحر المحيط*، دار الفكر، بيروت، ٢٠١٠ م
- دكتور عبد الرزاق محمد محمود فضل، في بلاغة الدعاء النبوية، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٩٧ م
- عباس محمود العقاد ، عبقرية محمد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، مصر، ٢٠١٠ م
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، ٢٠٠٠ م
- محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذى، جامع الترمذى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م
- محمد قطب، *قبسات من الرسول*، دار الشروق، مصر، ١٩٩٧ م
- النابغة الذبياني، *ديوان النابغة*، ط:٣، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٩٩٦ م

مساهمة "مولانا أبو الكلام" في الصحافة العربية

د/ محمد نعمان خان^١

الملخص

كان مولانا آزاد عبقيرا في مجالات مختلفة وكان يعبر عما في ضميره بكلمات أخاذة وتعبرات جميلة فصيحة بلية. وكان من أبرز العلماء والسياسيين والمصلحين. ولا نجد شخصية عظيمة تتمتع بهذه الصفات في تلك الفترة من تاريخنا.

وعرف مولانا أهمية الصحافة في سن مبكرة وبدأ الكتابة في موضوعات مختلفة خاصة بالهند والهندو عامة وبالمسلمين خاصة، لأن المسلمين كانوا أكثر ضررا من أهل البلاد الآخرين، وكانوا خسروا نظامهم التعليمي كما كانوا يواجهون صعوبات مختلفة في سبيل مضمونهم إلى الأمام لسقوط حكمهم بعد أن استمروا يحكمون البلاد لعدة قرون ونتيجة لعداء الإنجليز لهم.

وكان مولانا يعرف أن اللغة العربية ليست لغة مشتركة في الهند، ولذلك اختار اللغة الأردية التي كانت لغة مشتركة للتواصل آنذاك لتقديم وجهات نظره وتحليل القضايا الوطنية والإسلامية. وكانت الحكومة البريطانية تسحب رخصة جريدة حيناً بعد حين لرأيه الناقدة لسياسة الإنجليز واحتلالهم للبلاد فكان يضطر أن يصدر جريدة تلو جريدة ليتمكن له نقل أفكاره للشعب الهندي عن طريقها.

ولم يكتف البريطانيون باحتلال الهند فحسب بل بدؤوا يتدخلون في شؤون غرب آسيا وحرّضوا العرب ضد الخلافة العثمانية القوة الإسلامية العظيمة آنذاك والتي كانت تمثل الإسلام والمسلمين ولم يكن من السهل للدول الغربية مواجهتها مباشرة فحاولوا زلزال بنiamها من داخلها بدسائهما. وانخدع المساسة العرب بحيل الغرب وساعدوهم طمعاً في الحكم وأحبوا العاجلة على الآخرة.

وكان مولانا فطناً وبعيد النظر، لذلك لم يكن يرى الثورة العربية المزعومة ضد السلطة الإسلامية الموحدة الكبيرة في صالح الشعبين العربي والإسلامي وكان يرى بصيرته كيف تقام دول عربية صغيرة عاجزة.

وقد أصدر في مثل هذه الأوضاع الحرجية مجلة عربية باسم "الجامعة" حرصاً على إبلاغ الإخوان العرب أراءه ووجهات نظره وأراء الشعب الهندي بالإضافة إلى إطلاع الإخوان العرب على الظروف القاسية التي يمر بها الشعب الهندي. وقد نال آراؤه ووجهات نظره وأفكاره قبولاً وتقديرًا من قبل العديد من الكتاب العرب، ونقلها هؤلاء الكتاب في جرائدتهم ومجلاتهم.

^١ أستاذ قسم اللغة العربية، جامعة دلهي ورئيس اتحاد أساتذة وعلماء اللغة العربية لعلوم الهند

وقد عين لذكائه، آرائه السديدة، رئيساً للمؤتمر الوطني الهندي قبل الاستقلال، بالرغم من صغر سنه، كما عين أول وزير للتربية في الهند المستقلة. وقد نظم نظاماً شاملاً ناجحاً للتعليم للدولة الناشئة، وما زال يستفاد به في مجال التعليم وكذلك أسس المجلس الهندي للعلاقات الثقافية لتعزيز وتنمية العلاقات السياسية والثقافية مع الدول الأخرى في العالم. ونظراً لأهمية الدول العربية أسس دورية عربية "ثقافة الهند"، وما زالت تصدر. وتعتبر المقالات المنشورة فيها مصدراً مهماً جداً للدراسات الهندية والعربية في الهند.

وسينذكر ذكرى مولانا آزاد إلى الأبد لأعماله البارزة والصحافة الرشيدة وكتاباته البليغة المتنوعة.

مولانا أبو الكلام آزاد

كان مولانا أبو الكلام فطناً وثاقب النظر في الثقافة والتعليم والسياسة، وكان أحد السياسيين والمصلحين البارزين في الهند. ولا شك أن جدية شخصية عظيمة متصفة بمثل هذه الصفات في تلك الفترة من تاريخنا. وكانت شخصيته جامعة بين العلم والأدب، وبين الدين والسياسة، وبين القديم والجديد، وكان رجلاً موهوباً ذا أبعاد متراصة، وكان خطيباً مفوهاً، وكاتباً قديراً، كما كان صحافياً بارعاً، وفي الحقيقة كانت مظاهر عبقريته جلية في مختلف المجالات والميادين.

وقد عرف المؤتمر الوطني الهندي أكبر الأحزاب السياسية الهندية أهمية شخصيته وأهمية أفكاره المستنيرة وذكاءه المتوفّد، فعينه رئيساً له وكان أصغر رئيس للمؤتمر الوطني الهندي قبل الاستقلال، وعيّن أول وزير للتعليم في الهند المستقلة كذلك. وقد قدم نظاماً شاملاً بارعاً للتعليم فيها، فأسس هيئة التمويل الجامعي (University Grants Commission) لتنظيم التعليم الجامعي لعموم الهند، كما أسس المجلس الهندي للعلاقات الثقافية لتعزيز وتوسيع العلاقات الثقافية-العلمية مع الدول الأخرى في العالم.

وقد أدرك مولانا آزاد أهمية الصحافة في سن مبكرة وكان يراها وسيلةً وحيدةً ناجحةً لنفس روح الحرية، والاستقلال واليقظة في عامة الناس. ومنذ ذلك الحين بدأ يكتب في الجرائد والمجلات حول مواضيع مختلفة عن الهند والهنود عامة وعن المسلمين وأوضاعهم في الهند خاصة. وكانت مقالاته تمتاز بجمال العبارة وببلغة التعبير وروعة البيان.

وكان المسلمون في ذلك الوقت أكثر بلاءً من الآخرين لأنهم كانوا يعتبرون أعداء الداء للاستعمار البريطاني، فقضت السلطات الاستعمارية على نظامهم التعليمي وكذلك واجهوا مشاكل مختلفة على أصعدة مختلفة، نتيجة لسقوط حكمهم بعد أن حكموا البلاد لعدة قرون.

وكان مولانا آزاد يعرف جيداً أن اللغة العربية ليست لغة مشتركة في الهند، فلذلك اختار اللغة الأردية اللغة المشتركة للتواصل بين الشعب الهندي آنذاك لنفس روح العلم والثقافة الإسلامية وتحرير الوطن من براثن الاستعمار، ول يقدم فيها وجهات نظره ويحلل القضايا الوطنية والإسلامية. ولم يكن من

الممكن في تلك الفترة أن تنشر له جميع أفكاره، لأن الجرائد كانت تخاف من إجراءات الحكومة الاستعمارية القاسية ضدها إذا نشرت الأخبار أو الآراء المعارضة لسياسة الحكومة ولذلك اضطر مولانا لإنشاء عديد من المجالس والجرائد في حياته، لأنه كان ينشر آراءه وأراء الآخرين التي كانت تعارض مواقف السياسة الاستعمارية، فكانت السلطات تمنع صدورها، فكان يصدر جريدة أخرى باسم آخر. بدأ مولانا أبو الكلام آزاد صحافته بكتابة المقالات في مجالات مختلفة باللغة الأردية ثم أنشأ مجلاته فيها وأصدرها من كالكوتا (كولكاتا)، وكان يكتب في أوائل ١٩٠٣ م في جريدة "أحسن الأخبار" الصادرة من كالكوتا (কলকাতা)، وكان يرأس تحريرها المولوي سيد أحمد حسين^١، ثم التحق بمجلة "الندوة" الصادرة في ل肯ؤ بدعوة من العلامة شبل النعmani، كما أسس صحيفة "الوكييل"، بـ"أمريتسار" ثم رجع إلى كالكوتا بدعوة من أبيه، وأنشأ هناك صحيفة "الهلال" الأسبوعية وبعد توقيفها من الصدور قام بإنشاء صحيفة "البلاغ"، وكتب في العدد الأول من مجلة "البلاغ" مقالة افتتاحية باللغة العربية ولكنه من الصعب أن يقرر أنه كتب هذه المقالة بنفسه أو كتبت له هذه المقالة، ثم بعد خروجه من سجن "رانتشي" أنشأ مجلة أسبوعية "بيغام" (الرسالة) وفوض رئاسة تحريرها إلى مولانا عبد الرزاق الملحق آبادي، ثم أصدر صحيفة "الهلال" من جديد في ١٠ يونيو ١٩٢٧ م، ولكنها توافت هذه المرة أيضاً بعد بضعة شهور في شهر ديسمبر ١٩٢٧ م. وتعتبر مجلة "الهلال" بداية جديدة في تاريخ صحافة الهند.

وكان الاستعمار البريطاني لم يكن يعادى المسلمين في الهند فحسب بل كان يقوم بمكافأته السياسية أيضاً في غرب آسيا للتغلب على تلك المنطقة وكان يحيك مؤامرات ضد الخلافة العثمانية التي كانت تمثل الإسلام وتتولى أمر المسلمين في جميع أنحاء العالم آنذاك وكانت من أكبر القوى السياسية العالمية وساندا للإسلام والمسلمين. وكان البريطانيون يحرضون العرب على العثمانيين وكانوا يستغلون السياسيين العرب بوعودهم الماكرا. وكان السياسيون العرب يطمعون في حكومات صغيرة لأنفسهم، غافلين عن الأضرار التي تلحقهم في المستقبل بعدما تحولَ الخلافة العثمانية إلى دولات صغيرة عاجزة عن دفاع نفسها.

وكان مولانا آزاد يرى مستقبل الدولات العربية العاجزة بذكائه الثاقب فلم يكن يؤيد مثل هذه المحاولات ضد السلطة الإسلامية الموحدة الكبيرة وكان ضد تحليها في دولات عربية صغيرة عاجزة.

^١ سيد مظفر حسين برني، عبقرية أبو الكلام آزاد في مجال الصحافة، ثقافة الهند مجلد ٣٩، عدد ٤-٣ (١٩٨٨)، ص: ٩.

^٢ هندوستانى صحافت، دہلی، ۲۰۱۱ م (فہارس الهلال)، ص: ٢٤٤

وكان لرأيه وأفكاره صدى في السياسة العربية، فكانت تنظر إليها بعين الاعتبار والتقدير من قبل عديد من الكتاب العرب وكانوا يستنيرون بها وينقلونها في مجلاتهم وجرائدتهم، كما كان بينه وبين الزعيم الإسلامي المعروف السيد رشيد رضا مراسلة ومكاتبة بخصوص قضية الخلافة.^١

وهكذا رأى إصدار جريدة عربية لحرصه على إطلاع العرب على آرائه ورأي الشعب الهندي في السياسة الجارية في غرب آسيا، وقد كتب في هذه الصدد رسالة إلى السيد رشيد رضا، يقول فيها:

"قد عزمت على نشر جريدة عربية يكون اسمها "الاتحاد الإسلامي"^٢ وذلك لتوطيد الأخوة المسلمة في العالم الإسلامي، ولاسيما العرب الذين هم مهد الإسلام، وإخبارهم عن أحوالنا وأفكارنا، واستخارتهم عن أحوالهم وأفكارهم، فهل نرجو من حضرتكم المساعدة في هذه الخدمة الجليلة للعالم الإسلامي؟ إن الحركة العربية والمسلمة [كذا] الامركية أساءتا إليكم [فيكم] ظن مسلمي الهند، وهم يعدون هذه الحركة دسيسة من دسائس الأجانب لبتر عضو آخر من جسم الدولة الإسلامية".^٣

ولكن هذه الجريدة المذكورة المنوي إصدارها، لم ير النور، بل أصدر مولانا آزاد مجلة أخرى بالعربية سنة ١٩٢٣ باسم "الجامعة" من كالكوتا (كولكاتا).

أما مجلة "الجامعة" فكان مولانا آزاد يهدف من إصدارها أن يقوم بإطلاع زعماء العرب على ما يعني الهند من قهر الاستعمار والاضطهاد وعلى كفاحهم في سبيل الحرية والاستقلال، وكذلك كان يريد أن يبلغهم عن طريق هذه المجلة آراء المسلمين في تأييد الخلافة الإسلامية، وكان غالباً المجلة مزينة بالعبارات التالية:

((إن هذه أمتك أمة واحدة وأننا ربكم فاعبدون))

"الجامعة"

مجلة أدبية علمية اجتماعية تصدر مرتين في الشهر تدعى إلى الجامعة الإسلامية والشرقية
تحت رعاية

حضرت الأستاذ الشيخ أحمد المكني بأبي الكلام

المجلد الأول	إدارة المجلة: ٤٥ رِّين لِّين - كلكتا (الهند)	[الجزء ٦، ٧]
قيمة الاشتراك عن سنة ٨ رُّبيات في الهند		المحرر والمدير المسؤول عبد الرزاق اللكنوي

^١ ذكر الدكتور عبد المنعم النمر ثلاثة من رسائل مولانا أبي الكلام آزاد الموجهة إلى السيد رشيد رضا في كتابه "أبو الكلام آزاد.." ص ٤٥٧ وما بعدها، من الرسائل التي عبر عليها الدكتور أحمد الشريachi في أوراق السيد رشيد رضا.

^٢ وقد ذكر هذا العزم في مجلة الهلال مجلد: ٣، ع ١١-١٠، ص: ١٩٦، كما جاء في هندستاني صحافت ص: ١٤ (فهرس تأهيل).

^٣ عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٤، م، ص: ٤٦٢.

١٦ شلنا في سائر الأقطار. والدفع سلفا	تكون المكاتب والدراسات باسم المحرر
--------------------------------------	------------------------------------

ومن أهداف هذه المجلة

نشر اللغة العربية وتطورها في أرجاء الهند، لأنها اللغة المقدسة لدى المسلمين في كل بقاع الأرض، كما أن حياتهم الاجتماعية والأخلاقية والدينية مرتبطة بهذه اللغة.

وقامت هذه المجلة بدور كبير في إحياء العلوم الإسلامية وذلك عن طريق نشر المقالات الدينية والعلمية لعلماء ذلك العهد، كما قامت بدور مؤثر في إيقاظ المسلمين وتعريفهم بأمور دينهم، وأدت واجهها في إثارة حمية المسلمين نحو مسؤوليتهم، وواجباتهم السياسية بالرغم من أن عمرها لم يطل ولم يمتد إلى زمان بها كثيراً إذ توقفت في مارس عام ١٩٢٤ م بسبب سوء أوضاعها الاقتصادية وسقوط حكومة الشريف حسين بن علي في الحجاز الذي كان السبب الأول في تأسيس هذه المجلة، وتعتبر هذه المجلة نقطة مضيئة في تاريخ الصحافة العربية في الهند، ومصدراً مهماً للمعلومات المتعلقة بالأوضاع السياسية خلال عامي ١٩٢٣-١٩٢٤ م في كل من الهند والجهاز وتركيا.

أما مجلة "ثقافة الهند" التي ما زالت تصدر حتى الآن بالمواطبة وبصفة مستمرة، أنشأها مولانا أبو الكلام آزاد سنة ١٩٥٠ م بعد استقلال الهند لتكون نواة وبذرة لتوثيق الصلات بين الهند والعرب ثقافياً وحضارياً ولتكون وسيلة لنشر اللغة العربية بين أبناء الهند، وعندما صدرت مجلة "ثقافة الهند" قال مولانا آزاد: "وارى أن المجلس (مجلس الهند للروابط الثقافية) ينبغي له أن ينشئ لنفسه داراً للكتب، ويفتح قاعة للمطالعة ويستعد لإصدار مجلات ونشر مطبوعات مؤقتة أخرى.

نماذج الافتتاحيات المنشورة في اللغة العربية في مجلتي الهلال والبلاغ:

"الهلال"

((رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعُلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا تَصِيرًا)) [الإسراء: ٨]. وبعد، فقد رأيت رؤيا بعين اليقظة الناهية سنة ١٩٠٦ م ومكثت سنتين متتالية أبحث عن التعبير العملي لهذه الرؤيا، وكانت في غاية الاشتياق لتحقيق هذه البغية، وما زلت بين الآمال والعزائم، ولطالما هاجمني القنوط مهاجمة عنيفة، للتغلب على عزائي، والنيل من إرادتي، لكنني تشبت بعزمي المستحکمة معتمداً على عون الله، واثقاً من تأييده إلى أن حان يوم أقول فيه ((هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)) [سورة يوسف: ١٠٠]، ولا يخفى على عالم السرائر، وعارف الخفايا، ما يحيط بي من المشاكل المضنية، وما يهددني من الآمال والأحزان، مما يكاد يذهب معهوعي، ويحرمني طمأنينة البال، بيد أننا لا نجد مبرراً لترك حياتنا تسير معطلة، وتضيع سدى. وما لنا نشتغل - كعادتنا - بالحديث عن الفشل والخيبة وشكوى الدهر؟ ليت شعري... ما دعا الناس إلى الإيمان بأن الحياة لا بد أن تكون مقرونة بالطمأنينة والمهدوء؟ وما يمنعنا أن نقوم في وجه النوايب والآلام؟ ألا ترون الغواصين يسبحون البحر إلى شاطئ السلام، بينما يرتعد الخائفون وجلا

وهم راكبون في السفن، أو واقفون على الشواطئ! ألا إن الحياة مقرونة بالشدائد، لا فكاك لها قبل الموت، فهلا روض الشاكون أنفسهم على احتمال المشاق ومكافحة الشدائد فعبروا الأبحر دون خوف أو خشية؟

الهلال

((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ حَيْرَأَمُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْفَهَارُ. مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرًا لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ وَلِكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))، [سورة يوسف: ٣٩-٤٠]. يا قوم، اعلموا وأدركوا بأنه ما قدر أن يكون لا بد أن سيكون، وما من أحد يحول دون حدوثه، وسيأتي اليوم الذي تكون فيه الهند قد اجتازت آخر مراحل التطور السياسي، وسيسجل التاريخ تقدم البلاد وخطواتها في سبيل النهضة، أفلا فكرتم فيما سيسجله التاريخ عنكم.

البلاغ(العدد الأول):

المسلمون بين الاجتهاد والتقليد:

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينا ونصب لنا الدلالة على صحته برهانا مبينا، وأمرنا أن نستهدي به صراطه المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، والصلة والسلام على سيدنا ونبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله وصفوته من خلقه وحجه على عباده، وأمينه على وحيه الذي بعثه بتوحيد الألوهية ليحرر الخلق من رق العبودية، للعالـم السماوية والأرضية وبتوحيد الربوبية ليتعقـمـ من رق التقالـيد الدينـية...

وتنـمـ هذه المقتـباتـ من جريـتيـهـ "الـهـلـالـ" وـ"ـالـبـلـاغـ"ـ ومن رسـائـلهـ بالـعـربـيـةـ عنـ مـدىـ اـهـتمـامـهـ بالـجـامـعـةـ الإـسـلامـيـةـ وـتحـرـيرـ أـوطـانـ الـمـسـلـمـيـنـ بـمـاـ فـيهـ الـهـنـدـ منـ بـرـائـنـ الـاستـعـمـارـ وـمـكـائـدـهـ.ـ وقدـ كـرسـ حـيـاتـهـ لـخـدـمـةـ الـوـطـنـ وـالـقـضـائـاـ الـإـسـلامـيـةـ فـيـ جـمـيعـ أـنـحـاءـ الـعـالـمـ وـخـاصـةـ فـيـ غـرـبـ آـسـياـ.ـ رـحـمـهـ اللـهـ رـحـمـةـ وـاسـعـةـ.

المصادر والمراجع

- سيد مظفر حسين برني، عبقرية أبو الكلام آزاد في مجال الصحافة، (تعریف د. زیر احمد الفاروقی)، ثقافة الهند مجلد: ٣٩، عدد: ٤-٣، ١٩٩٨م.
- عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٤م.
- محمد أرشد، هندستاني صحفات، دهلي، ٢٠١١م.

اتجاهات جديدة في الشعر السوري بإشارة خاصة إلى الشاعر محمد عمران

د/أن. عبد الجبار^١

الملخص

إن التطور الذي شهدته الشعر العربي في سوريا مدين إلى الشعراء الذين ولدوا في العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي. ونقلوا الشعر السوري من المرحلة الجديدة التي توصف بالحداثة والمعاصرة. فهؤلاء حملوا الشعر الموهبة والثقافة وأعطوا التعبير الفني أطراً ابداعية. فقد جددوا في هيكل القصيدة ومنحوها صوراً وأوزاناً وقوافي متعددة. وطوروا المعاني وأفاصوا عليها ملامحهم الوجدانية ورؤيتهم الفكرية والموضوعية. فهؤلاء أبدعوا مبادئ الشعر الحديث في سوريا وساروا بالحداثة إلى أبعد مدى.

والشاعر محمد عمران (١٩٤٣-١٩٩٦) علم من أبرز الأعلام الحادة الشعرية العربية الذين تلوا جيل الرؤاد الأوائل. إن ما أجزه محمد عمران كان نمطاً ممتازاً من تأصيل الحادة، أو تحديده الأصيل. وهذه ميزة القصيدة عنده في غالبيّة نماذجها الرفيعة ولا ينكرها عليه أحد من دارسيه. وقد لعب شاعرنا الراحل دوراً مهماً لا في حركة الثقافة العربية في سوريا فحسب، بل في حركة الثقافة العربية أجمالاً. فكانَ القدر هياً له ثلاثة تيارات ثقافية: تيار صوفي، وتيار أدبي، وتيار فكري قومي ينبع منزعاً اشتراكياً. كان محمد عمران يقول دائمًا "العدل، والحب، الموت، ثلاثة أعمدة أبني عليها شعري". وعلى الدارس للشعر العربي الحديث في سوريا أن ينتبه لضرورة التمييز بين فتنيين من الشعراء: الأولى تمثلها جماعة ممن أصلوا لمفهوم الحادة وهم قليلون. ومنهم نزار قباني، والدكتور أحمد سليمان أحمد، وسلمان العيسى، ووصفي القرنفي، وشوقي البغدادي، ومحمد عمران، وفائز خضور، ومنذر لطفي، والشرابي. وهم لا يسيرون في انتاجهم الفني وفق مفهوم نظري واحد، إذ أنَّ لكل واحد منهم مذاقه الخاص ووجهته الفكرية. ويهتمون بقلب المفاهيم الأدبية سواء من ناحية الشكل أو المضمون، ويعتقدون أنَّ شكل الشعر القديم أصبح باليه يحتاج إلى اهاب جديد. ولذلك وهم يجريون الأطر الجديدة التي تخطر على بالهم، ومن هنا يصبح أن ندعوهم بالشعراء المجرّبين. وأهم سمة تميزهم تلك الحماسة والجرأة البالغة على نظم الشعر والإعلانات عنه ونشره في الصحف والمجلات. مع أنَّ الذوق الأدبي العام لم يستسع بعد هذا الشعر ولم يتقبله تقبلاً ناتجاً عن رضا وقناعة وتقدير.

وان التطور الذي شهدته الشعر العربي في سوريا مدين إلى هؤلاء الشعراء الذين ولدوا في العشرينات والثلاثينيات من القرن الماضي. ونقلوا الشعر السوري إلى المرحلة الجديدة التي توصف بالحداثة والمعاصرة. فهؤلاء حملوا الشعر الموهبة والثقافة وأعطوا التعبير الفني أطراً ابداعية، فقد

^١ عميد كلية جامعة إسلامية للعلوم والأداب، مانجيри ومستشار البحث وأستاذ مشارك والرئيس، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت، كيرلا (سابقاً)

جذّدوا في هيكل القصيدة ومنحوها صورا وأوزانا وقوافي متعدّة. وطوروا المعاني وأفاضوا عليها ملامحهم الوجدانبة ورؤيّتهم الفكرية والموضوعية. فهؤلاء أبدعوا مبادئ الشعر الحديث في سوريا وساروا بالحداثة إلى أبعد مدى. فالدكتور أحمد سليمان أحمد نهل من المدرسة الرمزية؛ والشاعر سلمان العيسى أخذ بمذهب الواقعية العربية وبلور فلسفتها وخصوصيتها العربية؛ وشوقي البغدادي سار في تيار الواقعية الاشتراكية؛ والشرايبى مال إلى البرناسية. (و البرناس جبل في وسط بلاد اليونان و تكرس لأبولون؛ واعتبر مهبط الالهام للشعر والفنون). واهتم نزار قباني بقضية المرأة. وكان يقتصر انتاجه الأدبي عليها لآ أنه بعد نكسة حزيران اتّخذ شعره لونا آخر. عبر فيه عن هموم الأمة العربية، و تطّعّها إلى التحرر والنصر ومناهضة الاستعمار بكافة أشكاله. وإن الحديث عن صورة المرأة في الشعر الحديث لا يأتي إلا ضمن معايير فلسفة للجمال والحقيقة والنفس. فمن ثم فإن المعانات الشعرية هي الرصيد الأول الذي يمتلكه الشاعر السوري عندما يتطرق إلى وصف المرأة.

وحديّي الآن عن الشاعر الكبير محمد عمران (١٩٩٦-١٩٤٣). وهو علم من أبرز الأعلام الحداثة الشعرية العربية الذين تلوا جيل الروّاد الأوائل. إن ما أنجزه محمد عمران كان نمطاً ممتازاً من تأصيل الحداثة أو تحديث الأصيل. وهذه ميزة القصيدة عنده في غالبية نماذجها الرفيعة ولا ينكرها عليه أحد من دارسيه. وقد لعب شاعرنا الراحل دوراً مهماً لا في حركة الثقافية العربية في سوريا فحسب، بل أيضاً في حركة الثقافية العربية أجمالاً.

ولد محمد عمران عام ١٩٣٤ في قرية الملاجة أحدى قرى الساحل السوري، في أسرة تنزع ثقافتها الدينية متزعاً صوفياً. بعد أن أتم تعليمه الثانوي في مدينة "طرطوس" التحق بقسم اللغة العربية وأداها في جامعة دمشق. وكانت الجامعة يومئذ معلقاً من معاقل النضال الوطني والقومي. فانخرط كمعظم أبناء جيله في النضال، فكانَ القدر هيّا له ثلاثة تيارات ثقافية: تيار صوفي، وتيار أدبي وتيار فكري قومي. وبعد أن حاز درجة البيكلالوريوس في الآداب عمل مدرساً في المدارس الثانوية، ثم انتقل إلى "جريدة الثورة" فأصدر "ملحق الثورة الثقافي" وجذب إليه مجموعة ضخمة من المثقفين والشعراء، ثم أصبح رئيس تحرير مجلة "المعرفة" لسنوات، ثم رئيس تحرير مجلة "الموقف الأدبي" الذي كان يصدرها اتحاد الكتاب العرب بدمشق. لقد كان قدر محمد عمران أن يعيش مرحلة نهوض المدّ القومي، ومرحلة تراجعه وانحساره. وكان قدره أن يعيش مرحلة نهوض الاشتراكية في العالم. وكان قدره أيضاً أن يعيش مرحلة تعاظم الإيمان بالثقافة، وقيمة العمل وكرامة الصواب. وكان محمد عمران مخلصاً لهذه الأقدار جميعاً. وكان قارئاً نهماً يريد أن يجمع في عقله ووجوده آداب العالم بأسره.قرأ كلّ ما وقعت عليه عيناه من الأدب الروسي خاصّة والسوفيتي عامّة؛ وأداب أمريكا اللاتينية، والأدب الهندي، والألماني والفرنسي والأمريكي والصيني وسوى ذلك. وكانت حركة الترجمة العربية في ذلك الزمان نشيطة مزدهرة، فهُيأت له كلّ ما يتمّي. وعاش تحولات العالم الصخمة وتحولات الوطن العربي كما عاش أولئك المثقفون الذين كانوا يرون فيها جميعاً قضايا المثقف العضوي أينما كانت.

بدأ محمد عمران حياته الأدبية مؤلفاً للأوبريتات الغنائية وشاعراً غنائياً. وكان يكتب الأغاني وتشتهر أغانيه في قريته وبين أصدقائه، ثم انتقل إلى الشعر الذي وهبه حياته، فيه يرى العالم وبه يعبر عنه، ويدعوه إلى تغييره نحو الأفضل. وضم إلى شعره مجموعة ضخمة من الكتابات النثرية البدعة ونشرها في الصحف والدوريات المحلية والعالمية وجمع بعضها في ثلاثة كتب هي : "أوراق الرماد" و"كتاب الأشياء" و"للحرب أيضاً وقت". وهذه الأعمال الأدبية ذات مناخ شعري رفيع. ولا تزال في أوراقه مجموعة كبيرة من الكتابات النثرية المشاهدة التي نشرت في الصحف والمجلات السورية والعربية. وهذه الكتابات النثرية جمعها هي خلاصة آرائه في الشعرية العربية المعاصرة وفي الأوضاع العربية والثقافية العربية على وجه الإجمال. توفي شاعرنا الكبير محمد عمران يوم الثلاثاء في ٢٢ أكتوبر ١٩٩٦ عن عمر يناهز اثنين وستين عاماً. قضى من حياته أكثر من أربعين سنة لقضية الشعر وحده. فترك مكتبة العربية ثلاثة عشرة مجموعة شعرية منشورة. وهي :

- أغاني على جدار جليدي ١٩٦٧
- الجوع والضيق ١٩٦٩
- الدخول في شعب بوأن ١٩٧٢
- مرفأ الذاكرة الجديدة ١٩٧٣ - ١٩٧٢
- أنا الذي رأيت ١٩٧٨
- الملاجة ١٩٨٠
- قصيدة " الطين " ١٩٨٢
- الأزرق والأحمر ١٩٨٤
- محمد العربي ١٩٨٤
- اسم الماء والهواء ١٩٨٦
- نشيد البنفسج ١٩٩٢
- كتاب المائدة ١٩٩٥
- مدح من أهوى ١٩٩٨

وكان عمران قد آثر أن يستعير قصة شائعة في ريف الساحل السوري ويوظفها للتعبير عن رؤياه الشعرية كما آثر أيضاً أن يكتب القصيدة الطويلة، وأن يتم اهتماماً واضحاً ببنائها. ولم يكن يكتب قصة شعرية بل اتخذ من هذه القصة إطاراً وموضوعاً لتصوراته الشعرية. ولئن استعار محمد عمران حكاية من الموروث الشعبي في بعض القصائد، لقد استعار شخصية ذاتعة الصيّت من الموروث العالمي في قصائد أخرى مثلاً "وليس" أحد أبطال "الالياذة" الهومرية العظام. ومضى يبني هذه

الشخصية وشخصية حبيبته "بنلوب" وفق تصوّره، ويوظفهما للتعبير عن رؤيّاه الشعريّة. تتكون القصيدة "عودة عوليس" من أربعة مقاطع. نرى عوليس في المقطع الأول عائداً إلى قصره يكاد يطير شوقاً ليصل إلى حبيبته بنلوب. وفي هذه القصيدة:

"أعرني جناحك يا طائر الريح

طال الطريق

وبنلوب في قصرها القرمي انتظار

على وجهها قبلة الشمس

في عينها الليل

بنلوب عري نهار

أعرني جناحك طال الغياب

وبنلوب وردة قصري

"مسيجة بالحراب"

والشاعر يستعرض رموزاً واحداً واحداً في أشعاره ، وهي: الغار،

والنهر، والمحطة، والأفعى، والجوع، والملح.

والغار رمز للواقع العقيم الدّميم الذي تشنق فيه الشمس، ويصلب النهار، ويضيع الطريق، فلا

أحد يعلم كيف وأين يتّجه؟ فيقول:

"اذن هذه الأرض صخر

تراب ترقد

واد من الموت

غار عتيق

على بابه تشنق الشمس

يصلب رأس النهار

"موت الطريق"

والنهر رمز للحياة السياسيّة التي تملأ الدنيا ضجيجاً وخداعاً، فكلّ ما فيها زائف مغشوش، فقوله :

أرى النهر يسير

رغوة مسرجة طبلاً نحاسياً

وجوقات هدير

وخيولاً خشبيه

يمتطي صهوة فرسان كيشوت

"وأرماح زئير"

"المحطة" رمز للوطن الذي غدا محطة يستظلّ بها العابرون، ويستريح فيها الساسة المغامرون، ثم يمضون تاركين وراءهم رغوثهم كقوله:

"هل أنا أكثر من غار عتيق"

يستظلّ العابرون

بجداري

يطمئنّ الهارون

"هل أنا غير محطة؟"

والأفعى رمز القلق والبحث عن المعرفة ، فهي لا تنفك تنهش جوف الشاعر، وتسعى في جسده، وتحفر صمته، وتشعل في نفسه قلق السؤال:

"كان في جوفي أفعى"

تنهش الجدران

أفعى

في ترابي المرّ تسعى

تحفر الصمت

"تعريني"

والجوع رمز للحاضر الذي يعيش الناس، انه حاضر الغربية والأحزان والوجع. حاضر قاتم لا يبدد شيئاً من قاتمته سوى هذا الغناء الصافي الراسخ بالحزن والوجع المز. فيقول الشاعر:

"أنت، يا ليلا بلا ملح"

ينبع الجوع في بابي

ويهيج

يا غرباً قادماً من بلد الأحزان

لم يحظ بمخدع !

نم على فخذني

كلانا لعنة ، جوع ، تراب يتوجّع ."

والملح رمز الأمل، والأشواق المكتظة في النفوس :

"أنت يا ملح التراب

يا نذيراً داخلاً من غير باب

أنت يا شوقاً من المجهول يأتي

طالعاً من مسرب النفس

من الجدران

صوءاً"

إن شهوة اصلاح العالم وتغييره لا تعرفها النفوس الهدئة المطمئنة؛ وكان محمد عمران مملوءاً بهذه الشهوة. يحدّق في هذه الحياة ويحلّم باعادة ترتيبها واصلاحها. وكان دائماً قلقاً مؤرقاً. وكانت نزعته الرومانسية الأصلية تغدي هذا الأرق وتزيده توهجاً. والرومانسية قد انكسرت وبدأت بالانحلال في خمسينيات القرن الماضي وأنّ وعيها جديداً كان قد آذن بالظهور هو الوعي الواقعي الذي تجسّد شعرياً. ومحمد عمران أيضاً اتّخذ مذهب الواقع في شعره بسمات ابداعية خاصة. ولعلّ أبرز هذه السمات: الحب، والطبيعة، واللغة الشعرية الأنيقة الفياضة بالدلّالات، وطعم فقد الأذع.

أما الشاعرة السورية رشا عمران تقول: "محمد عمران من الشعراء السوريين الذين ارتبطوا شعرهم بروح الطبيعة؛ وهو أحد أبرز الشعراء السوريين الذين جمعوا بين الطبيعة والأنى؛ ربما محلّمته "الملاجة" و " مدح من أهوى" هي من الدواوين التي تطرقت إلى هذه النقطة^١

استطاع محمد عمران أن يمزج الطبيعة والمرأة في لغة قلماً تيسّر لشاعر أن يمزجها على هذا النحو. والمجموعات الشعرية الأخيرة له، وهي "نشيد البنفسج"، و"كتاب المائدة"، و"مدح من أهوى" تسرد حالة انسانية واستردها من تجربته الخاصة. وفي القصيدة "الملاجة" يصف الشاعر قريته. "أخذك في ظلي أيّها السنديانة، أحتضن صوتك أيّها الجبل، أعمّم اسمي على الطرق، وجهي على المفارق، ازرع دمي على خلايا "الملاجة"؛ الملاجة وردة من حجارة وأقمار تنفس الغبار والصمّت؛ الرئة اليمني أعشاش للكتب والمخطّطات؛ اليسرى ينابيع مقلفة ولا ثقوب للخنجرة. وزع الشاعر قلبه خلال أشعاره بين أرجاء الملاجة تحت شجرة السنديان. هنا تقول الفنانة حلا عمران ابنة الشاعر:

"لقد ورثني والدي الكثير من الحساسية العالمية، إضافة إلى الدائقة الفنية العالمية، وقدرة استيعاب كبيرة، كما ورثني حباً كبيراً للحياة. وأعتقد أنه ساعدني كثيراً للدخول في مجال التمثيل. وأظنّ أن لم أكن ابنة محمد عمران لما دخلت عالم الفن أبداً، بالنسبة لي هو الجزا الذي لا يتحدث عنه؛ وكان والدي من الأشخاص الذين ورثوني الكثير من الأشياء الكبيرة في معناها وأملها. كان رجلاً وسماً أنيقاً يعتني بنفسه كثيراً مثل اهتمائه بكتاباته".^٢

الكاتب المشهور نذير جعفر يكتب في احدى ذكرياته عن الشاعر محمد عمران فيقول: "لم يغب محمد عمران عن ذاكرة جيلنا، لأنّه جدد في مبى و معنى الشعر، وارتاد غابات بكر فحسب، بل جمع بين نبل الشاعر ومهمة المثقف، وعدالة المسؤول؛ كان واحداً ممّن حملوا هاجس التجديد والتغيير على مستوى اللغة والرؤى والحساسية؛ ونأى عن الخطابية وال المباشرة. ولم يقع في فخّ فيه، لا بوصفها أداة أو وسيلة للتعبير بل لوصفها كياناً وينبئ تحولات دائمة للشاعر في نبضه وأحلامه

^١ شيار خليل، محمد عمران بين جنون الكلمة وملحمة الملاجة، سوريا، الثلاثاء - ٢٤ آب، ص: ٤٥

^٢ المصدر السابق، ص: ٤٨

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

ونوازعه وعشقه وانكساراته.^١ كان محمد عمران يقول دائماً : " العدل والحب والموت ثلاثة أعمدة أبني علمها شعرى".

المراجع والمصادر

- خليل موسى، عالم محمد عمران الشعري ،منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ٢٠٠٢ م
- د/ وهب رومية، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٦ م
- شكري عياد، أزمة الشعر المعاصر، أصدقاء الكتاب، الاسكندرية، ١٩٩٩ م
- شيار خليل، محمد عمران بين جنون الكلمة وملحمة الملاجة، سوريا، الثلاثاء - ٢٤ آب.
- محمد غنيمي هلال، دراسات ونماذج في مذاهب الشعر ونقده، هضبة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨ م
- مفید نجم، التناص ومفهوم التحويل في شعر محمد عمران، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع القاهرة، ٢٠٠٩ م

^١ المصدر السابق، ص: ٤٨

المرأة في شعر المقاومة الفلسطينية

السيد ساجد. إيه. كي^١

د/ سي. بي. أبو بكر^٢

الملخص

لم يتراجع دور المرأة الفلسطينية عن دور الرجل في مقاومة الاحتلال، بل أخذت تقدم نفسها كما يفعل الرجل، فليس النضال حكراً على الرجال، وإنما التضحية في سبيل الوطن كانت أسمى معاناتها، فهي تنطلق حيث ما وجدوا، وتسطر في التاريخ صفحات ناصعة بيضاء من التضحية والفاء. ولم تستشهد المرأة الفلسطينية ليأس أصحابها، أولفقر ألمَ بها كما يدعى الصهاينة وإنما حبَّ في التضحية والفاء، فهي لا تريد أن يكون دورها متأخراً عن دور الرجل، وهي لا تقل عنه إصراراً وعناداً على استرداد الوطن السليب من أيدي الصهاينة الغاصبين. إن المرأة الفلسطينية تعشق الفارس المقاوم، وتري فيه فارس أحلامها، وهذه الروح العزيزة التي تتمتع بها المرأة الفلسطينية تنبع من حبها لوطنها وأهله. فهي تعشق الفارس الذي يقذف الصهاينة بالحجر، لأنَّه يحقق آمالها ويعبر عن تطلعها إلى الحرية.

المرأة الفلسطينية بأنها أم ولود ومربيَّة فاضلة وزوجة عاملة، شاركت زوجها في كل ميادين الحياة، وقد دفع هذا الإخلاص الرجل إلى أن يتمسك بزوجته ويرأف بها مستمدًا من دينه الحنيف مبادئ التعاون والمحبة في التعامل معها. ولم يتراجع دور المرأة عبر العصور في مساندة زوجها وأثبتت إخلاصها وتفانها في خدمته.

إن الرجل الفلسطيني لا يختار الزوجة اختياراً عشوائياً، وهو يرسم صورتها في نفسه، ويرضى الزوجة الصالحة الحية، ومع ذلك نرى أنَّ الأم الفلسطينية ذات الخبرة والتجربة في الحياة، لا تريد لابنها إلا الزوجة الصالحة التي تكون في خدمة زوجها وبيتها، ويقول الشاعر^٣ :

وعين أمي
لو نظرتُ خالها
لعرفتُ فوراً
ما تسرَّوْ تجهرُ
تهوى السعادة
إن تظلل بيتنا

^١ أستاذ مساعد وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت.

^٢ مشرف البحث، والرئيس السابق، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت.

^٣ صلاح الدين الريماوي، ديوان من محاسن الطبيعة، الطبعة الرابعة، المركز الفلسطيني للثقافة اليونانية، رام الله، ٢٠٠١ م، ص: ٢٣، ٢٤.

لم ترض لابن
زوجة تذمرُ

وقد نالت المرأة الفلسطينية جانباً عظيماً من الحرية، ولم تعد مستعبدة كما كانت مسخرة قبل ذلك، ولكن هذه الحرية ظلت في إطار العفة والكرامة التي تتمتع بها هذه المرأة، ومن ذلك قول الشاعرة فاتنة محمد الغرة:

كيف يا سمراء ..
أعييَّت الحدود ..
و.....كيف دمرت القوانين القديمة
واحترفت الرقص فوق ..
أشلاء السنين
وعدت^١

أما الشاعرة رحاب كنعان فتشيد بالمرأة الفلسطينية الماجدة التي صنعت الأجيال، ووقفت يداً بيد مع الرجل في نضاله وكانت ذراعه الأمين، ودخلت السجن كمدخله الرجل أملاً بالحرية والاستقلال. وتقول الشاعرة:

تحية إلى الماجدات ..
إلى شموخ الفجر البريء ..
إلى أخت الرجال
وصانعة الأجيال ..
القابعة خلف قضبان الاحتلال ..^٢

أما الشاعر محمد ماهر دويدار فيرى أن المرأة العربية استطاعت أن تسحر الإنسان العربي بجمالها وعفتها بالرغم من فتن المرأة الغربية، ودفعه هذا الجمال والعفة إلى التمسك بها وعدم الرضا بديل عنها. يقول الشاعر معبراً عن ذلك:

عشتُ سنيني في سالف عصري صنديداً
ما نالت مفي غزلان فرنسا أو أي الغزلان الغربية
لكن القدر الأقوى كان سقوطي
تحت شباك غزالٍ عربية
شركي تحت يدي !! وأنا قد أحكمت نصابه

^١ فاتنة محمد الغرة، ديوان ما زال بحربينا، الطبعة الأولى ، دار المقاد، غزة، ٢٠٠٠ ، م ، ص: ٢٩ - ٣٠ .

^٢ رحاب كنعان، ديوان شلال الفصول الثمانية، الطبعة الأولى، مطبعة الرسالة، غزة، فلسطين، ٢٠٠٥ ، م ، ص: ٥٨ .

آه كيف غدوت صحيحة^١

إن المرأة الفلسطينية تعشق الفارس المقاوم ، وترى فيه فارس أحالمها، وهذه الروح العزيزة التي تمنت بها المرأة الفلسطينية تنبع من حبها لوطنه وأهله. فهي تعشق الفارس الذي يقذف الصهابينة بالحجر ، لأنه يحقق آمالها ويعبر عن تطلعها إلى الحرية . وفي ذلك قول الشاعر مصطفى عثمان الأغا:

كانت ترقب من أعلى الشرفة خوذات الجندي
كما يمرق صدر الشارع
يطلق حجراً
يكتب شعراً فوق الحائط
يزرع علمًا فوق السلك
كُبرُو
قال أحبك !
قالت وأنا أحببُك
قال متى ؟ !
قالت منذ الحجر الأول^٢

شاركت المرأة الفلسطينية الرجل في مقاومة الاحتلال، فكانت تقذف العدو الغاشم بالحجارة، أو تفجر نفسها في صفوفه، ونراها تدفع أبنائها إلى ساحات المقاومة والشرف، لا يمنعها خوف، ولا يعيقها إغراء الدنيا.

إن كثيراً من الشعراء قد أطلقوا على المرأة الفلسطينية المقاومة لقب خنساء فلسطين ، وكما أصبحت الخنساء أسطورة في التاريخ، كذلك أصبحت خنساء فلسطين أسطورة التاريخ الحديث في المقاومة والنضال ضد المحتلين الغاصبين، فهي تدك الحصون، وتثبت الرعب في قلوب الأعداء بجسدها المتفجر ، وتظهر عزيمتها على الخلاص من ثعابين هذا الكون. ويعبر الشاعر عبد الله حسين كراز عن خنساء فلسطين فيقول:

يا خنساء القرن الحادي والعشرين
الجنة تحت قدميك ساعة الموت والانتصار
قلعهم ركعت لمجد سواعدك الأبية
طاردتهم الحجارة التي طهرت حقل الانفجار ...

^١ محمد دويدار، ديوان أسير في ضلوع حسناء، إصدار خاص، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة ، ٢٠٠٧ م ، ص: ١٤

^٢ مصطفى عثمان الأغا، ديوان النورس، الطبعة الأولى، منشورات إتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، ٢٠٠٤ م ، ص: ١٣

يا خنساء حداثتنا قري عيناً ونحن الشواهد
 أم الكتائب ... يا سيدة النساء
 يقينًا سيصلبون أفعاهم المختم منا
 ذمك "للثور الهائج" أقوى من ملحمة الشعراء
 يقينًا ستعرى أسطورة الآخرين الغرباء
 تصبح ألوانهم سراباً يلف جفون بنادقهم^١

ولم يتراجع دور المرأة الفلسطينية عن دور الرجل في مقاومة الاحتلال ، بل أخذت تقدم نفسها كما يفعل الرجل، فليس النضال حكراً على الرجال، وإنما التضحية في سبيل الوطن كانت أسمى معانها، فهي تنطلق حيث ما وجدوا، وتسطر في التاريخ صفحات ناصعة بيضاء من التضحية والفتاء، عبر الشاعر عبد الهادي القادود عن الاستشهادية هنادي التي ضحت بروحها وفجرت نفسها في حشود الغاصبين، فهي لا تعرف اليأس أو الحزن ، وإنما عرفت أن تحرير الوطن لا يمر إلا عبر الأجساد، فهي وردة من بين عشرات الورود اللواتي سقطن مدافعت عن ثرى هذا الوطن العزيز:

هنادي تدمّر عمق اليهود
 بخصر نحيل وقلب ودود
 تضيء الشهادة في وجنتها
 طريقاً من الحب نحو الخلود
 وصارت لديها الحياة سراباً
 فعبد يقاد وعبد يقود
 تنامت لديها الأحساس حتى
 تقطر منها تراث الجدود
 وحرّض فيها حنين الأحبة
 عشقًا تدلل بين الورود
 فباتت دموع الأنوثة بحراً
 تودع روحًا إليها تعود^٢

ولم تستشهد المرأة الفلسطينية ليأس أصحابها، أو لفقر ألم بها كما يدعى الصهاينة وإنما حب في التضحية والفتاء، فهي لا ت يريد أن يكون دورها متاخرًا عن دور الرجل، وهي لا تقل عنه إصراراً

^١ عبد الله حسين كراز، ديوان البحر... حوار امرأة، الطبعة الأولى، إتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، ٢٠٥، م، ص: ٦٦، ٦٧.

^٢ عبد الهادي القادود، ديوان وطن يتزف، الطبعة الأولى، مركز الرحمن الثقافي، مكتبة بلدية النصیرات، غزة، ٢٠٠٤، ص: ٤٤، ٤٣.

وعناداً على استرداد الوطن السليب من أيدي الصهابنة الغاصبين. من ذلك ما نراه عند الشاعر عبد الكريم العسولي فيقول:

قالوا الفدائي امرأة
ياهول تلك الامرأة
ما اسمها ؟ قالوا : وفاء
كم عمرها ؟
عز الشباب
ما بالها ذهبت سدى ؟
هل عقلها فيه خبل ؟
تحتاج مالاً أو عمل ؟
كلا
أمر عريب
وجمالها ؟
قالوا : رهيب
هي كالقمر
شيء عجيب
حال تلك السيدة^١

وألام الفلسطينية عامة - إن لم تشارك بجسدها - ليس لها أم تساوهها ، فهي تشارك بروحها وقلتها ، وتدفع فلذات أكبادها إلى ساحات الشرف والبطولة، فهي لا تريده إلا شهيداً ، وتطلب منه أن يشارك في صنع المجد، وهو الذي يستطيع أن يكسر شوكة العدو. يعبر الشاعر عبد الكريم العسولي عن هذا المعنى متخدناً أم نضال فرحات أنموزجاً ، فيقول:

فرحات صلي ركعتين
ودعا طويلاً
ثم ودع أمه
قالت له
مرحي بُني
مسحت على خَدَّله
وتبسمت

^١ عبد الكريم العسولي ، ديوان شقائق النعمان، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، خنيونس، غزة، ٢٠٠٤، م، ص: ١٠٠ .

نظرت إليه
وقبّلتُ فوق الجبين
وما بكت
أوصته في فرح
وقالت في فخار:
كن باشقاً
واصنع لنا
مجدًا جليلاً مزهراً^١

لقد كانت المرأة الفلسطينية أسطورة في نضالها ومقاومتها للمحتلين الصهاينة، بل إنها كانت رمزاً في الانتفاضتين، فلم تحصر دورها في العناية بأسرتها فقط ، وإنما كانت مربية فاضلة في بيتها وبيئتها ، وأعدت رجالاً سطراً التاريخ أسماءهم بحروف من نور، كما يقال ”وراء كل رجل عظيم امرأة“. وكانت مشاركتها في النضال والمقاومة تفوق أحياناً مقاومة الرجال أدت بأمانة وإخلاص ما يمليه عليها حسها الوطن والديني ، وأثبتت أنها أخت وزوج وأم ، وأنها بطل لا يقبل الذل والعار، وأن الأوطان لا تحرر إلا بسواعد وأجساد أبنائها .

المصادر والمراجع

- رحاب كنعان، ديوان شلال الفصول الشمانية، ط:١، مطبعة الرسالة، غزة، فلسطين، ٢٠٠٥ م
- سليمي الخضراء، موسوعية الأدب الفلسطيني المعاصر، مؤسسة الدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٨ م .
- صلاح الدين الريماوي، ديوان من محاسن الطبيعة، ط:٤، المركز الفلسطيني الثقافي اليوناني، رام الله، ٢٠٠١ م
- عبد الله حسين كراز، ديوان البحر.. حوار امرأة، ط:١، إتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، ٢٠٠٥ م
- عبد الهادي القادود، ديوان وطن يتزف، ط:١، مركز الرحمن الثقافة، مكتبة بلدية النصیرات، غزة ٢٠٠٤ م
- عبد الكريم العسولي، ديوان شقائق النعمان، اتحاد الكتاب الفلسطينيين، خنيونس، غزة، ٢٠٠٤ م
- غزان كنفاني، أدب المقاومة في الأرض المحتلة الفلسطينية، مؤسسة الدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٧ م.
- فاتنة محمد الغزة، ديوان مازال بحر بيننا، ط:١، دار المقادد، غزة، ٢٠٠٠ م
- محمد دويدار، ديوان أسير في ضلوع حسناء، إصدار خاص، ط:١، دار الهيبة العربية، القاهرة ، ٢٠٠٧ م
- مصطفى عثمان الأغا، ديوان النورس، ط:١، منشورات إتحاد الكتاب الفلسطينيين، رام الله، ٢٠٠٤ م

^١ المصدر السابق، ص: ٩٤

محمد زفاف والقصة القصيرة العربية

د/ عباس. ك. بي^١

الملخص

تعد هذه الدراسة محاولة للإشارة إلى إسهامات الروائي والقاص الشهير محمد زفاف في القصة القصيرة العربية في المغرب. قد لعب هذا "الكاتب الكبير" دورا لا يُستهان به في رفع الأدب العربي المغربي إلى مصافات المستوى العالمي. وذلك كان من خلال إسهاماته في فن الأدب القصصي منذ بداية الخمسينيات حتى التسعينيات من القرن العشرين. وتسلط هذه الدراسة الأضواء على إسهاماته في القصة القصيرة تحديدا مع الإشارات إلى آراء معاصريه من الأدباء والنقاد شهادة بعقرية محمد زفاف في مجال القصة القصيرة وكما تقدم هذه الدراسة بياناً موجزاً عن مجموعاته القصصية.

استهلال

قد قام القاص والروائي المغربي الشهير محمد زفاف بإسهامات جلية تستحق التقدير والعنابة في مجال الأدب القصصي العربي، وله دور لا يُستهان به في تطور القصة القصيرة في المغرب، يقول أحمد المديني (رئيس رابطة أدباء المغرب سابقا): "إن عمر القصة القصيرة في أدبنا، وبعض عمر الرواية أيضا، هو من عمر محمد زفاف، هذا الفتى اليانع في منتصف العقد الستيني، يفد من مدينة القنيطرة إلى الرباط، حاملا في برده جسما ناحلا . بلغة بشار بن برد . ينتقل بين كلية الآداب وهي المحيط، وبين جريدة "العلم"، حيث بدأ ينشر مذكراته الصحفية الأولى، ومشاتل الرغبة والحلم في "العالم السفلي" للعاصمة. كما، وهو في قلبنا، تنتسم الأنفاس الأولى لأدب لا يحمل بعد اسمه، ناحتا ملامحه من واقع متغصن، وزمن متور من كل النواحي، وذوات باحثة عن مكان صغير لها - لمطامحها وأحزانها - في عالم مرتئن كله لحفنة من الهابيين والمتسطلين. ولزفاف ذات كالآخرين، ومختلفة، أو أقل أرادها مبكرا أن تكون له ومنه حقا، لقد جلب معه من ذلك "الدوار" الذي ولد فيه ما يكفي من الفقر والحرمان والغيظ، ولذا لم يكن بحاجة لأن يملي عليه أحد درس الالتزام القسري والسمج ليكتب قصصا على مقاس، وحسب الطلب، فجاءت قصته مادتها وقوامها بينة بشؤونها وشجون وأوصاب ناسها. ورشيقه تبلورت، ومحكمة صيغت وتصاغ بالتدريج تتفنن في اقامة بنائهما، وضبط عناصرها المتناغمة يد صناع ستلائم بين الموضوع القصصي، ونسيجه، ورؤيته، وايقاعه، ليصبح فنا بنضج ووثوق للمرة الأولى في الأدب المغربي الحديث، ذلك الفن الذي سيتجسد قويا دفعة واحدة في مجموعته القصصية الأولى "حواري في ليل متاخر" (١٩٧٠)، تحتفي بها دمشق أولا قبل الرباط، فتأمل. معه وفي ظلاله تنجس ذات أخرى يفتح برعها بأنا صاحبها، تقوله همسا وجهراء، شدوا وشجوا، رعوا وعقلوا، بما ستحول شيئا فشيئا، وغير أعمال سردية متتابعة، إلى سيرة بوح نسقية، حيث

^١ أستاذ مساعد. قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت.

يتکافل التعبير الذاتي مع مقومات السرد الموضوعي والرؤیة الواقعیة المركبة، وهو طرز رفیع لا يتقنه إلا الكتاب الكبار^١.

ويشاطر بنا الكاتب المغربي محمد فاتح زغل تجربته مع محمد زفراڤ: "من زفراڤ تعلمت عشق الكتابة السردية المغربية، وبحكم ما تراكم من تجربته الابداعية وقدرته على التخييل فقد جعل مني عاشقا للكتابة السردية المغربية، تركني أشعر بقيمة التخييل بوصفه أفقا للمحتمل، وسبلا للتعبير عن العلاقة بالعالم والأشياء وما يخترقها من أجواء وأحوال، وكذلك من خلال التنوع السردي وتناميه على صعيد الأداء الفني والتازل الشكلي. ومن فُدرله أن يستمتع بقراءة الأعمال الأدبية لمحمد زفراڤ من بدايتها مع المجموعة القصصية "حوار في ليل متأخر"، إلى رواياته المتعددة "المرأة والوردة" و"أرصفة وجدران" و"بيضة الديك" و"محاولة عيش" و"الشلب الذي يظهر ويختفي" ، وباقى أعماله القصصية الغزيرة لا بد أن يستخلص ذلك "العالم الخاص" التي تمكن من خلقه، عالم يسحر القارئ ويتملكه"^٢.

إسهامات محمد زفراڤ في القصة القصيرة

قد قام محمد زفراڤ بإسهامات جلية في القصة القصيرة في الأدب المغربي، حتى يعلق كتاب المغاربة عمر القصة القصيرة في الأدب المغربي بعمر محمد زفراڤ. و"يعتبر محمد زفراڤ بحق واحدا من أهم الكتاب المغاربة الذين أرسوا أسس القصة بشكل ناضج ومتطور، ووضعوها على سكة الانطلاق الصحيح تبغي أصولها وشروطها الكلاسيكية وإهاها الفني المتميز. بدأ ينشرها منذ نهاية السبعينيات واعترفت المنابر المشرقية - ومنها الرفيع - مبكرا بإبداعه فيها. وهكذا جاء إلى جانب محمد إبراهيم بوعلو، ومبارك ربيع، وإدريس الخوري ورفيقه الطبيعة ليعطي نفسها غير مسبوق لهذا الفن صعب المراس".^٣

يقول الناقد المغربي الشهير نجيب العوفي في هذا الصدد "وتبدو القصة القصيرة في رأيي، هي صاحبة المجال الحيوي لموهبة السردية. فها هنا تتجسد بالفعل بلاغة القص ومهارته.وها هنا نشيم بعضا من ذلك الأرج المتعق، أرج تشيكوف ومويسان وهمنغواني. ها هنا شعرية القص ومتنته. . . عند محمد زفراڤ يمكن القول، دونما أي شطط في هذا القول، بأن القصة القصيرة المغربية لم تعد منشغلة فحسب، بـ"اثبات" هويتها القصصية المغربية لم تعد منشغلة أيضا بـ"تحديث" هذه الهوية وـ"عصرتها"، أو بعبارة أدق أصبحت تخطو أولى خطواتها على درب التحديث والعصرنة. ومن الواضح في هذا الصدد، أن محمد زفراڤ ليس نسيج وحده في ذلك أو صاحب ريادة وسبق، بل هو واحد من كوكبة قصصية طليعية ستؤتي أكلها منذ طلائع السبعينيات، وإن ظهرت بوادر هذا "الأكل" القصصي منذ أواخر

^١ أحمد المديني، كتاب الوفاء، محمد زفراڤ الكاتب الكبير، ط:١، منشورات رابطة أدباء المغرب، يناير ٢٠٠٣، ص: ٥

^٢ محمد فاتح زغل، محمد زفراڤ وأميرتو إيكو، الإمارات الثقافية، العدد: ٢٠١٢، مايو ٢٠١٢، ص: ١٥٢-١٥١

^٣ مجموعة من الباحثين، محمد زفراڤ الكاتب الكبير، ط:١، منشورات رابطة أدباء المغرب، يناير ٢٠٠٣، ص: ١٢

الستينيات. هو واحد من أوائل وأنشط هذه الكوكبة، منذ منتصف الستينيات فصاعداً. وهي الفترة التي شهدت فيها القصة القصيرة المغربية إرهاصات تحول جديد، هو بمثابة مخاض آخر ضمن سلسلة مخاضاتها التي تستجيب فيها للمخاض الاجتماعي والتاريخي والثقافي المتواصل الخفقان والموران. وزفاف لهذا الاعتبار، مؤشر على حساسية قصصية جديدة تكون وتفاعل بالتدريج، يغذيها جيل يتكون ويفعل، هو الآخر بالتدريج وتكتسب القصة القصيرة على يده نفسها ودما جديدين^١.

ويشير الناقد المغربي محمد معتصم إلى إسهامات محمد زفاف في الكتابة القصصية، "محمد زفاف كاتب مغربي متمرس استطاع أن يرقى بالأدب المغربي القصصي إلى مكانة عالية. فإن تجاهه كثير متنوع ويدل على التحول داخل الخطاب القصصي المغربي، ويلقى إنتاجاته قبولاً لدى القارئ المغربي بكل مستوياته المعرفية، وقبولاً لدى القارئ العربي، والقارئ في أنحاء العالم. يثبت ذلك انتشار نتجاته وترجمته إلى أكثر من لغة عالمية حية. لقد مر الإنتاج القصصي المغربي بمرحلة كثيرة متنوعة ومختلفة. وبعد محمد زفاف (التيروموميتر) الذي يقيس تطور القصة القصيرة بالمغرب. وذلك من خلال رصد تطور المنتوج، وإن كنا لا نهمل مستوى ترسّيخه مع جيله ومن سبقهم بقليل قدم القصة المغربية القصيرة"^٢.

يعد محمد زفاف من الذين بذروا بذور القصة القصيرة في المغرب وتجربته تكللت بالنجاح موضوعاً وأسلوباً ولغة وقد شهد كثير من الكتاب من المغاربة هذه الحقيقة ويشير إليها الناقد المغربي محمد معتصم: "والراحل محمد زفاف لم يشتغل بالكتابة القصصية فقط، بل كتب الشعر وترجم عن الفرنسية، واهتم بالمسرح. لكن ما يميزه أكثر في نظري تجربته في القصة القصيرة، حيث تظهر بجلاء ملكته الإبداعية دون إغفال دوره في اجتراح موضوعات لها أهميتها إبان ظهورها في مجال الرواية، كالكشف عن عيوب اجتماعية متفشية لكن تدرج ضمن المskوت عنه، بلغة إبداعية تنقل الواقع إلى عالم من الخيال والجمال"^٣.

كان "محمد زفاف" في قصصه القصيرة ينطلق من "بؤرة سردية" تجعل من الفضاء المغلق - ومعظم نصوصه ذات فضاءات مغلقة - فضاء منفتحاً بحكم الحرافية العالمية التي حولت هذه البؤرة إلى نقطة زيت تمدد في كل الاتجاهات. إنه أشبه بإلقاء الحجر في البركة الآسنة أو الماء الراكد والذي يتحول، بسبب هذا الفعل، إلى دواير متناسلة بعد أن كان مواتاً. فمنذ مجموعة الأولى "حوار في ليل متأخر" (دمشق ١٩٧١) إلى آخر مجموعة "بائعة الورد" ١٩٩٦م، كان "محمد زفاف" يمارس فتح هذه

^١ نجيب العوفي، الكاتب الكبير في الجرم الصغير، محمد زفاف الكاتب الكبير، ط: ١، منشورات رابطة أدباء المغرب، يناير ٢٠٠٣، ص: ٢٠٢-٢١.

^٢ محمد معتصم، محمد زفاف: الكتابة الشغوفة، نسخة الكترونية، ص: ١.

^٣ محمد معتصم، زفاف: الإنسان هو الجوهر، محمد زفاف الكاتب الكبير، ط: ١، منشورات رابطة الأدباء المغرب، ٢٠٠٣، ص: ١٧٥.

الفضاءات أو الحيوانات التي قد لا ينتبه إليها أحد، فتصبح على يديه عالماً متكاملاً يكشف عن المخفي في هذه الذوات، وما خفي أعظم! ^١.

لغة قصصية ممتازة

قد ألم محمد زفاف قصصه بلغة فصيحة يفهمها الجميع وكذلك أن لغته لغة بسيطة واضحة تمارس سرداً أفقياً، تنبثق جمالياته من التجاور في ربط الكلمة بما قبلها وما بعدها من الكلمات بربطاً تعشيقياً، كما يصنع البناءون. ويشير الناقد المغربي محمد معتصم إلى غاية لغته "لهم زفاف ميزات خاصة به: موضوعاته. لكن لغته القصصية تعد في نظري أهم تلك الميزات جميعاً. لقد استطاع خلال العقود الأربع المنصرمة ابتكار لغته الفريدة. فالقارئ المتبع لقصص الراحل محمد زفاف يكتشف بناء الجملة عنده، واللفظة. فالألفاظ منتقاة بعناية شديدة. يختارها كما يختار الشاعر القديم ألفاظه. ويضيق معانيها حتى تؤدي وظيفتها الأساسية: البلاغ، والإفهام، والوضوح. وحتى في حال استعمال الدخيل من اللهجة الدارجة فإنه يعتمد إلى "تفصيحها". فألفاظ محمد زفاف وسط بين الفصيح والداج. وينتقي من الداج ما كانت جذوره الأولى فصيحة أو أنه يعتمد إلى الميزان الصافي لهب اللغة المتوحشة إيقاعاً فصيحاً^٢.

المجاميع القصصية لمحمد زفاف (بيان موجز)

١) حوار في ليل متأخر: (١٩٧٢)

المجموعة الأولى لمحمد زفاف، ظهرت سنة ١٩٧٠ عن وزارة والإرشاد القومي بدمشق في ١٢١ صفحة. تضم المجموعة ١٢ قصة هي: (حوار في ليل متأخر)، (العصافير)، (الطريق إلى غرفة مضيئة)، (الشمس تشرق مرة واحدة)، (عندما تدلّت من فوق)، (الطفل والكلب)، (في انتظار النوم)، (النحوءات)، (تكوين أو شيء اسمه التضخم في العلاقة)، (حالة)، (الموت وما بعده)، (الدفن). كتب عنها إدريس الخوري ٣ عام ١٩٧٢: "لا تمثل هذه المجموعة كل زفاف. بل إنها مرحلة تاريخية انتهت حتى بالنسبة لزفاف شخصياً، ولكنها شهادة على نضوجه المبكر وعلى أحلامه الرومانسية لطفل شقي يتعدّب تعذيباً كالكاويا"^٤.

٢) بيوت واطئة (١٩٧٧)

صدرت عن دار النشر المغربية بالدار البيضاء سنة ١٩٧٧. جاءت بعد مجموعة "حوار في ليل متأخر" ورواية "أرصفة وجدران". وتقع في ١٤٣ صفحة من الحجم المتوسط. تضم ١٤ قصة هي: الكابوس لرجلين، ممكן حدوثه، رسائل أصوات أجنبية، في مكان معزول، القوة والعجز، موسم زيارة

^١ عبد الرحيم مؤدن، محمد زفاف والقصة القصيرة، محمد زفاف الكاتب الكبير، ط١، منشورات رابطة الأدباء المغرب، ٢٠٠٣، ص: ٤١-٤٠.

^٢ المرجع السابق، ص: ١٧٩-١٨٠.

^٣ الناقد المغربي الشهير

^٤ قاموس زفاف للأدب العربي، عبد القادر الجموسي، ط١، منشورات عكاظ، الرباط، ٢٠١٠، ص: ٥٣.

السيد، لكن ذلك فوق الإحتمال، بيوت واطئة، الجبل المشدود، غموض، مشكلة كل يوم، الجرادة، الديдан التي تنهنى، الحلزونات الجميلة.

أثارت مجموعة "بيوت واطئة" حين صدورها ردوداً إيجابية في المشرق العربي وفي المغرب. وفيها أكد محمد زفاف اعتماده بالمضمون الاجتماعي كما بالشكل السريدي واللغة القصصية التي تقترب من صفاء الشعر. وقد التفت الناقد إبراهيم خليل، إلى هذا الملحم حيث اعتبر أن زفاف "يعالج في قصصه هموم طبقة، أو النقل، شريحة اجتماعية بأسلوب حديث ورؤيه معاصرة يخلط فيها بعض الظواهر الاجتماعية والأخلاقية والمشاكل الوجودية، والثورية، والرومانسية".^١

وعلى المستوى المغربي، نشر الناقد الكبير، نجيب العوفي، دراسة بعنوان "الدلالات المحورية في مجموعة محمد زفاف "بيوت واطئة" اعتبار فيها المجموعة "خلاصة لتجربة (محمد زفاف) الدؤوبة مع القصة القصيرة التي انطلقت منذ السبعينات، ومطرحا لأهم الشجون والقضايا التي انشغل بها وطاف حولها خلال هذه السنوات، ليس على مستوى القصة القصيرة فحسب، بل وعلى مستوى الرواية أيضاً. وليس على المستوى الفكري والنظري فحسب، بل على المستوى الفني والتقني أيضاً".

(٣) الأقوى (١٩٧٨)

المجموعة القصصية الثالثة لمحمد زفاف. صدرت عن منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق سنة ١٩٧٨. تقع في ١٠٠ صفحة من الحجم المتوسط، تضم ١١ قصة هي : الرجال والبغال، جيران، حمار الليل يضرب سكرين، هياكت عظيمة، اللعبة والنجمات، الحرف، خلف النافذة، أوهام، جبال وخنازير بربة، الأقوى، المركز الصحي.

يقول القاص أحمد بوزفورد^٢ عن المجموعة : "لقد مثلت لي هذه المجموعة .. أقوى تعبير في عن هوة البؤس التي كانت تتدنى فيها حقوق الإنسان المغربي في السبعينيات. ليس فقط الحقوق السياسية التي اهتمت بها واكتوت بنارهاأغلب الكتابات المغربية حينئذ، ولكن، وأساساً، الحقوق الاجتماعية، وقد ذهلت من الصدق والدقة والموضوعية التي كتب بها زفاف المدني عن الbadie المغربية في بعض قصصي المجموعة".^٣

(٤) الشجرة المقدسة (١٩٨٠)

صدرت مجموعة "الشجرة المقدسة" سنة ١٩٨٠، عن دار الآداب بيروت في ٧٨ صفحة من الحجم المتوسط. وتضم ١١ قصة هي:(الشجرة المقدسة)، (دراءة)، (الزواج الثاني)، (دقفات الطبول)، (اللقاء الأخير)، (المتقاعد)، (السلاح)، (القرد والبندير)، (هل تذبل الأزهار)، (وزيعة)، (بئر الأفاعي).

^١ المرجع السابق ، ص: ٣٧

^٢ أحمد بوزفورد، قاص وكاتب مغربي يعتبر من أبرز رواد القصة القصيرة الحديثة في المغرب

^٣ قاموس زفاف للأدب العربي، عبد القادر الجموسي، ط١، منشورات عكاظ، الرباط، ٢٠١٠، ص: ١٢

يقول عنها القاص أحمد بوزفورة^١: "أعتقد أن زفاف وصل في هذه المجموعة، وفي إحدى قصصها بالذات، هي قصة دراية، قمة "النثر الخالص" وأقصد بهذا المصطلح مفهوماً محدداً يقع بين الشعر والأيديولوجيا"^٢.

(٥) غجر في الغابة (١٩٨٢)

المجموعة الخامسة لمحمد زفاف. صدرت سنة ١٩٨٢ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت في ١٠٩ صفحة من الحجم المتوسط. تضم ١٠ قصص هي: (في الغابة)، (جيمس جويس)، (السجن والحديقة)، (الهم)، (الذبابة والثور)، (لماذا تأخر العشاء)، (لعبة أمام البوند ستريت)، (الحصان البشري)، (المسلول والزانية)، (السابع).

(٦) ملك الجن (١٩٨٨)

المجموعة السادسة لمحمد زفاف صدرت سنة ١٩٨٤ عن دار افريقيا الشرق بالدار البيضاء. تقع في ٩٩ صفحة من الحجم الصغير، وتضم ٦ قصص هي: (الجفاف)، (انطونيو)، (صيف مستمر)، (تحول)، (ملك الجن)، (صيد الثعابين).

(٧) الملائكة الأبيض (١٩٨٨)

المجموعة السابعة لمحمد زفاف صدرت سنة ١٩٨٨ عن مطبوعات فصول بالقاهرة، وتضم تسع قصص هي: الغيلم، الإرث، تحقيق صحفي، الضبع، حكاية رجل شارب، الملائكة الأبيض، ليلة في الدار البيضاء، سيدة الساحة، غربان يورمالا.

يقول الناقد عبد الفتاح الحجمري عن المجموعة: هذه القصص تولي اهتماماً بالغاً لقيم التحلل التي أصبحت مألوفة في العلاقة بالمحيط، بحيث لم يعد بالإمكان التحرر من وطأة الإغراب والتمييز والنوايا المتباينة... من هذا المنظور، أعتبر النصوص القصصية المضمنة في هذه المجموعة نصوصاً ذاتية منترعة من عمق المعاناة. ورغم ذلك، أمس عند الشخصيات القصصية إصراراً على الإقبال على الحياة وتحمل كل ألوان الرعب في أيام مظلمة وعسيرة وردية^٣.

(٨) العربية (١٩٩٣)

المجموعة الثامنة لمحمد زفاف. صدرت عن منشورات عكاظ بالرباط سنة ١٩٩٣. تقع في ١٠٢ صفحة من الحجم الصغير. تضم ١١ قصة هي: (أطفال بلد الخير)، (الكتناس)، (سردين وبرقال)، (عربة النساء)، (النباش)، (عندما يصير الرجل حماراً)، (السلاح)، عربة الأطفال الصغيرة)، (جريمة أخلاقية)، (مملكة صغيرة)، (مظاهرة).

^١ الناقد المغربي

^٢ المرجع السابق، ص: ٧٦

^٣ المرجع السابق، ص: ١٠٤

(١٩٩٦) بائعة الورد

المجموعة التاسعة والأخيرة لمحمد زفاف. صدرت عن منشورات عكاظ بالربط، تشمل نصوصاً متنوعة في المضمams والموضوعات، تعكس أهم انشغالات الكاتب وموضوعاته الأثيرة، العنف والفقر والمرأة والمثقف.

تقع المجموعة في ١٢٨ صفحة من الحجم المتوسط تتوزعها ١١ قصة قصيرة هي: (بائعة الورد)، (الفيلا المهجورة)، (مشي)، (كيف نحلم بموسكو)، (على شاطئ جنوة)، (الشاعر)، (الجناح رقم ٣٦)، (الجرذ والعصافير)، (بورخيس في الآخرة)، (يد طويلة)، (الأعشاش).

اعتبر الكاتب لحسن أحمامه^١، في قراءته للمجموعة، أن "الخيط الرابط بين كل النصوص ضمن هذه المجموعة هو موضوعة الموت وما بعده، أي تلك الحياة الأخرى التي يرسم معالمها الخطاب الديني كحياة أفضل من الحياة التي أفرزتها خطيئة آدم وطرده من فضاء خالد إلى فضاء يتسم بالفناء المحتم ولئن شكل الموت ملماحاً أساسياً ضمن هذه المجموعة، فإنه يقيم مع نقيبه ثنائية الموت والميلاد كصيرونة تاريخية، فكما أن هناك نهاية، فهناك بداية"^٢.

قصص خارج المتن

لا تشتمل الأعمال الكاملة لمحمد زفاف كل نصوص زفاف القصصية، من القصص التي لم يتم إدراجها ضمن أي مجموعة قصصية، منها

- ثلاثة أسابيع، مجلة الأطلس، ١٩٦٣.
- وضحك القمر، آفاق، ع، ١٩٦٤.
- غداً يموت العالم، أقلام، العدد، ٨، يناير ١٩٦٥.
- عودة أبا هشوم، آفاق، ع، ٢٠١٩٦٥.
- أحزان النساء، أقلام، ع، ١٩٦٦.
- الشمس تشرق مرة واحدة، العلم، ٥٤/٥٤، ١٩٦٨.
- في الظهرية، كانت الشمس، أنفاس، عدد مزدوج ١١١١، ١٩٦٨.
- شوارع المدينة، العلم، ١٨ سبتمبر ١٩٦٨.
- أنشودة المساء الحزينة، آفاق، شتاء، ١٩٦٩.
- بأي شيء يتعلق الأمر، دعوة الحق، ع، ٥، أبريل ١٩٦٩.

^١ لحسن أحمامه: كاتب مترجم مغربي^٢ المرجع السابق، ص: ٢١

- مدي منتشر لكنه قفز، المستقيم والمنحني، مواقف، ع، ٥، السنة ١، تموز آب، ١٩٦٩، بيروت.
- تفسير وإعلان عن الحدود المحيطة بنا، العلم الأسبوعي، ع، ٤٦، ديسمبر ١٩٦٩.
- الصمت والموت، العلم الأسبوعي، ع، ١٢٧٢، يناير ١٩٧٢.
- الكليم الموصوف، العلم الأسبوعي، ع، ١٥٤، يوليو ١٩٧٢.
- مشكلة كل يوم، الآداب، ع، ٧٤، ١٩٧٤.
- الزائر الغريب، المعرفة، العدد ١٨٢٢، أبريل ١٩٧٧.
- دقات الطبول، المعرفة، العدد ٢١٧ مارس ١٩٨٠.
- وسخ الدنيا، مجلة المدى، العدد ٢٣٦١، ١٩٩٩.

المصادر والمراجع

- أحمد المديني، كتاب الوفاء، محمد زفاف الكاتب الكبير، ط١، منشورات رابطة أدباء المغرب، يناير ٢٠٠٣ م.
- د. محمد فاتح زغل، محمد زفاف وأمبرتو إيكو، الإمارات الثقافية، مجلة شهرية تعنى بشؤون الثقافة والفكر، العدد ١، مايو.
- عبد القادر الجموسي، قاموس زفاف للأدب العربي، الطبعة الأولى، منشورات عكاظ، الرباط، ٢٠١٠ م.
- محمد معتصم، محمد زفاف؛ الكتابة الشغوفة، نسخة الكترونية.

عبدالقدوس الأنصاري؛ رائد الأدب والصحافة في المملكة العربية السعودية

السيدة حسينة أم. كـ^١د/ سي. بي. أبو بكر^٢

الملخص

تعالج هذه المقالة موضوع "عبدالقدوس الأنصاري - رائد الأدب والصحافة في المملكة العربية السعودية". وتحاول أن تقدم صورة واضحة عن حياة الأستاذ الأنصاري وعن زعامته في المجالات المختلفة. هذه المقالة تتيح للقارئ فرصة للتعرف عنه وعن جهوده الجبارة التي بذلها في ترسیخ قواعد الأدب والصحافة في المملكة العربية السعودية.

هو العلامة المؤرخ الأديب الصحفي الشاعر الأثري العالم المفكر الأستاذ عبدالقدوس بن القاسم بن محمد بن محمد الأنصاري الخزرجي أبا وأما. ولد بالمدينة المنورة في آخر ذي الحجة سنة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م، نشأ وترعرع في رحاب مدينة الرسول صلعم. ماتت أمه وعمره نحو أربع سنوات، وقد توفي والده ولم يبلغ السادسة من عمره، وكفله عمه الشيخ محمد طيب الأنصاري، الذي درس أولاً في المسجد النبوى على يديه القرآن الكريم والسيرة النبوية والنحو والصرف والبلاغة والمعانى، ثم التحق بمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة عند افتتاحها، حيث كان شيخه محمد الطيب الأنصاري رئيس مدرّسها واستمر يطلب العلم في مدرسة العلوم الشرعية منذ عام ١٣٤١هـ حتى عام ١٣٤٦هـ، فأكمل دراسته العالية فيها على أستاذ الطيب الأنصاري وعلى بعض أستاذ المدرسة ومدرس المسجد النبوى الشريف وأحرز شهادته العالية سنة ١٣٤٩هـ. وقرأ ما كان يصل إلى المملكة العربية السعودية من المجالات والصحف العربية ذات الإتجاه الأدبي والكتب المترجمة والمؤلفة وبخاصة ما كان يصدر في مصر من مثل كتابات المنفلوطى وأعداد مجلتي الهلال والمقططف، لكنه كان مولعاً أكثر بالتاريخ والأثار واللغة.

ثم دخل مباشرة ديوان إمارة المدينة المنورة موظفاً فيه ، كما أنه يتولى في نفس الوقت تدريس مادة الأدب العربي في مدرسة العلوم الشرعية ، وكانت تخصص له الساعتان الأوليان من كل يوم لإعطاء دروسه، واستمر على ذلك مدة اثنى عشر عاماً حتى سنة ١٣٥٩هـ حيث صدر الأمر الملكي العالي من جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمة الله تعالى للأستاذ الأنصاري رئيساً لتحرير جريدة " أم القرى " الرسمية بمكة المكرمة، واستمر الأستاذ برئاسة تحريرها حتى استقال منها سنة ١٣٦٢هـ حيث عين بعد ذلك بدبيوان جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز عندما كان نائباً لجلالة الملك في الحجاز. وتدرج في وظائف الديوان المختلفة حتى أصبح مستشاراً للديوان ومديراً عاماً لشؤون

^١ باحثة، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليفورنيا.^٢ مشرف البحث والرئيس السابق، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليفورنيا.

مشروعات الدولة ونظمها ومديرا عاما للشؤون المالية وانتخب رئيسا للجنة المصطلحات الطبية العربية التابعة لجامعة الدول العربية بمكة المكرمة، إلا أن حالته الصحية لم تلبي أن اضطرته إلى طلب الإحالة فأحاله للتقاعد سنة ١٣٨٧هـ. فتفرغ بذلك لإدارة رئاسة تحرير مجلته المنهل التي أنشأها عام ١٣٥٥هـ ولم تتوقف منذ صدورها إلا في بعض سنوات الحرب العالمية الثانية بأمر حكومي تحت وطأة الورق^١.

ساهم في عديد من المؤتمرات واللجان الحكومية وانتدب إلى الرياض في عهد الملك عبد العزيز، مؤسس المملكة لتنظيم شؤون التابعيات والإحصاء والإقامة لسكان مدينة الرياض على رأس هيئة مختارة من مختلف الوزارات والدوائر الرئيسية. واشتراك في مؤتمر الأدباء السعوديين الأول المنعقد عام ١٣٩٤هـ بجدة، وانتخب فيه واحدا من رواد الأدب السعودي. وله أحاديث في الإذاعة والتلفزيون السعودية والإذاعة المصرية، وقدم في مؤتمر الأدباء السعوديين بحثا ضافيا عن "الملك عبد العزيز في مرآة الشعر"، وحاز في ذلك المؤتمر الميدالية الذهبية من جامعة الملك عبد العزيز باليادة الأدبية في هذه البلاد.

كان الأستاذ الأنباري متعدد الإتجاهات متنوع الفنون فلم يترك ميدانا من ميادين الأدب إلا طرقه وكانت له فيه تجربة. وقد ترك عددا من المؤلفات القيمة في مختلف فنون الأدب والعلم.

ومن أهم مؤلفات الأنباري

- رواية "التوأمان" سنة ١٣٤٩هـ وهي أول رواية مطولة في المملكة العربية السعودية.
- كتاب آثار المدينة المنورة
- كتاب تاريخ مدينة جدة
- بنات العلم في الحجاز الحديث
- بين التاريخ والأثار
- كتاب بنو سليم
- ديوان الأنباريات
- التحقيق المعدة بتحمية ضم جيم جدة
- تحقيق أمكنة مجهرولة في الحجاز وتهامة
- مع عبد المحسن الكاظمي شاعر العرب
- مع ابن جبير في رحلته
- طريق الهجرة النبوية
- الملك فيصل في مرآة الشعر

^١ مجلة المنهل، مجلة سعودية شهرية متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، المدينة المنورة، أكتوبر/نوفمبر، ١٩٨٤م، ص: ٥٠

- من التراث
- مختارات المهل
- أعلام المهل
- التخييل والتمور في بلاد العرب
- كتاب مستقبل أبحر
- أعلام العلم والأدب في جزيرة العرب
- إصلاحات في لغة الكتابة والأدب
- الكتاب الفضي لمجلة المهل
- تاريخ العين العزيزية بجدة
- ملحوظات عن مصادر المياه في المملكة العربية السعودية
- كتاب الملك عبد العزيز
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية
- كتاب السيد أحمد الفيض آبادي
- نقد كتاب "الإيضاح" في علم القواعد
- تحقيق كتاب صناعة النفط لـ ابن جماعة
- كيف نشأ أدبنا الحديث وكيف تطور وإلى أي مدى من التطور بلغ

وقد تلقى الأستاذ العديد من الدعوات لإلقاء المحاضرات والأحاديث برابطة العالم الإسلامي وبالأندية الأدبية في مكة والطائف وجازان. وقد افتتح في مدرسة العلوم الشرعية فتح نادي سماه "نادي المحاضرات المرتجلة لطلاب الأدب والعلم". وفي سنة ١٣٥٣ هـ أسس هو وزملاؤه أول نادٍ أدبي بالمدينة المنورة تحت اسم "الحفل الأدبي للشباب العربي السعودي المتعلم" في منزل إستأجرها منه طابقاً يلتقيون فيه فيتحاورون ويتناقشون في أمور الأدب والفكر والثقافة. كما قام بالقاء محاضرات في جامعة الرياض وفي جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورشح رسمياً بالقاء مثلها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما أسهם في الندوتين العالميتين بجامعة الرياض ونشر بحوثاً وقصائد ومقالات عديدة منوعة في الصحافة المحلية والخارجية. وقد شارك بتحرير العديد من الصحف والمجلات السعودية وغيرها ومن أهمها: جريدة صوت الحجاز، جريدة أم القرى، ومجلة الرابطة الإسلامية، مجلة الحج، جريدة المدينة المنورة، عكاظ، مجلة قافلة الزيت، الأهرام، المقطم، المرشد العربي إلخ.

أوصافه

كان الأستاذ الأنصارى علماً من أعلام الأمة الإسلامية، منذ نشأته لحظ فيه معلمه دلائل النبوغ ورجاحة العقل، كان متقد الذهن لما حا ذكيلاً لا يغادر كلمة إلاً بعد استقصاء مدلولاتها ومعانها، ولم يقف علمه عند موهبة واحدة وسبيل واحد من سبل العلم والتحقيق، كان صحافياً مبدعاً صاحب

الموسوعة الشهيرة "مجلة المنهل" التي خدمت جزيرة العرب وتحدثت عن معالمها وأعلامها. وكان عالماً وحجة في اللغة ملماً بسبلها وعارفاً بأحوالها، له فهماً اليد الطولي والمكانة المثلثة ومؤرخاً عارفاً بالتاريخ وناقداً معروفاً وشاعراً مبدعاً وكاتباً أصيلاً أخذ من كل فن بالقدر الرفيع وواحداً من المبدعين الذين أنجبتهم الجزيرة العربية ورائد الآثار في المملكة، وكان ذا أحلام عريضة ويحضر الباحثين والكتاب على أن يكتبوا ثقافةً أصيلةً دائمةً. وقد اهتم بالأدب المترجم فنشر كثيراً من الأداب العالمية في القصة وفي الثقافة بشكل عام. ومع ذلك كان من بين الرواد الأوائل في الرواية السعودية، إنه قام باصدار أول رواية سعودية باسم "التوأمان" عام ١٩٣٠م، وهكذا أصبح منشئ الفن الروائي في المملكة العربية السعودية^١.

وكان أستاذاً وقوراً وعالماً متواضعاً وموسوعياً محققاً مدققاً وصديقاً كبيراً وأخاً وزميلاً وفياً وشخصاً كريماً صادقاً مع نفسه ومع الآخرين ومخلصاً في أدب ودين. وكان رقيق القلب رحب الصدر واسع الأفق مشرقاً وغرباً، قليل الكلام كثير البحث والإطلاع والإنتاج غزير الثقافة واسع المعرفة سريع الحفظ والتعليق حلو الشمائل لين العريكة لا يعرف الحسد ولا الخبث وكان بري النظر وصافي السيرة شديد الحياة خفيض الصوت وكان إذا كره شيئاً نعرف ذلك في وجهه ولا نسمعه في حديثه صيانة لنفسه عن الزج بها فيما يكره. وكان يعيش حياة وادعة مطمئنة كشفت سيرته عن نفس طيبة لا تحمل الحقد ولا تضمر الضغينة كما أنه إتخذ طريقاً وسطاً في الصراعات الفكرية والأدبية فكان على علاقة طيبة مع الفئات المتصارعة. ومع ذلك كان عالماً بارزاً من أعلام الفكر العربي المعاصر، ووظف حياته من أجل خدمة أبناء أمه في ميادين العلم والمعرفة وقرن القول بالعلم والعمل المثمر، تدفعه إلى ذلك همة المؤمن وعزيمة الشاعر وأمال الطموح المعاصر، كان واسع الإطلاع والثقافة دقيقاً في منهجه العلمي وحريضاً على الأمانة العلمية في البحث^٢.

رائد النهضة الأدبية والصحفية في المملكة العربية السعودية

لقد كان الأنباري رحمة الله واحداً من أبرز رواد وصاحب عطاءات كثيرة ودور فكري إيجابي، وكانت رياضته في موقع متعدد. فعلى مستوى الشعر يعد الأنباري من رواد الشعر الأوائل، نظم العديد من القصائد وسجل الكثير من الأحداث الوطنية وشارك أبناء الأمة الإسلامية والعربية أفراداً وأتراهم وجمع ذلك في ديوانه الأول والأخير "الأنباريات" الذي جمع فيه مختلف الفنون والأغراض وحمل هموم مجتمعه وأمته وبرع في الوصف والذكريات. وقد ضم الديوان من شعر الأنباري العقيقيات والتأملات والسياسيات والوصفيات والغزليات والإخوانيات والفكاهيات، إن شعره يمثل الأصلحة بكل جوانبها في الجانب الفني والجانب الفكري والإبداعي، ولا غرو أنه من أعلام الأدب وأحد

^١ البعث الإسلامي - مجلة إسلامية شهرية جامعة، العدد: ٧، المجلد: ٥٧، ربيع الثاني ١٤٣٣هـ / مارس، ندوة العلماء لكتبه، ٢١٠٢م، ص: ٥٨-٥١

^٢ الاستاذ اكرم جميل قنليس، عبد القدوس الأنباري من رواد الأدب والفكر العربي والإسلامي، دار الفرائد للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م، ص: ٥٨

فرسان الفكر الذين تزدهر بهم الحركة الأدبية والفكيرية في الحياة المعاصرة. تحتوي قصائده على لفظ رائع وطاقة لغوية وتألق وجمال وقوة صياغة وتصوير دقيق ورباط عضوي محكم ومنطق سديد وجمال تعبر، إن ديوانه يمتاز برقة الألفاظ وموسيقية الإيقاع ومنجز القديم بالحديث. إن الفطرة الأدبية والموهبة الأصلية تتجلّى في قصائد الديوان وتتضح في معظم قصائده، ولعل من أبرز سماته أن نقول إنه شعر جزل قوي الدلالة والجرس والأصدااء الذاتية والغنائية الجميلة.

نموذج من شعره في وصف وادي العقيق

هذا العقيق قد همى مبتسمًا	طلق المحيَا شادياً بسروره
وتراه في لئاته متدفعاً	ينساب بين سهوله ووعوره
تنكسر الأمواج فوق صخوره	فتئن من تأثيره وعيوره
وتهب من جنباته نسماته	فت فهو عطراً منعشًا بعيوره
والشمس تغصي طرفها مفتونة ^١	بجماله الخلاب في تصويره

وكان رائداً في فن القصة تجلّى اهتمامه به منذ أن كان رئيساً لتحرير جريدة أم القرى حيث كانت القصة تحتل المركز الثاني بعد المقال الصحفي وحينما أسس مجلة المنهل أولى فن القصة اهتماماً واضحاً فأفرد لها باباً ثابتاً في كل عدد من أعدادها، وهو أول من كتب القصة في الجزيرة العربية ونشرها بين دفتي كتاب تحت عنوان "التوأمان". فعلى مستوى التاريخ، أولى الأستاذ عناية فائقة للتاريخ والآثار وظهرت له في هذا الميدان مجموعة من الكتب والبحوث تعد رائدة في مجالها. ولعل أعظم هذه الأعمال جميعاً كتابه الضخم الذي ألفه عن مدينة جدة، فهو يعد الأول في هذا الميدان حيث أن هذه المدينة لم تؤرخ من قبل تاريخاً كاملاً يتبع مراحل حياتها السياسية والإقتصادية.

وقبل كل شيء وقد كان رائداً للصحافة العربية في المملكة ، لأنه هو الذي أسس أول مجلة عربية أدبية فكرية ثقافية في هذه البلاد باسم "المنهل" عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م). كان همه نشر العلم والأدب وتشجيع الفكر وأصحاب القلم عبر هذه المجلة الرائدة حيث كان منبراً لكل الأدباء والشعراء والباحثين، لقد جمع شمل الأدب والعلم والثقافة في مجلته، استطاع من خلاله أن يثري الساحة الأدبية بعطاءً أدبياً تمثل فيه نتاج معظم رواد الأدب والفكر وعمالقة الشعر في المملكة. ولا شك أن الأستاذ الأنصارى قد خدمه عاليّة بلاده وللأمّة الإسلامية والعربية بإنشاء هذه المجلة التي عاصرت وواكبت التطور الحديث الذي مرّت به المملكة العربية السعودية وتعتبر سجلاً موثقاً به للباحثين وطلاب العلم والثقافة.

استطاع للمنهل أن يتذوق إلى قرائه الكرام ثراً زلاً طيلة هذه السنين المديدة جاعلاً نصيب عينيه سيرة ركب التطور رائداً في بعض الأحيان ومسجلاً في بعض الأوقات ومذكراً بالماضي المجيد

^١ مجلة المنهل، مجلة سعودية شهرية متخصصة تغطي بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، المدينة المنورة، أكتوبر / نوفمبر، ١٩٨٤م، ص: ١٥٢-١٥٣.

وباحثا عن التراث القيم الخالد لهذه البلاد، مستلهمما في كل ذلك طبيعة مبدئه في الإتزان وزن البحث ونشر ما يفيد وإهمال مالا يفيد أن نتحدث. فقد حظي المنهل بتقدير العلماء والأدباء في مختلف الأقطار والأمسكار واعتبره كثير من رجال العلم أحد المراجع المعتمدة وأحد المصادر العالمية الموثوق بها عن هذه البلاد قديماً وحديثاً. وبذلك حق المنهل جزءاً كبيراً من رسالته الثقافية كمجلة علمية أدبية هادفة وبناءة. وهي تشكل حضوراً واعياً طويلاً الأمد، وهي بلا شك مدرسة أدبية واضحة الملامح والسمات والخصائص.

إنقل الأستاذ الأنباري إلى جواريه في ٢٢ جمادى الثانية عام ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، وبموته هو ركن من أركان الأدب في المملكة واندك شامخ من شوامخ الفكر، لقد خسرت العربية كثيراً بغيابه وليس في مثله العوض ولا سيما في هذه الزمان الذي يكاد أن يطفئ فيه بريق العربية وضوءها. يرحمه الله رحمة واسعة ويغفر له ويسكنه فسيح جناته.

وبالجملة إنه رائد من الرواد الذين قاموا على عاتقهم النهضة الأدبية والصحفية في المملكة بل في العالم العربي. لقد ملأ بعلمه ومعارفه مجال الكلمة التاريخية والأثرية، له في ميدان الدراسات التاريخية والجغرافية والأثرية والترجمات آثار بارزة تشهد له بالأستاذية والريادة. استطاع أن يؤثث مجده الصحفي والتاريخي ومكانته الأدبية بعاصمياته وجهاده وصبره، أمسك بالقلم منذ يفاعته، يحقق ويدرس ويوضح ويشرح وينقد ولم يتوقف ذلك القلم ضعف ولا جمود ولا نكوص عما يعتقد أنه حق وصواب. فكان خيراً مثل للعالم الصبور الدؤوب والأديب المخلص لفن، تمكّن بعزمه أن يضمّن لمجلة المنهل مسيرة الطويلة، وكان دوره شامخاً وبارزاً في إرساء القاعدة الأدبية بهذه المجلة^١.

المصادر والمراجع

- الأستاذ أكرم جميل قنيس، عبد القدس الأنباري من رواد الأدب والفكر العربي والإسلامي، دار الفرائد للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٦م.
- تقي الدين السيد، مجلة المنهل وأثرها في النهضة السعودية، دار احياء الكتب العربية، مصر، ١٩٨٤م.
- د. حمدى السكوت، قاموس الأدب العربي الحديث، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الكتاب الذهبي لمجلة المنهل، مجلة سعودية شهرية متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، المدينة المنورة، أكتوبر/نوفمبر، ١٩٨٤م.
- محمد ناصر عباس، موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية ، مطابع وزنکوغراف ، الرياض، ١٩٧١م.

^١ مجلة المنهل، مجلة سعودية شهرية متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، المدينة المنورة، أكتوبر/نوفمبر، ١٩٨٤م، ص: ١٩٢.

نشأة القصة القصيرة وتطورها في المملكة العربية السعودية

د/ يو. سيد علوى^١

الملخص

هذه المقالة تبحث عن نشأة القصة القصيرة وتطورها في المملكة العربية السعودية، وهذا معروف أنّ القصة القصيرة نشأت وتطورت في الأدب العربي بتأثير الأدب الغربي عامّة والأدب الفرنسي والروسي خاصّة. وقد ترجمت إلى اللغة العربية آلاف من القصص الفرنسية والإنكليزية والروسية. فمن هؤلاء الأدباء الذين أثروا على الأدباء العرب موباسانت (Maupassant) وأميلى زولا (Emile Zola). يعتبر الأستاذ سليم البستاني أول قاص في الأدب العربي الحديث، وقد نشر وطبع قصته القصيرة الأولى "رمية من غير رام" في ١٨٧٠م، ثم تبعه الأدباء الآخرون العرب. ومن القصاصين السابقين الذين عملوا لرفع صيت القصص العربية مصطفى لطفى المنفلوط وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ومحمد تيمور ومحمد عيسى عابد ومن إلهم، إلا أن محمود تيمور يعتبر رائد القصة القصيرة الحديثة في الأدب العربي. وكانت نشأة القصة القصيرة السعودية أيضاً نشأة ثم تطوراً سريعاً حتى احتلت مكاناً مرموقاً في الأدب العربي الحديث.

نشأة القصة القصيرة وتطورها

لا يختلف تاريخ ولادة القصة ونشأتها في المملكة العربية السعودية عن تاريخها في البلدان الأخرى. كانت نشأتها نشأة متواضعة "قلقة متعرّبة، تنظر إلى التراث مرة وإلى القوالب الحديثة للقصة مرة أخرى: وهي في بدايتها من الناحيتين: الزمنية والفنية لا تختلف كثيراً عن مثيلاتها في معظم البلدان العربية الأخرى". وكانت الصحافة الوحيدة لنشر القصة القصيرة في السعودية لما ظلت بلاد الحجاز مدعومة من المطابع حتى سنة ١٩٢٤م حين تأسست المطبعة الأولى الأهلية التي كانت تطبع صحيفة "أم القرى" الجازية الرسمية. فمن العناصر التي ساعدت على تطورها صدور الجرائد والمجلات في السعودية مثل "أم القرى" و "صوت الحجاز" و "البلاد السعودية" و "المدينة المنورة" و "الأضواء" و "حراء" و "عرفات" و "فريش" و "المهمل" و "الرائد" و "مجلة الإذاعة" وما إليها التي هيأت الفرصة لنشرها. ثم جمعت بعضها وطبعت في صورة كتابية ولكن بعضها لا تزال متفرقة بين صفحات الجرائد والمجلات.

وكانت هذه القصص في بداية ظهورها مثل المقالات الاجتماعية غير خاضعة لشروط القصة وقواعدها وكانت تعالج موضوعات الإصلاح والجهل والفقر والمرض غالباً. وقد بدأت في صورة مقالات

^١ عميد كلية ملبيار للدراسات العليا بونغارا، ملابرم ومشرف البحوث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كبرالا.

^٢ مجلة المهل، مجلة سعودية شهرية متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، العدد: ٤٤٥، المجلد: ٤٧، المدينة المنورة، مايو ١٩٨٦م، ص: ٨٨

قصصية متأثرة بفن المقامة أو الأسلوب الحواري البسيط الذي يهدف في الدرجة الأولى إلى التعليم والوعظ^١. يقول الدكتور منصور الحازمي عن هذه القصص: "ونلاحظ في المقالات القصصية التي نشرت في جرائد هذه الفترة ميلاً واضحاً إلى النقد الاجتماعي والسخرية بالتقاليد البالية، إماً باستخدام الأسلوب المباشر أو بتغليفه عن طريق الرمز"^٢. ومن أقدم المقالات القصصية ما كتبه محمد حسن عواد في كتابه "خواطر مصرحة" سنة ١٩٢٦م تحت عنوان "الزوج الإيجاري" وما كتبه عبد الوهاب آشى بعنوان "على ملعب الحوادث" التي نشرت في كتاب "أدب الحجاز" سنة ١٩٢٦م ومنها قصة "في الراديو" لأحمد السباعي سنة ١٩٣٥م وقصة "عقل عصفور" لمحمد حسن كتبى.

وقد ساعدت مجلة المنهل وصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري مساعدة قيمة لنشر القصص القصيرة السعودية. فمن أوائل القصاصين الذين كتبوا في مجلة المنهل أحمد رضا حورو، محمد عالم الأفغاني، محمد أمين يحيى، محمد سعيد العامودي، عبد القدوس الأنصاري، أحمد السباعي، شكيب الأموي، محمد زارع عقيل، حسين سرحان، طاهر زمخشري، محمد عبدالله مليباري وغيرهم.

ولم تنشر في المملكة العربية السعودية مجموعات قصصية خلال فترة ما بين الحربين العالميتين وحتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي. وقد عزا الدكتور منصور الحازمي ندرة المجموعات القصصية في هذه الفترة إلى عدة أسباب، أهمها: "ضعف هذا الإنتاج من جهة، وقلة الموارد المالية وقلة القراء من جهة أخرى. ولم تكن القصة من القوالب الأدبية المحترمة، فلا زال الشعر والمقال يحظيان بكل الاهتمام والإحترام، المقال وديث الرسالة والشعر ديوان العرب"^٣ وأبرز سمات القصة القصيرة في الأدب السعودي الذي انتج خلال هذه الفترة إهتمام الكتاب لعنصر المضمون أكثر من إهتمامهم للأسلوب والبناء الفني للقصة". فقد كانت لهذه القصص عادات تحاول إيضاحها، أو أراء تزيد إثباتها والدفاع عنها. وإذا كان هناك خلاف فيما بينها هو في الطريقة الفنية التي عولج بها الموضوع القصصي، فقد جانب التوفيق بعض الكتاب الذين لم يحذقوا الأسلوب القصصي، ولكن عدداً آخر من الكتاب كالأفغاني وحورو، قد أصابوا شيئاً من النجاح في قصصهم^٤.

بدأت القصة السعودية تظهر في مجموعات مستقلة في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي حين أصدر حسن القرشي مجموعته "أنا الساقية" وأمين سالم روبي مجموعته "والأذن تعشق" و "الحينية" وخالد خليفة مجموعته "في وادي عقر" والأستاذ حميد". كانت إنتاجاتهم في الإطار الشعري الرومانسي. أما الشعيبة في مجافاة الواقع، أو تصويره تصويراً خيالياً

^١ في عالم الكتب، المجلد الأول، العدد الرابع، دار عالم الكتب، الرياض، فبراير ١٩٨١م، ص: ٤٨٧.
^٢ المصدر السابق، ص: ٤٨٧.

^٣ د. محمد الشامخ، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٤٥-١٩٠٠، الطبعة الأولى، مطباع نجد التجارية، الرياض، ١٩٧٥م، ص: ١٤٢.
^٤ في عالم الكتب، المجلد الأول، العدد الرابع، دار عالم الكتب، الرياض، فبراير ١٩٨١م، ص: ٤٩٠.

يعتمد على الإثارة والصدفة والمفاجأة – وفي هذه الصفات تلتقي مع "الرومانسية" الحالمـة الحزينة، أو الـهـارـبة من الواقع أو المـتـطـلـعـةـ إلىـ المـثـلـ الأـعـلـىـ فيـ تـقـوـيـمـ المـجـتمـعـ وإـصـلاـحـهـ".^١

وظهرت القصة السعودية في السـتـينـاتـ المـيلـادـيـةـ أـيـضاـ فيـ مـجـمـوعـاتـ مـسـتـقـلـةـ مـتـسـمـةـ بـإـجـاهـاتـ وـاقـعـيـةـ.ـ وقدـ تـعـرـفـ الـوـاقـعـيـةـ بـأـهـمـهاـ مـلاـحةـةـ الـوـاقـعـ وـتـسـجـيلـهـ وـجـعـلـ حـيـاةـ الـشـعـبـ وـمـشـاـكـلـهـ مـادـةـ لـلـأـدـبـ.ـ يـمـثـلـ أـخـمـ قـنـدـيـلـ وـأـخـمـ السـبـاعـيـ "الـوـاقـعـيـةـ"ـ فـيـ الـقـصـةـ السـعـودـيـةـ الـحـدـيـثـةـ.ـ وـمـنـ أـهـمـ الـقـضـاـيـاـ الـقـيـاسـيـةـ عـالـجـهـاـ هـؤـلـاءـ الـأـدـبـاءـ ظـاهـرـةـ التـحـولـ الـحـدـيـثـ فـيـ الـمـجـتمـعـ السـعـودـيـ،ـ وـالـقـيـاسـيـاـ وـأـحـلـامـهـ وـأـفـكـارـهـ مـوـضـوـعـاـ لـقـصـصـهـ.ـ وـصـارـتـ الـغـرـبـيـةـ -ـ غـرـبـةـ الـفـكـرـ وـغـرـبـةـ الـرـوـحـ -ـ مـنـ أـهـمـ مـوـضـعـاتـ الـقـصـةـ فـيـ هـذـهـ الـفـتـرـةـ.ـ فـمـحـمـدـ عـلـوـانـ وـعـبـدـالـلـهـ السـالـعـيـ وـحـسـيـنـ عـلـيـ حـسـيـنـ وـجـارـ اللـهـ الـحـمـيدـ وـعـبـدـالـعـزـيزـ مـشـريـ وـعـبـدـالـلـهـ جـفـريـ وـسـبـاعـيـ عـمـانـ وـخـيـرـيـ السـقـافـ وـرـقـيـةـ الشـبـيبـ وـلـطـيـفـةـ السـالـمـ وـمـنـ إـلـيـمـ يـنـدـرـجـونـ تـحـتـ هـذـاـ الـقـبـيـلـ مـنـ الـكـتـابـ.ـ

أما بعض الكتاب مثل الدكتور العازمي فيحددون مراحل القصة في المملكة العربية السعودية بثلاث مراحل أولها البدايات من ١٩٤٦-١٩٢٤ م' ووصفوها بالمتغيرة ثم مرحلة الريادة الفنية وامتدت من ١٩٤٦-١٩٧٧ م وقد صدرت فيها المجاميع القصصية وتضمنت قضايا التحولات في المجتمع وقتئذ وأخيراً مرحلة النضج الفني والازدهار والتنوع بين فترة ١٩٧٧ - ٢٠٠٠ م، وقد اكتسبت هذه المرحلة نجاحاً كبيراً وأخذت مكاناً متميزاً في تجربة القصة عربية.

وهذا، نختتم هنا بآراء محمد عبدالله مليباري، الأديب المشهور السعودي في تطور القصة العربية السعودية، ومعالجتها والتي عبر عنها في مقابلة حين سُئل "هل للقصة في الأدب السعودي ملامح خاصة؟" فأجاب: "والقصة في بلادنا اليوم في مرحلة الطفولة التي لم تتحدد فيها ملامح خاصة لها لذلك من الصعب تحديد الملامح، ولكن يبدو لي أن ثمة ملامح إنسانية دينية لها معالجتها في الشكل العام لهذا الطفل".^٢

هكذا نشأت القصة القصيرة السعودية نشأة متواضعة ثم تطورت تطوراً سريعاً إلى أن احتلت اليوم مكانة مرموقة في الأدب الحديث تفتخر بعدة مجموعات تعالج الإتجاهات المعاصرة بأسرها.

المصادر والمراجع

- د/ محمد الشامي، النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية - ١٩٠٠ - ١٩٤٥، الطبعة الأولى، مطبع نجد التجارية ، الرياض، ١٩٧٥ م
- في عالم الكتب، دار عالم الكتب، الرياض، المجلد الأول، العدد الرابع، فبراير، ١٩٨١ م

^١ مجلة المهل، مجلة سعودية شهرية متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، العدد ٤٤٥، المجلد ٤٧ المدينة المنورة ، مايو ١٩٨٦ م، ص: ٨٨

^٢ المدينة المنورة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، العدد ٥٧٨٧، الأربعاء ١٢، ربى الثاني، المدينة المنورة ، ١٤٠٣ هـ، ص: ٢٨

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

- مجلة المهل،مجلة سعودية شهرية متخصصة تعنى بالشؤون الثقافية والأدبية والعلمية، العدد: ٤٤٥ ،المجلد: ٤٧،المدينة المنورة ، مايو، ١٩٨٦ م
- المدينة المنورة، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، العدد: ٥٧٨٧ ،الأربعاء ١٢ ، ربيع الثاني، المدينة المنورة ١٤٠٣ هـ

فلسفة الحب في الأجنحة المتكسرة و'رمنان' لجنجامبوزها كريشنا بيلالي

د/عبد الجليل. أم'

الملخص

تبحث هذه الدراسة حول القواسم المشتركة ونقاط الإلتقاء في فلسفة الحب في 'الأجنحة المتكسرة' لجبران خليل جبران و'رمنان' لجنجامبوزها، ويخرج البحث الأبعاد المشتهرة والأخرى الموازية في الإبداعين المذكورين، الأجنحة المتكسرة ورمنان إبداعان حول الحب القدسي ومساوية الحب، الأخيلة المستعملة والجمال الإبداعي فيما تسير إلى أفق واحد بأسلوب واحد، والإبداعان يسلطان الضوء على الحب القدسي بالإضافة إلى كثير من القضايا، ونجد فيما لغة المعذبين وتأملات فلسفية وهمسات المعاناة وثورات على نواميس الشعب، وتقصد هذه الدراسة تعريف جنجامبوزها، العلم الرومانسي الهندي إلى العالم العربي لما أن قصidته حطمت كل الأرقام القياسية.

فلسفة الحب في 'الأجنحة المتكسرة' و'رمنان'

هذا هو جبران خليل جبران الذي لا يحتاج العالم إلى التعريف به، الذي عرف بـ'نبي الحب' من لبنان بصفته كتاباً وشاعراً ورساماً، وقد ترك ثروة هائلة إلى المكتبة العالمية ذات مقروئية واسعة، ومن بينها روايته 'الأجنحة المتكسرة'، وهي رواية شعرية كتبه جبران خليل جبران ونشرت لأول مرة باللغة العربية في عام ١٩١٢ م (نشرت أصلاً باللغة العربية، ثم نشرها في عام ١٩٥٧) وهي قصة حب مأساوية (Tale of Tragic love story/doomed passion)، والتي وقعت في بيروت في فترة تحول إلى القرن العشرين، وهي قصة بطل شاب، هو جبران نفسه، يقع في حب عذري خالص مع امرأة شابة، هي سلمى كرامي، وتظهر أمامه العراقيل من كل جهة، عراقيل ذات أبعاد، وتزوجها منصور بك غالب، ويفسر جبران أمام هذه العراقيل فلسفة الحب، ومساوية الحب العذري، وفيه يكتب الكاتب عن الفتاة الأولى التي طرقت قلبه، ولا يزال صوتها يهمن في روحه إلى الأبد، وتغمر العاشقين هالة القدسية، وفي نهاية القصة، تفقد جبران كل شيء، ويبكي بكاء العاشق والمحب المولع وبكاء الأخ الكريم والأب البار، وصارت حياته بعدها أغلوطة لا حل لها، وفيه ترى فلسفة الأسى والكآبة في معظم أسطرها، حبّ سام عميق، وليس هناك تحولات معقدة.

الكتاب يسلط الضوء على العديد من القضايا الاجتماعية من الوقت في شرق البحر المتوسط، بما فيها من الفساد الديني وغيرها، وفيه العشق، حيث تجد جبران عاشقاً، وفيه الثورة، حيث تجد جبران ثائراً، وفيه المحبة، حيث تجد جبران هائماً، وفيه الرسم حيث تجد جبران رساماً، وفيه الشعر حيث تجد جبران شاعراً وفيه الفلسفة حيث تجد جبران فيلسوفاً، وفيه كل شيء تخلق الكتابة العادية، وهذه رواية رومانسية في جانب، ولكنها ليست رواية رومانسية عادية، إنها فريد نوعها

^١ أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

ونظير وحدها، ولا تزال عالقة بذهن القارئ وبعواطفه وخواطره إلى الأبد، وفيه تصوير مشاعر وأحساسين بإبداعات بدعة غير مسبوقة جدًا، وهذا ألف بلغة المعذبين في الحب، حيث يصعب فهم معانها من انعدام هذه الخلفية، والقصة تبل أنفسنا مثل الماء، وفيه كتابة تأملية فلسفية، وهمسات المعاناة والألام، وثورة على العادات والتقاليد والقيم الزائفة، وفيه المثالية الملائكة السماوية.

تعاليم الحب العذري الخالص

وفي بداية تطور أحداث الرواية يشير الكاتب إلى أساس الحب بينه وبين سلمى كرامي، حيث عبر عنه 'ما أحيل الناس الذين يتوهّمون أنّ المحبة تتولّ بالمعاشرة الطويلة والمرافقة المستمرة، وإن المحبة الحقيقية هي ابنة التفاهم الروحي وإن لم يتم هذا التفاهم بلحظة واحدة لا يتمّ بعام ولا بجيل كامل'، و"الصيابة التي كانت تمتلك كلتي فد تحولت إلى كآبة عمياء لا ترى غير نفسها والولع الذي كان يستدر الدموع من عيني .. قد انقلب ولهاً يستقطر الدم من قلبي"، و"الحب هو نسل تقارب الروحي والذى تم إنشاؤه في لحظة".

المحبة في رأي الكاتب هي الحرية الوحيدة في هذا العالم لأنها ترفع النفس إلى مقام سام لا تبلغه شرائع البشر وتقاليدهم، ولا تسود عليه نواميس الطبيعة وأحكامها، وبذلك انتقد رؤساء الأديان قائلاً: وهكذا أسقف مسيحي وإمام المسلمين والكافر البراهي هي مثل زواحف البحر الذي مخلب فرائسها مع العديد من مخالب ومتتصص دماءهم مع العديد من الأفواه، ما صحة هذا الكلام!.

ويأتي الكاتب بمساوية الحب أثناء أسطره، بعبارات رائعة، وهي فلسفات رائعة عن الحب
أمام عراقيل، حيث يسأل: "أتطلب مني الصبر والتجلد وفي عينيك معنى اليأس والقنوط؟ أيعطي الفقير
الجائع خبزه إلى الجائع الفقير، هل يتعزى كسير القلب بالقلب الكسير"، وإن عذاب النفس بثباتها
أمام المصاعب والمتابع لهو أشرف من تقهقرها إلى حيث الأمان والطمأنينة، فالفراشة التي تظل
مرفوفة حول السراج حتى تحرق هي أسمى من الخلد الذي يعيش براحة وسلامة في نفسه المظلم،
والنفس التي ترى ظل الله مرة لا تخشى بعد ذلك أشباح الأبالسة، والعين التي تكتحل بلمححة واحدة
من الملاأ على لا تُغمضها أوجاع هذا العالم، وإن الماء إن لم تحبل به الكآبة ويتمخص به اليأس
وتضعه المحبة في مهد الأحلام تظل حياته كصفحةٍ خالية بيضاء في كتاب الكيان، ومن لا يشاهد
الملائكة والشياطين في محاسن الحياة ومكروهاتها يظل قلبه بعيداً عن المعرفة ونفسه فارغةً من
العواطف، وإن النفس الحزينة المتألمة تجد راحة بانضمامها إلى نفس أخرى تماثلها بالشعور وتشاركها
 بالإحساس مثلما يستأنس الغريب ظب الغريب في أرض بعيدة عن وطنهما... فالقلوب التي تدنهما أوجاع
الكآبة بعضها من بعض لا تفرقها بهجة الأفراح وهرجتها ورابطة الحزن أقوى في النفوس من روابط
الغطة والسرور، والحب الذي تغسله العيون بدموعها يظل طاهراً وجميلاً وخالداً.

جنغامبوزها كريشنا بيلالي وديوانه 'رمانان'

يعتبر جنغامبوزها كريشنا بيلالي رائداً للحركة الرومانسية للشعر في كيرلا، الذي عاش في فترة بين ١٩٤٨-١٩١٢ في كيرلا، الهند، ملأ الجو الكيرلاوي بقصائد الرومانسية الفياضة الجياشة، وقد ترك إلى المكتبة الشعرية الهندية قصائد تربو على خمسين، ويُعتبر جنغامبوزها أحد الشعراء الذين فارقوا الدنيا في رihan شبابهم ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى إثر مضاعفات داء السل عام ١٩٤٨ حزيران ١٧ ، ودفن في مسقط رأسه في تريشور.

رمانان هي مجموعة شعرية غرامية لجنغامبوزها وفق نسج قصصي صادرة عام ١٩٣٦ ، وتعتبر القصيدة من أهم مؤلفات في حياته، وكان الدافع الذي دفع جنغامبوزها إلى تأليف هذا الشعر انتحار صديقه الحميم إدابلي راكوان بلاي (Edappilly Raghavan Pillai)، ويصور الشاعر خلال السطور عن القصة الرائعة والحب المقدس بين رمانان وجندراكا هو شاب متوفّد وقرىء فقير، وهي صاحبة ذات مال وجمال، ونبتت في قلوبهما نواة الحب في أول وهلة.

ووصف الشاعر في مطلع القصة عن القرية ورشاقها بأسلوب رائع، وأوصاف الطبيعة تؤثّر في قلوب القرائيين تأثيراً عميقاً، وفي بداية القصة يستريح الراعيان في جوف الغابة ، الراعي الأول رمانان (Ramanan) هو البطل الشاب الذي يبلغ من عمره سبع وعشرين وخليله مدنان (Madanan) يبلغ من عمره ثلاثة وعشرون، وقد استغرق رمانان في فكرة عميقه، وقتنـد يطلب مدنان عن أسباب فكرته، فيـنـ رمانان أمامـه عن حبـه وعاشقـته جـندـراكـا تـبـيـنـاـ واـضـحاـ.

وكان رمانان محباً صادقاً وكانت جندراكا محبوبة مخلصة، توطدت علاقتهما توطداً عميقاً، وحاول رمانان أن يبعدها من هذا الحب لعلّ حسيـهاـ وجمـالـهاـ ونسـهاـ، ولكنـهـ فـشـلـ فـيـهـ، لما كانت جندراكـاـ صـرـيمـةـ فيـ عـزـمـهاـ وـحـمـهـاـ لـهـ، وـقـدـ سـاعـدهـ خـلـيلـهـ مـدـنـانـ لـتـنـمـيـةـ هـذـهـ الـمحـبـةـ الـوطـيـدةـ، وـهـيـ عـاـشـتـ فـيـ عـالـمـ الـحـلـمـ لـيـلـاـ وـنـهـارـاـ، وـلـيـسـتـ لـهـاـ حـاجـةـ إـلـىـ النـوـمـ وـالـطـعـامـ، وـتـطـورـتـ الـمحـبـةـ تـدـرـيـجـياـ هـمـ يـتـبـادـلـونـ عـاـمـاـ فـيـ قـلـوـبـهـمـ مـنـ الـأـفـكـارـ وـالـعـوـاـطـفـ وـالـمـشـاعـرـ، وـقـدـ عـزـمـتـ جـندـراكـاـ أـنـ تـذـهـبـ مـعـهـ لـتـجـولـ فـيـ الغـابـةـ وـلـكـنـ هـوـ خـالـفـ هـذـهـ العـزـمـ وـذـهـبـ إـلـىـ جـوـفـ الـغـابـةـ وـحـيـداـ، وـقـتـنـدـ اـنـتـكـتـ الدـمـوعـ مـنـ عـيـنـهـاـ بـهـذـاـ الفـرـاقـ الـمـؤـتـمـ أـيـضـاـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ قـضـتـ جـندـراكـاـ أـوـقـاتـ الـفـرـاغـ مـعـ صـدـيقـهـاـ وـتـحـدـثـ عـنـ رـمـانـانـ وـحـمـهـاـ وـأـمـالـهـاـ وـرـغـبـاتـهـاـ كـثـيرـاـ، وـفـيـ نـفـسـ الـوقـتـ يـقـضـيـ رـمـانـانـ لـحـظـاتـهـ فـيـ الـهـيـامـ فـيـ جـوـفـ الـغـابـةـ .

وبعد حقبة، يعزم أبوها على زواج أنها الوحيدة، وقتنـدـ إـضـطـرـتـ جـندـراكـاـ كـثـيرـاـ وـثـارـتـ فـيـ قـلـمـهاـ الـيـمـينـ عـلـىـ عـاـشـقـهـاـ وـفـيـ نـاـحـيـةـ أـخـرـىـ كـانـتـ فـيـ حـزـنـ عـمـيقـ عـلـىـ خـلـافـ عـزـمـ أـبـوـهـاـ، أـصـبـحـتـ تـفـكـرـ فـيـ كـلـ لـحـظـاتـ فـيـ الـغـرـامـ مـعـ رـمـانـانـ، وـلـمـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـقـفـ أـمـامـ طـلـبـاتـ مـلـحةـ مـنـ قـبـلـ وـالـدـيـهـاـ، وـفـيـ هـذـهـ الـحـالـةـ الـحـرـجـةـ إـعـرـفـتـ أـنـ تـنـكـحـ زـوـجـاـ غـيـرـهـ، وـغـيـرـتـ جـندـراكـاـ مـوـقـفـهـاـ مـعـ الـحـيـاةـ، وـبـعـدـ ذـلـكـ عـلـمـ رـمـانـانـ عـنـ زـوـاجـ جـندـراكـاـ فـتـأـلمـ قـلـبـهـ أـمـامـ هـذـهـ الـمـأسـاةـ، وـلـمـ يـغـيـرـ مـوـقـفـهـ مـعـ الـحـيـاةـ، وـلـمـ تـغـيـرـ لـدـيـهـ فـلـسـفـةـ الـحـبـ الـخـالـصـ، وـيـذـوبـ ضـحـيـةـ أـمـامـ الـعـشـقـ الـقـدـسيـ، وـيـفـنـيـ فـيـ هـذـاـ السـبـيلـ.

وما كان في نفس مدنان حزم أن يخبر صديقه رمانان عن هذا الخبر المؤلم، ولكن أخيراً أخبره، ولم يستطع تحمل يأسه وحزنه، واستغرق رمانان في الحزن واليأس وكان مولعاً في الفكريات الغابرة، وزار رمانان الجندركا زيارته الأخيرة في يوم زواجهما وانتحر رمانان في يوم زواجهما في جوف الغابة ليذوب في الحب السرمدي إلى الأبد، وصاح مدنان صيحة عندما رأى جثة رفيقه الحميم في النهاية، وهكذا، ينتهي هذا الإبداع الشعري.

ونشير الآن من خلال بعض الأبيات من قصيدة رمانان، وهنا ينتقد الشاعر نواميس الشعب كما نقدها

جبران:

تأملي يا جندركا
وما هذا إلا عالم الخيال
إذا رأتها قلوب العشاق
ستذهب بلا ريب
وحتى في الظلام الصميم
تُوهج عيون نواميس الشعب^١

ويقول عن عدالة المجتمع مرات عديدة:

وفي وسعي
تحمل كلّ شيء
ولكن كيف أتحمل
أفاعي نواميس المجتمع !
إن لسعها
خارج تحملّي^٢

وهنا نرى العاشقين يتباران همسات الحب الخالص:
يا رمانان دعني أصحابك
لرعاي الأغنام في الغابة

^١ എക്കിലും, ചരികേ, നമ്മൾ കാണും
സകപ്പലോകമല്ലിയുലകം;
സംഗ്രിതസാദ്ധമാം മാനസങ്ങ-
ജിഞ്ഞാട്ടു നോക്കിയാൽ തെടുമേതും.
ബോരസമുഭായഗ്രഖനേത്രം

കുറിരുട്ടതു രൂറിച്ചുനില്പി!

² എല്ലാം സഹിക്കാം;-വിഷമയമാ-
മല്ലാറ്റിനേക്കാൾ ഭയകരമായ്,
ഉഗ്രഫനവുമായ് ശീറ്റിനില്പി!
ഒഴുസമുഭായകാളണസ്ത്വം!
ഒന്നതിന് ഒംശനമുറ്റുപോയാൽ-
പ്ലിനേ, മരിച്ചവരായി നമ്മൾ!

ربما تتألف أكناها
في الربع
ربما تتحلى أشجارها
بالأزهار
ربما تشدی بالابلها
بالأنغام
ربما تنسجم شلالاتها
مع الحرير
يا رمانان دعني أصحابك
إلى ذلك المنظر الجذاب
الأزهار هناك
قد إنفتحت
وتبتسم الشلالات
بزيدها
دعني أصحابك يا رمانان
لأن أتمتع هذا المنظر !¹

وهنا ينتقد العاشق فشل الحب في المجتمع:
وقد قلت لك من قبل
ليس هناك حبّ خالد
وما هي إلّا عاطفة زائلة !
كزهر يكاد يذبل
سيزول هذا الحبّ

¹ କାନ୍ତଗୁଡ଼ୀଯାଯିଲାଟୁମେଯ୍ କୋଣ୍ଠ
ଶତାବ୍ଦୀ ପରାଦ୍ୱୟେ ଗିର୍ଜରକୁଣ୍ଡ?
ଓ ପାନବିମିକଳୀ ପାନଟ-
ଶ୍ରୀବିଲାସତତିର୍ତ୍ତତତ୍ତ୍ଵିରତ୍ତିରିକଣ୍ଟୁ:
ହୁମ୍ପୁଛାତ୍ରିପିନ୍ତରେତ ମାମରଙ୍ଗସର
ପୁଣ୍ସପାଞ୍ଚଶିରକୋଣ୍ଠ ନିରାଶରିକଣ୍ଟୁ:
ଆଖଣିପ୍ଲାଟ୍ରାମର୍କଷ୍ୱୟିଲିଟାକର୍
ସଂଶୀତାଂପେଯୁକତ୍ୟାଯିରିକଣ୍ଟୁ:
ପୁଣ୍ସପାଞ୍ଚଶିରକୋଣ୍ଠ କମାନ୍
ତଲ୍ୟପତଲଙ୍ଗସର ବିରିତ୍ତିରିକଣ୍ଟୁ:
କୋଣ୍ଠପୁଣ୍ସେନ୍ଦ୍ରାଲକର୍ ବେଳନ୍ତାରଯାତ୍-
ପ୍ଲାଟ୍ରିଟ୍ରିରିକଣ୍ଟୁକଯାଯିରିକଣ୍ଟୁ-
ହୁନ୍ଦାପାନତତିଲେକବାତ୍ର କାଣ୍ଟା-
ଗେନେନ୍ଦ୍ରୁଙ୍କୁଣ୍ଟୋନ୍ଦ କୋଣ୍ଠପୋକୁ!

بعد هنئة
كأبي قوس
وهذه حقيقة
منتشرة حولنا^١

وهنا يقرر الشاعر مأساوية الحب:

يا للحب الضرير
أنك مرمى العالم في كل آن
هذا هو قلبي الباكى!
علق بك^٢

وأخيرا يعلن مبدأه في سبيل الحب الخالص، وهذا المبدأ الفناء في سبيله:
وان لم أزل زهرتها في هذه الحياة
سأصوغ باقها في موتي^٣

وهذا هو الذي قال خليل جبران في الأجنحة المتكسرة، حيث يقول: "الحب هو الحرية الوحيدة في العالم لأنها حتى يرفع الروح التي قوانين الإنسانية لا تغير مساره"، وعبارة جبران "إن البلبل لا يحول عشاً في القفص كيلا يُورث العبودية لفراخه" متعاكسة في فلسفة رمنان، والشعور السامي لعاشق جبران القائل "إن الحبة المحدودة تطلب امتلاك نفسك التي تسمع همس الأزهار وأغاني السكينة تستطيع أن تسمع صرخ روحى وضجيج قلبي" موجود في همسات رمنان لجنغامبوزها، وكذلك عبارة

^١ നന്ദാ-ശാന്മുഹരിപ്രമതില്ലുചീയിൽ! കേവലമൊരു താത്കാലികഭേദം- പുറുപോലുള്ളാരോമനക്കാരുകൾ- മാനസത്തെ മധുരികരിപ്പാരു ഗാനസാന്ധപ്രചാരണാമേള്ളുനു- നാമതിനെ (പ്രണയമെന്നായ്) ചുണ്ണാമിപ്പാരുണ്ണുകമാത്രമാം! തെള്ളുനാളുകഴിയുകിലുാ മഴ- വിപ്പുമങ്ങേന മഞ്ചിമറ്റുപോം! ചുറ്റുപാടു നാം കണ്ണവരുണ്ണൊരു സത്യമാണിതു സംശയിക്കേണ നീ. മനീല്യം മറുവരെപ്പുാലെയും- തന്നെയാണയേ നീയും, സഹോദരി!

² ലോകാപവാദത്തിൽ മുന്നിൽ, നിൽക്കും മുകാനുരാഗമേ, നിന്നിൽ ഒട്ടിപ്പിടിച്ചുന്നെ ചിത്തം നിത്യം പൊഴിക്കരുയുന്നു, കഷ്ടം!

³ ജിവിതമിപ്പേമവ്വുരിയെ- പുവണിയിക്കുകയില്ലേയെക്കിൽ മൃത്യുവിലേക്കില്ലും തൊന്തിന്നെ പുഷ്പങ്ങൾക്കാണണാരു മാലകട്ടു!

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

جبران "أريدك أن تذكرني مثلما تذكر الألم جنيناً مات في أحشائهما قبل أن يرى النور" لها مكانة في ختام
القصيدة.

المصادر والمراجع

- جبران خليل جبران، الأجنحة المتكسرة، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ١٩٨١ م
- Changambuzha, Ramanan, Poorna Publications, Calicut ,2004

محمد الحسني: رائد الصحافة العربية الهندية

د/ أنيس النكادن^١

الملخص

لا شك أن الهند قد قاموا بإثراء اللغة العربية منذ زمن قديم، ولكنهم كانوا يركزون مجهوداتهم على خدمة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، فى المراحل كما قدموا الخدمات فى مجال الفقه والعلوم الدينية الأخرى. وإنهم لم يلتفتوا إلى مجال الصحافة العربية إلا بعد ظهور الصحافة الإنجليزية والفارسية وما إلى ذلك من النشاطات الصحفية في اللغات المحلية الهندية الأخرى. وذلك بسبب اعتقادهم بأن هذه اللغة لغة مقدسة تتعلق بالشريعة الإسلامية. والسبب الثاني وهو مهم جداً أن هذه اللغة لم تكن لغة رسمية في الهند. ولم تحصل دعماً وعناية من الحكومات في عهد السلطنة أو المغول.

الصحافة تقوم بدور هام في تشكيل الرأي والتعبير عنه، وهي وسيلة من وسائل الإعلام وإبلاغ الرأي، ولها صلة مباشرة بالشعب فهي كالسيف ذي الطرفين، فإن كان صاحبها ذي فكر مضل وضال، ويحمل فكراً مضلاً وضاراً يضل الشعب. وإذا كان حامل فكر سليم مستقيم يهدي الشعب إلى ما هي الغاية المنشودة. ويأخذهم إلى طريق مستقيم ويسبب في الرقي والإزدهار في المجتمع.

و قبل أن نتحدث عن مساهمة محمد الحسني في الصحافة العربية في الهند أريد أن أقول شيئاً على ظهور الصحافة العربية بهذه ومدى ازدهارها قبل خوضه فيها، لكي يعرف فضلها في هذا المجال. كانت الصحافة العربية في هذه البلاد قد ظهرت بعد ظهور الصحافة الإنجليزية والفارسية والأردية. لأن هذه اللغة لم تقبل قبولاً عاماً ولم تلق رواجاً في الهند مثل هذه اللغات الخارجية. ولم تكن لغة الحكومة والديوان في أي وقت. وكما لم تكن لغة العوام. ولهذا لم يقدم أحد على إصدار مجلة باللغة العربية في الهند. وما زال المسلمون يعتبرون اللغة العربية لغة مقدسة يعني أنها لغة القرآن ولغة الأحاديث النبوية الشريفة. فجل اهتمامهم بالتفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك.

في سنة ١٨٧١ م صدرت جريدة باسم النفع العظيم لأهل هذا الإقليم. هي أول جريدة في اللغة العربية في شبه القارة الهندية وهي صدرت من مدينة لاہور وبعد مدة قليلة غابت شمسها عن الأفق لوجود الخلل الذي وقع في طباعتها ومضت فترة طويلة على الصحافة العربية لا تقل عن عشرين عاماً لا توجد أي جريدة عربية في الهند. وفي سنة ١٩٠٢ م صدرت مجلة عربية باسم البيان من لكناؤ. ولها دور مهم في إيجاد بيئة مناسبة للكتابة باللغة العربية. ونالت قبولاً عاماً في الحلقات العلمية في البلاد العربية وسنة ١٩٢٣ م صدرت مجلة عربية أخرى تحت إشراف مولانا أبو الكلام آزاد باسم الجامعة من كلكتا. وسنة ١٩٢٣ م صدرت مجلة الضياء من لكناؤ التي لعبت دوراً بارزاً في توطيد

^١ أستاذ بديل، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

العلاقات بين البلاد العربية وبين مسلمي الهند. وأدت دورا ملمسيا في إيقاظ الوعي الإسلامي في نفوس مسلمي العالم. وإنها تعتبر من رواد الصحافة العربية في شبه القارة الهندية وبرزت حينما كانت اللغة العربية بالهند فريسة الجمود والركود وكانت هذه المجلة مؤلفة من علم كثير وأدب وافر وهناك مجلة فصلية ظهرت عام ١٩٥٠ م باسم ثقافة الهند وكانت تصدر أربع مرات في العام تحت إشراف المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بالهند. كانت تعنى بتعريف الشخصيات الهندية التي نالت مكانة مرموقة في الهند وفي العالم، والتي أدت دورا هاما في الفكر الإنساني في القرن العشرين وكما تعنى هذه المجلة بنشر المقالات حول أداب اللغة الهندية المختلفة وبنشر المقالات عن الفنون الجميلة المختلفة^١.

خوض محمد الحسني في الصحافة العربية

حينما بلغ محمد الحسني من عمره السنة التاسعة عشر، وأحاط بالعلوم العربية وحصلت له الكتابة العربية، أحسن في نفسه أن يشكل جماعة أدبية تحتوي على أصدقائه وأحزابه. وكان غرضه من إنشائها أن يزيد فهم الذوق الأدبي ويرغبوا في مطالعة الكتب الأدبية والإسلامية. وتحصل له أصدقاء أوفياء، فأسس جمعية باسم المنتدى الأدبي سنة ١٩٥٤ م التي تعقد جلساتها مرة كل أسبوع ويقدم كل عضو في مقاله على الالتزام. فحصل لهذه الجمعية فوز في إنشاء ملكة إنسانية وكتابية في أصحابها، ونما فهم الذوق الأدبي، وكثروا قسمهم لمطالعة الكتب. وازدادت رغبتهم في الكتابة والإنشاء.

وكان محمد الحسني أحاطت به وغطته هذه الفكرة. بل استولت عليه أن تنشر هذه المقالات المعدة من إخوانه حتى يكون نفعها عاما. فعرض فكرته على أعضاء الجمعية في إصدار مجلة عربية إسلامية شهرية استشار والده في ذلك فرأى ووعلمه بتقديم كل ما في إمكانه عونا ومساعدة. وأحب بهذه الفكرة عمه حتى سمي هو أيضا بهذه المجلة بالبعث الإسلامي وكان القصد من وراء هذه المجلة ما ذكره محمد الحسني هو بنفسه على الصفحة الأخيرة للعدد الأول وهي: بعث الروح الإسلامية والأدبية في الشباب وتوجهات رشيدة للطلبة في الدراسة والتعليم. وتوثيق الصلات الأدبية والثقافية بين المدارس العربية في الهند وشباب العالم الإسلامي ورفع مستوى اللغة العربية في الأدب العربي في الهند. في سنة ١٩٥٥ م جاء العدد الأول لهذه المجلة التي كانت مختلفة تماماً عن المجلات العربية التي كانت موجودة في أسواق العربية. ففيها الجد والزاهدة والفكر الصائب الهادئ، كما ذكر محمد الحسني ميزة هذه المجلة ونبهه الذي اختاره فيها: أنها ليست مجلة كبعض المجلات العربية في البلاد العربية كالقاهرة وبيروت تلهو وتلعب بالأدب وتسبح بحمد أعلام الغرب وتمجد الحضارة الغربية وتقدس لها وتبذل جهدها في تحسين صناعة المدح والإطراء والتزلف إلى الأمراء والملوك بل إنها مجلة ذات دعوة وذات عقيدة وذات مبدأ وأصول وذات رسالة خالدة.

^١ جمال الدين الفاروقى وعبد الرحمن محمد ،أعلام الأدب العربي في الهند، مكتبة الهدى، كاليكوت، ١٩٩٨، ص: ١٨-١٣

ونالت هذه المجلة الإعجاب والتقدير في الأوساط العلمية والأدبية وذلك أنها كانت أعظم مجلة في تاريخ الصحافة العربية في شبه القارة الهندية من حيث المستوى والانتشار. فإنها تقدم فكرا سليما ومنهجا صائبا وموادا مؤثرة للعالم العربي الإسلامي.

مقالات محمد الحسني التي نشرت في شكل الكتاب

"الإسلام الممتحن"

كتاب يشتمل على اثنين وثلاثين مقالة. تعالج ثالثين موضوعا من الموضوعات المعاصرة. وهذا الكتاب أصلا مجموعة المقالات الافتتاحية التي نشرت في مجلة "البعث الإسلامي" في مناسبات مختلفة. ولكن فيها عاطفة إسلامية جيasha، وتحرق قلب على الأحداث في العالم العربي الإسلامي، وتعليقات حارة وحادة عاطفية على تصرفات الزعماء والقادة، والمتقفين بالثقافة الأوروبية ودعوة إلى العودة إلى الإسلام. ونال هذا الكتاب الإعجاب والتقدير والثناء عليه من العاملين في مجال الدعوة وتصحيح الفكرة وإثارة الغيرة وفيه تقديم عمه الذي أحاط بجميع جوانب حياته منذ نعومة أظفاره إلى أن وافته المنية في أسلوب قوي ممتاز ولغة مؤثرة بلغة. فهذا الت تقديم زاد الكتاب أهمية ومكانة.

"تناقض تحار فيه العيون وتطابق يسر به المؤمنون"

كتاب يشمل أربع مقالات أخيرة دمجها يراع الكتاب الإسلامي محمد الحسني ورتبه عمه وقدم له ونشره بعد وفاته. وقد نشر هذا الكتاب بعنوان آخر وهو العالم الإسلامي بين التبعية والذاتية. وقد صور في المقال الأول بريشه البارع التناقض العجيب الذي تعشه الدول والمجتمعات الإسلامية. وأشار علها أن تعود إلى حياة لا نفاق فيها ولا تناقض. وفي المقال الثاني صور المجتمع المعاصر الذي زادت فيه همامة المال وتغيرت فيه الموازين. وأصبح جمع المال بأي طريق مما وحيدا، والمقال الثالث باسم سلامه العقيدة في حاجة إلى سلامه الحضارة، والمقال الرابع بعنوان تطابق يسره المؤمنون وتم عمل جمع هذا الكتاب على يد عمه الكريم وقد ضم عمه إلى مقالاته مقالا آخر، وهذا المقال أصلا هو الفصل الأخير من كتاب عمه الصراع.

"المنهج الإسلامي السليم"

كتاب نشر بعد وفاته خمس سنوات بمقدمة عمه الكريم من دار القلم الكويت. وهذا الكتاب مجموعة مقالاته وأبحاثه ظهرت في مجلة البعث الإسلامي في مناسبات مختلفة. لكن الفكرة الأساسية في جميع البحوث والمقالات هي واحدة، وهي شعارنا الوحد إلى الإسلام من جديد. وكذلك يحتوي هذا الكتاب على مقالات دينية ومقالات سياسية ومقالات اجتماعية.

"مع الحقيقة"

هذا الكتاب مجموعة مقالاته وافتتاحياته التي كتبها في مجلة البعث الإسلامي وفي صحيفته الرائد في مناسبات مختلفة نشر هذا الكتاب بعد وفاته مؤخرا. إذ قام بجمع هذه المقالات وترتيبها ابنه البار بلال محمد الحسني من مجلدات البعث الإسلامي ومن ملفات صحيفة الرائد.

"أضواء على الطريق"

هذا الكتاب يشتمل على ثلات وستين مقالة، تعالج موضوعات مختلفة وهذه المقالات نشرت في صحيفة الرائد. وقام بجمعها وترتيبها أبناءه وخاصة ابنه البار بلال محمد الحسني بعد ما كانت مغمورة ومطمورة في ملفات الرائد.

"همسات إلى جزيرة العرب"

هذا كتيب ليس كتاب. ونشر هذا الكتيب في شكل مقال في مجلة البعث الإسلامي. وقد تحدث فيه الكاتب عن موقع جزيرة العربية ومكانتها السامية المرموقة لدى الشعوب المسلمة في العالم. وقد رأى هذا الكاتب في الجزيرة طمعاً وولوها بالحضارة الغربية وراء التناقض العجيب. فلم يستطع أن يصبر، بل أظهر سخطه وغضبه لأجل حبه الشديد لجزيرة العرب. وإخلاصه البالغ للإسلام فنصح للشعب العربي فيها. وإنه يعتبر الجزيرة حصننا ومعقلنا للإسلام فإذا دخل الضعف وأخذ الوهن في المجتمع الإسلامي في هذه الجزيرة فلا يبقى للإسلام ذكر ولا يكون له دور في الجزيرة فحسب. بل وفي العالم الإسلامي كله لأن الجزيرة قلب الإسلام.

"الإسلام بين لا ونعم"

هذا كتيب أيضاً قد نشر في صورة مقال افتتاحي في العدد السابع لسنة ١٩٦٥ م. بهذا العنوان قوله أثر كبير في دوائر الدعوة الإسلامية فنشر في شكل كتيب ليعلم نفعه، وذلك إن الكاتب قد تحدث عن الأشياء التي لها صلة بالإسلام والأشياء الأخرى التي لا علاقة لها بالإسلام.

"إلى القيادة العالمية"

هذا الكتاب أيضاً مجموعة مقالاته الافتتاحية لمجلة البعث الإسلامي في مناسبات مختلفة. وتضمن هذا الكتاب على سبعة وعشرين مقالة، أولها: الطريق إلى القيادة العالمية وأخرها رائد التضامن الإسلامي في ذمة الله.

"مصر تنفس"

هذا الكتاب يحتوي على مقالاته وأبحاثه التي نشرت في مجلة البعث الإسلامي في أعداد مختلفة. لكن معظم مقالاته تتصل بمصر وأحوالها، فسيبي بـ مصر تنفس. وقد نصح فيها الكاتب مصر وقدم إليها توجيهاته وإرشاداته، لتعود إلى طريقها القيادي للأمة الإسلامية بل وللإنسانية جماء، ويشتمل هذا الكتاب على أربعة وعشرين مقالة أولها: مصر تنفس وأخرها: داعاً في أنقاض التاريخ.

"محمد الحسني وترجماته إلى اللغة العربية"

كان عمل الترجمة عملاً صحيحاً لا يستطيع أن ينجزه من ليس له إلمام باللغتين: اللغة التي يترجم منها، واللغة التي يترجم إليها، فكان كاتبنا محمد الحسني يمتاز في هذا الفن فكان له معرفة كثيرة وإلمام باللغتين وحضارتهما، ولذا نرى أن له حظاً وافراً في ملوك الترجمة، وإنه ترجم كتبًا ومقالات إلى اللغة العربية بحيث لا يستطيع القارئ أو الدارس أن يفرق بين الأصل والنقل لأنه لم ينقل الألفاظ

والكلمات فقط، بل إنه نقل الروح السائدة في الأصل، وأنه يمنج نفسه مع نفس الكاتب، وينسجم فكره مع فكر الكاتب. حتى يظن القارئ أن الكاتب والمترجم شخص واحد، فأول ما نقله إلى اللغة العربية بين الصورة والحقيقة وهي محاضرة عمه الكريم التي ألقاها في حفل عام في لكتاؤ سنة ١٩٤٩ م. فضل البعثة المحمدية على الإنسانية ومنحها العالمية الخالدة هذا الكتيب محاضرة ألقاها عمه في سنة ١٣٩٥ هـ في لكتاؤ فنقلها محمد الحسني إلى اللغة الأردية.

"العالم الإسلامي بين التبعية والذاتية"

ألف عم الكاتب باللغة العربية بعنوان "الصراع بين الفكرة الغربية وبين الفكرة الشرقية". وكتب في الفصل الأخير من الكتاب الذي في اللغة الأردية بعنوان خاتمة البحث. وطلب من ابن أخيه أن ينقله إلى اللغة العربية وبين ما نقل من أردو إلى العربية.

"الصلاحة ومكانتها في الإسلام"

لقد كان شيخ الكاتب الشيخ محمد زكريا كاندھلوی ألف كتاباً في فضائل الصلاة، وسماه (فضائل نماز) فترجم محبه ومجازه محمد الحسني إلى اللغة العربية بأسلوب مثير جذاب.

"شهداء بالأکوت يتکلمون"

وذلك أن عمه الكريم ألف كتاباً سماه بسيرة السيد أحمد شهید في مجلدين في اللغة الأردية، كتب فيه عن تاريخ الدعوة والجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجري. وعن حياة قائد هذه الحركة وعن سيرة أصحابه ورفقائه وأخلاقهم. ثم بعد ذلك بما المؤلف الكتاب عن الكاتب أن يؤلف كتاباً يضم فيه روايات من هذا التاريخ ويصوغها في اللغة العربية. فاختار المؤلف لكتاب سيرة سيد أحمد شهید روایات من هذا الكتاب وصاغها بأسلوب قصصي شائق ونشرها في كتاب آخر مستقل باسم: إذا هبت ريح الإيمان الذي اختتم على فصل شهداء بالأکوت يتکلمون. هذا الفصل نقله محمد الحسني إلى اللغة العربية بطلب من عمه وتبدو الترجمة كأنها أصل

وقد كتب هذه الصحفي العزيز محمد الحسني الندوی أكثر منتين مقالات في مجلة البعث الإسلامية هذه السلسلة الطويلة من المقالات القيمة حيث انه كان محرراً لهذه المجلة وأنه كان يعيش في رحابها، ولم يكن هناك عدد كبير من الكتاب في اللغة العربية وأدابها وأصحاب المجلة قد اقتدوا أن يكتب المقالات في مختلف المواضيع، حيث يتسع لهم إصدار مجلتهم وإضافة إلى ذلك أن نطاق هذه المجلة كان مؤثراً في منطقة لكنوا والقرى المجاورة لها فلم يصل صدى هذه المجلة إلى المناطق البعيدة مثل جنوب الهند، فتوفرت صفحات المجلة للذين يكتبون في اللغة العربية من أعضاء ادارة المجلة والذين كانوا يعيشون في منطقتها أو المجاورة لها. وهذا هو سبب لكثرة عناوين المقالات في هذه المجلة. وعلى كل حال هذه خدمة عظيمة من قبل هذه الشخصية البارزة للغة الضاد وأدابها، وإذا التفتنا إلى عناوين هذه المقالات نجد أن النصف الأول منها متعلق بالموضوعات الدينية والنصف الثاني يدور حول موضوع عصرية. وإليه يرجع الفضل في بقاء هذه المجلة في سنواتها الأولى.

المراجع

- أبو الحسن علي الحسني الندوي، ماذا خسر العالم بخبطاط المسلمين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع حلب، بيروت، ١٩٧٨ م.
- أبو الحسن علي الندوي، مسلمون في الهند، ندوة العلماء، لكنه، الهند، ١٩٧٦ م.
- أبو الكلام آزاد، ثورة الهند السياسية، نقله إلى العربية عبد الرزاق المليح أبيادي، مطبعة المنار، المنامة، ١٣٤١ هـ
- الدكتور سليم الرحمن خان الندوي، الصحافة الإسلامية في الهند تاريخها وتطورها، المجمع الإسلامي العالمي، لكنف، ٢٠١٠ م.
- عبد العي الحسني، الهند في العهد الإسلامي، دائرة المعارف، حيدرآباد، ١٩٧٢ م.
- عبد المنعم التمر، تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد، القاهرة، ١٩٥٩ م.

المقاومة والوطنية في شعر الشابي

السيد راشد. بي. أى^١

الملخص

إن كلمتي المقاومة والوطنية قد أصبحتا كثيرة التناول هذه الأيام، وقد بحث جم غفير من الأدباء والمفكرين وطلبة العلم عن هاتين الكلمتين حتى أتوا بمقالات وكتب وتقارير تدل على النطاق الواسع لهما. لقد شهد العالم - ولا سيما قارة آسيا وإفريقيا- لاحتلالات عديدة من الأجانب. وكانت الأمم تعيش تحت حكم الأمراء والملوك في قبائل ومناطق صغيرة. والاحتلال جمعهم ووحد صفوفهم واجتمعوا فيما بينهم تحت وحدتهم الثقافية واللغوية والعرقية. واستعملت الاصطلاحات مثل الوطنية والقومية في معان سياسية. واتحد الناس الذين كانوا يتقاولون فيما بينهم ضد المحتلين ونحتوا حروفًا ذهبية على صخور التاريخ وأرروا العالم قوة وحدتهم.

وقد أنجبت هذه المقاومة وشعائر الوطنية منتجات قيمة لا مثيل لها في تاريخ الأدب والفن، وكتبت مقالات وروايات، وألفت قصائد ومسرحيات تحرض الشعوب على القوات الأجنبية والبلدان المسيطرة، ونزل القوم من بيوقيم إلى الشوارع يرفعون أصواتهم وأيديهم، يدعون إلى الانقلاب والظهور. وهذه المنتجات الأدبية الرفيعة أثروا في قلوب القوم تأثيراً عظيماً واستعملت في نطاق أوسع، وكانت المشاورات في تلك الأيام تبدأ بأبيات وطنية. ودهشت الأجانب بعمق تأثير هذه السطور واضطروا إلى نهرها، ولكنه جاء بنتيجة معكوسية لأن الناس اشتقوا إلى سماعها وقراءتها وبذلوا قصارى مجدهم وللنيل على نسخة من تلك الكتب المئية عنها.

المقاومة والوطنية في الأدب التونسي

ظهرت هذه الشعبة الأدبية الجديدة في اللغة العربية أيضاً، وأبرزها الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة. وقد جاءت دراسات قيمة عن أدب المقاومة والوطنية في فلسطين. فهذه المقالة تبحث عن مميزات أشعار الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي الذي كان رمزاً للمقاومة والوطنية التونسية. وقد لعبت أشعاره دوراً مهماً في توحيد أمته التونسية والعربية وتوجههم ضد الاستعمار، وأشعلت أشعاره في قلوب الشعب التونسي أهاب الوحدة والجهاد.

تعرفنا على تونس - وهي بلد صغير تحدوها من الغرب الجزائر ومن الجنوب الشرقي ليبيا في قارة إفريقيا- بعدهما اندلعت منها الثورة العربية الجديدة المعروفة بالربيع العربي. أحرق الشاب التونسي المسمى محمد البو عزيزي جسمه متظاهراً ضد الحكومة التونسية التي كانت مستبدة كل الاستبداد، فالنار التي أشعلها ذلك الشاب الشقي، توسيع نيرانها في البلد كله ببوم وأوقدت عرش زين العابدين بن علي الذي طال حكمه فيه ٢٣ سنة.

^١ أستاذ مساعد. قسم اللغة العربية وأدابها، كلية الصباح للعلوم والفنون، ولايامكولم، ملابرم

والربيع العربي يقص لنا ملحمة جديدة عن المجاهدة الشعبية ضد الاحتلال الداخلي، فأما جهاد تونس ضد المستعمر الأجانب بدأ من سنة ١٨٨١م، وفي تلك السنة سيطرت فرنسا على تونس بعد حروب شنيعة والتي طالت مدة غير قصيرة. وكانت فرنسا أثبتت أقدامها المفسدة في دولة الجزر المجاورة لتونس سنة ١٨٣٣م ولم تتمكن لهم أن يدخلوا إلى تونس بعد محاربة استغرقت حوالي خمسين سنة. وقد خلت القوات المحتلة من البلدان المسيطرة عليها بعد ما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، ووعدت فرنسا بإعطاء الاستقلال لتونس سنة ١٩٥٢م ولم يتم الوعود بعده. واندلعت الحرب السلاحية واضطربت فرنسا إلى الوفاء بالعهد سنة ١٩٥٦م.

وكان لشعراء تونس يد طولى في إيقاظ الشعب التونسي ضد الاستعمار، وأصبحت أبياتهم التي أنشدواها سطوراً موقظة بين عامة الناس، وأحاطت تلك القاصائد علمًا عن أساليب شتى يتخذها المحتلون للقبض على الفقراء والضعفاء، وكانت تلك الأبيات في لغة القوم يفهمونها ويدركون معانها حق الإدراك. وولدت الأشعار الطعم والمودة تجاه الحرية والوطن في قلب تونس.

الشابي ومساهماته للمقاومة والوطنية

وتنعرف من هذه المقالة على من قاد تلك المحاربة الأدبية من أبناء تونس، وهو الشاعر العربي الشهير أبو القاسم الشابي الذي أنجب في حياته القصيرة حظاً وافراً من الأشعار العجيبة التي تحن إليها القلوب وتنشدتها الشعوب.

ولد الشاعر أبو القاسم الشابي في تونس المحتلة سنة ١٩٠٩م، وقد كان مريضاً منذ طفولته. أصابه مرض تضخم القلب الذي جعله ضعيف الجسم ولم يعش إلا خمسة وعشرين سنة. وكان أبو الشابي قاضياً حكومياً في تونس، وهذا العمل أتاح للشابي فرص وافرة ليتجول البلاد بمعظمها في صغر سنه، واستطاع عبر هذا التجوال أن يتعرف على الشعب التونسي والثقافة العربية والإسلامية. وكانت تونس في تلك الأيام تمر بأحداث مريدة تحت الحكم الاستبدادي. وفهم الشابي الصغير حالة شعبه الكثيبة التي ما زالت تعيش عيش البهائم لا تفكر في الحرية ولا هم لها إلا الأكل والشرب.

وأول شيء فعله الشابي هو أن يوقظ شعبه من نومته العميقه وأوعاهم عن أعمال القوات الأجنبية فقال:

أيها الشعب أنت طفل صغير

لاعب بالتراب والليل مغسٌ^١

^١ أبو القاسم الشابي، النبي المجهول، <http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14587>.

يرى الشابي قومه طفلاً صغيراً لا وعي له عن الليل الغاسق الذي يكمن في جوفه المخيفات والأخطار، والطفل يلعب مهملًا عن خطرات الليل وأفاتها. وهذه السطور ترشدنا لأن تكون أطفالاً لا وعي لنا عن الاحتلال والاستعمار.

وأدرك الشابي عن أمية قومه حول أخطار الاحتلال فكتب قصائد يدعو قومه بها ويناديهما
لإرجاع فنهن وثقافتهم ولتعبير مشاعرهم وأحلامهم عبر السطور والرسوم
أين يا شعب قلبك الخافق الحساس؟
أين الطموح والأحلام؟
أين يا شعب روحك الشاعر الفنان؟
أين الخيال والإلهام؟
أين يا شعب فنك الساحر الخلاق؟
أين الرسوم والأنغام؟^١

فالشاعر يدعو قومه ويحرضهم على أن يقوموا بالأعمال الأدبية والفنية الراقية، فإن الشابي عرف بتجرباته على أنها تفعلان مالاً تفعل المظاهرات والمحاربات، وتدخل إلى القلوب في طريق أسهل، وتجئ بالمعجزات. وهذه السطور نداء للمجاهدة ضد الاحتلال الثقافي والأدبي، فإن المستعمرات تحتل ثقافة الشعب ولغتهم لأن هذا الاحتلال يسهل عملهم. وكان الشابي واعياً عن هذا مع أنه صغير السن.

وحينما نأتي إلى قصيده ‘إرادة الحياة’ فنرى الشاعر يظهر ما في قلبه من شغفه الشديد إلى الحرية
إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد للليل أن ينجل
ولا بد للقيد أن ينكسر^٢

فإرادة الشعب أعم من إرادة رجل واحد، والقوة في العمل الجماعي، فالشعب بأجمعه يبني الحياة ويصلاح ما فسد فيها، وليس في العالم قوة تدفع هذه الإرادة، فإنها إرادة الشعب الذي يستيقن الحياة والعيشة الرغدة، فالقدر يستجيب لها والليل يرفع ستاره أمامها والقيد ينهدم وينكسر أمام قوتها الجماعية. يقول الأستاذ خليفة محمد التليسي في كتابه ‘الشابي وجبران’ عن هذه القصيدة:
‘إن إرادة الشعوب هي إرادة الأقدار، فالليل مهما يطل، فلا بد من طلوع الصبح. إنها وطنية صادفة لا تخدم أغراضها طبقية ولا تسير في ركب حزب ولا توجهها مناسبة هزلية ضئيلة لا تخرج في سطحيتها، وطنية متمرة، وطنية ذات الشاعر الذي وعى رسالته، فأحس في أعماقه أنه مسؤول عن تبصير شعبه

^١ أبو القاسم الشابي، أين يا شعب قلبك الخافق الحساس؟، ١٤٦١، <http://www.adab.com/modules.php?name=shqas&qid=1461>

^٢ أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ٢٨٧٩٠٦٩، <https://www.goodreads.com/author/quotes/2879069>

معاني الحياة الكريمة، مسؤولية الشاعر الذي احترم ذاته وكيانه واستقل بهما عن الآخرين، فأحب لشعبه أن يحقق ذلك في شخصية متميزة تتجه إلى المساهمة الحضارية". فالإرادة تخلق العجائب وتأتي بالمعجزات، فالشاعر أدرك هذه الحقيقة ودعا قومه ليحبوا الحياة فإن الحياة من حلم بها وعشيقها فقال:

ومن لم يعانقه شوق الحياة

تبخری جوها واندثر^۱

والحياة تحت حكم من ليس له علم عن ثقافتها حياة في القيود وعيش في السجون، وليس الحياة عن تبقى روحك في جسمك فإنما هي أحلام واجهاد في تحقيقها، وإرادات وأعمال في تكميلها. وصبح الحياة الجديدة يولد في نهاية الليل المنغمس، فعلى الشعب أن يمزق أستار الليل لتدخل أشعة الصباح الجديد من ذلك الفطور. وقد انتشرت قصيده 'إرادة الحياة' في الأوساط التونسية وأعطت لمآلاً جديدة وأنشدها في، احتمالاته ومحابيه.

ومن نتائج هذه الظاهرة أنّ تونس، لأنّها كانت تشعل نار الحرية في قلوب الشعب. وهذا ما يفعله المحتلون تجاه أي عمل أدبي يصدر عكس إراداتهم. ولم يوقف الشابي من إنشاد الأبيات خوفاً من الحكمية فقال:

كلما قام في البلاد خطيب

موقع شعیه یرد صلاحه

السوا روحه قمیص اضطیاد

فاتك شائڪ بـد حماـه

والحكومة المستبدة في كل مناطق وبلاد تفترس كل من يعمل بصلاح الشعب وتصوره معانداً ومضاداً للوطن. والشاعر يشعر في قلبه أن الحياة تحت ميرية جداً ظلم فرنساً ولو كانت حلوة لبعض التونسيين الذين يأعوا وطنهم بثمن يخس دراهم معدودة، وهو يبكي:

شردت عن وطني السماوي الذي

ما كان يوماً واجماً مغموماً

شُرِدَتْ عَنْ وَطْنِي الْجَمِيلِ.. أَنَا الشَّقِيقُ

فعشت مشطور الفؤاد يتيمًا

في غرفة روحية ملعونة

واقها تقضي عطاشا هيماء

[أبو القاسم الشابي، لحن الحياة،](http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14579)

[أبو القاسم الشابي، لستُ أبكي لعُسْفِ لَيْلٍ طَوِيلٍ](http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14563)

يكتب زهيرأحمد المنصور في كتابه 'ظاهرة التكرار في شعر أبي القاسم الشابي': "فالقصيدة تجسد عبر الأفعال 'شردت' معاناته التي وقعت له قهراً عنه بفعل قوي خارجية فرضت عليه، فتقبلها وحاول الخروج عنها، وهذا الفعل يحمل في ثنایاه الحزن والتعذيب والأسى الذي كرره بشكل متواال وكان تشريده عن وطنه وعن الدنيا بكل ما فيها، ولذلك وصفها بأنها 'غريبة روحية ملعونة': فخلق مع كل فعل صورة من صور العذاب والتشريد". والشابي يعتقد أنه سواء بأن يسكن الرجل في وطنه مشرداً، ويسكن في بيته أجيراً.

والطريق الآخر الذي اتخذها حكومة فرنسا في تونس بـألا تعطي فرصة لأنباءها للتعلم، وأرادت أن تبقى الأمة التونسية متخلفة في الأوساط العلمية والفنية، ومكررت لذلـك الغرض مكراً كباراً. ولكن المفكرين العرب وأدباءـهم أدركوا هذه الخطة بـطـلـوعـها وكتـبـوا وخطـبـوا لـيـدـافـعـوهاـ. وكتـبـ الشـابـيـ أبيـاتـ عـنـيـفـةـ تـهـاجـمـ المستـعـمرـينـ:

ألا أنها الظالم المستبد
حبيب الظلام عدو الحياة
سخرت بأنات الشعب ضعيف
وكفك مخصوصة من دماء
وسرت تشوـهـ سـحرـ الـوـجـودـ
وتـبـذرـ شـوـكـ الأـسـىـ فيـ رـيـاـهـ
روـيـدـكـ، لاـ يـخـدـعـكـ الـرـبـعـ
وـصـحـوـ الـفـضـاءـ وـضـوءـ الصـبـاحـ
فـفـيـ الـأـفـقـ الـرـحـبـ هـوـلـ الـظـلـامـ
وـقـصـفـ الـرـعـودـ وـعـصـفـ الـرـيـاحـ
حـذـارـ فـتـحـتـ الرـمـادـ الـلـهـيـبـ
وـمـنـ يـبـذـرـ الشـوـكـ يـجـنـ الجـرـاحـ
تـأـمـلـ هـنـالـكـ أـنـيـ حـصـدـتـ
رـؤـوسـ الـورـىـ زـهـورـ الـأـمـلـ
وـرـوـيـتـ بـالـدـمـ قـلـبـ التـرـابـ
وـأـشـرـبـتـ الدـمـعـ حـتـىـ شـمـلـ
سيـجـرـفـكـ السـيـلـ سـيـلـ الدـمـاءـ

^١ أبو القاسم الشابي، قضيتُ أدواز الحياة، مُفكراً. <http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14594>.

ويأكلك العاصف المشتعل^١

وقد تحققت نبوءة الشابي ولكنه لم ينتظر ليرى تحقيق حلمه الذي أحب دائماً وبذل ما لديه من جميع قوته الأدبية. وانتقل الشابي إلى جوار ربه سنة ١٩٣٤ م بعد أن أعطى كما هاتلا من المنتوجات الشعرية الراقية للأدب العربي والعالمي، ما فيها عشرات قصائد تحتوي موضوع الوطنية والمقاومة.

المصادر والمراجع

- خليفة محمد التلissi، الشابي وجبران، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣ م.
- أبو القاسم الشابي، ديوان أبي القاسم الشابي، المطبعة العصرية، بيروت، ١٩٢٣ م.
- <http://www.adab.com>

^١ أبو القاسم الشابي، ألا أهـا الظـالـمـ الـمـسـبـدـ، <http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=14623>.

تأثير شعر حسان بن ثابت الأنباري في المجتمع العربي

السيدة ربينة. يو. تي^١

الملخص

الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البدعة والصور المؤثرة البليغة. والشعر أقدم الآثار الأدبية عهداً لعلاقته بالشعور وصلته بالطبع. فإن الشعر فكر ينبع وعاطفة تخليج وروح تدب في الأشياء، فتبعد فيها الحركة والحياة، وتتنزع منها أسباب الجمود فتحيلها خلقاً جديداً آخر، هو بعض آثار الفكر والعاطفة إذا رفدهما الروح. والشعر في تراث كل أمة وصوت من أصوات وجدانها الاجتماعي المتجدد تعد فترة صدر الإسلام أفضل وأقدس فترات التاريخ الإسلامي، ولها في نفوس المسلمين مكانة سامية فضلى ذلك لأنها فترة الرسالة والوحى وفترة رسول الله (ص) وصحابته أئمة المسلمين وقادتهم. وهي بعد ذلك نقلة كبيرة في حياة العرب من عهد راكم محافظ ضال إلى عهد دين وهدى وإيمان، وكانت حضارة جديدة تبواة مكانتها الرفيعة بين حضارات العالم ونظمها. وإذا نظرنا في كتاب الله ما جاء من ذكر الشعر والشاعر، نجد أن القرآن الكريم ينزعه الرسول عن قول الشعر ويرفعه عن أن يكون شاعراً. وقد رد القرآن على مزاعم المشركين الذين زعموا أن القرآن شعر أو ضرب من الشعر، قال الله عز وجل: وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين^٢، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون^٣.

قد أثر الإسلام في الحياة الدينية والإجتماعية والسياسية فتأثر به الشعر تبعاً لذلك في أغراضه وأساليبه وألفاظه ومعانيه، لذلك نرى نوعاً جديداً من الشعراء الذين امتهن فهم عهد الجاهلية والإسلام والذين تجمعت فيهم مظاهر الحياتين الجاهلية والإسلام، ويسمون المخضرمين، ويظل أثر الإسلام واضحًا في شعر الشعراء الذين اصطحبوا رسول الله وخالطوه كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم.

إن عصر المخضرمين هو في حقيقة أمره عصر الصراع بين القيم الإنسانية الحقة الخالصة التي جاء بها الإسلام، وبين القيم التي كونتها الجهلة والنظم الفاسدة والأهواء الضالة خلال الأمان البعيدة والعصور المتطاولة. وهؤلاء الشعراء قد شهدوا عصرين مختلفين كل الاختلاف من حيث النظم والقيم والمثل والتعاليم، وما دامت آثار العصرتين قد ظهرت في سلوك الناس ومآتمهم.

فالأشهى شاعر جاهلي أدرك الإسلام ونظم في الدين الجديد شعراً، وأعاد فيما ذكره المؤرخون له قصيدة في مدح الرسول(ص) ولكنه ظل على شركه. ولبييد بن ربيعة العامري شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والإسلام، ولكن الرواة ونقاد الشعر يعدونه في الشعراء الجاهليين لأن

^١ أستاذة بديلة، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

^٢ سورة يس، الآية: ٦٩.

^٣ سورة الحاقة، الآية: ٤١.

الجانب الأعظم والأجود من شعره كان في زمن الجاهلية . وأما كعب بن زهير وعبد الله بن رواحة والخنساء وأبو ذؤيب الهنلي ومالك بن الريب وحسان بن ثابت الأنباري والخطيبة هؤلاء كلهم شعراء مخضرمون عاشوا في الجاهلية ثم أسلموا ونظموا الشعر في عصرين كلاما .

تأثير شعر حسان بن ثابت الأنباري في المجتمع العربي

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عديّ بن عمرو ابن مالك بن النجار الأنباري الخزرجي، وأمه الفريعة بنت خالد بن قيس من الخزرج كذلك، فإن حسان شاعر مطبوع فأباه شاعر وجده شاعر وأبوجده شاعر، كما أن ابنته شاعر وحفيده شاعر وحسان منهم واسطة القلادة، يقول المبرد: وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فإنهم يعتدون ستة في نسق كلهم شاعر وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

ولد حسان في يثرب حوالي سنة ٥٦٣ م ونشأ فيها، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، مدح الغساسين وملوك الحيرة، ثم كان شاعر النبي (ص) في الإسلام، وهو فحل من فحول الشعراء، وقد قيل إنه أشعر أهل المدرأي سكان المدن والقرى، وعلى نشأة الحضرة كان متاثرا بالحياة البدوية، يظهر ذلك في شعره خصوصاً ما قاله في جاهليته .

أصفق القوم على أن حسان عاش مائة وعشرين سنة ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، فإذا نحن نظرنا فيما وصلنا من معلومات عن حياته جاز أن نرجع أن حسان كان في الخمسين من عمره حين وصل النبي (ص) إلى المدينة مهاجراً من مكة. وقد علم أن حسان من بني النجار من قبيلة الخزر، وقد كان الخزرج وإخوتهما الأوس يقطنون يثرب 'المدينة' وهم الذين لقبوا فيما بعد أن بايعوا رسول الله (ص) على نصرته بالأنصار، إذ يكون حسان من أهل المدرأي سكان القرى والأقصارات. ولما بلغ حسان الستين من عمره وسمع بالإسلام دخل فيه وراح من فوره يرد هجمات القرشيين اللسانية، ويدافع عن محمد (ص).

ولما ظهر الإسلام وهاجر النبي إلى يثرب أسلمت الأوس والخزرج وأسلم حسان، فكان من الأنصار، فلم يناصر الدين الجديد بسيفه، فقد نصره بسانه سلاحه الوحيد الذي شهره على أعداء النبي فصار بذلك شاعر الرسول (ص) يمدحه ويُردد على من يهجوه من شعراء قريش، وكان النبي يقول له: "اهجهم وروح القدس معك ". ويعتبر شعره تسجيلاً لحياة الرسول (ص).

على أنه مهما قيل في شعره الإسلامي فهو في نضاله عن النبي (ص) يصور عصره أصدق تصوير بما فيه من مناضلة بين الإسلام والشرك. ويعطينا صورة واضحة عن تهابي الأنصار والقرشيين، وأما في هذا الهباء من فحش وإذاع، وهو نوع جديد دخل بشعر حسان الآداب العربية، نجد فيه الشعر السياسي الصحيح المستند إلى عقيدة، فكانه في تحمسه للدين الجديد يمهد الطريق للشعر الديني في الإسلام .

قد تأثر لسان حسان في المجتمع العربي تأثيراً عميقاً، لأن القريش يؤذون الإسلام والرسول من كل جهة ببيانهم ولهجتهم، واشتد هجاءهم ولكن الصحابة لم يستطعوا أن يردهم ويدفعهم ببيانهم، وكان القريش ينشدون الشعر عن الإسلام والرسول حتى رفع صوتها جديداً شديداً وكلاماً ثقلاً وشجاعاً عجيباً. هو حسان بن ثابت الأنباري. ولقد سجلت كتب الأدب والتاريخ الكثير من الأشعار التي ألقاها في هجاء الكفار ومعارضتهم.

ولما أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول صحبه حسان وابن أبي لهم بلاذع هجائه، وكان الرسول يحثه على ذلك ويدعوه بمثل: "اللهم أいで بروح القدس" واستمع إلى بعض هجائه لهم فقال: "لهذا أشد عليهم من وقع النبل". وأنه لم يكن يهجو قريشاً بالكفر وعبادة الأوثان، إنما كان يهجوهم بالأيام التي هزموها فيها ويعيرهم بالمتالib والأنساب، وهذا طبيعي لأنهم كانوا مشركين فعلاً، ولو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغاً.

وكان حسان شاعر الرسول (ص) والذائد عن حياض الإسلام ببيانه والرائد الصادق للشعر الإسلامي عبر العصور، به استهل الشعر الإسلامي وجوده وممّن فن قوله وطوع النتائج الشعري لأغراض الإسلام الشعرية وأفاقه في الدعوة والحياة الإسلامية .

وكانت مواقف حسان في الإسلام مشهودة في الصدق والإيجابية، وقد شارك في معاركة ضد جاهيلية قريش بقتليه، فانبىء بصد هجمات شعراء المشركين على الإسلام ببيانه الذرب اللاذع، ورسول الله (ص) يدعوه ويسره بكتبه قائلاً: "إن الله يؤيد حسان بروح القدس"، كما بين عليه الصلاة والسلام دور حسان المتميّز في ذوده عن دعوة الإسلام بشعره: "أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واحتسب".

ولعل خيراً ما تقدم لشعره تصور حسان لآفاق الشعر الجديدة في الحياة الإسلامية ، منبثقاً من طبيعة الدعوة الإسلامية التي تجعل الصدق قريباً للإيمان في الحديث النبوى المشهور: "وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً". فالصدق عند حسان له قيمة كبيرة، وكلّ بها فن قوله، وأزال من الأذهان شبهة الكذب في الشعر، مما كان نسمعه فيما بعد في شعر "أعذب الشعر أكذبه". إذ تؤكّد صدق التعبير عن التجربة الشعرية، ويعتمد صدق المشاعر كشرط أساسى في تقويم كل أثر فني، وفي ذلك يقول حسان:

إِنَّمَا الشِّعْرُ لِلْمَرءِ يَعْرِضُهُ
عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسَا إِنْ حَمْقاً
إِنْ أَشْعَرِيْتَ أَنْتَ قَائِلَهُ
بَيْتٌ يَقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدِقاً^١

^١ حسان بن ثابت، وإنما الشِّعْرُ لِلْمَرءِ يَعْرِضُهُ، 12951، <http://www.adab.com/e=Sh3er&doWhat=shqas&qid=12951>.

انتشر شعر حسان بين المجتمع العربي، وفهموا أسلوبه من المدح والفخر والهجاء والرثاء، وتلقى شعره خالياً من كل ما يتطلب النظر الهدائى وكذلك يخلوا شعره من الوصف والتتمثيل، وإكتسب شعره في الإسلام كثيراً من العذوبة والإخلاص، وكثُرت فيه التعبيرات الإسلامية والإقتباس من القرآن الكريم.

ولما اشتد إيداء المشركين قال النبي (ص) يوماً للأنصار: ما يمنع الذين نصروا الله ورسوله بأسلحتهم أن ينصروه بالستهم؟ فقال حسان: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وقال (ص): "وَاللَّهِ مَا يُسْرِنِي بِهِ مَقْولٌ بَيْنَ بَصْرِي وَصَنْعَاهُ وَاللَّهُ لَوْ وَضَعَهُ عَلَى صَخْرَ لَفْلَقَهُ أَوْ عَلَى شَعْرِ لَحْلَقَهُ".^١ ويؤكد الناقدون أن ما نظمه حسان بعد إسلامه افتقر إلى الجزالة وقوية الصياغة التي كانت له في الجاهلية، ولكنه في مقابل ذلك كان يتمتع بقدر كبير من الحيوية والرقابة والسلامة، ويتفق النقاد على أن أساليبه بهد إسلامه قد سلمت من الحوشية والأخيلة البدوية، ولكن خالطها لين الحضارة، ولم تخل في بعض الأغراض من جزالة اللفظ وفخامة المعنى والعبارة كما في الفخر والحماسة والدفاع عن النبي (ص) ومعارضته المشركين وهجومهم.

ولقد غلت على أساليب حسان الشعريّة الصبغة الإسلامية كتوليد المعاني من عقائد الدين الجديد وأحداثه، والاستعانة بصيغ القرآن وتشبيهاته ولطيف كنياته، واقتباس الألفاظ الإسلامية من الكتاب والسنة وشعائر الدين، كما غلت علمها الرقة واللين واللطف وقرب الخيال، وأكثر ما نرى ذلك في شعر الدعوة إلى توحيد الله وتزييه وتهجين عبادة الأوثان ووصف الشعائر الإسلامية، وذكر ما تأثرها في بيان ثواب المؤمنين وعقاب المشركين. وقدس تأثير شعر حسان في قلوب المشركين، ولما سمعوا شعره فهموا حقيقة الدين الإسلام حتى أسلموا كثيراً منهم ودخلوا إلى دين الله أفواجاً.

يمتاز شعره بقيمه التاريخية، فهو قد دون الحوادث والمعارك ومواقعها وأبطالها، وكانت لغته جزلة نقية مع سهولة في اللفظ ودقة في التعبير وروعة في الأسلوب. ويفضل الرواة شعر حسان على غيره من الشعراء البدائية، على أن القيمة الكبرى لهذا الشعر هو أنه مصدر من مصادر التاريخ الإسلامي. ومما لا شك فيه أن حسان بن ثابت كان يحظى بمنزلة رفيعة، يجعله الخلفاء الراشدون ويفرضون له في العطاء في الوقت نفسه.

صاحب الغزوات كلها فوصفيها وبكي شهداء المسلمين ورثاهم وأصلى المشركين بـلسانه ناراً حامية، وكان الرسول يقول له: "وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَنْضَحُهُمْ بِالنَّبْلِ". وقد وهن شعره إبان حكم الخلفاء الراشدين لأن الإسلام كان قد عمّ الجزيرة كلها، وكان شعراء المشركين قد دخلوا في الإسلام، وكان المسلمون قد شغلوا عن الشعر بقراءة القرآن والتفقه في الدين.

^١ أبو الفرج الإسفهاني، كتاب الأغانى ، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢، ص، ١٣٧

سعي حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم، فقد عاش لهما بشعره ووجوده منذ أسلم ذوداً وأمداداً وجباً، وفيهما غرر شعره ومنطلقه إلى ميدان الشعر الإسلامي. يعقد حسان سبيلاً من القول يترجم فيه نصرة قومه للرسول عليه الصلاة والسلام، ويُعرب عن تكريس نفسه وشعره لصاحب الرسالة فيُضحي بحق شاعر الرسول. هاكم الأبيات الجزلة الجميلة التي يروي فيها قصة إيواء الأوس والخزرج رسول الله، وتبنيهم دعوته وتعهدهم بالذود عنه ونصرة رسالته حماة أقوياء، ما عرفا إلا الضفر والسيق في ميادين الحرب والسلم:

أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ مَّا تَجَهَّمَتْ
فَكَنَّا لَهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ مَعْقَلاً
لِهِ الْأَرْضُ يَرْمِيَهُ بِهَا كُلَّ مُوْفَقٍ
أَشْمَّ مِنْيَا ذَا شَمَارِخَ شَهْقَ'

فلم يكدر رسول الله يلحق بالرفيق الأعلى حتى كان ذلك الخلاف المعروف على الخلافة بين المهاجرين والأنصار، وانتهى باذعان الأنصار لمقاييسهم جميعاً من الدين والحزم والبصر بـأععقاب الأمور، ولكن شعراء الفريقين لا يزالون أحياء ولم يستطعوا أن ينسوا تلك التراث والأوتار وهاتيك الدماء الغزار، وأن يجعلوها بظهره، ومن ثم نهى الفاروق(ر) الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الانصار ومشركي قريش وقال: في ذلك شتم الحي بالميّت وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجahليّة بما جاء من الإسلام.

فإذا جئنا إلى شعر حسان الإسلامي صادفنا قصائد تبدو بلا شك دون مستوى شعره في الجاهلية بكثير مما نعاذر لها بتعبيرها عن قيم وأساليب جديدة، وهذه المقدوعات أقرب أن تكون من نظم بعض الشعراء في عصور متأخرة بعد أن طال تأثير الأدباء بأساليب القرآن وشاعت على أقلامهم في المجال الديني ألفاظ وعبارات خاصة، ومن أمثلة ذلك قول حسان يمدح النبي (ص):

وإذا كانت أغراض حسان الشعري في الجاهلية المدح والهجاء القبلي والشخصي، وكان منها الرثاء والحماسة والفخر والغزل، فقد ظلت هي عينها في الإسلام سوى أنه وقف مدحه على الرسول(ص) وقصر هجاءه على المشركين. وقد اكتسب شعره في الإسلام كثيراً من الإخلاص والعنوية ، وكثُرت فيه التعبيرات الإسلامية والإقتباس من أي القرآن حتى غدا خليقاً بأن يسمى رأس البديعين فهو الذي بدأ فن الشعر في المدح النبوى.

[حسان بن ثابت، ألم ترنا أولاداً عَمِّرو بن عامر،](http://www.adab.com/modules.phpe&doWhat=shqas&qid=12948&r=&rc=)

[حسان بن ثابت، أَغْرُ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ، حَاتَمٌ.](http://www.adab.com/modules.php?name=Sh3er&doWhat=shqas&qid=12836)

ومن أشعاره في مدح الرسول (ص):

وأحسن منك لم ترقط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت ميراً من كل عيب كأنك خلقت كما تشاء^١

وعلى كل حال فضل حسان على الشعراء بثلاث، كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي (ص) في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام. إن شعر حسان بن ثابت قد سجل جل أحداث عصر الرسول (ص) حتى ليعتبر شعره وثيقة تاريخية بجوار كونه وثيقة وجданية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أبو الفرج الإسفهاني، كتاب الأغاني ، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢ م
- أحمد الإسكندرى، وأحمد أمين، وأحمد ضيف، المفصل في تاريخ الأدب العربي، دار الإحياء العلوم، بيروت، ١٩٨٦، م
- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي ، فيصل بيليك سنتر، ديويند ، ٢٠٠٨ م
- رحاب عكاوى،أعلام الفكر العربي ، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠١ م
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ٢٠١٢، م
- عبد الرحمن البرقوقي،شرح ديوان حسان بن ثابت،دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤ م

^١ شعر حسان بن ثابت، وأحسن منك لم ترقط عيني، <http://www.adab.com/modules.php shqas&qid=1279>.

أساليب السرد في قصص الأطفال الحديثة وتطبيقاتها في تدريب المهارات اللغوية^١

السيد سهيل بي. كي^١

الملخص

الأطفال يتعلّقون بالقصة في أعمار مبكرة، ويفضّلونها على غيرها، لديهم ميول طبيعية للاستماع إلى القصص لأنّها تترك أثراً واضحاً، وهي قريبة من نفوسهم. تعتبر القصة وسيلة مهمة من وسائل التعلم والتعليم وإيصال المعلومات والسلوكيات والقيم المرغوب بها. وهي أبسط ألوان الحديث للطفل. القصة فن أدبي يهدف إلى كشف أو غرس مجموعة من الصفات والقيم والمبادئ والاتجاهات بواسطة الكلمات السهلة التي تتناول حادثة أو مجموعة من الحوادث التي تنتظم في إطار فني من التدرج والنماء، ويقوم بها شخصيات بشرية أو غير بشرية. وتدور في إطار زمان ومكان محدود مصوّفة بأسلوب أدبي راقٍ، يتّنّع بين السرد والحوار والوصف ويعمل ويدّعو وفقاً للمرحلة المُؤلّفة لها القصة وللشخصية التي يدور على لسانها الحوار. هدف هذا البحث هو تميّز تأثير قصص الأطفال في تطوير مهارات اللغة، وتصوير استخدامها كوسيلة هامة في الصّفوف اللغوية، وتعزيز الأنشطة لتدريب وتطبيق المهارات اللغوية باستخدام قصص الأطفال.

تطور قصص الأطفال في الأدب العربي

تعرف القصة في أدب الأطفال بأنّها "كلّ ما يكتب للأطفال نثرياً بقصد الإمتاع أو التسلية أو التشيق". ويروي أحداً وقعت لشخصيات معينة سواءً كانت هذه الشخصيات واقعية أو خيالية، سواءً كانت تنتهي لعالم الكائنات الحية أو الجان، وتشمل القصة عادةً على مجموعة من الأحداث التي تدور حول مشكلة تتعدّد ثم تصل في النهاية إلى حلّ ما، وكلّ قصة في العادة مجموعه من العناصر تتلخص فيما يلي: الحبكة أو العقدة، الشخصيات، الموضوع، البيئة، والشكل العام الذي تخرج فيه^٢.

يختلف الباحثون حول هويّة أول كتاب عربي، فهناك من يرى أن أول كتاب أطفال عربي حديث هو 'النفاث' في القصص لـ'رزق الله حسون' من حلب، وكان صدوره سنة ١٨٦٧. أما أحمد نجيب فيقول: إن قصة 'قطيطات العزاز' لـ'محمد حمدي وجورج روب' التي نشرتها دار المعارف سنة ١٩١٢ هي أول كتاب أطفال عربي، وأن ما سبقه من كتب لا تتحلّ بالصفات المطلوبة في كتاب الأطفال. ويرى عبد التواب يوسف أن أقدم قصة عربية هي الأسد والغواص. وأدب الأطفال في العالم العربي حديث، وجزء منه تمتّد إلى مصر حيث حملت مصر مشاعل الريادة لهذا الفن في الأدب الحديث.^٣

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية حكومية، كاسركوت، كيرلا، الهند

^٢ د/نجلاء محمد علي أحمد، أدب الأطفال، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص: ٨٦

^٣ حمد الله علي، ندوة أدب الأطفال في تونس.. الموقف الأدبي، تونس، ١٩٨٦، ص: ١٦٦.

وقد تميزت كتابات هذه المرحلة بالاقتباس والنقل من اللغات الأجنبية، أو التبسيط لكتب العرب القدماء، وحاول مؤلفو هذه المرحلة إحياء التراث العربي فلجأوا إلى ألف ليلة وليلة، وكليلة ودمنة، والحكايات الشعبية، ليزودوا الأطفال بأمتع القصص من هذا التراث. ويعتبر 'كامل الكيلاني' الرائد الفعلي وال حقيقي لأدب الأطفال في اللغة العربية. وقد كتب الكيلاني أكثر من مائتي قصة ومسرحية للأطفال. وكانت أول قصة له هي 'السندباد البحري'(١٩٢٧)

ومن أنواع القصص المقدمة للأطفال قصص الحيوان والقصص الدينية والقصص التاريخية وقصص الأبياء والقدماء والقصص الترويحية (الفكاهية) والقصص الشعبية والقصص العلمية والقصص الإجتماعية والأسطورة والقصص المغناة الشعرية. تعد قصص الأطفال من أهم الوسائل التي تساعد تنمية عقول الأطفال ولغتهم. وهي تزود خبرات وتجارب لغوية عديدة التي تؤهل الأطفال لبناء العلم، إنشاء المحادثات المختلفة في اللغة. وإليها تشير الأهداف التربوية والنفسية لقصص الأطفال، منها ما يتعلق باللغة:

١ زيادة الحصيلة اللغوية.

٢ تشعّب حاجات الانفعالية مثل حب الاستطلاع وغرس عادات حسنة واتجاهات وقيم أخلاقية.

٣ تمدّه بالمعلومات والأفكار وتزيّن من خبرته ومعرفته.

٤ تبني مداركه وعقله وفكره بما تحتوي عليه من حوار ومناقشة.

٥ تبني فيه الميل إلى القراءة والاطلاع وتجعله قادرا على التفاعل والاستجابة مع ما يقرأ أو يسمع.

٦ تبني فيه روح التخيّل والتذكرة والانتباه والحكم والتعليل والاستنتاج والربط بين الحوادث.^١

السرد وأساليبه

السرد لغة: سرد الحديث والقراءة: أجاد سياقهما،^٢ سرد الكتاب قرأه بسرعة ، وهو ضم شيء إلى شيء يقال سرد الحديث أي جاء به في سياق متتابع وجيد، أما اصطلاحا فهو إخبار عن إحداث واقعية أو متخيلة باستعمال اللغة والتصوير وغيرها من وسائل التعبير.السرد مصطلح نصي يعني بعملية نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية، ينوب فيه الراوي عن الأديب، وعن الشخصيات في وصف المكان وتصوير أركان الحدث، ومكونات الشخصيات الداخلية والخارجية ، وهو الفعل الذي تنتهي عليه السمة الشاملة لعملية القص. أي ما يقوم به السارد حين يروي الحكاية، ويشمل جميع أنواع الخطابات التي يبدعها الإنسان ، الأدبية وغير الأدبية.^٣

ينحصر أسلوب الكتاب في بساطة اختيار الكلمات وتركيبها في جمل وفقرات لغوية مصيغة بالأساليب الفنية في الصياغة الأدبية، والأسلوب الجيد والمناسب للحبكة والموافق للموضوع ، والموائم

^١ سعيد بن عمرو بن محمد، أدب الطفل العربي، دار النشر، الكويت، ٢٠٠٣، ص: ١٥٢.

^٢ المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦، ص: ٣٣٠.

^٣ د. سعيد يقطين، الكلام والخبر، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧، م، ص: ١٩.

لأفكار والملائم للشخصيات. لا بد أن يمتاز الأسلوب بالوضوح والسرد به قليل من التلميح، ومزيد من السماح لخيال والتفكير... اللغة تتماشى مع القاموس اللغوي.^١

طرق السرد من عند القاص

لا تختلف قصة الطفل عن قصة الكبير في حاجتها إلى السرد الذي يلخص الحوادث بقدر قليل من الجمل، وال الحوار الذي يوضح طبيعة الشخصيات وأفكارها ويعين على نمو الحوادث. بعد أن تجمعت لديه العواطف والمشاعر يلتفت الكاتب لنقل الفكرة والحبكة والواقع والشخصيات إلى صورة لغوية ، فالسرد في قصص الأطفال يتلزم في الغالب ثلاثة طرق:

الطريقة المباشرة التي تجعل الكاتب يشرف على القصة من بدايتها إلى نهايتها دون أن يشعر القارئ الطفل به. ويتولى فيها الكاتب عملية السرد بعد أن يتخذ لنفسه موقعا خارج أحداث القصة. ومن المفيد ألا يبالغ القاص في السرد، فيملاً القصة به، لأن الأفعال التي يذكرها السرد تتسم بسمة الإخبار، في حين يطلب الطفل أفعالا ملموسة تضج بالحركة.

طريقة السرد الذاتي : طريقة أخرى في السرد يلجأ إليها بعض القاصين، يكتب المؤلف على لسان أحد الشخصيات. هي التي يتحدث البطل فيها عن نفسه.

طريقة الوثائق: وفيها يقدم المؤلف القصة عن طريق عرض مجموعة من الخطابات أو اليوميات أو الوثائق المختلفة.

والحوار عنصر هام في السرد ، يتم بوساطة الحوار الواضح، القصير، ومنه توضّح أفكار المتحاورين وطبعاتهم. وعلى القاص اختيار اللغة المناسبة للموضوع مع مراعاة الوضوح والترتيب والوحدة، وعليه أيضا استخدام الألفاظ بدقة في وصف الزمان والمكان وتحديد الشخصيات والأفكار.إن لكل كاتب أسلوبه الخاص المتميز...ولكن كاتب الأطفال يجب أن يوفق بين طريقته الخاصة في التفكير والشعور والرؤيا، وبين طريقة الأطفال في هذا وفقا لمرحلة النمو التي يكونون فيها حتى يكون أسلوبه أقرب إلى نفوسهم...كما يجب أن يتم بدقائق لغة الكتابة للأطفال ، وأن يحيط علما بقاموسهم اللغوي المميز حتى يكتب لهم بما يناسب من ألفاظ وتركيب^٢

وإن لجأ الكاتب إلى أي طريقة لسرد حوادث القصة ، فإن قدرته ومهاراته في أسلوب العرض لها أثر كبير في نفس القارئ، لأنه هو الذي يعرف الكاتب ويميز بين عمله وعمل الآخر، ومن خلاله نستطيع أن نحكم على جمالية الأعمال ودقتها. فالأسلوب إذن "هو مبدأ الاختيار ضمن إمكانات اللغة، والألفاظ، والتركيب النحوية، التي تصل أحيانا إلى درجة من الدقة".

^١ د/كمال الدين حسين أدب الأطفال ، المفاهيم الأشكال التطبيق، دار العالم العربي، مصر، ٢٠١٠، ص: ١٦١

^٢ أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١، ص: ٨٠

السرد / إلقاء القصة من عند المدرس

يلعب المدرس دورا هاما في سرد القصص، وهو يتبع الخطوات وأحدث الطرائق التربوية في حكاية القصص وسردها، لكي يستفيد الطالب ويتفاعل مع هذه القصص فيزداد حبا للتدريس وللقصة وللمدرسة وللمدرس ذاته. يتم إلقاء القصة وتدريسها في أربع خطوات رئيسة، فهذه الخطوات تفيد الفرصة ل التربية الإبداعات المختلفة فيصير أدب الأطفال وسيلة تعليمية وتدريسيّة وتربوية فعالة.

وللمعلم حرية اختيار الطريقة التي ينفذ بها كل خطوة من الخطوات، وهي:

أ- التمهيد: يهدف بهذه الخطوة عصف دماغ الدارسين وقنوتهم نحو موضوع القصة، وإعدادهم نفسياً وذهنياً لقبول القصة، من بين طرائق مختلفة مثل عرض بعض صور شخصيات القصة والتساؤلات عنها وعن أنواعها وأشكالها وصفاتها. إلقاء بعض الأسئلة التي تركز على بعض القيم والفضائل التي تحتومها القصة أو حول بعض شخصياتها وصفاتها.

ب- عرض القصة: سرد القصة على الدارسين مستخدماً وسائل تعليمية. وعلى المدرس التنوع في الأساليب المختلفة لعرض القصة مثل عرض القصة على الفيديو إذا كانت فيلماً من أفلام الكارتون أو الاستماع إلى القصة بواسطة الشرائط أو متابعتها في الكتاب ولعب الأدوار والتمثيل الفردي.

ج- تحليل القصة: في هذه الخطوة يناقش المدرس مع الدارسين أحداث القصة وشخصياتها وزمانها ومكانتها وأساليب التي وردت بالقصة، وكذلك المفردات الجديدة ومعانها والسلوكيات التي تتضمنها القصة والقيم والمفاهيم المرغوب فيها وعنها في نفوس التلاميذ والتي تلزم الاتصال بها والابتعاد عنها. وبالمناقشة وإتاحة الفرص للتعبير تثبت القصة في أذهان الدارسين.

د-ربط القصة بحياة الأطفال: وذلك بربط أحداث القصة وما بها من سلوكيات وعادات وقيم بحياة التلاميذ، مثل الإقبال إلى الأمور الحسنة ومساعدة الفقراء وإطاعة الوالدين والجهد لنيل الغاية وغيرها، وكذلك تعلم أساليب جديدة في الكتابة بالاستفادة من الأساليب التي وردت في القصة وأخذ الحيطة والحنر في تصرفاتنا.

أهمية سرد القصص

إن سرد القصص يساعد الأطفال في تنمية العديد من المهارات وتساعدهم أيضاً في: فهم الآخرين وتنمية السلوك الإيجابي تجاه الكتب وتنمية مهارة الاستماع وبناء مفاهيم صحيحة للموضوعات والأفكار وصياغة أفكار جديدة وزيادة مفرداتهم اللغوية وتنمية الرغبة في القراءة. سرد القصص يمكن أن يكون أداء فعالة لتعليم الأطفال، فمن خلال السرد يتعلى الأطفال اتجاههم الإيجابي نحو الكتب، وتعلم العديد من المهارات. بعض هذه المهارات يشمل التعلم لتكوين أفكار جديدة وزيادة المفردات اللغوية. وبالقصة يمكن تكوين خبرات ذات قيمة للأطفال. وبها يمكن تنمية لغتهم وزيادة فهمهم للعادات والثقافة.

ومن المعلوم أنّ القصص لا تُنمي فقط الجانب الاجتماعي والانفعالي، والجانب الأخلاقي والحس الوطني والديني من خلال غرس المفاهيم الأخلاقية والتربوية والمفاهيم الإيجابية، بل تُنمي الجانب المعرفي واللغوي للطالب من خلال تنمية معلوماته ومعارفه ومفرداته وترابيّاته اللغوية وقدراته الكتابية والتأليفية. فلا نقدّر إهمال هذا النوع من الأدب في مجال التعليم. فسرد القصص من الأساليب المشوقة والهامة لتعليم الأطفال والكبار، سواءً أكانت القصص من تأليف من يرويها، أو مما ورد عبر الزمن لأخذ العبرة والفائدة، فالقصة لها أهمية كبيرة في حياة الطفل وتعلمها وتنمية شخصيته؛ لما يمكن أن يتّعلم من خلالها عن العالم الحالي والسابق والتاريخ وما حدث به.

يساعد السرد الأطفال على تعلم مهارة القراءة. فحين يقرأ المعلم بصوت عالٍ من كتاب، يتعلّم الأطفال متابعة الصفحات ومتابعة عين المعلم التي تجول بين السطور، فهم متابعون جيدون لسارد القصة وهو يقرأ ، ويتعلّمون أيضاً العلاقة بين الكلمات المطبوعة والتحدث عنها، ويتعلّمون أن ينصتوا. يتعلّمون من خلاله كيفية وصف أحاسيسهم ومشاعرهم والتعبير عنها. وهو أيضاً مدخل لتنمية مهارات الاستماع، وتوليد الاتجاهات الإيجابية بين المستمعين الصغار وتوجيه الاستماع للقصة يصاحبه بالدرجة الأولى تشجيع دافعية الأطفال لل الاستماع. وان المعلم (سارد القصة) لم يعد في حاجة للتركيز على تنمية مهارات الفهم بقدر إيجاد استراتيجيات للمناقشة والحوار التي تناسب من القصة ذاتها.

وعلى المدرس اختيار الكتاب المناسب للسرد حسب نمو الأطفال واستخدام التقديم المناسب لجو القصة وشرح الكلمات غير المألوفة وشجع مشاركة الأطفال واستخدام التبaines الصوتي حسب الشخصيات التي تتحدث عنها ونطق الكلمات بدقة ووضوح دون أخطاء صوتية أو لغوية وتناول مواقف السرد بالحركة والنشاط والحياة. وأثناء سرد القصص عليه السكوت مرات عدّة، وعلى فترات أثناء القراءة، حتى يتّيحوا مجالاً للطفل، للتعليق على ما يريده، فيفهم تفاصيل الرواية بذاته، ويحاولوا طرح أسئلة(مثل هل أخلاق هذا الولد جيدة؟ ، أو ما الذي سيحدث إذا لم يتصرف بها؟..الخ)، وبذلك يتعلّم اللغة وبشكل أفضل، فيبادر بالحديث رغبة منه في معرفة المزيد عن القصة، منذ بداية سردها.

تطبيق المهارات اللغوية وأهمية الإبداع

الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة هي المهارات الأساسية المنشودة من التربية والتعليم. القصة الموجهة للأطفال وسيلة فعالة لتحقيق الأهداف التربوية التي تساعدهم دورها على تحقيق الشخصية المتكاملة للأطفال من جميع الجوانب العقلية والنفسية والاجتماعية والجسمانية. تعمل

القصص الجيدة وروايتها أو قراءتها الجيدة على تنمية مهارات الاستماع وتنمية مهارات الحديث وزيادة القاموس اللغوي وتنمية مهارات القراءة والكتابة وإثراء المشاعر.^١

لا نحتاج في مجتمعنا إلى أفراد يعطوننا الإجابات التي نعرفها، لكننا في حاجة لأفراد يعطوننا إجابات لا نعرفها. إن هذه الخصائص لا يمكن أن تتوافر من خلال الأنشطة المحددة بدقة من حيث النتائج المرجوة منها، وإنما يمكن أن تتوافر من خلال أنشطة مفتوحة لإبداعات وإضافات الأطفال، مشجعة لهم لكي يضفوا إليها من أفكارهم وتصوراتهم الخاصة.

تؤكد معظم التوجيهات التربوية الحديثة على أن الهدف الأول والأساسي للتربية والتنمية ليس مجرد تلقين الأطفال المعلومات، وإنما بناء عقولهم وتعليمهم كيف يفكرون، وإكسابهم القدرة على التعلم الذاتي، وإشراكهم في مختلف المهام والأعمال وأنشطة التي تبني موهبتهم وإبداعاتهم، وتثري عقولهم وتحقق لهم التنمية المتكاملة، سواء كانت اجتماعية لغوية عقلية بدنية انسانية^٢.

الأنشطة لتدريب المهارات

هنا بعض من الأنشطة يمكن للمدرس أداؤها لتنمية قدرات الأطفال اللغوية كما يمكن استخدامها أدوات وعمليات للتقويم .

- التعبير عن الحدث الرئيسي في القصة.
- اختيار الشخصيات المجنحة مع بيان التبريرات للاختيار.
- الوقوف على الانفعالات الموجودة للشخصيات والبيان عن الأفكار الواضحة وال عبر.
- وصف التجبيزات من المكان والزمان والإطار.
- توضيح إطار الحدث والتعرف على الشخصيات.
- تلخيص القصة شفهياً وروايتها للأخرين.
- كتابة بعض المفردات ومعانها ووضعها في جمل مختلفة.
- ترتيب أحداث القصة.
- تكميل القصة أو تخمين نهاية القصة المفتوحة الانتهاء.
- تمييز الأسئلة التي لها امكانية في القصة.
- اكتشاف عنوانين مختلفتين.
- توسيع القصة من النقاط أو من المشهد.
- التمثيل ولعب الدور عن القطعات المختارة للقصة.

^١ د/كمال الدين حسين أدب الأطفال ، المفاهيم الأشكال التطبيق، دار العالم العربي، مصر، ٢٠١٠..ص: ١٥٨

^٢ إبراهيم محمود محمد. أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية . القاهرة، ٢٠١٠، ص: ١٧٧

- رسم الصور للشخصيات الرئيسية، ورسم المشاهد من القصة مع التلوين وتقليد أصوات وحركات شخصيات القصة (للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة).

الخاتمة

تبقى وتedom القصة عنصر جذب واهتمام كبير للصغار والكبار على حد سواء، ووسيلة قوية لنقل الأفكار والقيم والمفاهيم، وتسليلاً للنفوس، ولذلك نجد أن الله تعالى وهو العالم بطبيعة النفس البشرية من انجذابها للأسلوب القصصي في التعليم، ولجمها للاستماع والتعلم؛ قد استخدم الأسلوب القصصي في القرآن الكريم، وقد قال تعالى:{انحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هنا القرآن} (يوسف:٣)

لداعي لأدلة كثيرة على أهمية القصة في حياة الأطفال وإقبالهم عليها لأنها انتشرت بين الأطفال في عصرنا الحاضر انتشاراً واسعاً عن طريق الكتاب والإذاعة المسموعة والمرئية والمسرح والسينما وغيرها. ومن أجل ذلك أصبحت القصة ذات أبعاد وذات تأثير كبير بين الأطفال، ومن هنا تمكّن أهميتها بين الأجناس الأدبية في أدب الطفل^١. لكن للأسف ظهرت في الآونة الأخيرة كتب الأطفال والمجلات والشرائط المشتملة على القصص في صورة جذابة للأطفال والأوصياء. بعضها لا تلتزم بقواعد اللغة العربية، بل تشوه الفاظها وأساليبها، وأخرى مجردة عن جميع سمات القيم والأخلاق تلهو وتلعب بعقول الأطفال، فكان المؤلفين تستحق يمينهم قطع الأنامل أو لظى الإحرار كما وصفها الشاعر حافظ إبراهيم. فعلى الأوصياء الحذر عن تلك الأباطيل واختيار أحسن القصص وأنسبها للأطفال كي ينشأوا متصفين بالقيم والأخلاق ومحاربين باللسان والقلم.

المصادر والمراجع

- إبراهيم محمود محمد، أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية ، القاهرة، ٢٠١٠ م
- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١ م
- حمد الله علي، ندوة أدب الأطفال في تونس.. الموقف الأدبي، تونس ١٩٨٦ م
- د. سعيد يقطن، الكلام والخبر، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧ م
- د/كمال الدين حسين أدب الأطفال ، المفاهيم الأشكال التطبيق، دار العالم العربي، مصر ، ٢٠١٠
- د/نجلاء محمد علي أحمد، أدب الأطفال، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الاسكندرية، ١٩٩٣ م
- سعيد بن عمرو بن محمد، أدب الطفل العربي ، دار النشر، الكويت، ٢٠٠٣ م
- علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠٠٩ م
- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦ م

^١ علي الحديدي، في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ٢٠٠٩، ص: ١٧٧

الأمثال القرآنية: أقسامها وانسجامها مع البيئة

السيد شفيق الرحمن. بي^١

د/ سي. بي. أبو بكر^٢

الملخص

إن الذي ينزل إلى أعماق القرآن الكريم يجد فيه الدرر المنثورة والجوهر النفيسة من العلوم والفنون والمعرفة ومهمها آيات الأمثال التي تصوّل الحقائق والأشياء بصورة بلغة ممتعة، والمقالة هنا تشير إلى أنواع المثال التي وردت في القرآن وطريقة عرضها وعلاقتها مع البيئة التي أنزلت فيها، وساعدت هذه الآيات الكريمة في نشأة علم البلاغة والفنون البلاغية وتطورت بها اللغة العربية تطوراً مدهشاً خلال القرون التي تلت لزول القرآن، ولذا ألفت في هذا المضموم كتب قيمة، والبحث فيه عمل جليل والذهب وراء آيات الأمثال وإلى أسرارها إلى كد وجهد غير قليل، بل الله الذي أنزلها هو أعلم بها هو المستعان .

القرآن الكريم هو كتاب الله وكلامه المعجز الذي أبكم البلوغ وتحدى أصحاب الأقلام، والذي أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم حسب الحوادث والواقع خلال ثلات وعشرين سنة قبل أربعة عشر قرناً وحفظه الله تعالى من التحريف والتبدل، كما أشار فيه: "إنا نحن نرثنا الذكر وإنما له لحافظون"^٣. وهو في أيدينا بحيث نقرأه ونتلوه ونفسره نؤوله ونكرمه حق الإكرام نظراً على أنه كتاب مقدس ودستور لحياة الإنسان. وهو شريعة الله تعالى الغراء والهدا الذي يهدي الناس إلى الصراط المستقيم، وهو الذي يفرق بين الحق والباطل، وهذه منارة من منارات الحق أنزل بلسان عربي مبين، وقد ملأ الله تعالى كتابه العزيز علوماً ومعارف شتى، وكل من يبحث علومه وحكمه يجده فيه ويطمئن قلبه ويدين به. وفيه حلول شاملة لكل قضية من قضايا الحياة الإنسانية، لأنها بحر العلوم والفنون، وله تفاسير عديدة تدل على إعجاز بيانه وعمق علومه ومعارفه.

أسلوب القرآن الكريم

نزل القرآن الكريم في نحو ثلاط وعشرين سنة على ما يعرض من حوادث ، ومنها: ثلاثة عشرة سنة في مكة المكرمة ، نزل في خالها ثلاثة وتسعون سورة، وعشرة بالمدينة المنورة بعد الهجرة، نزل فيها إحدى وعشرون .

وهذه السور الأربع عشرة ومائة تختلف في موضوعها وأسلوبها باختلاف الزمان والمكان والحدث، فكان من الحوادث والقضايا ما ينزل فيه السورة ، وكان الصحابة الكرام يحفظون أو يكتبون ما ينزل كلاماً على حدة، فلم يكن القرآن الكريم إذن خاضعاً لقانون من وحدة الموضوع،

^١ أستاذ مساعد، كلية حكومية، مالابرم وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا

^٢ مشرف البحث، والرئيس السابق، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرالا

^٣ سورة الحجر، الآية : ٩

وحدة الأسلوب، وعقد الأبواب على مقتضى الأغراض، وإنما تجمع على هذه الصور، ودون بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بينما لما كان يجده الكاتبون أولاً فأولاً محفوظاً في الصدور أو ممسطوراً في الصحف، ثم رتب بوجه التقريب على حسب الطول والقصر لا على حسب تنزيله، ولا على حسب موضوعه، فتكررت القصص بتأكيد الإنذار أو لتشابه الأسباب، وتشتت وحدة الموضوع والأسلوب لنزوله متفرقاً في مكانين مختلفين، وأزمان متراخية ، وأغراض متعددة، وهو في ذلك يختلف عن التوراة والإنجيل .

أسلوب آيات الأمثال في القرآن الكريم

وآيات الأمثال تلعب دوراً عظيماً في تقريب الموضوع وال عبر إلى إفهام السامعين، وتترك في نفوسهم أثراً بالغاً يسع لهم الفكرة الواسعة الصالحة في مدلواراتها ، وأسلوب المثل المقدم من الله سبحانه وتعالى خير قدوة الميبة وأسلوب رباني لم يردد أن يقرب السامعين والقارئين إليه وأن يخلق في نفوسهم علامات التأثير وبها يغيرون حيائهم. وأسلوب المثل كان متبعاً بين أدباء الجاهليين وكتابهم وشعرائهم وخطبائهم، ومعظمها كانت متعلقة بالقصص الخرافية والأساطير الدينية، وإن الله تعالى غير هذه الثقافة في ضرب المثل، ووضع الله تعالى أمامهم ثقافة بدعة مؤثرة في العقول والقلوب، والأدباء الذين نشأوا بعد نزول القرآن الكريم غيرروا ثقافتهم واتخذوا ثقافة جديدة في ضرب المثل، ونتيجة لذلك تغيرت كتاباتهم وأساليبهم وعلاقتهم بالأدب.

معنى الأمثال واستعمالاتها

قال الزمخشري وغيره من علماء التفسير واللغة : "أصل المثل في كلام العرب بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ، ومثل ، ومثيل ، كشبه وشبه وشبهه ^١"

يقول أحمد حسن الزيات: "المثل جملة متقطعة من القول أو مرسلة بذاتها تنقل عن وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير" ^٢

وقال الراغب في المفردات :

أصل المثل: الانتصار ، والمثل : المصور على مثال غيره ، يقال مثل الشيء : أي انتصب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : "من أحب أن يمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من" والتمثال : الشيء المصور ، وتمثل كذا : تصور ، قال تعالى: "فتمثل لها بشراً سوياً" (مريم: ١٧) يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام :

^١ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي، مصر، ٢٠٠٦، ص: ٧٢

^٢ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، فيصل بيليك سنتر، ديويند، ٢٠٠٨، م، ص: ١٨

^٣ سورة مريم، الآية: ١٧

- ١ - إيجاز اللفظ ٢ - إصابة المعنى ٣ - حسن التشبيه ٤ - جودة الكفاية ، فهو نهاية البلاغة.
 (إبراهيم النظام)

"قال أبو السعود: ان التمثيل ليس الا إبراز المعنى المقصود في معرض الأمر المشهور ، وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير أوابد المعاني بهيئة المأнос، لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضيته للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية، وفهم الدقائق الأبية كي يتبعه فيما يقتضيه ويسيعه إلى ما لا يرتضيه، ولذلك شاعت الأمثال في الكتب الإلهية والكلمات النبوية، وذاعت عبارات البلاغاء، وأشارات الحكماء"^١

الأمثال القرآنية

دللت غير واحد من الآيات القرآنية على أن القرآن مشتمل على الأمثال، وأنه سبحانه صرّح بها مثل للناس للتفكير والعبرة، قال سبحانه: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نصرها للناس لعلهم يتفكرون"^٢ إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على وجود الأمثال في القرآن وأن الروح الأمين نزل بها، وكان مثلاً حين التزول على قلب سيد المرسلين، هذا هو المستفاد من الآيات.

شأن المثل في القرآن الكريم فهي من أساليب هدایته في الدعوة والإرشاد، ومن تصرفاته البدیعة في بيان الأوصاف العجيبة الغربية الدالة على الحقائق الثابتة، إيجاباً وسلباً وإثباتاً وإبطالاً، وفي بيان المعانی الرائعة التي تجذب النفس والعقل والفكر إلى التأمل فيها واستجلاء أمرها، والتي تؤثر في القلوب أثراً يليغاً في قبول الدعوة، ومن أجل ذلك أحرز المثل بين الأساليب التي يتحرّاها القرآن في هدایته منزلة سامية.

أقسام الأمثال القرآنية

كما نرى في علم البلاغة أقسام التمثيل بكثرة، وهذه الأقسام كلها مدينة للقرآن الكريم في أساليبها واستعمالها. لأن المثل عبارة عن إعطاء منزلة شيءٍ لشيءٍ عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو غير ذلك فهو على أقسام:

- ١ - التمثيل الرمزي : - وهو ما ينقل عن لسان الطيور والنباتات والأحجار بصورة الرمز والتعميمية ويكون كناية عن معانٍ دقيقة . فان القصص الواردة في القرآن الكريم من هذا القبيل ، ولكن قصص القرآن ليست كما نرى في المحيط الأدبي الآن بل مغایر منه، بأن القرآن هو نفسه صرّح بأن قصصها تحكي عن حقائق غريبة لم يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم. قال سبحانه: "لقد كان في قصصهم

^١ جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم ، دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز، موسسه تحقیقات ونشر معارف أهل البيت، بغداد، ٢٠٠٠، ص: ١٥٦

^٢ سورة الحشر، الآية: ٢

عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة ^١ لقوم يؤمنون"

ومنها قصة آدم مع الشيطان، وغلبة الشيطان عليه، وأوقصة هابيل وقابيل وقتل قابيل أخاه، أو تكلم النملة مع سليمان عليه السلام.

٢ - التمثيل القصصي :- وهو بيان أحوال الأمم الماضية بغيةأخذ العبر للتشابه الموجود . يقول سبحانه : " ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبادين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغريا بهما من الله شيئاً وقيل ادخلوا النار مع الداخلين " ^٢

٣ - التمثيل الطبيعي :- وهو عبارة عن تشبيه غير الملموس بالملموس ، والمتوهם بالمشاهد ، شريطة أن يكون المشبه به من الأمور التكوينية، قال سبحانه : " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أنها أئمه قادرون على إرها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً لأن لم تعن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون " ^٣

انسجام الأمثال القرآنية مع البيئة

لا شك أن كل خطيب يتأثر بالظروف التي يعيش فيها ، وبسهولة يمكن فرز كلام المد니 عن القروي، وكلامهما عن كلام البدوي، وما ذاك إلا لأن البيئة تعد أحد الأضلاع الثلاثة التي تكون شخصية الإنسان ومن هذا الجانب أصبح بإمكان المحقق الخبير بالتاريخ أن يميز الشعر الجاهلي عن الشعر في العصر الإسلامي، والشعر في العصر الأموي عن الشعر في العصر العباسي، وما هذا إلا نتيجة انعكاسات البيئة على التراث الأدبي ، ولكن بما أنه كلامه سبحانه قد تزه عن هذه الوصمة، لأن الله سبحانه خالق كل شيء مenze من أن يتاثر بشيء سواه . ومع ذلك كله نزلت الأمثال القرآنية لهداية الناس ولذلك روعي فيها الغايات التي نزلت لأجلها، فنجد أن الطابع المكي يعلو هامة الأمثال المكية، والطابع المدنى يعلو هامة الأمثال المدنية. أما الأمثال المكية فكانت دائرة مدار معالجة الأدواء التي ابتلي بها المجتمع المكي لا سيما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجادل المشركين ويسفه أحالمهم ويدعوهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك عبادة غيره، والإيمان باليوم الآخر، ففي خضم هذا الصراع يأتي القرآن بأروع مثل ويشبه آلهتهم المزعومة التي تمسك بأهدابها ببيت العنكبوت الذي لا يظهر أدنى مقاومة أمام النسيم الهادئ، و قطرات المطر ، وهبوب الرياح.

^١ سورة يوسف، الآية: ١١١

^٢ سورة التحريم، الآية: ١٥

^٣ سورة يونس، الآية: ٢٤

يقول سبحانه : "مَثُلَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ كَمْثُلِ الْعُنكُبُوتِ اتَّخَذُتْ بَيْتًا وَانْأَوَّهَنَ الْبَيْوَتَ لِبَيْتِ الْعُنكُبُوتِ لَوْكَانُوا يَعْلَمُونَ "^١

ولقد مضى على الناس منذ ضرب لهم كتاب الإسلام أربعة عشر قرنا، وما يزال المثل القرآني يتحدى كل جبروت الغرزة وعبقرية العلماء، وما يزال على الذين غرهم الغرور بما حقق إنسان العصر الحديث من معجزات العلم، أن ينسخوا ذلك.

وأما الأمثال التي نزلت في المدينة، فقد نجد فيها الطابع المدني لأجل أنها بصدق علاج الأدواء التي ابتلي بها المجتمع يومذاك وهي الأدواء الخلقية مكان الشرك والوثنية، أو مكان إنكار الحياة الأخرى، فلذلك ركز الوجي على معالجة هذا النوع من الأدواء بالتمثيلات.

وفي العصر الذي نعيش فيه نواجه عدة قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية والمدنية ، وإذا أجرينا أمثال القرآن الكريم على هذه القضايا نحن نجد المشابهة بين القضايا التي كانت موجودة في عهد نزول القرآن الكريم والتي وجدناها في هذا العصر والتي تكون في العصور القادمة .
الخاتمة

وهذه الأمثال نفسها هي التي تركت الآثار الطيبة في نفوس الناس في كل عصر ومصر وستترك آثارا خالدة في نفوس الأدباء والكتاب والمفكرين في العهود الآتية المليئة بالعلوم والتكنولوجيا الحديثة ، بل الأمور تجري في مجريها لا نعرف عاقبة أمرها بشيء – والله أعلم

المصادر والمراجع

- ابن القيم الجوزية، الأمثال في القرآن الكريم ، دار الاصلاح، بغداد، ١٩٨٧ م
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، مصر، ٢٠٠٦ م
- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، فيصل بليلك سنتر، ديبند، ٢٠٠٨ م
- جعفر السبحاني، الأمثال في القرآن الكريم ، دراسة مبسطة حول الأمثال الواردة في الكتاب العزيز، موسسة تحقیقات ونشر معارف أهل البيت، بغداد، ٢٠٠٠ م

^١ سورة العنكبوت، الآية : ٤١

الاتجاهات الجديدة في كتابة الرواية الفلسطينية

السيد شفيق علي. سي^١

د/أى. أبوبكر^٢

الملخص

الرواية جنس أدبي حديث، قد تولدت الرواية من حيث المضمون عن الصراعات الأيديولوجية بين البرجوازية الصاعدة وبين الإقطاعي، ولكن هذا الصراع لم يحل بين الرواية وبين الانفتاح على ميراث الثقافة الإقطاعية الحكائية، إذا نلاحظ إلى الرواية الفلسطينية، قد تأخر ظهور الفن الروائي في فلسطين بسبب الاضطرابات التي حلّت بها منذ وقوعها تحت الانتداب البريطاني، وعدم اهتمام النقاد بالجهود الروائية التي ظهرت، كما أن سلطات الانتداب حضرت التعليم في أبناء الأسر الموالية لسياستها، وعلى الرغم من تأخر ظهور الفن الروائي، والأسباب التي أدت إلى تخلفه فإن نهضة أدبية قد حدثت في فلسطين وخصوصاً في مجال الشعر والترجمة ومن هنا كان اعتبارها فناً برجوازياً، بمعنى أن نشأتها مرتبطة بالتطورات الاقتصادية، والتحولات الاجتماعية داخل المجتمعات الأوروبية، قد وردت في الروايات الفلسطينية إتجاهات كثيرة، منها رومانسية، والواقعية والرمزية.

الرواية الفلسطينية

إن ظهور الفن الروائي في فلسطين تأخر بأسباب مختلفة، وبالرغم أن الفن القصصي في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ كان يمر في مراحله التجريبية، شأنه في ذلك شأن القصة العربية بشكل عام، والتي كانت تفتقر حينها إلى النضج الذي يؤهلها للرسوخ نفسها ومزاحمة الشعر، ورغم ذلك؛ عرفت أسماء، مثل: خليل بيدهس (١٨٧٥-١٩٤٩)، وأحمد شاكر الكرمي (١٩٢٢-١٨٩٤)، وجميل البحري (توفي عام ١٩٣٠)، الذي أصدر أول رواية فلسطينية تحت عنوان "الوارث" والتي ظهرت في القدس عام ١٩٢٠، ونشر أيضاً مجموعة قصصية بعنوان آفاق الفكر عام ١٩٢٤ في القاهرة. وقد توزع الأدباء على ثلاثة اتجاهات، فمنهم من اتجه إلى الماضي محاولاً بعث الثقافة العربية وإحيائها، ومنهم من اتجه إلى الارتباط بالدولة العثمانية، واتجه آخرون إلى أوروبا، وفي عام ١٩٤٣ أصدر إسحق موسى الحسيني الرواية الفلسطينية الثانية، تحت عنوان "مذكرات دجاجة" وقد كتب لها المقدمة د.طه حسين، وقد طبعت عدة مرات؛ لما حصلت عليه من شهرة آنذاك في العالم العربي.^٣

أما ما بين العامين ١٩٤٨-١٩٦٧؛ فقد تأثر الفن القصصي الفلسطيني بعدد من تجارب في العالم العربي، وقد اشتهر في هذه الفترة أربعة كتاب كانوا جميعاً يعيشون خارج فلسطين، وهم:

^١ باحث، قسم البحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية مهارات جاس، إنناكلولم

^٢ مشرف البحث، والأستاذ التقاعد، قسم البحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية مهارات جاس، إنناكلولم

^٣ د. محمد أيوب، الشخصية في رواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، مكتب النيل، القاهرة، ١٩٩٦ ص: ٦

محمود سيف الدين الإيراني ١٩١٤-١٩٧٤، جبرا إبراهيم جبرا ١٩١٧-١٩٩٤، سميرة عزام ١٩٢٤-١٩٦٤، غسان كنفاني ١٩٦٣-١٩٧٢.

الاتجاه الرومانسي

إن المتتبع لنشأة الرومانسية في الأدب الغربي، يلحظ أنها نتيجة ظروف عامة في السياسة والإجتماع والفلسفة والأدب، تفاعلت معاً في المجتمع الأوروبي آنذاك، ليتبلور من خلال تفاعಲاتها تلك- وعلى مراحل - ما عرف بالمذهب الرومانسي. وقد تشعب هذا المذهب في معانٍ حسب الأقطار التي نشأ فيها، مما جعل من الصعوبة إعطاء تعريف محدد له، وقد تمكنت الحركة الرومانسية من اكتساب شخصيتها المميزة عقب الثورة الفرنسية، وهيوض الطبقة البورجוזية التي استتب لها الأمر بعد نجاح الثورة وما جاءت به من مبادئ حرية والإباء والمساواة، فأطلقت العنان للحرية الفردية لتحقيق ذاتية الإنسان، رافضة أية قيود على الأدب والفن، ذلك لأن جوهرها كان التخلل من كل الأصول والقيود والتخلُّف من أغلالها، لكي تتحرر العبرية البشرية وتنطلق على سجيها.^١

الرومانسية

كانت فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى جزءاً من الأقاليم الآسيوية المنوطة تحت لواء الإمبراطورية العثمانية، وقد شهدت البلاد معارك واسعة بين البريطانيين والعثمانيين حتى استولت القوات البريطانية على مدينة القدس في ديسمبر ١٩١٧، وفي سبتمبر ١٩١٨ تم استيلاء القوات البريطانية على كامل فلسطين، بعد طرد القوات العثمانية وتصفيتها، وبذلك انتهت علاقة الوطن الفلسطيني بالإمبراطورية العثمانية. وقد تطورت الأوضاع السياسية في فلسطين وعموم سوريا بشكل سريع مفاجئ لسكان المحليين، إلى أن أعلن الانتداب البريطاني رسمياً على فلسطين بواسطة مجلس عصبة الأمم في يوليو ١٩٢٢.^٢

وقد كان من أثر وقوع المنطقة بكمٍ منها تحت الانتدابين البريطاني والفرنسي، ان تهُبَّت ظروف أفضل للإتصال بالأدب الغربية والإطلاع على تجاربها الجديدة في مجال الأدب والفن، نظراً لسهولة الإتصالات سواء بالدول الغربية صاحبة الانتداب، أو بالدول العربية المجاورة الواقعة تحت سيطرة الدول نفسها، وبالذات مصر التي سبقت في الأخذ بأسباب الحضارة الغربية عقب الحملة الفرنسية عليها، وقد شهدت السنوات العشر الأولى من عمر الانتداب الإنكليزي في فلسطين والأردن كما شهدت الفترة نفسها من عمر الانتداب الفرنسي في بقية الأجزاء سوريا العامة تجارب أدبية جديدة تحاول في نجاح أن تعبّر عمّا في نفس الإنسان العربي في كل من أجزاء سوريا العامة الأربع تعبيراً كهذا الذي نراه

^١. محمد مت دور، الأدب ومناهجه، ط٥، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص: ٢٢

^٢. أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢، ص: ٢٩

في مجال القصة عند خليل بيدس ومدرسته التي نحف به من حوله وتكتب في مجلته النفائس العصبية

الواقعية في الرواية الفلسطينية

أدت عوامل كثيرة إلى انضاج الظروف المحلية في داخل المجتمع الفلسطيني، مما نتج عنه سيادة الاتجاه الواقعي في الرواية الفلسطينية، الذي يشهده الدارس الآن. وقد كان هذا أمراً طبيعياً حتمته التفاعلات الداخلية في المجتمع الفلسطيني طيلة نصف القرن الماضي، إذ لم يعرف هذا المجتمع المدود والسكينة مطلقاً، وكانت مجمل أحدهاته وظروفه السياسية لا تترك مجالاً أمام أية تهوميات رومانسية في الأدب، إنما تفرض على الأديب والفنان المشاركة الواقعية الایجابية في هذه الأحداث، أداء لدوره باعتباره فرداً منتجاً، وتحبيراً لهذه الأحداث لمصلحة وطنه.

ومنذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ وحتى الآن، والمجتمع الفلسطيني يشهد موجة إثر موجة من الهبات الوطنية الثورية لمواجهة قوى الاستعمار والصهيونية التي أقامت على ترابه القومي وطننا للهود الذين تم تجميعهم من كافة أنحاء العالم. وقد اتسمت اغلب هذه الهبات الوطنية بالطابع الثوري المسلح، كما حدثت في ثورة عام ١٩٣٦، التي دوخت جيش الإمبراطورية البريطانية، وقدم فيها الشعب الفلسطيني ما يزيد على ألف بين قتيل وجريح، وقد تميزت هذه الثورة وما قبلها بشهر قليلة انتفاضة عز الدين القسام المسلحة، بالمشاركة الجماهيرية الفعالة، معلنة أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيدة للرد على الاستعمار والصهيونية.

وقد تميزت الفترة ما بين ١٩٣٠ و ١٩٣٩ بحالة هرопض ثوري عممت مختلف أنحاء البلاد معبرة عن نفسها بأشكال مختلف، وقد شارك الشعر الفلسطيني بالذات في التعبير عن هذه المرحلة وما تلاها، كما نلاحظ عند ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وغيرهما.

أما الرواية فلا نجد لها أثراً سوى رواية "الوارث" لخليل بيدس الصادرة في القدس سنة ١٩٢٠، وما يذكر عن رواية محمد عزة دروزة باسم الملوك والسمسار، عالج فيها أساليب الصهاينة في الاستيلاء على أراضي العرب في فلسطين. وطيلة فترات النضال السابقة كانت البورجوازية الفلسطينية هي التي تقود النضال الوطني.^١

لذلك كانت برامجها مرهونة بمصالحها الذاتية، ويظهر ذلك من وسائلها التي اقتصرت في أغلب الأحيان على تقديم عرائض الاحتجاج والمذكرات وبرقيات الاستنكار، وفي اللحظة التي كانت الحركة الثورية تخرج من اسر المفاهيم البورجوازية تجدها تلجم إلى أساليب مغابرة تماماً كما حدث في انتفاضة القسام المسلحة سنة ١٩٣٥ دون أن يحصل على رضا مفتي فلسطين وموافقته لأن المفتي كان يؤمن بحل القضية سياسياً وقد تكشفت وقائع هذه الانتفاضات المسلحة عن نمطين من القيادة

^١ أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢ ، ص: ٩٤

يمثلها القسام والمفتى ، فال الأول بربور دين ثوري في حين تكشف الثاني عن رجل دين وطني، ولكنه محافظ معاد للاستعمار والصهيونية ولكن ضد الثورة لما تحمله من احتمالات التغيير الاجتماعي.

في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ازداد موقف الطبقات الفلسطينية من الاستعمار البريطاني الذي تميز بخط فكري نظري واضح رغم تذبذب مواقف أججنته المختلفة من القضية الوطنية التي انتهت بالسلاح المجموعة العربية منه وتشكيلها ما عرف بعصبة التحرر الوطني في سبتمبر ١٩٤٩ ، وكان خط العصبة العربي واضحأ نظراً لما لمسه أعضاؤها العرب من استحاللة العمل المشترك مع العناصر اليهودية فيما كان يسمى "الحزب الشيوعي الفلسطيني" وذلك لعدم وضوح موقف استراتيجي للعناصر اليهودية من الحركة الصهيونية وأساليب مواجهتها في فلسطين.^١

إن سيطرة الاتجاه الواقعي على غالبية النتاج الروائي الفلسطيني من بداية الستينيات حتى الآن، تؤكد أن الأدب الفلسطيني، الروائي بالذات، ادرك الجدلية القائمة بين الأدب والحياة وأن الأديب محصلة لعلاقاته الاجتماعية، لا يمكنه الفرار منها أو الانزعال عن تأثيراتها الخاصة في الظرف الفلسطيني، الذي تميز بخصوصية معينة جعلت الانطواء غير ممكن أمام ثقل النفس والاجتماع لهذه الخصوصية. لذلك سنلاحظ ذلك العناء الدائم بين الروائي الفلسطيني والظرف الاجتماعي والسياسي والنفس لمسار حركة الشعب الفلسطيني. فمرة تسبقه هذه الحركة ويأتي دور ليعبر عما كان، وأخرى قدم ارهادات مبكرة لما يتفاعل داخلها ببطء، ويكون دوره في هذه الحالة دور النبوءة التي استطاع بحدسه الخاص المتفاعل جديلاً مع الظروف المحيطة به أن يقدم الإيحاءات الأولى لها. وقد تراوحت هذه العلاقة الجدلية بين الروائي وعلاقاته الاجتماعية والسياسية- حركة الشعب الفلسطيني - بين التسجيل والنقد والتعلّم لما هو إيجابي فيها، قادر على التجاوز والتغيير ضمن معطيات جديدة برموز بشرية جديدة ذات أفق مغاير ومميز.

الاتجاه الرمزي

فقد كان لهذا المذهب ظروف معينة، نفسية وعملية وفلسفية حتمت ظهوره، وهي بعيدة ومختلفة تماماً عن الظروف التي ألجأت الكاتب الفلسطيني في أحوال معينة وقليلة، إلى اللجوء إلى الرمز وسيلة للتعبير عن الموضوعات التي يريدها، مما جعل هذا المذهب عنده أقرب مما يسمى "المزية الموضوعية". كان لسيطرة العلم وانجازاته الكبير الشاملة في النصف الأخير من القرن العشرين الدور الحاسم في تهيئة الظروف النفسية لظهور المذهب الرمزي في أوروبا، فقد بلغ الاعتزاز بدور العلم وتجاربه وكشفاته حداً كبيراً.

وقد اتخذ هذا المذهب صوراً مختلفة ، وأثار العديد من القضايا في مجال اللغة واستعمالاتها والشعر وصوره. أصبحت اللغة عند أقطاب هذا المذهب غير قادرة عن التعبير عن حقائق الأشياء وقد

^١ أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢، ص: ٩٦

حصروا مهمتها مجرد الإيحاء لدى القارئ أو المستمع ، فهي رموز لما نشاهد في العالم الخارجي. ومن كاتب إلى كاتب أغرق المذهب الرمزي في الإبهام والغموض، ذلك أن الرمزية لا تعرف إلا بما يوحى به العقل الباطن من الصور والرموز. ومن ثم كان أسلوبها غامضاً يعتمد على ما يتلقاه من أعماق ذاته وما يحدده خياله الباطن من صور. ومن هنا جاءت شطحات المذهب الرمزي التي لا تأبه إلا بعالم الشاعر الخاص والذي قد يكون عالماً مغلقاً على نفسه^١، أو بمعنى آخر عالماً له لغته ورموزه وصوره التي تستعمل على سامعيها فلا تجد عندهم أذناً تعمها أو تدرك خفاياها لقد نزعت الرمزية إلى جعل الشعر متصلاً بأحساس الفرد وعواطفه أكثر مما فعل الرومانسيون أنفسهم، بل أن الرمزية أدت أحياناً إلى جعل الشعر من شؤون الشاعر الخاصة بحيث غداً لا يمكن إيصاله إلى القارئ.

الرمزية الموضوعية

بالإضافة إلى تكريس الرمزية للتعبير عن الذات الخاصة كما سبق بشكل أقرب إلى الإيحاء والتلميح والإبهام بواسطة الخيال وتتصوراته واستغلال موسيقى اللغة إلى بعد حد، وجدنا أن الرمزية امتدت إلى معالجة المشاكل الإنسانية والأخلاقية العامة، تعالجها بواسطة الخيال وتتصوراته، وهذه التصورات تكون غالباً بعيدة عن مشاكله واقع الحياة، فهي لا ترمي إلى تصوير هذا الواقع وتحليله ونقده بل ترمي إلى تجسيم أفكاره مجردة وتحريكها في أحداث، تتدخل وتشابك لإيضاح الحقائق الفلسفية، نفسية كانت أم أخلاقية^٢، بهذا المفهوم لـ"الرمزية الموضوعية" التي تقترب من الواقع وتعالجه، بقصد بنائه وتغييره نحو الأفضل، تعامل الروائيون الفلسطينيون مع مذهب الرمزي، بهذا المفهوم لـ"الرمزية الموضوعية" التي تترقب من الواقع وتعالجه، بقصد بنائه وتغييره نحو الأفضل، تعامل الروائيون الفلسطينيون مع مذهب الرمزي، ليس إحساساً منهم بعدم القدرة على التعبير عما في نفوسهم، أو هرباً من الواقع إلى عالم غيبي مليء بالأوهام والأحلام ، ولاكن لأنهم عالجوها موضوعات واقعية تتعرض للعقائد الدينية، أو لأنها تتناول أوضاعاً سياسية قائمة، لا يمكن معالجتها بوضوح دون التعرض للاضطهاد والأذى، قد أدرك الروائيون الفلسطينيون بهذه الناحية جيداً لأنهم كانوا يضعون في الاعتبار التزام الرواية ونضاليتها، وكى تؤدي هذا الدور، وتكون قادرة على الوصول إلى الجماهير، لابد أن تكون رموزها واضحة، بعيداً عن المعنيات السلبية الهاربة، وهذا ما يفسر قيمة الروايات الفلسطينية التي تعاملت به فهو رمز واضح يساعد على توضيح المعاني التي يردها الكاتب، التي هي في الغالب قضايا اجتماعية وأخلاقية، ليتمكن الكاتب من معالجتها بشكل مباشر.

وقد اتخذ التعبير بالرمزي في الرواية الفلسطينية اتجاهين:

^١ أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢، ص: ١٥٣

^٢ د. محمد مندور، الأدب ومناهجه، ط٥، دار هبة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ٢٠٠٥، ص: ١٣٥

١. الرواية التي تعاملت مع الرمز بشكل كامل. وهي الروايات التي وصلت بأسلوب رمزي خالص للتعبير عن مضمونها. وهذا يحكم بناء الرواية، يسيطر على خطوطها العامة من أولها إلى آخرها. في هذا النوع يعتمد البناء الكلي للرواية على الرمز.

٢. الرواية التي اعتمدت بناء روائيا غير رمزي إلا أنه يتخلله رموز جزئية ذات دلالات على نواحٍ واقعية، ولم يتمكن الكاتب من معالجتها بوضوح كباقي نواحي الرواية وأفكارها، فاعتمد الرمز بشكل جزئي داخل روايته غير رمزية للتعبير عن هذه النواحي وتلك الأفكار، سواء عن طريق تحميل هذا الرمز لحدث أو شخصية لينفذ من خلالها إلى المعاني وأفكار التي قصدها.^١

المصادر والمراجع

- أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢ م
- د/محمد أيوب، الشخصية في رواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، مكتب النيل، القاهرة، ١٩٩٦ م
- د/محمد مندور، الأدب ومذاهبه، ط٥، دار هبة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ٢٠٠٥ م

^١ أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢، ص: ١٥٥

مساهمة الشاعر عبد الله البردوني في تطور الشعر اليماني المعاصر

السيد صغير علي. تي. بي^١

د/أن. عبد الجبار^٢

الملخص

شاعر اليمن العظيم أو المواطن اليمني كما كان يحلوله أن يسمى نفسه .. شاعر فريد ولد في ظروف قاسية لكنه صنع من آلامه مجدًا لا يجاريه فيه أحد وصار نجماً لاماً في سماء الثقافة اليمنية والعربية ومع كل ذلك فقد عاش حياة بسيطة وتميز بتواضعه المذهل. يعرف الشاعر العربي الراحل عبدالله البردوني كرمز معاصر من رموز الشعر العربي خاصة في اليمن الموصول بتاريخ البيان والبديع القادمين من أساس الموسيقى الشعرية، بمحدداتها المعروفة عبر القافية والتفعيلة، ويعرف أيضًا بوصفه الشاعر الذي استطاع أن ينزاح بمفرداته الشعرية صوب شكل من أشكال التطوير والحداثة بالرغم من استمرار إقامته في الكتابة ضمن أنساق العمود والقافية، فقد كان البردوني يتمتع بحصيلة لغوية فذة استمدت وهجها من ذاكرة "البصير" الذي طور أدواته السمعية وذاكرته المعرفية بصورة قل أن نجدها عند المبصرين بعيونهم، فقد كان موسوعة تتحرك على الأرض، وحالة استعادات وامضات للتاريخ البياني العربي بشعره ونشره قل أن يكون لها مثيلاً. فيما يلي محاولة للتعریف به وبما خلفه من إرث ثقافي جعل اسمه متصدراً لكل ما ستناقله الأجيال عن تاريخ اليمن والعرب عموماً.

تاريخ الشعر اليماني القديم والحديث

الشعب اليمني له إسهام مقدر في الحضارة الإنسانية، وكان اليمن مركزاً للتجارة والثقافة منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وارتبط بعلاقات وثيقة مع روما القديمة والحضارات الآسيوية وحضارات ما بين النهرين. أبدع اليمنيون أعظم نظم الكتابة في التاريخ، وهو خط المسند، وعندما اعتنقوا الإسلام في القرن السابع الميلادي استبدلوا نظامهم الكتابي القديم بالكتابة النبطية المتأخرة التي دون بها القرآن الكريم، ومنذ دخولهم الإسلام لعبوا دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية الإسلامية وإرساء دعائمها، لهذا ليس بغربي أن يغطي تاريخهم الثقافي والشعري خصوصاً المراحل المتأخرة من الجاهلية حتى ظهور الإسلام. نبغ منهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي المذحجي، كان شاعراً وفارساً، لهذا اشتهر بلقب فارس العرب، شارك في معارك الفتاح الإسلامي في عهد أبي بكر الصديق وعمربن الخطاب، وكان طويلاً قوياً البنية، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال فيه جملته الشهيرة: «الحمد لله الذي خلقتنا وخلقتك عمرو».

^١ أستاذ مساعد وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كبيرة

^٢ مشرف البحث والرئيس السابق، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كبيرة

ومنهم عبد الرحمن بن إسماعيل الخولاني الذي لقب بوضاح اليمن لوسامته، وهو من شعراء الغزل المعروفين في تاريخ الشعر العربي. ومنهم محمد بن ظفر بن عمر الكندي المعروف بالملقون الكندي، أحد شعراء العصر الأموي، وقد لقب بالملقون لتلثمه خوفاً من العين لفطر جماله. ومنهم امرؤ القيس بن حجر الكندي أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي، وهو صاحب إحدى المعلقات السبع الشهيرة التي أرست دعائيم الشعر العربي، تعد من درر الشعر العربي التي وصفت الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع الجاهلية. ومنهم زهير بن أبي سلمى، وهو من أصحاب المعلقات السبع أيضاً.^١

أورث هؤلاء الشعراء الأماجد أحفادهم من شعراء اليمن المعاصرین إتقان نظم الشعر وإجادته، فغذوا الأدب العربي المعاصر بالدواوين، وأسهموا في رفع علو شأن الشعر اليمني، وأضافوا للغة العربية إضافات ثرة، وهنالك ظاهرة في الشعر اليمني تتجاوزها كثيراً عندما نكتب تاريخ الشعر العربي المعاصر، وهي أن الشاعرات اليمنيات لهن مكانة الشاعرات العربيات نفسها في نظم الشعر في كل مراحله وكل فنونه. ونذكر بعض من شعراء اليمن المعاصرین مع عبد الله حسن البردوني مثل: محمد حسن فقيه، نبيلة علي محسن الزبير، ميسون الأرياني، د. عبدالعزيز المقالح، د. محمد عبده غانم، ابتسام المتوكل، فضل النقيب، محمد أحمد حسن فقيه.^٢

الشاعر عبد الله البردوني

هلرأيتم كيف تزول الجبال؟ وكيف تغور الأنهر؟ وكيف تنزلل الأرض وكيف تكسف الشمس ويختفي القمر وتهرب الأشجار.. وتساقط النجوم كأوراق الخريف، موت شاعر عظيم كالبردوني لون من ألوان الكوارث الطبيعية التي تضرب كيان أمة بأسرها فالعالم الموسوعي والمبدع كبير كالبطل الأسطوري إنما يكون في رحم الأمة- أي أمة عبر عشرات ومئات السنين فأمثال عبدالناصر والبياتي والجواهري والقباكي وطه حسين والبردوني ، و... لا يأتون إلا في أزمان متبااعدة أليسوا ملح الأرض، ومهندسي ضمير الأمة ووجادتها، وحُداة مسيرتها. لم تكن أمه وأبوه في البردون من منطقة الحداء، ولا أبناء قريته في منطقة ذمار يعرفون أن الصبي الذي حاقد به العمى في الطفولة، والمحاصر بالمرض والفقير والتخلف في ثلاثينيات هذا القرن وفي جزيرة واق الواقع اليمني، ولم يكن حتى البردوني نفسه يدري أنه سيشغل الناس والأقلام والكتاب، وإن معجزة فقد بصره ستجعل منه الأكثر إيصالاً لأسرار الإبداع من المبصرين المبدعين أنفسهم، وسيكون شاهداً على شعبه وأمته وعصره، فهو الرائي الذي يرى ما لا يرى، ويبصر ما يعجز المبصرون عن إدراكه ومعرفته

هذا هو الشاعر اليمني عبد الله صالح حسن الشحاف البردوني(١٩٢٩ - ٣٠ أغسطس ١٩٩٩) المعروف بعدد الله البردوني يعتبر من قلائل الشعراء في عصرنا الحديث والذين تركوا بصماتهم على

^١ عبد الله البردوني، ديوان "العيبي أم بلقيس"، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠٢، ص: ١١.

^٢ عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩، ص: ٢٤-٢٥.

الشعر العربي الحديث في اليمن بصفة خاصة والوطن العربي بصفة عامة حيث ارتسם في وجدانه معاناة أمة كانت محاصرة بين جدران الجهل والتخلف والطغيان وعبر الكلمة الهدافة وأعذبها الشعر استطاع ان يعكس كل هذه المعاناة والأمنيات وتخطى حدود اليمن بل تجاوز العديدين من الشعراء العرب إبداعاً وتعبيرًا وخاصة وان اليمن يمتلك مخزوناً كبيراً من الشعراء والادباء والفنانون المتميزون ولا زالوا مجھولون في ساحة الابداع العربي وليس من يروج لهم وفي الوقت التي نجد في هذه الساحة أصوات لا تحمل أي رسالة هادفة ومفيدة للمجتمع ولحملات الإعلامية الترويجية والبراقة والأنيقة والميغة أوصلت البعض منهم إلى القمة دون استحقاق.

خير من يمثل الشعر اليمني الحديث هو الشاعر عبدالله صالح حسن البردوني)، إذ أنه لم يقرض الشعر فحسب، بل كان ناقداً ومؤرخاً أدبياً، ومفكراً ثورياً أيد الفكر الجمهوري في اليمن الذي عرف بولاته وتشدده القبلي. هو نموذج ساطع للتغلب على الإعاقة، أصيب بالجدرى في الخامسة من عمره فقد بصره، لكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدراسة والنبوغ في اللغة العربية وأدابها وعلومها، فغدا من رموز الأدب العربي الحديث. بدأ اهتمامه بالشعر ونظمه وهو في الثالثة عشرة من عمره، وتمتد مدة الكتابة عنده من عام ١٩٤٧ م حتى ١٩٩٤ م، وخلال هذه المدة أسهم بقسط وافر في الحياة الثقافية والسياسية في اليمن، وأدخل إلى السجن في عهد الإمام أحمد بن يحيى لمساندته ثورة الدستور عام ١٩٤٨ م. كان البردوني غزير الإنتاج، إذ أصدر اثني عشر ديواناً،

- من أرض بلقيس، قام بنشره المجلس الأعلى للآداب والفنون، القاهرة، ١٩٦١ م.
- في طريق الفجر، بيروت، ١٩٦٧ م.
- مدينة الغد، بيروت، ١٩٧٠ م.
- لعيبي أم بلقيس، بغداد، ١٩٧٢ م.
- السفر إلى الأيام الحضر، مطبعة العلم، دمشق، ١٩٧٧ م.
- وجوه دخانية في مرايا الليل، بيروت، ١٩٧٧ م.
- زمان بلا نوعية ، مطبعة العلم، دمشق، ١٩٧٩ م.
- ترجمة رملية لأعراس الغبار، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨١ م.
- كائنات الشوق الآخر، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٧ م.
- رواغ المصابيح، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٨٩ م.
- جواب العصور، مطبعة الكاتب العربي، دمشق، ١٩٩١ م.
- رجعة الحكيم ابن زايد، دار الحداثة، بيروت، ١٩٩٤ م.

أعمال مترجمة إلى اللغات العالمية

- عشرون قصيدة مترجمة إلى الإنجليزية في جامعة ديانا في أمريكا
- الثقافة الشعبية مترجمة إلى الانجليزية
- ديوان مدينة الغد مترجم إلى الفرنسية
- اليمن الجمهوري مترجم إلى الفرنسية
- كتاب بعنوان الخاص والمشترك في ثقافة الجزيرة والخليج مجموعة محاضرات بالعربية لطلاب الجزيرة والخليج ترجم إلى الفرنسية

وأصدرت وزارة الثقافة والسياحة اليمنية مجموعته الكاملة عام ٢٠٠٤ م عندما كانت صنعاء عاصمة للثقافة العربية. أسمه البردوني بفكرة في الشأن اليمني المعاصر، وأهم كتبه الفكرية «قضايا يمنية»، و«اليمن الجمهوري»، و«الثقافة والثورة»، ونال عدة جوائز عربية وعالمية تقديراً لفكرة، وقد أصدرت الأمم المتحدة عملة فضية تذكارية عليها صورته تقديراً له. هو ليس نسيج وحده في تاريخ الشعر العالمي، فهو ميروس الشاعر اليوناني (القرن الثامن قبل الميلاد) الذي أبدع ملحمتي الألياذة والأوديسة كان أعمى، وأبو العلاء المعري (٩٣٧-١٠٥٧) لم يكن يبصر، وفي العصر الحديث الشاعر والمؤرخ الثقافي المصري مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠-١٩٣٧) لم يكن يبصر، ورائد التنوير في النقد والفكر العربي المعاصر د. طه حسين (١٩٢٣-١٨٨٩) كان أعمى، وهؤلاء عوضوا فقدان البصر بالبصيرة، وإذا كانوا لم يروا العالم بعيونهم فقد رأوه ووصفوه بأقلامهم، والبردوني ينتهي إلى عصتنا الراهنة، ويجمعه مع المعري شاعريته ودوره الفكري، إنه معري العصر الحديث في الشعر العربي بلا منازع.^١

والبردوني – كما هو معروف- شاعر قصيدة بهذا تتكلم دواوينه الشعرية التي تضم عشرات القصائد، ولا شك في أن تقاليد هذا الجنس الأدبي ومقوماته المتوارثة منذ الزمن القديم قد شغلت حيزاً كبيراً من ثقافته الشعرية، وبديهي أن التراث المترافق عبر الزمن لهذا الجنس لم يكن كله أحادي الصوت، وإن كانت هذه الأحادية هي الأغلب، وفي هذا المنطق- على وجه التحديد- يمكن الوقوف على النقلة الجوهرية التي حققها البردوني في قصائده، حيث توارى إلى حد بعيد صوت أنا المفرد، وصارت الغلبة في هذه القصائد، في الأعم الأغلب للصوت والصوت الآخر، للأنا والأنت، أو أنا وأنت، فانتقلت القصيدة بذلك من "الغنائية" إلى "الDRAMATIC". وعلى سبيل المثال هناك قصيدة بعنوان "سنن باد يمني في مقعد التحقيق" وردت في ديوان "وجوه دخانية في مرايا الليل" ، تقوم على صوتين: صوت أنا الشاعر، صوت الآخر، المحقق.^٢

^١ عبد الرحمن مراد، البردوني الشاعر والمفكـر ، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن، ٢٠٠٤، ص: ٢٦.

^٢ عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩، ص: ٥

وكان حبه للمعرفة يفوق أي تصور فوقته كله مكرس لها، فهو يستيقظ مبكراً ليجد صديق عمره محمد الشاطبي قد جهز الكتب المطلوب قراءتها ، وتبداً رحلة القراءة ثم يخصص وقتاً للكتابة، وبعد الغداء ينام ساعة، ثم يستيقظ لمواصلة القراءة والكتابة. إلا زيارة أصدقائه وتلاميذه والمقابلات الصحفية التي بدأ يتحفف منها في العشر السنوات الأخيرة، وقبل وبعد، فإن خسارة الأمة العربية واليمن وأهل الثقافة والفكر والأدب في مفكر ومجدد كالبردوني لا تقل هولاً عن أي كارثة من أي نوع وإن موته لنقص في الزمان والمكان والناس

المصادر والمراجع

- عبد الله البردوني، ديوان "لعيبي أم بلقيس"، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ٢٠٠٢ م
- عبد الله البردوني، الأعمال الشعرية الكاملة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩ م
- عبد الرحمن مراد، البردوني الشاعر والمفكر، وزارة الثقافة والسياحة، اليمن، ٤، ٢٠٠٤ م

حقوق الإنسان وتصوراتها في القرآن الكريم

السيدة صفية. تي^١

د/ يو. سيد علوى^٢

الملخص

قد طرأ على الفكر القرآني كثير من المصطلحات الهامة على المستوى العالمي. ومن أبرز هذه المصطلحات وأهمها مصطلح حقوق الإنسان. وهذا المصطلح قد ملأ عالمنا المعاصر بالمقالات والأحداث سواء كانت اجتماعية وسياسية أو ثقافية. وقد كان هناك جمعيات كثيرة باسم حقوق الإنسان، وكثُرت الإتفاقيات في العالم، وقد كثُر اليوم الحديث عن هذا الموضوع في عالم الصحافة والأدب والسياسة وغير ذلك من المجالات. ولكن الحقيقة أنَّ الإهتمام بحقوق الإنسان على أنه دفاع عن البشرية المظلومة وذلك جهد كبير. إنَّ حقوق الإنسان هو موضوع العصر، ولذلك صار احترام حقوق الإنسان ميزاناً كبيراً في تقييم سياسات الدول، على الرغم منه أنَّ قوانين القرآن جامع مانع في الحقوق ويعتبر لكل نواحي الحقوق.

ما هي حقوق الإنسان في القرآن وفي القوانين الوضعية؟، أيهما أسمى وأصلح للمجتمع؟ وما هو تعريف كامل شامل لحقوق الإنسان؟ ومنزلة حقوق الإنسان في القرآن وفي الشريعة؟

من أهداف هذا البحث معرفة معنى حقوق الإنسان ومفهومه، وأن يظهر عناية القرآن بحقوق الإنسان ويثبت أنه صالحة لكل مكان وزمان، والمقارنة بين حقوق الإنسان في القرآن وفي القانون الوضعية. تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي الإستقرائي والمقارن بين الأفكار والأراء، وتنقبس الآيات من القرآن التي يتعلق بالموضوع، ومراجعة كتب التفاسير المشهورة. هذه الدراسة متركزة على الآيات من القرآن.

إنَّ حقوق الإنسان هي مجموعة من الحقوق التي تثبت للإنسان بأنه إنسان لا يمكن أن يعيش بدونه حياة كريمة. إنَّ قضية حقوق الإنسان من أكبر القضايا العالمية التي تشغل الناس جميعاً في كل عصر ومصر. والأمر الذي لا شك فيه أنَّ القرآن قد تضمن مئات من الآيات الكريمة التي تقرر حقوق الإنسان على أكمل وجه، وأعطى لكل أصناف من الناس حقوقهم، ولم يترك صنفاً إلا بين فيه حقوقه، هذا يدل على شمولية القرآن، لأنَّه هو منهج شامل صالح لكل الزمان والمكان. ولكن كثيراً من يتكلمون في هذه القضية قد أغفلوا عن هدى القرآن وتأثروا برؤية الغرب.

لفظ "الحق" له معانٍ لغوية كثيرة، ولكن المعنى اللغوي الأقرب لموضوع البحث هو أنَّ "الحق" معناه: الأمر الواجب والشئ الثابت. أما في الإصطلاح له عدة معان، وباعتبار مختلفة. ترجع تلك الإستعمالات كله إلى معندين أساسيين:

^١ أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية، كلية حكومية، مدابلي وباحثة، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق

^٢ مشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق وعميد كلية مليبار للدراسات العليا، ونغارا، ملابرم

"أولى منها: باعتبار مادتها، ف تكون هي: مجموعة من القواعد والنصوص التشريعية التي تنظم على سبيل الإلزام ما يتعلق بالناس من حيث الأشخاص والأموال.

الثاني باعتبار أثرها ومن تجب له، ف تكون هي: المطلب الذي يجب لأحد على غيره^١.

قال الجرجاني: "الحق في اللغة هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره، وفي اصطلاح أهل المعانى هو الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب باعتبار اشتتمالها على ذلك"^٢

هذا اللفظ ومشتقاته قد ورد في القرآن في ٢٨٨ مكاناً، وفي معانٍ مختلفة، منها:

- اسم من أسماء الله تعالى: قوله تعالى "فَذُلِّكُمُ اللَّهُ رِبُّكُمُ الْحَقُّ"

- بمعنى العدل: "وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ"

- بمعنى الدين القوي: كقوله تعالى: "بِل جاءهم بالحق وأكثراهم للحق كارهون" (المؤمنون ٧٠)

- الصدق واليقين: قوله تعالى: "إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصْصُ الْحَقُّ" (آل عمران ٦٢)

- بمعنى القرآن: "وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ" (إِسْرَاءٌ ٨١)

- بمعنى الواجب: قوله تعالى "حَقًا عَلَى الْمُتَقِّنِ" (البقرة ١٨٠)

هذه هي بعض اطلاقات القرآن للحق، ولكن بعض هذه المعانى متداخل بعضهم بعضاً مثل 'القرآن' و'الرسول'. فيدل بعض هذه المعانى على أنه أوجب على الناس بعض الحقوق والواجبات، مثل قوله تعالى: "وَكَانَ حَقًا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ" (الروم ٤٧). قال ابن كثير: أى حق أوجبه على نفسه الكريمة تكرماً وتفضلاً^٣. هذا المعنى هو الذي يريد في هذا البحث. ومنه ما جاء في حديث معاذ بن جبل حين قال له النبي (ص): يا معاذ، أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله قلت الله رسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً^٤.

حقوق الإنسان مفهومه: فالحقوق لازمة لكل إنسان ليعيش إنساناً كاملاً ذا حرية في حقوق طبيعية لا يستطيع أن يعيش بدونها حياة كاملة. إنها تولد مع الفرد ولا تحتاج في ممارستها إلى اعتراف الدولة أو حتى تدخلها وإنما يتحدد دور الدولة بمجرد تنظيم استعمال هذه الحقوق من قبل الأفراد ورفع التعارض المحتمل بينهم أثناء استعمال هذه الحقوق^٥. وهي في نظر القرآن: النصوص الشرعية التي وردت على سبيل الإلزام في تنظيم علاقات الناس فيما بينهم من النواحي الشخصية والإجتماعية والمالية وغيرها. هذا هو المعنى الإصطلاحي للحقوق. قال الله تعالى: "وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَ بَنِ إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى

^١ مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي، دار القلم، دمشق، ٢٠١١، ص: ١٠٠-٩٣.

^٢ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ٢٠١٠، ص: ٨٩.

^٣ سورة يونس، الآية: ٣٢

^٤ سورة الزمر، الآية: ٦٩

^٥ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، مصر، ٢٠٠٨، ٣/٤٠٩.

^٦ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار طوق النجاة، مصر، ١٩٩٢، ٢٨٥٦، كتاب الجهاد، رقم الحديث.

^٧ الشيخ محمد الغزال، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وأعلان الأمم المتحدة، هبة مصر للطباعة، مصر، ٢٠٠٢، ص: ١٢.

واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم لا قليلا منكم وأنتم معرضون . وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون" (البقرة - ٨٤-٨٣) وهذه الآية يشتمل ذكر واجبات ومطالب على سبيل الإلزام المؤكد بأخذ الميثاق والعهد الشديد على بني إسرائيل بأن يؤدوا ما أمروا به ،

هاتان الآياتان في البقرة قد ورد في تنظيم علاقات الناس فيما بينهم من الناحية الإجتماعية كالأمر بالإحسان إلى الوالدين وذى القربي والمساكين ، ومن الناحية المالية كالأمر بaitاء الزكاة ، ومن الناحية الشخصية كالنهى عن قتل الناس . ومن الآيات القرآنية التي وردت على سبيل الإلزام في تنظيم بعض الحقوق المالية آية الصدقات : قال الله تعالى : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين علمها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (التوبة - ٦٠) فهذه الآية تحدد وجوب الصدقات والأشخاص الذين يستحقون لهذه الصدقة . ثم أكدت الإلزام بذلك التحديد بقوله تعالى " فريضة من الله " أي إنه فرضه على عباده حكما لازما .

من الآيات العامة التي تبين في تأكيد حقوق المرأة قول الله تعالى : " ولهن مثل الذي عليهم بالمعروف " (البقرة ٢٢٨) يقول رشيد رضا في تفسيره " المنار " " جعل لهن عليهم مثل ما جعله لهم عليهم " . ويقول أيضا " هذه الدرجة التي رفع النساء لم يرفعهن إليها دين سابق ولا شريعة من الشرائع " . إن تلك النصوص القرآنية وغيرها والسنّة النبوية التي تفصّلها ، كلها تؤصل بمجموعها مفهوم ' حقوق الإنسان ' في القرآن . فأول ماحقق القرآن الإنسان أنه كرمه من سائر المخلوقات .

لقد كرم الله الإنسان و Mizrahi على سائر المخلوقات وأنعم عليه بخصائص لترقى إلى أعلى الدرجات في العالم . وهذا التكريم يتصل مبدأ حقوق الإنسان . يقول الله تعالى " لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم " (سورة التين) ، يقول ابن عباس أنّ معناه (في أعدل خلق) قال ابن كثير . انه تعالى خلق الإنسان في أحسن صورة وشكل منتسب القامة سوي الأعضاء حسنه " . ثم قال الله تعالى : " الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين " (غافر ٦٤) قوله تعالى : " يا أيها الإنسان ما غررك بربك الكريم الذي خلقك فسوالك فعلتك " (الإنفطار ٦-٧) قال ابن كثير : أي جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتسبها في أحسن الهيئة والأشكال ^١ .
ومع ذلك أنه فضل الإنسان على سائر المخلوقات وسخره كل ما في الأرض والسماء ، بدليل قوله تعالى : " ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا ^٢ .

^١ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين ، تفسير المنار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٠ ، ص: ٣٧٧/٢

^٢ المصدر السابق ، ص: ٣٧٥/٢

^٣ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي ، تفسير القرآن العظيم ، المكتبة العصرية ، مصر ، ٢٠٠٨ ، ص: ٥٢٧/٤

^٤ المصدر السابق : ٤٨١/٤

فضيلاً" (الإسراء-٧٠). إن الله فضل الإنسان على سائر المخلوقات بقوامه جسمه والمشي على رجلين واعطائه سمعا وبصرا وفؤادا يفقه بذلك كله وينتفع به وسخر كل المخلوقات للإنسان كما يدل قوله تعالى: "ألم تروا أنَّ اللَّهُ سخَرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبِاطِنَةً" (لقمان -٢٠) ومن أفضل تكرييم الله للإنسان أنه لم يخلقه عبثاً. بل أرسل إليه الرسل من بنى جنسه وأنزل إليهم الكتب المقدسة ليهديه إلى الصراط المستقيم. ونستطيع أن نرى آيات كثيرة التي يتصل بها هذا الموضوع. إن هذه الآيات كلها تبرهن على أنَّ الله قد كرم الإنسان غاية التكريم.

أنواع الحقوق في القرآن

إن القرآن لم يترك صنفاً لا بين حقوقه. فقد كثرت أنواع الحقوق التي راعاها القرآن، وقد قسم هذه الحقوق بعدة اعتبارات، منها: باعتبار غايتها ومقاصدتها وارتباطها لحفظ الضرورات الخمس وهي الدين والنفس والعقل والمال والنسل، وباعتبار من يجب له الحقوق. ويمكن تقسيم الحقوق التي راعاها القرآن إلى أنواع أخرى، مثل الحقوق الشخصية والحقوق الإجتماعية والحقوق العامة. فهذه الحقوق كلها تقوم على أساسين رئيسيين وهي حق الله على عباده وثانياً حقوق العباد بعضهم على بعض.

فالحقوق الفردية هي الحقوق الخاصة لكل فرد، وتلازم الشخص طوال حياته. إنها حقوق مطلقة وليس نسبية. هي الحقوق التي تثبت للفرد بصفته إنساناً وهي تثبت لجميع أفراد المجتمع ولا يختص بها فرد دون آخر وهي تعرف بالحقوق الشخصية أيضاً. وإن هذه الحقوق تعتبر جميع حقوق المواطنين والأجانب من الحقوق الشخصية ما يتعلق بحماية الكيان المادي للشخصية ومنها ما يتعلق بحماية الكيان المعنوي. من حماية الكيان المادي للشخصية حقه في الحياة وحقه في سلامته جسمه فلا يجوز لأحد الإعتداء على جسمه بقتل أو جرح. أما الحقوق التي يتعلق بكيان المعنوي حقه في الشرف وحقه في التعبير عن الرأي وحقه في التدين والتعليم. فأول ما يهتم به القرآن من الحقوق الفردية هو حق الإنسان في الحياة. فمن الحقوق الفردية حق الإنسان في التدين وعبادة الله. قال الله تعالى في القرآن: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّا وَالْإِنْسَانَ لِيَعْبُدُوْنِ" (الذاريات: ٥٦) ومنها حق التملك، ومن الآية التي تدل عليه قول الله سبحانه وتعالى: "فَلَكُمْ رُؤُسَ الْأَموالِ" (البقرة ٢٧٩). ومنها حق التعلم "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (المجادلة ١١). ومن الحقوق الفردية حق العمل والكسب، قال الله تعالى في القرآن "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَبَابَاتِ مَا كَسَبْتُمْ" (البقرة ٢٦٧). منها حق التعبير عن الرأي، يدل قوله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ" (آل عمران ١١٠).

أما الحقوق الإجتماعية هي جملة من الحقوق التي يجب على المجتمع لفثات معينة منه، كحقوق الوالدين، وحقوق الألداد وحقوق الزوجين وحقوق القراء والمساكين وحقوق اليتامي وحقوق الجيران. يزيد بالحقوق العامة الحقوق المشتركة بين أمم الأرض. ويجب أن تراعيها كل أمة بأفرادها ومجتمعاتها وشعوبها ودولها. منها:

العدل

هو عبارة عن الوسط بين الإفراط والتغريط، ومقابله الظلم. إن العدل في الإسلام يقوم على ثلاثة أسس: (١) اعطاء كل ذي حق حقه بدون نظر إلى الخير والشرّ، ومن غير تفرقة بين أحد من الناس. فكل الناس سواسية أمام عدل القرآن. وهو لا يتأثر بحب أو بغض ولا حسب ونسبة، ولا بين المسلم والكافر، قال الله تعالى "يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لـه شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شناسن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى" (المائدة-٨) فالغرض الأصلي بإذلال القرآن هو اقامة العدل بين الناس. قال الله تعالى: "لقد أرسلنا رسالنا بالبيانات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط" (الحديد ٢٥). قد شبه الله هنا العدل بالميزان لأن الميزان لن يكون فيه خلل. يعد العدل من القيم الإنسانية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من المقومات الحياة الفردية والاجتماعية قال الله تعالى في القرآن: "إذا قلت فاعدلوا" (الأనعام ١٥٢)،

المساواة

هي المساواة بين أفراد الأمة الواحدة في الحقوق والواجبات. ولقد جاء القرآن بهذا المبدأ، فجعل الناس متساوين في الواجبات والتكاليف والعقاب. وأعلن القرآن إنما الأفضلية بالتقوى فقط. قال الله تعالى في القرآن "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" (الحجرات ١٣-١٤). فأبعد الإسلام جذور التصub باللون والجنس واللغة. ويتحقق المساواة في إقامة العقوبات بقوله (صلعم) "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، وقال ذلك في قصة المرأة المخزومية.

الحرية

الحرية مقابل العبودية. لقد خلق الله الإنسان أحراراً، ليسوا عبيداً بولادته، وهي ضرورة من الضرورات الإنسانية. الحرية هي قدرة الإنسان على فعل الشيء وتركه بإرادته الذاتية، وهي ملكة خاصة للإنسان يتمتع بها كل عاقل. وله حرية في اختياره ومشيئته، "ولكن يراد بها في المفهوم السياسي والإجتماعي: قدرة الإنسان على التصرف بما لا يضر الآخرين. أو هي قدرة الإنسان على اتيان كل عمل لا يضر الآخرين. وعلى هذا فإن الحرية مقيدة بما يمنع اعتداء الأفراد بعضهم على بعض"^١

الأمن

أمن الإنسان على نفسه نعمة كبيرة فيستطيع الإنسان أن يحيا بدون خوف مطمئن فرحين يؤدون واجباتهم في هدوء واستقرار، وفي سعادة وسلام. "وليبذلُّهم من بعد خوفهم أمنا" (النور ٥٥) لأن الأمن للإنسان أهم من طعامه وشرابه، يحتاج في حياته إلى الأمان على نفسه وماليه ودينه وعرضه اذا فقد الأمان يضطر ولا يهدأ له بال. فقد حفظ الشريعة الإسلامية هذه الضرورات على أنه من أهم مقاصدها. وبالجملة إن الشريعة الإسلامية سبقت في تأصيل حقوق الإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قروناً، إنما جاء به الإعلان العالمي

^١ الدكتور أمير عبد العزيز، حقوق الإنسان في الإسلام، مكتبة دار السلام، القاهرة، ١٩٩٧، ص: ١٢٩

والمواثيق الأخرى هو تكرار لما تضمنه القرآن من الحقوق. إن حقوق الإنسان في الإسلام مصدرها القرآن والحديث النبوى. فهى مازحة من النقصان والعيوب: مصداقاً لقوله تعالى "ما فرطنا في الكتاب من شيء" (الأنعام ٣٨) وبقوله سبحانه وتعالى: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوْجِدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (النساء ٨٢) وهي حقوق أصيلة ثابتة أبدية، لا تقبل حذفاً ولا تغييراً ولا تبدلولا نسخاً ولا تعطيلاً.

المصدر والمراجع

- أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠ م.
- إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعى، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، مصر، ٢٠٠٨ م
- الدكتور أمير عبد العزيز، حقوق الإنسان في الإسلام، مكتبة دار السلام، القاهرة، ١٩٩٧ م
- الدكتور عبد الله بن عبد المحسن، حقوق الإنسان في الإسلام، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ٢٠١٠ م
- السيد محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم ، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٧ هـ
- الشيخ محمد الغزالى، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام واعلان الأمم المتحدة، نهضة مصر للطباعة، مصر، ٢٠٠٢ م
- عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، دار السلام، القاهرة، ١٩٦٢ م
- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ٢٠١٠ م
- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفى، صحيح البخاري، دار طوق النجاة ، مصر، ١٩٩٢ م
- محمد بن جرير الطبرى، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٥ م
- محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠ م
- مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي، دار القلم، دمشق، ٢٠١١ م

العجائب اللغوية والبيانية في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً

السيد عبد اللطيف كوزيبارامبان^١

د/ أحمد سعيد. بي^٢

الملخص

العربية قد اختارها الله لكتابه الخالد وهو كلام الله وليس من تأليف محمد (ص) ولا من كلام البشر وإن القرآن قد تحدى العرب وطالهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن وهم أهل الفصاحة والبلاغة ولكنهم لم يقدروا على ذلك . ولماذا تعذر على البشر تقليده؟ يمتاز أسلوب القرآن بصياغة خاصة . فما هو بشعر ولا هو بنثر وإنه يكون متفوقاً فوق مستوى أساليب بيان العربية . تهدف هذه الدراسة المتواضعة إلى التعرف على أسرار القرآن البيانية واللغوية . ومن أهدافها أيضاً إلقاء الضوء على دقائق ألفاظ القرآن ومعانيها وحسن ترتيبها وانسجامها الصوتي وتصويرها للحقائق ببعض الأمثلة من آيات القرآن الكريم . وتعتمد الدراسة على أسلوب البحث باستعانة المصادر والمراجع والأبحاث العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة.

المدخل

إن القرآن هو كلام الله وإن كلام الله مختلف تماماً من كلام البشر هو أحكمه الله فأتقن إحكامه هو هداية الخالق لإصلاحخلق وفيه جميع ما يحتاج إليه البشر في أمور دينهم ودنياهم ويكون القرآن آية شاهدة برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وفيه آيات بينات وعظات بالغة وحكم ساطحة وجعله الله فرقاناً بين الحق والباطل ومصدراً لثبتت النفس ومصدراً لهداية الحياة الدنيا ونجاة في الآخرة .

حكمة تحديات القرآن ومناسبتها:- لقد كان اليهود ينكرون صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم وأنكروا أن يكون القرآن كلام الله وزعموا أنه كلام بشر إما كلام محمد نفسه وزعموا ان القرآن سحر وشعر . إن القرآن تحدى المنكرين وطالهم بالإثبات بمثل القرآن لقد بعث الله محمداً في أمة متقدمة في البيان ومتفوقة في الفصاحة والبلاغة وماهرة في القول والتعبير . ولذلك تحداهم الله تحدياً بيانياً كان عصر نزول القرآن عصر التفوق في الفصاحة والبلاغة وكان فيهم الخطباء المصالع والشعراء النابغون فان أحداً منهم لم يستطع قبول هذا التحدي . اتهم العرب أن محمداً قد افترى القرآن وأن آيات القرآن ليست من عند الله . السؤال هنا فلماذا لا تأتون بمثله ؟ فلماذا لا تأتون بمثل القرآن ولو بسورة ؟ وقد عرفتم ان الرسول لم يعرف القراءة والكتابة ولم يعرف البلاغة والشعر

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية حكومية، بملادبرم وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق

^٢ مشرف البحث والأستاذ المشارك السابق، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق

وأنتم عشتم مع محمد منذ صغره وفهمتم أن الرسول لا يكذب أبداً ولم يعرفوا عنه كذب قبل تكليفه بالرسالة بل كانوا يلقبونه بالصادق الأمين.

لم تعد على البشر إلitan لمثل القرآن

إن القرآن يتتفوق ببلاغته وأسلوبه وبيانه وتعبيره. أسلوب القرآن فوق مستوى أساليب بيان العربية. لأن القرآن جاء بأفصح الألفاظ وأصح المعاني وأحسن نظم التأليف. ويستخدم القرآن طريقة التصوير في التعبير عن مختلف موضوعاته ولا بد للبيان القرآني "إيقاع" جذاب مؤثر ويدخل هذا الإيقاع أذن السامع فيؤثر به.

يقول الإمام أبو سليمان الخطابي^١ "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ومعنى به قائم وربط لهما ناظم" ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن^٢

"لقد جمع سيد قطب بين عدة مدارس في الأدب والنقد والبلاغة حيث وفق بين العناصر الخمسة مجتمعة: الألفاظ، والمعنى، والإيقاع، والصور والظلال، والأسلوب الذي ينسق بين ما سبقه". فنفهم الآن أسرار البيان القرآني تكون في دقة اختيار ألفاظ القرآن وحكمة معاني ألفاظ القرآن وحسن نظم القرآن ومنتظم إيقاع القرآن وجمال التصوير القرآني. يمتاز التعبير القرآني بالتناسق العجيب بين الألفاظ والمعنى والنظم والإيقاع والتصوير وبهذه الفضائل الخامس صار القرآن متوفقاً وتعجز عنه قوى البشر وعجزوا عن معارضته بمثله.

عناصر البيان القرآني الخمسة

١) دقة اختيار ألفاظ القرآن : إن من دقة القرآن اختيار الكلمات فكل كلمة تحمل معنى خاصاً بها. لكل مقام مقال في التعبير القرآني. فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب

٢) حكمة معاني ألفاظ القرآن: أن لكل لفظة معنى خاصاً إننا نجد هذا المعنى في غاية الروعة والجمال وسمو البيان. ونجد الانسجام والاختلاف بين الكلمات والمعنى. فإن كل كلمة تناسبها معناها. إذا أخذنا كلمة من الآية ثم نستعمل كلمة غيرها لاختل النظم والإيقاع والاختلاف اللفظ مع المعنى.

ونرى في القرآن ألفاظ متقاربة في المعاني ويحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفاده بيان مراد الخطاب كالحمد والشكر، وانفجر وانجس، والبخل والشح،

ومعاني ألفاظ القرآن متناسقة مع السياق الخاص. فالسياق الدقيق هو الذي يحدد اللفظ المناسب المفرد أو الجمع أو المعرفة أو النكرة أو التعبير في موضع بلفظ وفي موضع آخر بلفظ آخر. السياق القرآني الخاص هو التفوق البصري.

^١ الرمانى والخطابى الجرجانى، علي بن عيسى وحمد بن محمد عبد القاهر، ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، ط: ٥، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٨، ص: ٢٧.

^٢ د/صلاح عبدالفتاح الحالى، إعجاز القرآن البىانى ودلائل مصدره الربانى، ط ١، دار عمار، عمان، ٢٠٠٠، ص: ١٢٧.

٣. حسن نظم القرآن :نظم القرآن يؤدي إلى حسن ترتيب الكلمات في الجملة وتكون كل كلمة في مكانها المناسب نحوياً وبلاغياً . النظم في اللغة التأليف وفي الاصطلاح "تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل".

٤. منتظم إيقاع القرآن: وللبيان القرآني 'إيقاع موسيقي' جذاب مؤثر "إن التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه في أثناء الكلام ويسمى أيضاً موسيقي الكلام".^١

٥. جمال التصوير القرآني للبيان القرآني يستخدم طريقة 'التصوير' في التعبير عن مختلف موضوعاته والقارئ يرى أمام عينيه مشهداً تلفزيونياً معروضاً على شاشة خياله. هذا التصوير جميل حيوى مؤثر. "معنى التصوير هو أن القرآن يعرض الموضوع بطريقة تصويرية متخلية فعندما يقرأ القارئ الآية ترسم في خياله صورة فنية مجسدة متخلية للموضوع الذي تتحدث عنه الآية".^٢

بعض الدلائل القرآنية

الأدلة على تنسيق العبارات مع جمال التعبير تشمل القرآن كله من أوله إلى آخره طوال السور وقصارها. وإنما أقتصر على ذكر بعض الأمثلة.

من دقة القرآن اختيار اللفظ معرفة أو نكرة لقد كان البيان القرآني متفوقاً في اختيار الفاظه إذا صار اللفظ معرفة كان ذلك بسبب ونكرة كان ذلك لغرض وقد يفضل كلمة على أخرى كل ذلك لغرض بلاغي لكل مقام مقال في التعبير القرآني. نرى التوازن الدقيق والتناسق الجميل بين تعريف اللفظ وتفكيره.

ما حكمة تنكير 'أحد' وتعريف 'الصمد'

قال تعالى : قل هو الله أحد الله الصمد^٣

كلمة 'أحد' في الآية الأولى نكرة وكلمة 'الصمد' في الآية الثانية معرفة.

فما حكمة تنكير (أحد) وتعريف (الصمد)؟

(١) كلمة 'أحد' إنها مسبوقة بكلمتين "هو الله" مما مبتدأ وخبر ومعرفتين وكون المبتدأ والخبر معرفة دل على الحصر. واستغنى بتعريفهما دلائلهما على الحصر عن تعريف 'أحد' فجاء أحد نكرة على أصله لأن الأصل في الكلمة هو التنكير.

(٢) وأنه جاء نكرة للتغظيم والتفحيم والتكرير. وللإشارة إلى أن الله سبحانه لا يمكن تعريفه ولا الإحاطة به.

(٣) أما كلمة 'الصمد' خير والمبتدأ 'الله' وجاء معرفتين ليطابقاً المعرفتين في الآية الأولى "هو الله".

(٤) تعريف "الله الصمد" يدل على الحصر أيضاً والصمد آية محصورة بالله.

^١ د/ عبد الحميد مصطفى السيد و/د/لطيفة إبراهيم التجار، في النحو العربي، ط٢، ج١، دار القلم، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م، ص: ١٦٩.

^٢ د/صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره البياني، ط١، دار عمار، عمان، ٢٠٠٠م - ١٤٢١هـ، ص: ١٣٨.

^٣ سورة الإخلاص، الآية : ٢-١

٥) التعريف يأتي لإزالة اللبس في الآية الأولى ليس هناك لبس مقام الألوهية واضح وفي الآية الثانية عرفاها 'الحمد' لإزالة اللبس فلا تطلب إلا من الله ولا نرجو أحد سواه.

من دقة القرآن استعمال الأحرف

قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا^١

وقوله تعالى : قل آمنا بالله وما أنزل علينا^٢

في الآية الأولى قد عرب "إلى" كان الخطاب للأمة لأن القرآن أنزل إليهم وفي الثانية عرب "على" - كان الخطاب للرسول (ص) لأن القرآن أنزل عليه وحده. لم ينزل الوحي في الحقيقة على الأمة من السماء وإنما أنزل على الأنبياء ثم انتهى من عندهم إليهم. فلما كان الخطاب لغير الأنبياء وكان لأهمهم كان اختيار "إلى" أو من اختيار "على".

وقوله تعالى : فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون^٣

الذين هم في صلاتهم خاشعون^٤

عن صلاتهم : أي الذين هم غافلون عن صلاتهم يؤخرونها عن أوقاتها تهاونا. ولما قال تعالى "عن صلاتهم ساهون" بلفظة "عن" قال بعض السلف الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم لأنه لو قال في صلاتهم والمؤمن قد يسهو في صلاته . ومعنى "في" أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث و ذلك لا يخلو عنه مسلم". هذه الدقة في التعبير القرآني مظهر من مظاهر التفوق البصري في القرآن.

الفروق الدقيقة بين الكلمات المترادفة

اللفاظ القرآن ليس بينهما ترافق هذا ما نرجحه نقدم فيما يلي بعض الأمثلة على الفروق الدقيقة بين الكلمات القرآنية المترادفة لتعلم أن في القرآن لا ترافق بينهما .

الفرق بين "انفجرت" و "انبجست"

وقوله تعالى : وإذا استسقى موسى فانفجرت منه
وأوحينا إلى موسى استسقاه ... فانبجست^٥

احتاج بنو إسرائيل مع موسى إلى الماء. وطلبو منه أن يستسقى الله لهم ولما فعل استجابة الله له وأمره أن يضرب الحجر بعصاه فلما ضربه أنبع الله لهم منه اثنين عشرة عيناً من الماء. وقد أخبر

^١ سورة البقرة، الآية: ١٣٦

^٢ سورة آل عمران، الآية: ٨٤

^٣ سورة الماعون، الآية: ٥

^٤ سورة المؤمنون، الآية: ٢

^٥ سورة الأعراف، الآية: ١٦٠

القرآن عن هذه الحادثة في موضعين . واستعمل القرآن في سورة البقرة كلمة "انفجر" واستعمل كلمة "انجس" مع أن الحادثة واحدة. فما الفروق في التعبير القرآني.

قال الراغب في كتابه الفذ. "الإنجاس أكثر ما ينال فيما يخرج من شيء ضيق. والانفجار يستعمل فيه ^١ فيما يخرج من شيء واسع"

الإنجاس بداية الانفجار. فلما انبع من الحجر ثم انفجر منه بعد ذلك. فنفهم منها الإنجاس أول الانفجار وأخف عن الانفجار. في سورة الأعراف طلب بنو إسرائيل عن موسى (ع) السقيا. وفي سورة البقرة طلب موسى من ربه، فطلبهم ابتداء وطلب موسى غاية لطلبهم. أول ما نزل آية سورة الأعراف المكية التي تحدثت عن مرحلة الإنجاس ثم نزلت آية سورة البقرة المدنية التي تحدثت عن مرحلة الانفجار.

فهمنا أن القرآن اختار الألفاظ اختياراً دقيقاً ويضع كل لفظ في موضعه المناسب ولا يد مده لفظ آخر وكذلك نرى في القرآن الفروق الدقيقة بين الكلمات المترادفة مثل آنس وأبصر والحمد والشك والخوف والخشية والزوج والمرأة
الفرق بين "آنس" و "أبصر"

- وردت كلمة "آنس" في صيغتها الفعلية ست مرات وخمس مرات وردت فعلاً ماضياً ومرة واحدة فعلاً مضارعاً.

- وردت كلمة "أبصر" عدة مرات فعلاً ماضياً وفعلاً مضارعاً وفعل أمر. أبصر ببصر أبصر.

- وردت كلمة "آنس" أربع مرات في قصة موسى (ع). في سورة طه (١٠) والنمل (٧) القصص (٢٩).

لماذا قال "آنسْتُ ناراً" ولم يقل أبصرت أو رأيت ناراً . وما الفرق بين الإيناس والإبصار.

سار موسى (ع) بأهله من مدين ووصل إلى جانب جبل الطور إذ رأى ناراً مشتعلة فاستبشر بها خيراً وقال لأهله (أمكثوا إني آنسْتُ ناراً) عينه أبصرت النار وقلبه اطمأن إلى النار ونفسه انشرحت إلى النار ومشاعره استأنست بالنار. وهذه المعاني كلها لا توجد في كلمة "أبصر" من جانب الطور ناراً. فالإيناس ليس مجرد إبصار بل هو إبصار بالعين واستئناس بالنفس والقلب والمشاعر والأحاسيس. كل إيناس إبصار وليس كل إبصار إيناساً.

الإيقاع الحسن والانسجام الصوتي الجميل

قال تعالى: "أَفَرَأَيْتَ الْلَّاتِ وَالْعَزِيزِ ضَيْرِي" ^٢. كلمة ضيرى معناها جائرة أو ظالمة لم يقل تلك إذا قسمة جائرة أو ظالمة. لأن فواصل الآيات بالألف المقصورة العزي، الأخرى، الأنثى. والفواصل بعدها

^١ أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن- ط:١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص: ٤٦

^٢ سورة النجم، الآية: ٢١

الهدى، تمنى، الأولى فجيئ بكلمة ضيّزى مراعات لهذه الفوائل. هنا يراعى الإيقاع الحسن والانسجام الصوتي الجميل مع دقة المعنى .

هذا الإيقاع الجذاب متناسب مع نظام الفوائل القرآنية وقد يغير في بعض حروف الكلمة في الآية لتحقيق التناسق في الإيقاع القرآني الجذاب !.

كما في قوله تعالى: "والفجر وليل عشر إذا يسر" . كلمة "يسر" في الآية محنوفة الياء لأنها فعل مضارع مثل الآخر بالباء وحذفت الياء لتحقيق التناسق في الإيقاع مع فوائل الآيات . ولو ذكرت الياء لاحتل الإيقاع الجذاب في السياق .

مشاهد التصوير القرآني

قوله تعالى : "واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه " ^١ هذا المشهد يلقى في النفس ظل الزوال. فماء ينزل من السماء ولا يجري ولا يسيل ولكن تختلط به نبات الأرض فورا وهذا النبات لا ينمو ولا ينضج ولكنه يصبح هشيماء يابسا مطحونا تذروه الرياح .

- استخدم القرآن في هذه الآيات التعقيب الذي يدل عليه حرف الفاء (ماء أنزلناه من السماء) فاختلط به نبات الأرض ف (أصبح هشيماء) ولهذا نفهم أن هذا المشهد قصير سريع خاطف.

• مما أقصرها حياة ... وما أهونها حياة

قوله تعالى: ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ^٢ هنا الماء ينزل من السماء فلا يختلط بالأرض ولا بنبات الأرض إنما يسلك " ينابيع في الأرض" وبعد ذلك حرف التراخي "ثم" لإخراج الزرع ثم يخرج به زرعا فمختلفا ألوانه وفي الوقت فسحة لتتملي ألوان الزرع المختلفة وبعد ذلك ثم يهيج فتراه مصفراء وفي الوقت فسحة لتراث وبعد ذلك ثم يجعله حطاما.

بين القرآن نعم الله عز وجل فناسب أن يكون عرضها بطيئا لتثبت صورها أمام الأنظار وليتتم ت ملي مشاهدها والاستماع بها.

الخاتمة

توصلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية :

- كان عصر نزول القرآن عصر الفصاحة والبلاغة بالخطباء والشعراء .
- التحدي لا يزال قائما إلى يوم القيمة .
- إن القرآن لا مثيل له من حيث الفصاحة والبلاغة والجمال الفني .
- القرآن مليء بالأسرار اللغوية والعجائب الفنية .

^١ سورة الكهف، الآية:٤٥

^٢ سورة الزمر، الآية: ٢١

- السياق القرآني الخاص هو التفوق البباني .
- الكشف عن دقة ألفاظ القرآن ومعانها وحسن النظم والإيقاع الموسيقي وجمال التصوير.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- د/ إميل بديع، موسوعة النحو والصرف والإعراب، ط ٣، دار العلم للملائين، بيروت، لبنان ١٩٩٤ م - ١٤١٥ هـ
- د/ صلاح عبدالفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البباني ودلائل مصدره الرباني، ط ١، دار عمار، عمان، ٢٠٠٠ م
- د/ عمر محمد عمر باحاذق، أسلوب القرآن بين الهدایة والإعجاز البباني، ط ١، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٩١٤ م - ١٤١٤ هـ.
- د/ فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، ط ٦، دار عمار، عمان، ٢٠٠٩ م - ١٤٣٠ هـ.
- أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧ م
- الرماني والخطابي الجرجاني، علي بن عيسى وحمد بن محمد وعبد القاهر، ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط(٥) ٢٠٠٨ م
- سامي محمد هشام، نظرات من الإعجاز البباني في القرآن الكريم نظرياً وتطبيقياً، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٥ م
- سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط: ٢، دار السلام، مصر، ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، ط، دار الشروق، القاهرة ٢٥، ١٩٩٦ م - ١٤١٧ هـ.

عاشق يجري وراء امرأة متزوجة: التصادم الحضاري في 'قصة حب مجوسيّة'

السد عبد المحمد: ت

د/ ت. أي. عبد الرحمن

الملايين

هي رواية قصيرة لعبد الرحمن منيف مثلت بداية مسيرته الروائية لم تكتمل فيها رؤيته الابداعية التي سوف تظهر في أعماله اللاحقة." هي الرواية الوحيدة لمنيف نسجها في سياق أوروبي. وأنها تعامل مع موضوع جديد في الأدب العربي الحديث؛ العلاقة بين الشرق والغرب كما يراها من خلال عيون الطالب العربي الذي يقع في حب امرأة أوروبية. على الرغم من أن الرواية تختلف من أعماله اللاحقة بـألا يظهر اسم الرواية، تشتراك في ملامح كثيرة مع شخصياتها، ومع المؤلف نفسه."^٣ وبعد عام واحد من الانتقال إلى بيروت قام عبد الرحمن بنشر عمل روائي آخر بكثير: قصة حب مجوسية.^٤

نشرت عام ١٩٧٤

تختلف هذه الرواية عن رواياته الأخرى بقلة معالجتها لقضاياها العربية رغم أنه يتناول علاقة الشرق بالغرب من خلال بطل القصة الذي ينجرف إلى حب سيدة غريبة، ويرى فيها أشياء يبحث عنها دوماً، لكنه يُبقي هذا الحب في حدود العاطفة الطاهرة العفيفة، ولا يتدنى به إلى درك التلوث والتبذل، لكنه يصطدم دائمًا بما تربى عليه الشرق واستقر في وعيه حول المرأة وعلاقتها بها، وهكذا ينذر عبد الرحمن منيف نفسه للبحث في أغوار الذات العربية/الشرقية المعندة، ويحلل تقبلاتها، ويرصد ما يعتمل بداخليها، وما تتعرض له من قمع وقبر.^٦

خلاصة القصة

تدور أحداث هذه الرواية حول رجل عاشق شاء له البوى أن يقع في حب امرأة فاتنة متزوجة وأم لولدين تدعى "ليليان" أقام الراوى بأحد الفنادق الموجودة في الجبل بالقرب من بحيرة، ذهب إليه في إجازة ما، طلباً للاستجمام، بعدما أحس بنوع من المرض الغامض في المدينة. وفي لحظة سقوط المطررأى ليليان، مصادفة، المرأة التي فجرت عالمه الداخلي، وكشفت له حجم مأساته وعطبها، وتفاهة الحياة التي كان يحياها في المدينة. وهنا يشتعل لهيب الحب في قلبه غير قابلة للإطفاء وتقوم الشخصية الرئيسية، هو البطل، بدور السارد المعترف الواصف لأحداث الرواية فيصف الآخرين وعلاقاته معهم.

^١ أستاذ مساعد، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق وناحث، قسم اللغة العربية، جامعة كاليكوت

٢ مشرف البحث، قسم اللغة العربية ووكيل الجامعة، جامعة كاليفورنيا

³ Nisrineiaafar, Two edges of a Magian love story, the MIT Electronic Journal of Middle East Studies, Vol. 7, spring 2007.

www.alexandrie3009.com/yb/showthread.php?4721 on 22/04/15 - ملخص طلائع فـ - مراجعة من الـ 11

يصف البطل جمالها المقدس بطريقة لو كانت المرأة حقيقة، لأن ليليان شديدة الروعة بدرجة لا يمكن لأمرأة أخرى أن تكون مثلها. ومن الإعجاب أنها إمراة متزوجة، لذلك يبدأ منيف روايته بفصل "العتبة" وفيه بيان واضح صريح لكل القراء عما ينتظرون في قادم الصفحات، كما يوجد فيه الدفاع عن نفسه أمام القراء. "لا أطلب منكم الرحمة، ولا أريد عطفكم. إذا كنتم محسنين فامنحوا صدقاتكم للمتسولين. أنا لست متسولاً ولا مسكيناً، كما لا أعتبر لصاً أو قاطع طريق. ومع ذلك فان لي مشكلة. ومشكلتي، دون كلمات كبيرة، ان الألم يعتصر قلبي ، ليس هذا جديداً بالنسبة للحياة التي أعيشها، لكن الأمر، في لحظات معينة، يبلغ حداً لا أستطيعاحتمالها ومدام الأمر هكذا، فإن الكلمات في بعض الأحيان، وسيلة لإنقاذني. لست متأكداً. أتصور ذلك، ويحتمل أن يكون الحديث، خاصة معكم، ألمًا جديداً، ألتقاء من عيونكم المبتهلة الساخرة، لا هم، قولوا أي شيء، ومع ذلك يجب أن أتكلم".^١

واستمر هذا الحبُ الصامتُ حتى بعد رحيلها عن الفندق وعودته هو إلى دراسته في المدينة. قال عن عينيها: "أيتها العيون التي انفجرت في ظلمة الحياة التي أعيش فيها، سوف أعبدك. أنا مجوسٍ أكثر من مجوس الأرض كلها"^٢. وعلى الرغم من أنَّ الروي العاشق لم تكن حياته خاليةً من النساء والعلاقات؛ لكن "ليليان" وحدها هي من ملكت قلبه، فاكتشف هذا العشق الصوفي لهذه المرأة عند نهاية مرحلة دراسته بالغرب.

وعندما عاد ليليان إلى المدينة، بحث عن ليليان في الشوارع، وفي عيون الأطفال والنساء، بحث عنها في كل مكان دون جدوى. فعندما التقى ليليان في محطة القطار عائداً إلى وطنه فشل في تحقيق التواصل وبالتالي التطهير، "قلت لها بحنين جارف: أريد عنوانك يا ليليان، لأكتب لك، وقد أعود. ودون أن تجيب هزت رأسها بأسف تعذر والكلمة الوحيدة التي قالتها: لا فائدة".^٣

بعد أن عاد الروي إلى وطنه، بقيت ليليان شامخة، راكرة في ذاكرته، تتسلق دمه في كل لحظة، تبكيه، تفرجه، وظل ينتظرها في كل محطة عسى اللقاء يصبح ممكناً في يوم من الأيام ..يا أيتها الناس، إيهما تنتظرني، إيهما تنتظري في المحطة القادمة.. نعم المحطة القادمة.. لا أعرف محطة الترام.. الباص، ولكنها تنتظر.. في مكان ما تنتظر.. سألتقي بها.. لا تسخروا.. بالتأكيد سألتقي بها".^٤

^١ عبد الرحمن منيف، قصة حب مجوبة، ط: ١٣، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية ، ٢٠٠٨ ، ص: ٧

^٢ المصدر السابق، ص: ٣٢

^٣ المصدر السابق، ص: ١٣١

^٤ المصدر السابق، ص: ١٣٨

بنية الكتاب

الطبعة الثانية عشرة، ٢٠٠٨ م، أشرف عليه الناشران: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، والمركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المملكة المغربية. وهو مائة وواحد وأربعون صفحة. قام بالرسم والتصميم مروان قصاب باشي.

فصوله

تنقسم الرواية إلى ستة فصول. الفصل الأول : العتبة، هو مقدمة الرواية ، يبدأ البطل يتكلم عن نفسه. الفصل الثاني: الجبل، الفصل الثالث: الليلة الأخيرة، الفصل الرابع: المدينة، الفصل الخامس: السفر، الفصل السادس: أحلام الشمس والأمطار.

موضوع الرواية : الأبعاد الاجتماعية

ناقش منيف في هذه الرواية اشكالية العلاقات بين الغرب المتحضر والشرق المتخلف كما في 'موسم الهجرة الى الشمال' لطيب صالح، الروائي من سودان. يعتقد منيف أن اللقاء بين الشرق والغرب مستحيل ولذلك يفشل الحب بين البطل ومحبوبته الاوربية.

"وفي قصة 'حب مجوسية' يطرح منيف العلاقة بين حضارة الشرق، وحضارة الغرب طرحاً ضمنياً مقتضاها على الأبعاد الوجودية، وكأنه يشيد بالإمكانات المتوافرة في فضاء الغرب الملائم لاكتشاف الذات الإنسانية، وإن بطل الرواية مجرد من الاسم واللقب، يكتشف من خلال علاقته بـ'ليليان' اغترابه عن العالم، ليس بسبب التباين الثقافي والحضاري والروحي، وإنما كان ناتجاً عن التأثر بالفكر الوجودي كما يتجلّى في الاقتباس التالي: 'لو قلت لكم إن حياة البشر تشبه خطوط السكك الحديدية، فهل تفهمون ما عنبي؟ منذ البداية نفقد اللغة المشتركة، ليس بيننا شيء مشترك، ليس لديكم تجاهي حتى الرغبة في أن تفهموا...! لا يهمني، بدأت الرحلة وحيداً وسأنتهي وحيداً' (ص ٤٨) وما يزيد هذا الاحساس بالاغتراب قوّةً، أن البطل يكتشف في نهاية الرواية عبئية الحياة ذاتها، فقد ظل يبحث عن ليليان مدة طويلة، ولكنه لم يستطع أن يجدها إلا في محطة القطار، وهي تهمّ بركوب قطار غير القطار الذي يستعد لركوبه".^١

يعالج منيف في هذه الرواية صورة مثقف العربي، نفس القضية التي طرح في روايته الأولى 'الأشجار واغتيال مرزوق' وان اختفت اشكاله وأساليبه. إذ يعود الراوي في نهاية الرواية 'قصة حب مجوسية' إلى وطنه، وصورة ليليان ما تزال شامخة ، راكضة في ذاكرته، تتسلق دمه في كل لحظة، تبكيه وتفرجه، فهي تنتظره في محطة ما، بكل تأكيد: "...إنها تنتظرني في المحطة القادمة .. نعم المحطة

^١ د/ فرحان البخي، بعد الحضاري في روايات عبد الرحمن منيف، صحيفة 'المدى'، ١٥ / يناير / ٢٠١١.

القادمة .. سألتني بها.. لا تسخروا .. بالتأكيد سألتقي بها^١، كما أطلق منصور عبد السلام على صورته في المرأة في 'الأشجار واغتيال مرزوق'.

وفي الجملة ، أن الرواية " تعالج إشكالية الصدام الحضاري بين الذات والعالم تطرح كذلك بعدها وجوديا وفلسفيا بشكل عام يحكي هشاشة الوجود وهشاشة البحث عن السعادة، فالراوي وهو يبحث عن ليليان إنما يبحث عن نفسه المتهاكة، وهذا الوضع الهوسي يعيشه إنسان خائب، فهو لا يطارد طريدة 'ليليان' بقدر ما يبحث عن نفسه، ف تكون رحلة البحث عن ليليان مرآة لرحلة داخلية في الذات، رحلة يبحث فيها الراوي عن سر خيالته وعجزه"^٢

أسلوبه

في هذه الرواية، تناول منيف الأسلوب الرقيق، في اختيار الألفاظ والتعابير. وأسلوب الكتابة أسلوب غربي. في آخر الرواية يقول منيف على لسان بطل روايته: "عدت إلى الوطن". هنا يظهر الأسلوب الغربي بشكل واضح، لأن العرب عندما يأتون على ذكر الوطن لا يذكرونـه هكذا مجردا. فيقولون مثلا: عدت إلى وطني، أو يذكرونـ اسم المكان. أما عدت إلى الوطن فهذا أسلوب أجنبـي صريح.

وبطل الرواية وهو الراوي يستخدم أسلوب متعال ومستهزء بالقارئ. فالرواية مجاهـدة مفتوحة اللغة مع القدر والضعف الذي يشـل مشاعـر العـاشق ونـجد البيـئة والـلغـة والـمشاعـر في عـالم آخر لا يـشبه ما تـعودـنا عليه منه. "من خـلال أـسلـوب مـتمـيز أـسـتـخدـمه عبدـالـرحـمـن منـيف بـضمـيرـالـمـخـاطـبـة بـينـ بـطـلـ الـروـاـيةـ والـقارـئـ فـتحـدـثـ لـلـقارـئـ كـثـيرـ مـحاـورـاـ وـمعـاتـبـاـ وـأـحـيـاـنـ غـاضـبـاـ وـسـاخـطاـ عـلـىـ الـأـعـرـافـ الـدـنـيـوـيـةـ"^٣

عنوان الرواية

علاقة العنوان، لقصة حب مجوسية، مع فكرة الرواية، هي بأن الكاتب اختار اسم المجموعـة كـوسـيـلة لـردـ ثـوريـ عـلـىـ حـالـةـ المـرأـةـ المـوجـودـةـ فـيـ المـجـتمـعـ الـعـربـيـ وكـذـلـكـ تـناـولـ منـيفـ كـلمـةـ المـجـوسـيـةـ كـشـكـلـ منـ أـشـكـالـ الثـورـةـ عـلـىـ المـعـتـقـدـ الـدـيـنـيـ السـائـدـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ الـعـرـبـيـةـ، "وكـأنـهـ يـتـقدـمـ إـلـىـ المـجـوسـيـةـ الـتـيـ تحـمـلـ فـكـرـةـ النـارـ الـمـقـدـسـيـةـ، فـهـوـ مـنـ خـلـالـ الـاسـمـ يـكـوـنـ قدـ أـشـارـ إـلـىـ النـارـ الـتـيـ يـجـبـ أـنـ تـبـقـيـ مـتـقـدةـ فـيـ الـمـجـتمـعـ خـاصـةـ تـلـكـ الـتـيـ تـتـعـلـقـ بـالـمـرأـةـ، وـأـيـضاـ تـحـمـلـ فـكـرـةـ التـخلـيـ عـنـ الـدـينـ، إـنـ كـانـ مـسـيـحـيـاـ أـمـ إـسـلامـيـاـ، لـصـالـحـ الـفـكـرـةـ الـتـيـ قـدـمـهـاـ، فـهـوـ يـسـيرـ إـلـىـ الـأـمـامـ وـلـيـسـ إـلـىـ الـخـلـفـ، يـجـعـلـهـاـ فـيـ مـكـانـةـ عـالـيـةـ جـداـ، لـاـ يـسـطـعـ الـمـجـتمـعـ أـنـ يـصـلـ إـلـيـهاـ، وـمـاـ الـحـوارـ الـذـيـ دـارـ بـيـنـ الـبـطـلـ وـالـكـاهـنـ، إـلـاـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ المـرأـةـ فـيـ هـذـهـ الـرـوـاـيـةـ قـدـ تـجاـوزـتـ مـكـانـةـ الـبـشـرـ، وـتـقـدـمـتـ إـلـىـ مـصـافـ الـرـبـاتـ الـمـقـدـسـاتـ.

وقد وصف منيف هذا الحب المفاجي بأنه حب مجوسـيـ لأنـهـ اـشـعلـ نـارـ الـحـبـ بـنـارـ غـيرـ قـابلـةـ للـإـطـفاءـ. "إـذـ أـنـ اـحـدـ الـشـخـصـيـاتـ، لـلـيلـيـانـ الـحـبـيـبـةـ، تـحدـثـ بـقـوـلـهـاـ: لـكـ دـعـيـفـيـ اـقـولـ شـيـئـاـ مـجـوسـيـاـ:

^١ عبد الرحمن منيف، قصة حب مجوسـيـةـ، طـ: ١٣، المركز الثقـافيـ العربيـ للـنـشرـ وـالتـوزـيعـ، الدـارـ الـبـيـضاءـ، الـمـلـكـةـ الـمـغـرـبـيـةـ، ٢٠٠٨ـ، صـ: ١٣٧ـ

^٢ دـ/ صالح ولـعـةـ، صـورـةـ المـنـقـفـ الـعـربـيـ فـيـ روـاـيـاتـ عبدـالـرحـمـنـ منـيفـ، الـجزـاءـ، منـشـورـةـ فـيـ ٢٠١٤ـ/٦ـ/١٢ـ فـيـ www.startimes.comـ

^٣ http://q8kalemaatq8.blogspot.in/2008/02/blog-post_26.html on 12/6/2014

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

النار التي استعلت في قلبي يوميا .. لن تنطفئ^١" وان هذه الرواية تحاول ان تبتعد عن الاحوال السياسية المباشرة، لانها تتخذ موضوعة انسانية مفعمة بالحياة، يشكل فيها الحب المحور الانساني والفكري معا"^٢.

المصادر والمراجع

- عبد الرحمن منيف، قصة حب مجوسية، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، ٢٠٠٨
- جريدة الاتحاد، جريدة يومية، الإمارات، ٢٤/٨/٢٤
- <http://arabickerala.blogspot.in>
- www.startimes.com
- <http://q8kalemaatq8.blogspot.in>
- www.alexandrie3009.com

^١ د/قيس كاظم الجنابي، الهوية والحياة في رواية 'قصة حب مجوسية'، جريدة الاتحاد، الإمارات، ٢٤/٨/٢٠١٤
^٢ المصدر السابق، ٢٤/٨/٢٠١٤

أدب السير والتراجم لأنيس منصور

السيدة عرفاني رحيم^١

الملخص

مر النثر العربي خلال تطوره بمراحل مختلفة والأدب العربي بشكل عام كان مهبطاً للأجناس الأدبية مختلفة. يرى بعض النقاد أن بعض الأجناس الأدبية مأخوذة من الغرب بينما إذا امعنا النظر نجد نماذج منها في أدبنا العربي القديم وإن كان القدماء لم يعرفوا مصطلحاتها التي نشأت حديثاً. تعتبر التراجم و السير من الأجناس الأدبية النثرة القديمة في الآداب العالمية بشكل عام والأدب العربي بشكل خاص لأنها قديم قدم الإنسان والسيرة الذاتية شعبة من التراجم والسير يقوم مؤلفها بسرد مراحل حياته وتجاربه الشخصية.

هدف هذا المقال إلى دراسة التراجم التي قام بتاليتها الفلسيوف المصري أنيس منصور في حياته. وفي هذه الدراسة تبين أن أنيس منصور ترك للناس الشئ الذي يعيش طويلاً.
فن السيرة في الأدب العربي

فن الترجمة الذاتية قديم في أدبنا العربي وليس وليد العصر الحديث، ازدهر وتطور تطويراً ملحوظاً في الأدب الحديث، وبخاصة بعد اتصال الأدب العربي بالأدب الأوروبي وتأثره في بعض الجوانب، ولكن هذا لا يعني أن الترجمة الذاتية قد نشأت في العصر الحديث، فالحق أن لها جذور عميقية في الأدب العربي القديم تمتد إلى العصر العباسي، فقد عرفت السيرة الذاتية عند العباسيين فهو فن مستحدث عندهم، قلدوا فيه غيرهم من الأمم الأجنبية التي قرروا أثارها، وخاصة اليونان، فإن بعض متكلساتهم ترجم لنفسه، وتحدث عن كتبه، وحاكمهم متكلسفاً العرب، واتسعت المحاكاة، فدخل فيها العلماء والمتصوفة ورجال السياسة

وكان لكل طائفة منها منهجها الخاص، فالفلسفه والعلماء إنما عنوا بالتحدث عن حياتهم الفلسفية أو العلمية، وما ألقوا وخلفوا من مصنفات. ونجد من تراجم الفلسفه – على سبيل المثال – ترجمة (ابن الهيثم) لنفسه، و(ابن سينا) كذلك، في كتاب "عيون الأنبياء في طبقات الأطباء" لابن أبي الصبيعة.

بعد فترة من الخمول في كتابة السيرة الذاتية، وفي نهاية القرن التاسع عشر، بعد اتصل العالم العربي بركب الحضارة الغربية، بدأت تظهر ملامح هذا الفن مرة أخرى في الفن الأدبي العربي الحديث. وقد كانت هذه السير في معظم الحالات، وثيقة الصلة بال מורوث التراثي، وفي بعض الحالات متاثرة بالأدب الغربي وإحسان عباس يرى أن أول سيرة ذاتية قد ظهرت في العصر الحديث هي سيرة "الساقي"

^١ أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وأدابها، الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، أونتي بوره، جامو وكشمير

على الساق فيما هو الفرياق" لأحمد فارس الشدياق، ولكنه يرى أنها تفتقر إلى الكثير من السمات الفنية للسيرة الذاتية.

ويتقدم الزمن في العصر الحديث فن الترجمة الشخصية تتطور تحت تأثير ما قرأ الأدباء والكتاب للغربين من تراجم كاملة عن حياتهم، وقد وصفوها فيها من جميع أطرافهم، بعيوبها وحسناتها، بل لقد تحولوا بها إلى اعترافات صريحة بدون تصنع، وبذلك أصبحت الترجمة الشخصية عندهم ضربا من القصص الحى البديع.

أحمد فارس الشدياق "الساقي على الساق" صور فيه حياته و مغامراته التي تنطلق من طفولته إلى رحلاته. فكان أول من صاغ عمليا الإشكال الجديد حول ماهية الجنس الأدبي وتتوالت بعدها الكتابات التي تدور في فلك أدب الذات إذ نجد كتاب "تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا" صور فيه مراحل حياته العلمية ورحلته إلى القاهرة ثم رحلته إلى روسيا وكتاب "الخطط التوفيقية الجديدة" لعلي مبارك. يعتبر "الأيام" الأنماذج الأمثل الذي يعكس جنس السيرة الذاتية العربية الحديثة حسب المعايير والأسس الغربية .

كثير من النقاد يعدون طه حسين المبتكر الأول لفن الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، بمفهومها الاصطلاحي الدقيق، بما كتبه في "الأيام" التي اعتبرها كثير من النقاد أروع ما كتبه طه حسين، بل اعتبرها المستشرق الانجليزي (جيوب) أحسن عمل أدبي في الأدب المصري الحديث حين كتب عنها سنة ١٩٢٩. فقد ارتقى طه حسين في أيامه بالأسلوب الأدبي، حتى صار مدرسة خرجت فحول الأدباء، وأفرزت طائفة كبيرة من المتذوقين.

إن الهدف والغاية التي تتحققها كتابة السيرة الذاتية من صاحبها هي تخفيف العبء عن عاتقه بنقل التجربة الذاتية إلى الآخرين، ودعوتها إلى المشاركة فيها فهي توفر فرصة للفنان يريح نفسه بالاعتراف والإيضاح موقفه من المجتمع يعني ذلك أنه يكتب ليستفيد بالتنفيذ عن مكتنوات قبله وإطلاق نفسه من عقالها، وليحصل على المتعة الفنية المستحدثة عن الصدق والقدرة على التأثير، ويكتب ليفيد الناس بتجاربه الذاتية ومشاركته لهم . فهي العوامل التي تهدف إلى كتابة السيرة الذاتية . سئل أنيس منصور في حديث صحفي أجري معه في منتصف السبعينيات تقريباً هذا السؤال: ماذا بعد عمر طويل ستترك في هذه الدنيا؟ فكانت إجابته ما يلي: "سأترك كل ما كتبته. كم من الذي كتبته يستطيع أن يعيش طويلا.. أعتقد أن الذي يحتوي على معنى يمس الناس ويساعدهم أكثر هو الذي يعيش أكثر". (الملاح)¹

كان أنيس منصور صادقا فيما قال.. لم يترك شيئا باقيا سوى ما كتب، وما كتب سيظل باقيا ما بقي من يقرأه ويعود إليه وينتفع به، وقد ترك أنيس منصور كل ما كتب، وهو كثير غزير على مدار

¹ <http://www.alittihad.ae/details.php?id=101584&y=2011>

حياته الإبداعية والصحفية، وطوال أكثر من ستين عاما، عاشها محبا للأداب والفنون، دارسا للفلسفة ومدرسا لها، مشتغلا بالصحافة وأستاذها، متأنلا ومفكرا في أحوال الناس والدنيا والتاريخ، ومسهما في كل تلك المجالات بكتب ومؤلفات تشكل في مجموعها مكتبة كاملة متكاملة من المعارف والعلوم والفنون والآداب والسياسة والصحافة، عكست نظرته ورؤيته للكون والإنسان والحياة، وسجلت تاريخه حياته، وساهمت في تشكيل وجدان وثقافة أجيال عديدة من الشباب في العالم العربي كله

سجل "سيرته الذاتية" في أكثر من كتاب، منها "في صالون العقاد كانت لنا أيام" "البقية في حياتي"، "طلع البدر علينا"، "إلا قليلاً"، "من نفسي" "نحن أولاد الغجر" وغيرها من الكتب التي خصصها لأهم مراحل حياته وبالخصوص فترة الطفولة وتفتح الوعي وعلاقته بأمه التي شكلت وجدانه وحياته ومستقبله كله فيما بعد، وأيضاً ما تأثر بوالده فيه، وفترة الكتاب وحفظه القرآن، وسجل في هذه كلها صفحات بدعة ورائعة يصف فيها بأسلوبه الرشيق كثيراً من المعتقدات والعادات الشعبية التي كانت وما زالت تسود في قرى مصر وريفها.

في صالون العقاد كانت لنا أيام

إن أنيس منصور يتحدث عن نفسه من خلال صالون العقاد . يعتبر هذا الكتاب تحفة أثريّة لعشاق العقاد . كتب في أسلوب سهل وبسيط، ويمكن للقاري من أن يعيش مع الكاتب بسهولة مواقفه التي يرويها في صالون العقاد أو غيره، في الفصول الأولى من الكتاب يتحدث الكاتب عن الصالون، وكيف كان يذهب إليه وعن العقاد وملامح لشخصيته، وكيف كان العقاد معتزاً بنفسه ناقماً على كثير من المفكرين غيره، وتعرضه لبعض القضايا الفكرية والفلسفية كالوجودية والشيوعية وغيرها. مثلاً رأيه في قضية الأديان، فقد كان أنيس منصور وهو شاباً يرى أن الفروق بين الأديان قليلة وإن الدين واحد ولكن رجال الدين جعلوه كثيراً ورصدوا له طرق متعددة ، وأن الله واحد ولكن الناس على مدى التاريخ قد وجدوه كثيراً مختلفاً. ولكن العقاد قد حسم هذه القضية في أول عبارة له في كتابه (الله) حينما قال : إن الإنسان ترقى في العقائد، كما ترقى في العلوم. فقد عبد الشمس، ثم اعتقاد أن الشمس تدور حول الأرض، ثم انتهى إلى أن الأرض هي التي تدور حول الشمس ورغم ذلك فان أحداً لم ينكر وجود الشمس..

الكتاب كما يقدمه ناشره ليس هذا عملاً أدبياً فلسفياً تاريخياً دينياً شخصياً فقط، وإنما هو جيل.. عصر.. دنياً أدبيًّا الكبير أنيس منصور الحائز على جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦٣ وجائزة الدول التقديرية سنة ١٩٨٢ .. وفي هذه الدنيا كل ملامح الجيل ، وعذاب العصر وحيوية التاريخ ، وروحية الفلسفة وحرارة الدين .. ثم هذا الضياع الذي عاشه أنيس منصور هو وجيله من الشبان.. وكان الأستاذ عباس العقاد هو العملاق والمثل الأعلى.. الهدف والطريق ... وفي صالون العقاد احتشدت كل العقول والأذواق والضمائر وكل الحديد والنار والقلق والعناد والأهمية والكبراء وكل المعارك بين

المبادئ والقيم.... إنه صالون العقاد بقلم أنيس منصور أو صالون أنيس منصور على ضوء العقاد أو هو العقاد من اختراع أنيس منصور. أيا اخترت من هذه المعاني فإن متعتك مضمونة .. وإنها متعة لا نهاية لجمالها وعمقها.

الكتاب أيضا يتحدث عنه بحيث كونه من عظماء مصر السابقين الذين ليس لهم مثيل كما يتحدث عن آراء العقاد حول الحرية والديمقراطية وأساليب الحكم والتفكير. يذكر فيه طفولته وشبابه وحياته بين المذاهب والمشارب. ثم يذكر كيف كان للعقاد ذلك الأثر الكبير عليه وعلى تفكيره. وأسلوب أنيس منصور في الكتابة رائع وممتع يركز في كثير من الأحيان على عذابه النفسي وتقبله في المذاهب الفلسفية والأديان. إنه أبدع في صياغة تعابيره وكلماته فالكتاب كُتب بلغة سلسة رشيقَة جداً لا تمل من القراءة رغم زخم الأحداث والقصص التي يرويها منصور.

نال كتابه هذا أكثر رواجاً وانتشاراً وذيعاً، ومارس تأثيراته البالغة على أجيال كاملة من الشباب والكتاب والصحفيين. وصفه المؤرخ الراحل الكبير حسين مؤنس، "كتاب ضخم فاتن". فصول الكتاب عبارة عن الحلقات التي كان ينشرها أنيس منصور أسبوعياً على صفحات مجلة "أكتوبر" وكان القراء ينتظرون صدور المجلة على آخر من الجمر، لقراءة ما يكتبه أنيس عن العقاد، وذكرياته معه، كذلك كان أنيس منصور، تلميذاً نجيباً من تلامذة العقاد الكبار، لم يفتّأ يذكر أنه كان على رأس أهم الكتاب الذين أحهم وتأثّر بهم واختلف معهم، لكنه لم يسمح لنفسه أن يكون من دراويشه المسبحين بحمده، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع أنيس إلا أن يفرد للعقاد هذه الدراسة الضخمة التي قارب عدد صفحاتها السبع مائة صفحة من القطع الكبير.

يتتحدث عن فترة عشرين عاماً قضتها أنيس منصور مع العقاد .. والجميل أنه تناول الأحداث الموجودة في تلك الفترة سياسياً وفكرياً ودينياً بشكل يشعر القارئ بأنه عايشها عن قرب . فيقرأ عن العقاد نكته ونوارده علمه وأفكاره وكذلك لطه حسين وتوفيق الحكيم وكل أدباء ذلك العصر... كما يقرأ عن الأدب العالمي وقصص مؤثرة في حياة الكاتب..

الكتاب يتربّك من الأدب والفلسفة والشعر بل يتناول عدّة مواضيع فكرية. هو موسوعة مختصر و جولة في عقل العقاد بصحبة أنيس منصور. أو جولة في عقل أنيس منصور بحضوره العقاد. تقرأ نكتة هنا، وحكمة هناك، ومعلومة، وبيت شعر، ولاحظة، وتعليقات تجلو الذهن وتدفع القارئ للغرق في المزيد من الكتب. ليس الإبداع في أنه ثري بالمعلومات، ولكن في قدرة الكاتب على إعطاءك المعلومة على شكل نكتة، هذا ما يجعل أنيس منصور متميزاً. أو بعبارة أخرى هو رحلة زمنية إلى أيام العقاد وطه حسين وعبد الرحمن بدوى ولطفى السيد وتوفيق الحكيم وغيرهم ورحلة عقلية ما بين الفلسفات المختلفة والاعتقادات والافكار والآراء رحلة ثقافية تتّشبع فيها بكم هائل من المعلومات عن الأدب والفلسفة والأدباء والشعراء وال فلاسفة .

واختصار يصطنعنا فيه الكاتب الراحل أنيس منصور إلى صالون العقاد الشهير الذي كان يعقد في بيته بمصر الجديدة كل يوم جمعة. حيث كان الأستاذ يستقبل مرديه وتلاميذه بالبيجاما والطاقة والكوفية، ليتحاور معهم في شتى الموضوعات الثقافية والفلسفية والأدبية والدينية التي تظهر فيها براعة العقاد وعلمه الواسع بالثقافات العربية والأجنبية. وكان أنيس في بداية تردداته على صالون العقاد يعتبر من أصغر الذين كانوا يحضرون هذه اللقاءات وكان يكن لالأستاذ العبقري اعجاباً شديداً، حتى أنه كان يشبهه بالساحر لقدرته الفائقة على استدراجه القارئ إلى ما لم يكن يخطر على البال من نتائج. يروي الكاتب الكثير من القصص والحكايات النادرة التي دارت بين العقاد وضيوفه، ويستعرض الشخصيات التي كانت حريصة على حضور هذا اللقاء ومن بينهم عبد الرحمن صدقى وصلاح طاهر وطاهر الجيلاوي وزكي نجيب محمود وعلى أدhem بالإضافة إلى بعض الشخصيات النسائية القليلة مثل الصحافية سنية قراءة والشاعرة روحية القليني التي كانت تلقى بعض قصائدها أمامه.

ويمضي بنا أنيس في كتابه الممتع ليحكى لنا عن آراء الأستاذ في شخصيات أدبية عظيمة مثل طه حسين وتوفيق الحكيم الذي كان يرى نفسه أعظم منهما ومن غيرهما.. ثم ينتقل إلى المرحلة التي بدأ يشعر فيها بالحاجة إلى الاستقلال بنفسه رافضاً العيش على هامش العقاد الذي صدمه في أعز ما يملك حبه الوجداني للفلسفة ولكنه كلما كان يحاول الفرار يجد نفسه منجذباً إليه من جديد.. وظل على هذه الحال حتى وفاة العقاد التي جعلته يشعر بأنه فقد وقتها أباً مرتين... فكان موته إحياء للحزن على أبيه وعلى كل أبواه وكل مثل عليا. يمثل هذا الكتاب العقول والضمائر والأفكار الراقية التي احتشد بها صالون العقاد في شهادة تاريخية دينية فلسفية للأجيال ينقلها لنا أنيس منصور بقلمه الساحر في تاريخنا المعاصر. صدر في طبعة جديدة عن دار نهضة مصر.

وبعد صدور الكتاب أرسل الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين، وكان يعمل وقتها رئيساً لتحرير مجلة العربي الكويتية، برقية قال فيها: «إن حلقات صالون العقاد ليست فقط عملاً غير مسبوق في تاريخ الثقافة العربية، وليس فقط تجربة فريدة في سرد وتحليل التطور الثقافي والفكري لمثقف عربي من خلال التفاعل بين الأجيال، وليس فقط تذكيراً لقراء الحاضر بحيوية تيارات الفكر ومدارس الأدب في مصر، ولكن ما يكتب هو عمل لم يسبق له نظير في سosiولوجيا الأدب العربي. أى تحليل الأدب والثقافة في سياق التطور العام للمجتمع المصري والثقافة المصرية والعربية عموماً».

إقتباسات من الكتاب (أ. منصور)

”لو سُئلت : ما الذي تتمنى أن تشربه دون أن تتفيق ؟، لقلت : عصير الكتب ، خلاصة الفكر ، مسحوق الفلسفة.“^١

¹ <https://bestquotes.space/author%D8%A3%D9%87C927/quote-12766>

"قد أعطانا الأستاذ إلا نهاب العظمة فليس أحداً عظيماً جداً وليس أحداً صغيراً جداً في العظيم صغار وفي الصغير عظمة والشمس نفسها فيها بقع سوداء والذرة الذئلة اذا انشطرت هدمت جيلاً." "وأنا أحب أن أكون على هامش الناس وأحب أن يكون الناس على هامشي لا يتدخلون في حياتي وإنما أترجح على حياتهم ، وأن تتلاشى ذهاباً وإياباً"

"يتحدث الناس عن سبب الاستسلام في مصر على أنه بسبب الفول والطعمية... فالإنسان عندما يأكلهما فإنه يصبح شولاً ألقى على الأرض لا يهش ولا ينش... ولو أختفى الفول من مصر لثار المصريون من مئات السنين."^١

فليس سليم النظر من يرسم الدنيا مرتعشة . فالكون ليس مرتعشاً. إنما المرتعش هو الإنسان "عندما مات أبي، لم أجده ما أقوله.. لم أكتب.. لم أتلقي العزاء.. ولا عاتبت أحداً لأنه لم يمد لي يدًا يطلب السلوان لي والجنة لوالدي؛ فقد كان من الضروري أنأشعر بأن والدي قد غاب.. قد بعد عني.. كان يجب أن أناديه فإذا لم يرد أدركت أنه ليس هناك؛ وإذا عاودت التداء أيقنت أنه ولست هنا؛ فبيتنا مسافات في المكان والزمان.. ولم أكن في حاجة إلى معجزة لكي أشعر بذلك .. فقد اقتربت منه وفتح عينيه وقال كلمة، ولما لم أجده ابتسامته الرقيقة أدركت أنه مات، فقد كان الابتسام مثل النقط فوق وتحت الحروف، فهو إذا قال ثلاثة كلمات ابتسם خمس مرات.. وكان لابد أن أقنع عقلي وقلبي، وأن أعيد ترتيب حياتي كلها قبل أن أشيء في وجودي كله أنه قد مات.. ولذلك احتجت بعض الوقت لكي أرى أوضح وأسمع أعمق وأفكراً بعد لكي أسترجع الذي كان، فأجعله كأنه ما يزال حياً أمامي".

عاشو في حياتي

يعد هذا الكتاب ثري جداً من الناحية الأدبية حيث يعرف القاري على العديد من المؤلفين والأدباء (الملاح) الذين أثروا في مؤلفاتهم بالأدب العالمي. منهم العرب ومنهم أدباء وفلاسفة من الغرب. الكتاب يحتوي على جزء كبير من حياة أنيس منصور الفكرية حيث ذكر في أكثر من موضع أجزاء من سيرته الذاتية وميزة الكتاب الكبيرة هي أنه ابداع انساني من هذا الاديب يقول إن الأدب ترجمة ذاتية. فكل الذي كتبه هو من نفسي وعنها. فإذا تحدثت عن الجبل أو البحر أو السماء فإني اتحدث عن إحساس بالجبل في تلك اللحظة.. ومن الممكن أن أكتب عن الجبل عشرين مرة بعد ذلك.. وفي كل مرة سوف نجد تعبيراً مختلفاً واحساساً مختلفاً. يذكر الكاتب أن متعته هي البحث عن الكتب الجيدة، وهو يقرأ للاستمتاع وستجد في هذا العمل متعة حقيقة.

¹ <http://www.goodreads.com/quotes/919371>

اقتباسات من الكتب

"أما الكتب التي تبقى في الكتب التي ليست مقررة علينا أى التي تشتريها لتقرأها أثناء الإجازة . فنحن نقرؤها لأننا نريد ذلك وإذا قرأنا فبكمال حريتنا ولذاته . ونرى في هذه القراءة تأكيداً للذات وتنمية للشخصية ."

"وفي حياتنا الواحد منا ألف الناس .. قربون وبعدين يمرؤون دون أن يتذكروا أثرا، كما تمر الرياح على أوراق شجر، أو على رمال صحراء أو يتذكرون أثرا كما تمر السيارات في الوحل.. أو كأعواد الحديد الساخن على بشرتك وقد يكون أقرب الناس إليك أبعدهم عنك .. ويكون أبعدهم عنك أقربهم إليك وقد يكون الشخص متواضعاً ولكنه عميق الأثر، أمي وأمك مثلاً وقد يكون أكثر ثقافة وأوسع إدراكاً المدرسوون مثلاً ولكن لا أثر لهم وقد تقرأ كتاباً قد يهلكك .. وتقرأ كتاباً حديثاً كما تقرأ صحيفة يومية لا تهتزك." فالمعلومات التي نجمعها ونحسن تلامذة لها هدف واضح : أن نعيدها في الامتحان لكي ننجح هذه هي الدراسة وهذا هو الهدف وفي هذا المجال يكون التفوق في جمع المعلومات وتنظيمها والإحتفاظ بها ثم نسيانها بعد ذلك ولم يعلمنا أحد: أن الدراسة ضرورية حيوية وأن الإحتفاظ بالمعلومات سوف ينفعنا فيما بعد.. في حياتنا الأدبية أو الدراسية ولكل تبقى هذه المعلومات في مكانها من العقل يجب تحصيلها و يكون هناك صداقة بيننا وبين الكتاب والمؤلفين."البقية في حياتي (لوحات تذكارية علي جدران الطفولة) هي لوحات تذكارية لأنيس منصور من جدار طفولته.. عن حياته.. عن علاقته بآمه.. عن والده.. وعن المحبيين به .. وتنوع جوانب الكتاب ومواضيعه تساعده على الاستمتاع بقراءته. يروي فيه ذكريات طفولته ويذكر أدق تفاصيلها وستتعجب إذا عرفت أن أنيس منصور قد ظهرت عليه علامات النبوغ منذ صغره ومنذ أيام طفولته المبكرة حيث أنه أدمى القراءة في سن صغيرة جداً وصار يلتهم الكتب من مكتبة والده بعيداً عن تفوقه الدراسي. الأمر الذي جعله يلفت الانظار منذ الصغر وجعل الجميع يتوقع له مستقبل باهر. يعرض لخوف أمه الدائم عليه وطريقها الغريبة في تربيته على الجانب الآخر يرى الوالد شخصية مختلفة تماماً في كل شيء. أب عظيم بكل معنى الكلمة الذي دفع ابنه لللامام وعلمه كل شيء. استفاد منه الكاتب بعد ذلك .. علاقه الكاتب بأصدقائه اليهود ومسيحيين التي كانت وطيدة وحتى بين الاسر تعطينا فكره عن روح التسامح التي كانت سائده في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي وهو ما ترك أثراً في الكاتب بعد ذلك من حيث علاقته المفتوحة مع اليهود تحديداً. تجربة حياتية حقيقة عبرت عن مخاوفه وألامه التي شكلت شخصيته القلقه دائماً وبالباحثة عن الحقيقة. له أبعاد فلسفية لما عاناه خلال تكوينه النفسي ومرحلة بناء الشخصية. هذا الكتاب هو ما يشبه السيرة الذاتية التي قام أنيس منصور بكتابتها عن ذكرياته طفلاً وشاماً، وعن المواقف والأشخاص الذين قابليهم في حياته وأثروا على بناء شخصيته.

اقتباسات من الكتاب

"من أنا: أحدى مقدوفات من الماضي إلى المجهول .. زجاجة ألقاها بعض البحارة من سفينه تغرق .. وفي الزجاجة إستغاثة لعل أحدا يدركهم. كل الزجاجات قد أدركها الناس بعد أن غرقت السفينة وأصحاب الرجاجة. وبقيت الرسالة دليلا على ماض اليم .. وعلى أن هناك أملاً غير معقول في النجاة. وهناك اناس يفضلون أن يكونوا الزجاجة وأن يكونوا هم الرسالة التي لا يدركها أحد ومن كل هذه الأنواع من الغرق كانت طفولى و من كل الذين أوشكوا على الغرق .. والذين أعدوا الرجاجة .. ومن الذين وضعوا فيها رسالة إلى المستقبل.. ومن الذين ألقواها ومعها كل أمالهم في النجاة.. فأنا خوف أمري و رضا أبي .. وقلقي.. في سجن زجاجي.. صوت زجاجي .. صدى إزعاجي."

من نفسي

هي بعض المواقف التي ينقد من خلالها العادات والظواهر الاجتماعية السلبية التي ظهرت في المجتمع المصري. أنيس منصور يكتب عن كل شيء. هذا الكتاب عبارة عن يوميات أو مقالات قصيرة عن أبسط الأشياء .. تأملات وفلسفات بسيطة توجد لدى كل واحد منا.

المصادر والمراجع

- إبراهيم عبدالدائم، يحيى. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث الأدبي، بيروت، ١٩٧٤ م.
- إحسان عباس، فن السيره ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن ، ١٩٩٦ م.
- أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في المهدمة العربية الحديثة ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ م .
- د. توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر، دمشق، سوريا ، ١٩٩٦ م
- سامي الدروبي، علم النفس والأدب، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١ م
- عبد الدائم، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار المنهضة العربية، بيروت ، ١٩٨٠ م
- عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، لونجمان، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ١٩٩٢ م

<http://www.goodreads.com> •

<http://www.alittihad.ae> •

جبران خليل جبران؛ شاعر متشائم

السيد فردوس مون. كي^١

د/ الشيخ محمد. كي^٢

الملخص

التفاؤل والتشاؤم كلمتان متداولتان في حياة البشر منذ أن خلق الله الإنسان، ولكن ليس الإنسان متفائلاً ولا متشائماً بالفطرة، بل أوجد في بعض إنسانيته وشخصيته سمة التفاؤل والتشاؤم حيث ما يحيط به من متغيرات اجتماعية أو اقتصادية أو غيرها التي تقوده إلى نظرة التفاؤل والتشاؤم. وبالرغم على أن التساؤل منزلة بين منزلتي التفاؤل والتشاؤم، إن الشاعر البارع من المهر الشمالي جبران خليل جبران قد تمسك منزلتي التفاؤل والتشاؤم أو التساؤل في فكرته وظواهر حياته، ولذا يعده في إطار المتشائلين التفاؤل والتشاؤم

التفاؤل تعبير صادق عن الرؤية الإيجابية للحياة. فالمتفائل ينظر إلى الحياة بأمل الإيجابية للحاضر والمستقبل والماضي أيضاً حيث الدروس وال عبر. يقول د/ محمد غنيمي هلال، رائد الدراسات الأدبية المقارنة في العالم العربي، "إذن مبني التفاؤل والتشاؤم مبدأ الخير والشر".^٣ أما التفاؤل لغةً أصله التيمن، يقول المؤلف واللغوي جبران مسعود في مؤلفاته: "التفاؤل هو الابتداء في الأفعال بيد اليمنى، أما التساؤم توقيع سبلي للأحداث القادمة، ويجعل الفرد يتضرر حدوث الأسوأ ويتوقع الشر والفشل وخيبة الأمل، ويستبعد ما عدا ذلك إلى حد بعيد".^٤

التساؤل

يزعم المحدثون أن بعض الكلمات تولد بدون قواعد كالاشتقاق والإلحاق. كلمة 'التساؤل' مركبة من كلمتين متقابلتين هما التفاؤل والتشاؤم. ذلك التعبير عن حالة نفسية وسطى بين التفاؤل والتساؤل أو منزلة بين المنزلتين. أول من استخدم هذه الكلمة يرجع إلى الروائي الفلسطيني "إميل حبيبي" سنة ١٩٧٤ م.^٥

من حق الأديب ووظيفته أن يصور في أعماله جميع الخواج النفسيّة من رجاء و Yas ، ومشقة و مسراً، وورد و شوك، وفوز و فشل، ونور و ظلمة، وغير ذلك من انفعالات وتأثيرات، كما من حقه إظهار الآراء نحو الحياة؛ تعكس هذا الإحساس في أعمالهم الأدبية. أما البأس واليأس والمشقة والظلمة فهي

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية أم. اي. اس. أسماني، تريشور، كيرلا.

^٢ مشرف البحث وأستاذ مشارك، كلية مدينة العلوم العربية، بلبيك، كيرلا

^٣ محمد غنيمي هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار هبة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٣، م، ص: ٢٣١

^٤ أحمد عبد الخالق، "أسس علم النفس" الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية...، ص: ٣٤

^٥ <http://www.m-a-arabia.com/vb/showthread.php?t=5841>.

العنصر المهم الذين يركز عليهم الأدباء خصوصاً الأدباء الرومانطيقيين، يقول الناقد المشهور الدكتور شوقي ضيف في كتابه 'دراسات في الشعر العربي المعاصر': 'وقد يغلب الشعراء أثناء تفكيرهم اليأس والقنوط، فإذا هم متشائمون، وإذا كل ما حولهم يعثّم على التشاوُم الشديد'.^١ يتداول عن الشاعر الموهوب ورئيس الرابطة القلمية جبران خليل جبران ومؤلفاته القيمة حيث عناصر التفاؤل والتشاوُم. أدب جبران أثرت في قلوب المتأخرین، ولا شك أن جبران كان أكثر المفكرين في نظرته واسعة في مجال شتى. ونخبة من الشعراء البارعين مثل نعيمة وإيليا أبي ماضي وعبد المسيح الحداد ورشيد أيوب ونسيب عريضة وباقٍ أعضاء الرابطة القلمية كانوا أكثر ملارمة لجبران. وأهم دليلاً يقول ميخائيل نعيمة: 'إن ميخائيل نعيمة يمثل جبران كحقيقة واقعة'.^٢ وكذلك شخصية جبران م جداً ومثلاً للآخرين وفخور على الناس أجمعين كما قال الرئيس الأميركي الأسبق تبودور روزفلت 'أنت أول عاصفة انطلقت من الشرق واكتسحت الغرب، ولكنها لم تحمل إلى شواطئنا غير الزهور'.

لما مات أم جبران على أمه بكاها مرّاً. وقال: 'ما بكيت عليها لأنها أمي وحسب، بل لأنّها صديقتي، لقد كانت حكيمـة فوق كل حكمـة. إن أعزـب ما تحدث به الشفاه البشـرية: يا أمـي تلك الكلمة الصغـيرة الكـبيرة والمـملوـقة بالـأـمـل والـانـعطـاف. فقدـت بـفقدـها التـعزـية فيـالـحزـن والـرجـاء فيـالـيـأس والـقوـة فيـالـضـعـف. فقدـت يـنبـوعـ الحـنـوـ والـرـأـفـةـ والـغـفـرانـ والـصـدـرـ الذـيـ أـسـنـدـ إـلـيـهـ رـأـسـيـ والـلـيدـ الذـيـ تـبـارـكـيـ وـتـحرـسـيـ. إنـ حـيـاتـهـ مـملـوـقةـ بـالـأـحـزـانـ وـالـإـمـلـاقـ الذـيـ تـقـودـ إـلـىـ التـشاـوـمـ. أـثـنـاءـ حـيـاتـهـ الـبـائـسـ أـتـقـنـ جـبـرـانـ الـفـكـرـيـ الـأـدـبـيـ الذـيـ تـكـشـفـ فـيـ آـثـارـهـ الـمـهـمـةـ. كـتـبـتـ جـوـزـفـينـ فـيـ مـفـكـراتـهـ: "جـاءـنـيـ جـبـرـانـ بـالـغـ التـعـاسـةـ" ثـمـ توـالـيـ الـأـحـزـانـ بـنـعـيـ مـوتـ أـخـتـهـ وـأـخـيـهـ بـطـرسـ. توـلـاهـ الـيـأسـ وـغـلـبـ عـلـيـهـ الـأـسـيـ. يتـداولـ عـنـ أـعـمـالـ الشـاعـرـ حـسـبـ تـشـاؤـمـهـ وـتـفـاؤـلـهـ الذـيـ تـرـسـمـ فـيـ الـآـتـيـ'.

جبران المتشائم

أحب جبران أخيه حباً جماً، ولذا فراقها أغلب من فراق الإله، أحس الشاعر بعد موت أخيه سلطانة ألمًا بالغاً فقال جبران فقد مات الله إذ ماتت سلطانة... بلـي... بلـي... بلـي... لقد مات ربـيـ عندما أمات سلطانة، فكيف أحـيـاـ بدونـ ربـ...؟

يظهر في مؤلفاته ثورة على قومـهـ وـمـجـتمـعـهـ، وـتـحـولـتـ ثـورـتـهـ إـلـىـ شـعـورـ قـاسـ ولـذـلـكـ قـالـ جـبـرـانـ 'إـلـاـ ليـتـنـيـ شـجـرـةـ لاـ تـزـهـرـ وـلـاـ تـنـبـتـ' ليـتـنـيـ كـنـتـ بـئـرـ جـافـةـ وـالـنـاسـ تـرـمـيـ بـالـحـجـارـةـ. فـذـلـكـ أـهـوـنـ أـكـوـنـ يـنبـوعـ مـاءـ حـيـ، وـالـظـامـئـونـ يـجـتـازـونـيـ وـلـاـ يـسـتـقـونـ. لمـ يـحـبـ الشـاعـرـ أـنـ يـعـيـ بـدـوـنـ الـإـنـتـاجـيـاتـ لـلـآـخـرـينـ'.

^١ الدكتور شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الدراسات الأدبية، الطبعة الثامنة دار المعرفة، لبنان، ٢٠١١، ص: ١٠٥.

^٢ دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كتاب قصة المجري، دار الكتب اللبناني، لبنان، ١٩٨٥، ص: ٣٧٥.

إن حياة جبران مملوءة بالأزمات والأسف والضرر والمشقة من بكرة الحياة، وبالرغم على وفاة أمها الحنونة كاملة بنت الخوري وأخيه بطرس وأخته سلطانة وأبيه خليل، هذه الأحوال المأساوية تسوده لصاحب الموت . بعد موت سلطانة رثى جبران رثاء حافلا:

"فقد مات الله إذا مات سلطانة..."

بلى...بلى...لقد مات ربى عندما أمات سلطانة

فكيف أحيى بعد اليوم بغير رب..."^١؟

يهوي الشاعر إلى الموت، لا حياة بعد موت سلطانة، ليس للشاعر رغبة للحياة مهما كان يحس الحزن والشُؤم عن حياة مستقبلة. يرغب الشاعر الموت والفارق من الدنيا، هذه الرغبة تصدر من مزاج النفس السلبي أو التشاوقي. يقول ويدرك لا مفر له في حياته المأساوية إلا الاستسلام للموت. يتعدد جبران: "تعالى أيتها المنية الجميلة، فقد اشتاقت نفسى اقتربى وحلّي قيود المادة، تعالى إلى أيتها المنية الحلوة".^٢

ومن الأرجح، على ما نرى من كتب الأرواح المتمردة، وعرايس المروج، أنه أثار على زعماء الدين والرهبان في سوء خلقهم، وكذبهم، وسرقتهم، وسلطتهم على الضعفاء في ذلك العصر. هذه الإثارة على الظلم والاستبداد، ليستنكر الكذب، والرياء. ويبحث على التحرير، والانعطاف، داعيا إلى العدالة والرحمة والرفق.

يرسم الكاتب صورة سلبية واضحة في كتاب "الأجنحة المتكسرة" و "الأرواح المتمردة". وطبعها جبران المتشائم المتمرد بطابع عاطفته الحادة، وكانت لونا من البوج الشخصي، أما نزعة رومانسية هي واضحة تلف أحداث الأجنحة المتكسرة بأسرها... وبالرغم أنه في قبضة نظرية التوأم في الحب. يذكر الشاعر في الأجنحة المتكسرة: "ما سمعت سلى كرامة من الوالد عن الزواج أهل مطران فتغيرت ملامحها، وجمدت عيناهما كأنها رأت شيخ الموت منتسباً أمامها، ثم شهقت وتململت موجعة كعصفور رماه الصياد مهبطاً على الحضيض مرتجاً بأمه".^٣ فعلمت أن عاشقتي سلى تبتعد من قلبي، فقال فارس كرامة بصوت مرتعش : "يا بني تجيء إلى دائم، أليس كذلك..؟ بعد ما فارق من الشيخ بالجسد الواهنة فخرجت من ذلك المكان خروج ادم من الفردوس، ثم قال رأيت وجه الموت في تلك الليلة الظلمة"^٤. استقرت عوامل التشاوقي طوال هذا الكتاب.

^١ ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، حياته، مorte، فنه، مؤسسة نوفل، لبنان، ١٩٨٤، ص: ٦٢

^٢ ميخائيل نعيمة ، المجموعة الكاملة جبران خليل جبران/موت الشاعر حياته،كتابنا للنشر،لبنان،٢٠٠٨، ص: ٢٥

^٣ د/ جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٢، ص: ١٥:

^٤ إبراهيم محمد صقر، جبران خليل جبران الأعمال الكاملة "العواصف" ، دار العلوم والمعرفة، مصر، ١٩٨٧، ص: ٣٥

- حينما نحلل فكرة أعمال جبران نقف على فكرة سلبية نحو الحياة خاصة في قصة 'العواصف' في ضوء قصة العواصف يرسم جبران عن حياة الغربة والوحشة والكآبة والمسرات. وفي قصة مرتا البانية يصور الشاعر عن الحب المتكسر أو غير الغذري. يحلل هنا عن أعمال الشاعر حيث فكرته التشاومية.
- في قصة "العواصف" بطل يوسف الفقر عاش وحيداً من المجتمع، حاول جبران أن يعرف ما وراء الحياة الوحيدة، أنه فهم ما في ذهنه، وفكرته ليس مناسبة برأي المجتمع فلذا عاش وحيداً يامساك الإنفراد من المجتمع ونبذ حياة المجتمع.(هذه فكرة سلبية نحو الحياة).
 - يستمر البطل على رموز التحرر من العبودية فواحد مات مصلوباً وواحد مات مجنوناً. ثم يقول "نحن أبناء الكآبة وأبناء المسرات"^١ أولئك يغتسلون بدموهم ليظلو أنقياء.
 - يقول الشاعر في قصة 'العواصف' أنا غريب في هذا العالم. أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة أنا غريب عن أهلي وخلاني، فإذا ما لقيت واحداً منهم أقول في ذاتي: من هذا؟ وكيف عرفته؟ وأي ناموس يجععني به؟ ثم يقول أنا غريب عن نفسي وجسدي.
 - في "مرتا البانية" فتاة قروية يتيمة، بسيطة القلب، رقيقة الحال، أغواها شاب جميل الطلة، يومذاك في السادسة عشرة من عمرها. ترجل الشاب عن حصانه لما رآها وطلب إليها فاستسلمت مرتا إلى ذلك الفتى استسلاماً أعمى. فلما حملت منه نبذها. لما علم المؤلف من بشري إلى بيروت حيث كان يدرس في معهد الحكم، التقى صبياً في ثياب رثّه فأشفق عليه ويسأل عن أبويه فعلم أن أمه مريضة.
 - حكاية أمير طاغية حامم مجرمين ثلاثة هم: فتى قتل أحد القادة، وامرأة زانية، وكهل زانية، وكهل سارق. وقضى عليهم الإعدام بدون استجواب ولا تحقيق. يصور جبران ثلاثة شخصيات لكن دورهم وقتلهم أشد اليأس والحزينة والقلق، لم ينل لهم فرصة لاستجابة على ما سُأله. وحكم عليهم الإعدام بدون إعطاء العفو. هذا لتصوير مثلاً لفكرة التشاوم.
 - وردة الهاني وزوجها رشيد نعمان سكن في مسكن حقير. لا يضم الحب روحها إلى روحه، أنها زوجت، وهي في مقتبل العمر، رجلاً ثرياً في الأربعين. وأيقتنت أن حياتها معه خداع^٢. أن المؤلف يصور فكرة سلبية أو تشاومية نحو بطل رشيد نعمان. أن العيش رمي إلى المشقات والمضرات.
 - في قصة "خليل الكافر" من الأرواح المتمردة، أن خليل أحس مشقات رذيلة من الرهبان لكن في قلبه لهجة ضئيلة ضد الرهبان وأعمالهم المكرهه فنصحهم الإنقاذ من القسوة. فأثارت

^١ إبراهيم محمد صقر، جبران خليل جبران الأعمال الكاملة "العواصف" ، دار العلم والمعرفة، مصر، ١٩٨٧، ص: ٢٦^٢ إبراهيم محمد صقر، جبران خليل جبران الأعمال الكاملة "الأرواح المتمردة" ، دار العلم والمعرفة، مصر، ١٩٨٧، ص: ٢٠

ثورة فحبسه. وبعد دراسة تحليلية مستمرة عن عناصر التشاوُم في أعمال جبران خليل جبران يعالج أي العناصر التفاؤل التي تنعكس في أعمال جبران التي ترسم في أبيات تالية.

جبران المتفائل

بعد تحليل مستمرة على أعمال جبران يقول الباحث إن جبران لم يختص في التشاوُم فقط بل يعرض التفاؤل في فكرته التي رسمت في كتبه. النقاط التالية تشير إلى جانب التفاؤل في جبران: يريد جبران الزواج على معلمة ماري هاسكل، بعد ما رجع إلى بوسطن من بيروت سنة ١٩١٠ م إنه سأله ماري هاسكل....!

- "ماري أتمشين معِي.....

إلى أين يا خليل.....؟

إلى حين تدعون الحياة... أو تعني الزواج يا خليل..

"نعم". هل تقطعين معِي الطريق حتى النهاية".^١

كيف يكون المتشائم أن يحلم على حياة الزواج أو الحياة الباهرة في المستقبل. ظهر في قلب جبران الحبة على ماري هاسكل ويدعوها إلى ما تدعوه الحياة. نفهم من هذا السياق أن الدعوة تندلع من قلب سليم ومطمئن. ولذا ليس جبران متشائماً فقط بل كان متفائلاً أيضاً.

- أسست رابطة الكلمية في الثامن والعشرين من نيسان ١٩٢٠ م تحت رئاسة جبران خليل جبران.

إن لجبران رغبة باللغة أن يحيي اللغة العربية وأدابها في أرض أمريكا. لم يقصر أعماله الأدبية في نفسه فقط بل نقاش حواليه من الأدباء الآخرين، وتوعيتهم على اهتمام تأسيس الرابطة، ويدعوهم إلى بيته لتأسيس الرابطة. يعمل المتفائل حيوياً على معاملاته الأدبية مع الآخرين، ولكن كما ذكرنا المتشائم يبدأ عمله بيد اليسرى. وفي ضوء هذه القاعدة كان جبران متفائلاً على تنشيط اللغة العربية وأدابها في أرض أمريكا شماليّة.

- "سرت نحو ذاك المعبد واعداً نفسي بقاء سلمي كرامة حاملاً بيدي كتاباً صغيراً من الموشحات الأندلسية".^٢

يقول جبران في روايته الأجنحة المتكسرة سرت لرأي البطلة سلمي كرامة ومعي كتاب من الموشحات الأندلسية. يريد البطل بيئه مطمئنة في اللقاء، وفي قلب البطل ينعكس شعور المحبة والمشقة مما تصدر من مزاج الفكر الإيجابي.

^١ د/ جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العربية، دار الجيل بيروت، ٢٠٠٢، ص: ١٠.

^٢ د/ جميل جبر، رواية الأجنحة المتكسرة، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٧، ص: ١٨.

- قضي جبران في الحديقة ساعتين فارئاً هذا الكتاب "بلايك إنسان الي" و ممثلة بصورة "بلايك" و قال: "لو كان لي مثل زوجته" (و مشاركة زوجته له في تأملاته ومعاونتها له في فنه بقدر استطاعتها، وتمنى جبران لو استطاع تحقيق هذا الحلم)

- رغب جبران ان يتزوج ماري هاسكل وهي أسن منه بعشر سنين. وأراد في حياته امرأة واحدة مثل حياة بلايك وأضاف جبران:- سيدعو الناس انه مجنون لو تزوج امرأة أكثر من عمره، ومع ذلك رأى نفسه سعيدا جدا بهذا الزواج علما بأن بلايك أيضا يدعى بمجنون. وكذلك رغب في التشابه ببلايك في عيشه وفنه وأخلاقه.

الجنة والأرض تتجلّى في أفكاره كل أحياناً يقول جبران عن الليل:- الطبيعة اللبنانيّة سكر خياله الواسع. ولذا نرى في كل سطره جمال الطبيعة واضحًا، الليل والبحر والزهر والتّح و المساء:

"يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين"

يا ليل الأشباح والأرواح والأخيلة

يا ليل الشوق والصباة والتذكرة"^١

يصور جبران الليل تصويراً ملوناً بالعشاق والمنشدين. العشق والنشيدة ينعكسان السرور في القلوب، هذه الكلمات من فكر الإيجابي أو التفاؤلي. وفي نفس الوقت يرى الشاعر الليل للأرواح. ويقول:

- أنا مثلك أهيا الليل ولن يأتي صباحي حتى ينتهي أحلى. والليل عنده ليس الليل بالنجوم والقمر كما كان عند الأدباء عامة. وليله قريب إلى الحياة.

الشاعر جبران قد أثار على الرهبان وظلمهم واستبدادهم، ويرغب التحرير من أياديهم، ويبحث الناس على التحرير والتسليم ومع ذلك يطلب الرفق من الظالمين المستبددين. هذه فكرة إيجابية من قلب المتفائل. يقول جبران في كتاب الأرواح المتمردة:

- "يثور على الظلم والاستبداد ويستنكر الكذب الرياء ويبحث على التحرير والانعتاق داعياً إلى العدالة والرحمة والرفق".^٢

- يقول جبران خليل جبران في كتابه المشهور 'النبي' قال النبي مصطفى لقومه في وقت الفراق "لا تحزنوا فإني سأعود إليكم في جسد آخر، قدومي أفضل من الحاضرة، وبعد ذلك ركب السفينة وتبتعد من ساحل المدينة".^٣

في كتاب "النبي" مكت مصطفى اثنى عشرة سنة، نشر بينهم آراؤه من غير أن يعرفوا، ثم حان وقت رحيله للعودة قال البطل مصطفى "إني سأعود إليكم بعد الرحيل" اعتقد جبران في تناصح الأرواح.

^١ ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة جبران خليل جبران/موت الشاعر حياته، ص: ٢٠١.

^٢ إبراهيم محمد صقر، جبران خليل جبران الأعمال الكاملة "الأرواح المتمردة" راجعه وضبط الناشر دار العلم والمعرفة مكتبة مصر ص: ٢٠.

^٣ ميخائيل نعيمة، المجموعة الكاملة جبران خليل جبران/موت الشاعر حياته، ص: ١٩٠.

وهذا الاعتقاد يدعو جبران إلى الرحمة الشاملة وإلى السلام بين الجميع. وبالجملة نوجز فكرة جبران من الإيجابية أو التفاؤلية.

- كان جبران يواجه مشاكل شتى في حياته، ولم يكن يكرهها قط، بل كان يحبها كل محبة وامن في محبة الإله للإنسان ورحمته وعونه ورفقه. وفي نفس الوقت كان يؤمن إن هذه الحياة للنזהة واللهو. والحياة في رأيه مملوءة بالألم والسرور والفرح والحزن كما قال جبران جواباً عن

السؤال: ما هي الحياة...؟ هي "أن تركض مع النهار دون أن تدرك الليل ومع الليل دون أن تدرك النهار، وإنكسر في الركض رجالك أورقبتك"^١

- وفي "رماد الأجيال والنار الخالدة" طرح لنظرية جبران في التقمص التي اعتقد بها عن بعض العقائد الهندية وعقائد الشرق الأقصى ولاسيما "البوذية". أنها تفسير لعودة الإنسان ولذا أن له بصيرة عن حياة السعيدة بعد الموت في الدنيا. هذه الفكرة تصدر من النفس الإيجابي أو التفاؤلي.

لم يكره الشاعر بلده ووطنه مهما كان يحس المصائب والمشكلات طوال حياته. يرى فيها الإنسانية والألوهية. لم يصدر هذه الفكرة من فكري الإيجابي، يقول جبران

- "أحب مسقط رأسي محبًا شديداً، وأحب بلادي بقسم من محبي الأرض وطني، وأحب الأرض بكلتي لأنها مرتع الإنسانية، وروح الألوهية على الأرض".^٢

- يقول جبران: "سأتخذ الحب سميراً، وأسمعه منشداً، وأشربه خمراً وألبسه ثوباً. عند الفجر سينهني الحب من رقادى ويسيطر أمامي إلى البرية البعيدة، وعند الظهيرة سيقودنى إلى ظل الأشجار فأربض مع العصافير المحتمية من حرارة الشمس، وفي المساء سيوقفنى أمام المغرب".^٣

يظهر بعد تحليل دراسة مستطيلة مستمرة على كتب جبران، أنه كان متبايناً في مستقبل الناس ومع ذلك متبايناً في مضمون الكتب وتصورها. هنا يتضمن نزعة التفاؤل والتباين في أعمال جبران ولذا هو متباين. المتباين يعبر عن حالة نفسية وسطى بين منزلة التفاؤل والتباين.

المصادر والمراجع

- محمد غنيم هلال، قضايا معاصرة في الأدب والنقد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠١٣، م ١٥٠.
- أحمد عبد الخالق، "أسس علم النفس" الطبعة الثالثة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، م ٥١.
- الدكتور شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الدراسات الأدبية، الطبعة الثامنة دار المعارف، لبنان، ٢٠١١، م ٥٢.

^١ ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، حياته، موته، فنه، مؤسسة نوفل، لبنان، ١٩٨٤، ص: ١٥٠.

^٢ الدكتور عبد الحكيم بليغ، حركة التجديد الشعري في المهرج، بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٨٠، ص: ٥١.

^٣ المصدر السابق، ص: ٥٢.

- دكتور محمد عبد المنعم خفاجي، كتاب قصة المهرجى، دار الكتب اللبناني، لبنان. ١٩٨٥ م
- ميخائيل نعيمة، جبران خليل جبران، حياته، موته، فنه، مؤسسة نوفل، لبنان، ١٩٨٤ م
- ميخائيل نعيمة ، المجموعة الكاملة جبران خليل جبران/موت الشاعر حياته،كتابنا للنشر،لبنان،٢٠٠٨ م
- د/ جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العواصف، دار الجيل بيروت، ٢٠٠٢، م
- إبراهيم محمد صقر، جبران خليل جبران الأعمال الكاملة "العواصف" ، دار العلوم والمعرفة، مصر، ١٩٨٧ م
- إبراهيم محمد صقر، كتاب الأرواح المتمردة،دار العلوم والمعرفة، مصر، ١٩٨٧ م
- إبراهيم محمد صقر، جبران خليل جبران الأعمال الكاملة "العواصف" ، دار العلم والمعرفة، مصر، ١٩٨٧ م
- د/ جميل جبر، المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران العواصف، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٢ م
- د/ جميل جبر، رواية الأجنحة المتكسرة، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٧ م
- الدكتور عبد الحكيم بليغ، حركة التجديد الشعري في المهرج، بين النظرية و التطبيق،المبهة المصرية العامة للكتاب،مصر، ١٩٨٠، م

المكان في روايات غالب هلسا: دراسة تحليلية

السيد محسن. أم. وي^١

د/ ك. محمد بشير^٢

الملخص

يعد غالب هلساً واحداً من أبرز الروائيين الأردنيين الذين ساهموا مساهمات ممدودة وكبيرة في الحركة الروائية، "ولد في قرية ماعين جنوب عمان في ١٢/١٨/١٩٣٢، وتعلم في مدارسها وفي مأدبا وعمان. تفتحت اهتماماته السياسية والنسابالية مبكراً، وبسبب منها اعتقل وطورد في الأردن ولبنان والعراق ومصر. آخر عهده بالأردن كمقيم كان عام ١٩٥٤، حيث غادر إلى بغداد ثم القاهرة وأكمل دراسته الجامعية عام ١٩٥٨ في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفيها تفتحت مواهبه ونضجت خبرته وكتب معظم أعماله المعروفة . عام ١٩٧٦ اعتقل وأبعد ما شارك في احتجاجات المثقفين ضد زيارة السادات لإسرائيل، فأقام في بغداد ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى بيروت، ضمن إطار المقاومة الفلسطينية، ومعها خرج أيلول ١٩٨٢ إلى عدنان، وأثيوبيا وبرلين ثم عاد للإقامة في دمشق عام ١٩٨٣، ورحل فيها يوم ١٢/١٨/١٩٨٩ إلى عدن، ودفن في عمان"^٣. فقد عمل مع غيره من الأدباء الماهرين في تحسين وتنشيط الحركة الأدبية في الوطن العربي، ورسم المشاهد الأدبية بنتاجاته المتازنة الخالدة على درجة كبيرة من الإبداع والفنية وبراعته في التأليف ومهاراته في التكوين.

يحتل المكان ركناً أساسياً في عالم غالب هلسا الروائي، ويشكل الإطار الحاضن للحدث الروائي، بكل مفرداته و تعدد دلالاته الاجتماعية والسياسية والنفسية، فيرسم معالم الرواية من حيث إبراز العديد من الجوانب المسكوت عنها في النص الروائي وتقديم صورة وافية من التراتب الاجتماعية وال العلاقات السائدة ، وهو يقع على مستويات عدة دائرة المطلق ومنها ما يقترب من الوصف التسجيلي للأماكن في عوالم المدن وما يضطرم في أحشائها من حراك اجتماعي وسياسي ، وأحياناً يضيق المكان ليصبح زنزانة سجن، لكن هذه الزنزانة تغالب مساحة المكان لتصبح فضاء رحباً من الصور والأخيلة وتتكددس في فنائها الضيق صورة استرجاعية للأمكنة، سواء من تداعيات الذاكرة أو المكان المتخيّل بشروط الراوي، محاولة للانفلات من عقال الزمان والمكان ومحاولة للتخلص من حماة الاستلاب والقهر^٤.

^١ باحث، قسم اللغة العربية، جامعة كاليفورنيا

^٢ مشرف البحث، قسم العربية، جامعة كاليفورنيا وشيف جامعة كاليفورنيا

^٣ غالب هلسا، (١٩٨٩-١٩٣٢) مثقف وأديب و مناضل. ولد في قرية ماعين جنوب عمان في ١٢/١٨/١٩٣٢، وتعلم في مدارسها وفي مأدبا وعمان. تفتحت اهتماماته السياسية والنسابالية مبكراً، وبسبب منها اعتقل وطورد في الأردن ولبنان والعراق ومصر. آخر عهده بالأردن كمقيم كان عام ١٩٥٤

^٤ عبيد الله محمد، الرواية القصيرة في الأردن وفلسطين: بنية الرواية القصيرة، ط. ١، دار آرمنة، عمان، ٢٠٠٧، ص: ٦٧

^٥ مجموعة كتاب، وعي الكتابة والحياة - قراءات في أعمال غالب هلسا، دار آرمنة، عمان، ٢٠٠٤، ص: ٣٠

وهو المكان ذلك الوعاء الذي يضيق ليصبح منفي ويتسع بدائرة الحلم ليكون وطناً. هو ذلك القيد الذي ترذخ في اغلاله النفس الجامحة القلقة ، وهو ذلك البساط الطائر الذي ينفرد على عواصم ومدائن الوطن الكبير، وحيث نلمس في روايات غالب هلسا تلك المحاولة للتصلح مع المكان أحياناً والتمرد والمفارقة حيناً آخر. لا بد في هذه الإطالة من الإشارة إلى ظاهرتين لهما صلة في المكان في رواية غالب هلسا.^١

أولاً : العنوانين التي وضعتها للرواية، لها علاقة وثيقة بالمضامين، كان للمكان نصيب منها سواء المكان بالتسمية المباشرة أو التسمية الازاحية، فثلاثة وجوده لبغداد^٢. بروز المكان محدد، في "الخمسين" صورة لحالة مناخية لها علاقة مباشرة بالمكان والزمان معاً وفي الزمن الماضي في هيئة مرشح نفسي يؤرخ لتاريخ القمع العربي منطلقاً من رمز بارز في الوجود العربي (الأطلال). ثانياً: احتفاء غالب بالمكان دفعه شاعرية المكان لي Ashton والذى أطلق عليه جماليات المكان^٣، وفي هذا ملحوظ له أهميته في الالتفات إلى المكان بصورة المطلقة حيث يتدخل المكان لإدامة عبقرية الإنسان أو يجعل من المكان مصدراً من مصادر الإلهام .

المكان : الثابت والتحول

ولابد من الإشارة بهذا الصدد، لعل المتحول في المكان هو ما يصرح به غالب هلسا في رواياته، والتي تشكل وتلون تحولات مكانية من قريته الوداعة ماعين، إلى مدینته الأولى مادبا، إلى عمان، وبعدها يتسع المكان بين القاهرة وبيروت وبغداد وعدن ودمشق. هذا التحول بين الأمكنة لم يكن انتقالاً فحسب، بل صاحبه تحولات كثيرة وعدة لدى شخصيات غالب الروائية والذي جاء قريب الشبه بها، حيث تظهر التحولات من خلال تبدل الأمكانة والذي يأتي معبراً عن التحولات الاجتماعية عبر منظومة الزمن أو التنوع والتبدل وفقاً لتبدل منظومات الأمكانة.

وكذلك نجد في هذه الروايات كلها تتمكن غالب هلسا من أحکام الصلة بين الزمان والمكان ليرسم صورة رائعة ما بينهما الإنسان ولم تكن اللغة الروائية بمنأى عن هذا الإحكام، فقد جاءت اللهجات المحكية العربية معبرة عن الأماكن، فاللغة المحكية المصرية في "الضحك"^٤ و "الخمسين" و "السؤال" و "الروائيون" ، واللغة المحكية العراقية في "ثلاثة وجوده لبغداد".

فعلى هذا المنوال، المحكية الأردنية الفلسطينية في رواية "سلطانة" و "البكاء على الأطلال" ، فهذا التعدد في استخدام اللغات المحكية هو تعدد للأمكانة يفضي إلى تعدد في المعالجة الروائية والمضامين،

^١ المصدر السابق، ص: ٣٠

^٢ رواية غالب هلسا

^٣ جاستون باشلار: جماليات المكان، ت: غالب هلسا، وقد بدأ هلسا هذا الكتاب بمقدمة توکد هذا الوعي ونص على أنها واحدة من أوائل المرات التي يحدث فيها هذا الكتاب مترجم إلى العربية، وهو ما يؤكد أهمية تلك الرؤية والرغبة في توضيجهما عند غالب هلسا، على المستوى النقدي وكذلك، على المستوى الإبداعي، وهو الأمر الذي تركز عليه هذه الدراسة

^٤ الرواية الأولى لغالب هلسا

و ربما جاوزه إلى تعدد التقنيات السردية وفقاً لمقامات الخطاب الروائي كخطاب سري محايد أو تحريري أو استرجاعي. وهذه التحولات في عالم الرواية لدى غالب هلسا جعل من توظيفات المكان دلالة إيجابية فيها الكثير من عدم الاستقرار والارتحال وضيق المكان عندما تكبر الأحلام.

أما الثابت في المكان لدى غالب هلسا في رواياته فهو التوحد مع المكان العربي سعياً لن Sheldon المكان المأمول للإنسان العربي، كما ورد في روايته "الضحك" ^١ نادية عطر الجبال، الأم الأولى التي ألقت رأسها على جبال لبنان، مدت ساقها على سلسلة الجبال الشرقية لتداعب أصابع قدمها الصحاري المليئة، مدت ساقها الأخرى على جبال الخليل والقدس حتى صحراء سيناء، من ذلك الشق الهائل بين ساقها اندفعت مياه نهر الأردن تروي العطشى قبة حنين الثلاجية المرتفعة بكبراء في وجه السماء، ثديها جبل الشيخ بعصايتها البيضاء، خصلات شعرها تغضي بيروت لتبتل بماء الحياة.^٢

هذا الحشد الهائل من الأمكنة لم يكن في حقيقته إلا مكاناً عربياً واحداً، مكاناً يأمل غالب أن يحقق لانسانه السعادة وأن يزبح عن عاتقه القمع والتسلط. إنه مكان قادر على إمداد أهله بالحياة، ولكن صنوف القهر تحيله إلى جحيم.

ومهما يكن من أمر، إن الهدف المطلق الذي كرسه غالب في رواياته، هو الكفاح والنضال من أجل حرية الإنسان على كامل التراب العربي، فالثابت مكان عربي تحت الشمس بكل حرفيته. إنه مكان متعدد بالتاريخ والهم، وهو أولاً وأخيراً متعدد بالحياة.

إيحاءات المكان: رموز ودلائل

في رواية غالب هلسا "الخمسين"، وهي العمل الروائي الثاني بعد "الضحك"، يتكرر على استعارة أحوال المكان المناخية والمزاج العام الناشئ عنها ليسى عالمه الروائي. فالخمسين رياح موسمية حارة تحمل معها الغبار تؤثر على نفسية الإنسان فتمسسه بشيء من الكدر والإختناق ولم ير غالب هلسا صورة أكثر دلالة على حالة الإحباط والأسأم التي تجتاح النفسية العربية من هذا الوضع. إنه التحام بين العالم الخارجي وظواهره المناخية ، والعالم الداخلي بكل انكساته^٣.

إنها حالة من الترقب والغموض تبعث السوداوية وكافة مشاعر التأزم وتلقي ظلالاً من اليأس، وهي وإن بدت بمثل هذه الكآبة فهي على أية حالة ذات طبيعة موسمية سرعان ما تنجملي إنها محاولة لفتح كوة الأمل لإيجاد التوازن بين الحلم وواقع الذات المشروخة المتشظية.^٤

وقد أجاد الكاتب أيضاً تصويره في روايته "ثلاثة وجوه لبغداد" تلاقى الأمكانة ويظهر مشهد التعديدية من خلال تعدد الشخصيات التي تنتهي لأمكانة متنوعة لكنها تلتقي على صعيد واحد، إنها حالة من المواجهة والمصالحة تعبر عنها الإنسانية المنتمية إلى سيناثها لكنها قادرة على التواصل وإنه

^١ غالب هلسا، الضحك (رواية) ط١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠، ص: ٢٥

^٢ مجموعة كتاب، وعي الكتابة والحياة \ قراءات في أعمال غالب هلسا، دار آزمنة، عمان، ٢٠٠٤، ص: ٣٢

^٣ المصدر السابق، ص: ٣٢

التنوع في إطار الوحدة، فالمكان هو الجامع بكل تجلياته التاريخية، الذي يظهر بوح الألسن في خطاب واحد في مجازة بين محليته وعربته الواحدة.

المكان الروائي

يجسد المكان الحاضنة الاستيعابية الإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات، وتتفاعل معه، وأي نص مهما كان جنسه الأدبي لا بد أن يتوافر على هذا هنا العنصر مadam فعل الحكي هو الأساس الذي ينطلق منه يعود إليه ويتمظهر من خلال وبوساطة آلياته وقوانينه. لذلك يعد المكان السردي متخيلاً أي معبراً عنه بألفاظ وصيغ وحالات ورؤى وصور خيالية، تتيح مخيلاً الروائي للراوي استكشافه والتعمق فيه ، ومن ثم رسم حدوده ولامنه.^١

و مع هذا الإصرار على خياليته وما يتربّ على ذلك من خصوصية المفهوم المُعبر عنه، فإن الحدود والزوايا التي ترسم له، ويوصف بها، يمنحها نوعاً من الواقعية الإجرائية القابلة للتصور والتَّمثيل، أي أن دلالة الألفاظ وأسلوب التعبير بها يسمحان بنوع من التنقلات بين الواقع المكاني والمُتخيل المكاني، الأول مجسداً في الواقع الجغرافي المتعين واقعياً، والآخر في الواقع النص المتعين في السياق الروائي".^٢

المكان والبني السردية

لعل من النافع الإشارة إلى أن معايشة غالب للبيئات العربية والالتحام معها جعله قادرًا على استنطاق المكان بكل تشكيلاته الثقافية والإجتماعية، فقد كان حضوره متميزاً وفي الواجهة مع الأحداث لأنّه كان معنياً بالهم العام وبحركة التّهوض في المجتمع العربي. ولم يكن هذا فحسب، بل هو مثقف من الطراز الأول واسع الاطلاع، غير المعرفة منفتح العقلية على التجارب الإبداعية مستلهماً للتراث العربي يمارس النقد والترجمة وطرح الأفكار بجرأة، وكان لهذه العوامل أن ساهمت في امتلاكه القدرة على السرد والدخول في التفاصيل التي لم تكن عبئاً على المعمار الفني الروائي بل ساهمت في اتساع فضاءات السرد. ولم يكن المكان مقصوداً بذاته بل مجال لفضح العوالم أو السكوت عنه في المحركات الإجتماعية الشرقية: الدين، الجنس، السياسية.^٣

لذلك جاءت الروايات حافلة بالمشاهد والملامح الإجتماعية والصور الرائعة والأمثال والأغانى المطربة والحكايات، كما رسمت بصورة مذهبة الواقع الإجتماعي والعلاقات السائد ومنتشرة وأنماط المعيشة والتحولات التي شهدتها المجتمعات العربية.

المكان الأردني في روايات غالب هلسا

لا بد من الإشارة إلى أن الكثير من الروائيين الماهرين في الأردن ركزوا أذهانهم على المكان المحلي في روایاتهم واتكأوا عليه في بناء معمارهم الروائي، إلا أن بعض الروايات اتخذت من المكان محوراً هاماً

^١ محمد صابر عبيد، سومن البياتي، جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملجمة الروائية، ط: ١، عالم الكتب، مصر، ٢٠١٢، ص: ١٩٦

^٢ المصدر السابق، ص: ١٩٦

^٣ مجموعة كتاب، وعي الكتابة والحياة - قراءات في أعمال غالب هلسا ، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٤ ، ص: ٣٣

كما فعل فؤاد القسوس^١ "العودة من الشمال" ، وظاهر عدوان^٢ في "وجه الزمان" و زياد قاسم^٣ في "أبناء القلعة" و غالب هلسا في "الخمسين".

و غالب رغم تلبسه في المكان العربي و انغماسه في هموم الأمة، إلا أنه لم يتخلى عن هموم مجتمعه الأول - الأردن، فقد رغب كل الرغب في قصصه و رواياته على إبراز المكان الأردني حيث ظهر ذلك واضحا في قصصه "زوج و بدو و فلاحون" ، وفي روايته "سلطانة" حيث تلمع الوصف الدقيق لمجتمع القرية والمدينة وخصوصية المجتمع بكل ملامحه الاجتماعية والدينية ، كما رصد تحولاته التاريخية وتغيير أنماط المعيشة. وكان مذهلا في قدراته الإستراتيجية لذاكرة المكان التي لم تغفل عن أدق الأشياء، فجاءت أعماله في هذا الصدد صورة توثيقية للموروث الشعبي والأحداث والتقاليد والعادات والحكايات. لقد ساعد ذاكرة المتحفزة لرسم مشاهد في غاية الدقة واللماحية وكانت صورة الوطن المرتجل ماثلة في ذهنه لم يتخلى عنها. لقد جاءت أعماله توثيقا اجتماعياً بأسلوب درامي للحياة اليومية في الأردن في العقود السابقة، حتى أن الكثير من العادات والألفاظ والمفردات في سبيلها إلى الاندثار و أنها الآن في حكم الأوابد.^٤

على كل حال، تشكل كتابات غالب هلسا مصدرا من مصادر التاريخ الاجتماعي للمجتمع الأردني وتحولاته من البداوة إلى التحضر.

المكان في صورة السجن

يمكن القول أن صورة السجن في الرواية العربية أصبحت مألوفة وهي صورة ناشئة عن انحسار مساحة الحرية وبخاصة في مجال الرأي، ولم يكن مستغرباً أن يكون مكاناً لأحداث الرواية السجن سواء في مشاهده التصويرية أو معاناة القابعين خلف قضبانه.^٥

إن السجن في روايات غالب هلسا لم يكن حالة خارجة عن المعاناة، فهو قد عايشها عن قرب واكتوى بنارها. ومن خلالها عرض لأزمة الإنسان بصورة عامة ولأزمة الإنسان العربي الذي ابتلى بصنوف القهقر و التسلط بصورة خاصة، ولم يكن توظيفه للسجن مجرد تصوير المعاناة بل جعل منه منبراً لطرح الأفكار و مناقشتها من خلال إبراز الصورة القائمة من واقعها والصورة الحالية لما يجب أن تكون.^٦

^١ الكاتب والروائي الأردني، عضو في رابطة الكتاب الأردنيين وفي الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، صدرت روايته "العودة من الشمال" ١٩٧٨.

^٢ طاهر العدوان سياسي و كاتب اردني ، ولد في عام ١٩٤٤ ، صدرت روايته "وجه الزمان" ١٩٨٧

^٣ زياد قاسم روائي وأديب من العاصمة الأردنية عمان ، صدرت روايته "أبناء القلعة" ١٩٩٠.

^٤ مجموعة كتاب، وعي الكتابة والحياة \ قراءات في أعمال غالب هلسا ، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٤ ، ص: ٥٤.

^٥ المصدر السابق، ص: ٣٤.

^٦ المصدر السابق، ص: ٣٤.

فإذا كان عبد الرحمن منيف^١ أبرز صورة السجن في نتاجاته كلها وجعله من ملامح الوحدة العربية حيث تنفق صورة السجن في الأقطار العربية كافة وتحد صورة الجلادين، فإن غالب هلسا سعى إلى خلق حالة من التجانس بين رواده في نشدان الحرية والحياة الفضلى^٢.

الخاتمة

إن الولوج إلى عالم غالب هلسا الروائي يتطلب النظر إلى شخصية غالب هلسا نفسه، حيث تتحدد فيها الرواية كعمل أدبي فني ممتع مع سيرة حياته كمبدع وفنان. والإلتحام بين غالب الرواذي وغالب المؤلف واضح، ولا يمكن الغوص في ذلك دون النظر والاهتمام إلى أبعاد أخرى في شخصية هلسا حيث يظهر المفكر والمصلح الاجتماعي والناقد والمترجم السياسي، كما أشار الدكتور ضياء خضرير^٣ وعاش هلسا مراحل متباينة من حياته في بيروت وبغداد ودمشق، ولكنه بقي مصرياً في لهجته و هواد ومهاده الفني والفكري^٤.

ويقتصر الكلام في هذا الصدد، لعل أقرب الطرق إلى الدخول إلى هذه الشخصية العبرية النادرة والمتعددة الأبعاد هو الاطلاع على نتاجها الابداعي المتميز، حيث يظهر غالب هلسا بجلاء ذلك العربي المسكون بالثورة والإبداع وهاجس التغيير، مع سمة إنسانية خالدة رقيقة المشاعر باللغة التهذيب.

المصادر والمراجع

- د. ضياء خضرير، حكاية الصبي والصندوقي : الجنس عند غالب هلسا ،دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٤ م
- عبيد الله محمد، الرواية القصيرة في الأردن وفلسطين : بنية الرواية القصيرة، ط: ١، دار أزمنة، عمان ، ٢٠٠٧ م
- غالب هلسا ،الضحك (رواية) ط: ١، دار العودة، بيروت، ١٩٧٠ م
- غالب هلسا، الخمسين (رواية)، ط: ١، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٥ م.
- غالب هلسا، ثلاثة وجوه لبغداد (رواية) ط: ١: دار آفاق، قبرص، ١٩٨٤ م
- غالب هلسا، سلطانة (رواية)، دار الحقائق، بيروت، ١٩٨٧ م
- مجموعة كتاب، وعي الكتابة والحياة \ قراءات في أعمال غالب هلسا، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٤ م
- محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي: دراسة في الملحمية الروائية، ط ١، عالم الكتب، مصر، ٢٠١٢ م

^١ عبد الرحمن المنيف أحد أهم الروائيين العرب في القرن العشرين ، ولد في عمان -الأردن عام ١٩٣٣ مجموعة كتاب، وعي الكتابة والحياة \ قراءات في أعمال غالب هلسا، دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٤، ص: ٣٤.
^٢ د. ضياء خضرير، حكاية الصبي والصندوقي : الجنس عند غالب هلسا ،دار أزمنة، عمان، ٢٠٠٤ ، ص: ١٤:

الترجمة: مرآة العلاقات وانعكاس الحضارات

السيد محمد أويس. بي ١

الملاخص

لقد أدركت الأمم والمجتمعات حاجة الترجمة الالزامة في اتصال بعضها ببعض وفي تبادل العلوم والثقافة بينها منذ القرون السابقة. وإنه من غير الممكن لأي مجموعة بشرية أن تنطوي على نفسها. قد عرفت أمّة العرب خطر الترجمة وأهميتها بعد أن أصبحوا أمّة متحضرّة، وقاموا بنقل كتب اليونان والفرس والهند من جواهر المعرفة. واستمرت عملية النقل إلى العربية على مدى تقلب الأيام والسنوات. كانت تزدهر أحياناً وتذبل أحياناً أخرى. فتقدّمت العربية مركزاً للغة والعلم والأدب التي تجلّت فيها البلاغة والإبتكار والتعرّيب. أما في عصمنا هذا حيث أصبح الإنسان في تغيير متسرّع. وأصبح العالم كله عبارة تحت مظلة واحدة أو كمدينة صغيرة. وأصبح التواصل فيما أكثر ضرورة من العصور الماضية، خاصة بعد الانفجارات العلمية الهائلة للإختراعات والأدوات ككمبيوتر وإنترنت في تبادل المعرفة. فهذه الحالة تقتضي المترجم قادر على هذا الفن. وقد نجحت ولاية كيرلا في هذا الميدان إلى حدٍّ، خاصة في ترجمة الكتب والتاليفات وغيرها.

فهذه المقالة في منهج البحثية تقوم بدراسة تعريف الترجمة ووسعتها ومنصبها ومشكلاتها، وإلى ما أثرت الترجمة في العلاقات والمعاملات بالإضافة إلى كيفية انعكاسها في الثقافات والحضارات، وكذلك أهمية الترجمة ودور المترجم فيها وأيضاً عقباته وحواجزه التي يواجها في هذه العملية. وتلقي الضوء في درب حلول المشكلات وذوب الصعوبات في هذا المجال. هذه المقالة تشير إلى المحاولات القيمة التي حازها العلماء السالقون والمعاصرون في ميدان الترجمة على صورة الاقبال.

تأثير الترجمة في العلاقة بين العرب وكبار الأ

"الترجمة صنعة وعلم في الوقت عينه وأيضا هي فن ينبع من داخل الإنسان. إذ أنها ترتكز على العديد من العناصر. منها اللغة المصدر أي النص المصدر والمترجم واللغة الهدف أي النص الهدف. اللغة المصدر تعني بها اللغة المنقول منها فاللغة الهدف تعني اللغة المنقول إليها. فنمكن أن نعرف الترجمة هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى. أي نقل معاني النصوص من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف ". وإذا نقوم بإمعان النظر في عملية الترجمة نجد أن المترجم يلعب دورا حاسما في تبادل الثقافات والحضارات بطريق المواصلات. ومن الواقع أنه ليس يترجم بالنصوص والجمل والفقرات بمجرد بل إنه يقوم بعمل يبرز من خلاله شخصيته ومهاراته وعقيريته وثقافته أيضا. وهو يقوم بين ضفتي اللغتين المصدر والمهدى كوسيط يعبر عن العادات القوية والتقاليد الحيوية لمن يقوم به.

أستاذ مساعد، قسم الماجستير في اللغة العربية والآداب، كلية سرسيد، تاليفه ميا

^٢ الأستاذ عبد الغفور سعى، الترجمة والمواصلات، شرف للمنشورات، كيرلا، ٢٠١٥، ص: ٧.

لقد كانت الترجمة فاعلة في نقل الثقافة في شروط غير متكافئة أحياناً ومسؤولة عن ترجمات تائهة ومنحازة منذ قيام الإتصالات بين البلدان. هكذا هب الرومان ثقافة اليونانيين. وقد قامت مدرسة الطليطلة بنقل العلوم العربية واليونانية إلى أوروبا، حتى القرن التاسع عشر كانت الثقافة الأوروبية معتمدة في جلها على الترجمات اللاتينية واليونانية كما كانت الثقافة الألمانية تشرب شكسبير في القرن التاسع عشر.^١

ومن المفهوم هنا أن الظاهرة اللغوية تنعكس على الظاهرة الثقافية مباشرة من خلال أسلوب المترجم. التقمص التعاطفي في المواصلات أساس وتمهيد للفهم. أن المترجم يحاكي شخصاً آخر ويحتل في مكانه ويعبر عن تفكيره وأراءه متخيلاً ويحاول على أن ينظر العالم بعين الكاتب لا بنفس المترجم. ففي هذا الحال تبلغ عملية الترجمة إلى النجاح المتوقع.

أن اللغات المختلفة مع الثقافات المتنوعة وضرورة التواصل بين الإنسان قد أدت إلى أن تكون الترجمة عنصراً هاماً في التواصل اللغوي والتبادل الثقافي والتوزيع العلمي. بناءً على هذه الفكرة تبدو أن العلاقات بين اللغة والثقافة عريقة وعميقة. فتحتم على كل من يقوم بعملية الترجمة أن يعتبر هذين العاملين حسب الطاقة والقدرة.^٢ ومن هنا نرى أن الترجمة لا تقصر على عملية نقل من لسان إلى لسان آخر، بل هي عملية إغناء لغة المنقول إليها إذ يكسب المترجم من ذاته في الهدف، فهي بذلك عملية نقل تمثيلاً لها بذات المترجم.^٣

أهمية الترجمة

الترجمة نافذة عقلية ومدخل مادي إلى الحضارات الوطنية تُكِيفُ شخصيتنا بالمصالح الجماعية وتسلق إلى كل مسار الإبداعية. يقوم المترجم باستعمال قدرته فعالياً ليبحث المعلومات من المصدر إلى الهدف. فتصير إبداعه العلمية متحركة وقوته العقلية مثيرة. وتبليغ طاقته القصوى إلى الغرض الحقيقي. هذه الفكرة تتبادل الآراء العريقة من وطن إلى وطن أخرى باللغات والألسنة. وإذا لاحظنا أهميتها الأخرى نتمكن أن نجد كما يلي:

١. إن الترجمة جسر أساس لفهم العلوم والتكنولوجيا.
٢. إنها إحدى العوامل في عملية التربية والبحوث العلمية.
٣. وبالطبع نستطيع أن نجيئ طريقة السير والخطو مع الحركات العقلية في العالم.
٤. الترجمة وسيلة للتطور والخصب في ميدان اللغة.
٥. إنها مرآة العلاقات وانعكاس الحضارات والثقافات بين الأمم في العالم.

^١ حسن غزالة. الجامع في فن الترجمة، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٧، ص: ١٧.

^٢ مغير معروف، المتقن في فن الترجمة – الإنجليزية – العربية، دار الكتب الراقي، بيروت، ٢٠٠٧، ص: ١٥.

من هو المترجم؟

وهو من أهم العناصر في عملية الترجمة بأكملها. هو الشخص الذي يمرّ عبر النص المصدر لتصبح المعاني والنصوص بأتّها قابل للهجرة إلى اللغة الهدف^١. على المترجم أن يكون ملماً بالموضوع الذي يترجمه فلا يمكنه أن يستند إلى معلوماته العامة البسيطة. فإذا كان يتّرجم موضوعاً في القانون أو نصاً قانونياً فعليه أن يكون على علم ليس فقط بالموضوع الذي يتّرجم منه، بل أيضاً باللغة القانونية^٢. فالمترجم حامل المشاعل يضيء به الطريق لمن يتبعه إلى العالم الجديد الساطع خاصة للباحثين. لا يمكن الإجادة في هذا الفن إلا إذا توافرت شروط أساسية في المترجم، منها:

- ولا بد للترجمان من أن يكون بيته في نفس الترجمة، في وزن علمه، في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقوله والمنقول إليها حتى يكون فيها سوء وغاية.
 - يجب أن يكون لديه الموهبة التي تؤهلة للترجمة بشكل حسن وأسلوب بديع.
 - أن يكون المترجم متّصفاً بالصفات الثقافية ومتّحلياً بالزخارف الحضارية ومتسلحاً بالأسلحة الشخصية فضلاً عن القدرة اللغوية.
 - من اللازم له أن يكون مخلصاً في عمله ويتحرى الصواب والدقة ولا يتّأثر بمذهب أو رأي خاص قد يصعب ترجمته بصبغته.^٣
 - أن يكون المترجم صابراً في عمليته ويحتاج إلى مزيد من التركيز والتدقيق وأن يكون لديه ممارسة عجيبة وخبرة واسعة في ميدان اللغة المصدر والهدف.
- أما في هذه الآونة فنحن نقوم بتطبيق السوفتوير والبرمجيات وغيرها في الترجمة مما قد يؤدي إلى الخطأ والضياعة. لأنها ليست بمجهزة للترجمة الكافية حسب طلب المحتاج. هذه الأجهزة غير قادرة على أن ينقل النصوص بصورة مطلوبة، كما يقدر الشخص العاقل عليها في هذا المجال.
- ولعل من أصعب المشكلات التي يواجهها المترجم في النقل هي تتصل بدلالة الكلمات وحدود معانٍها بين لغة وأخرى. فإذا ما خرجت الكلمة من بيئتها الاجتماعية إلى بيئه ثانية أي إلى لغة أخرى، احتاج المترجم إلى كبير عنااء للحصول على ما يرادفها في الدلالة لتؤدي المعنى المقصود لنفس الدلالة أو ما يقرب منها.
- تأثير الترجمة في العلاقات بين العرب وكيرلا**

ومن الجدير بأن نلتفت إلى تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والهند وبين العرب وكيرلا. ويدل عليها قصائد كعب بن زهير وأمرئ القيس وغيرهما باستعمال كلمتين، هما "المهند"^٤ و"الفلفل"^٥. كما

^١ مغير معروف، المتقن في فن الترجمة – الإنجليزية – العربية، دار الكتب الراتب، بيروت، ٢٠٠٧، ص: ٩.

^٢ المصدر السابق، ص: ٢٣.

^٣ الأستاذ عبد الغفور سي وي، الترجمة والمواصلات، شرقى للمنشورات، كيرلا، ٢٠١٥، ص: ٨-٧.

^٤ أحمد عودة، كتاب نحو ترجمة صحيحة، مؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ٢٠٠١، ص: ١٠.

^٥ يقول كعب بن زهير "إن الرسول ليسيف يستضاء به مهند من سيف الله مسؤول: يصف كعب لرسول الله صلعم بالسيف الهندي في الصقالة."

عرفنا أن للهند حضارة فاخرة وثقافة شامخة التي بدأت منذ القرون السحرية^١. أوضحت صفحات الكتب التاريخية أن بين الهند والعرب ارتباطاً وثيقاً في مجال التجارة. حتى مند عهد سليمان عليه السلام. أنهم جاؤوا البيداء وخلفوا الصحراء وعبروا البحار ووصلوا سواحل كيراً وأعجبوا بها.

ومن المعلوم حينما طلع الإسلام بجزيرة العرب أضيئ مصباح الهدى ومنار الندى في ضاحيتها وكانت في عتمة الجهلة والخرافات، آنذاك الوقت حظيت أراضي المليبار بالدعوة إلى الدين الحنيف من قبل الصحابة مثل مالك بن دينار وأعوانه رضي الله عنهم وغيرهم. وكانوا يتسلحون بأسلحة الأخلاق السجية ويتحللون بحلل المعاملة النقية. هكذا رسخ الإسلام وأثر في قلوب أهالي مليبار. وقاموا ببناء المساجد أكثر من عشرة في تراها حيث أخذوا بنشر تعاليم القرآن وقوائمه والمبادئ الإسلامية ونوميسه. وقاموا بتضوئ عواطير الثقافة الإسلامية بين السكان فيها. قد وصل عدة أبناء من بلاد العرب بأغراض شتى منها التجارية والدينية وما عداهما. فصارت السنن وثقافتهم مخترقة في عروق سكان هذه البقاعات على صورة أهل. فهذه الحركات مهدت الطريق البسيط لترسيخ العلاقة بين العرب وكيراً ولازال تستمر حتى في العصور الراهنة على أسلوب أخرى. فهذه البيئات المناسبة وال الحالات الملائمة جوّلت تكون أجيال المترجمين. على مر العصور قد شهدت تربة كيراً بحركات الترجمة في المجالات المختلفة بالنسبة لكتب الأدب الإسلامي.

الترجمة جسر لشاشة الثقافة

تعتمد الأوطان العالمية على الترجمة لنقل ثقافتها وحضارتها إلى غيرهم. ممكن أن نعرف من خلال المترجم عن الأحداث التي تقع في بلادنا والأخرى بوضوح. ونقف عن طريق عملية الترجمة على الثقافات العربية المتينة بأي مكان كان.

إن أزهار الإرث بين العرب والهند قد بدأت أن تكون مفتاحاً بالخطباء والتجار. وقد انتشرت أرائج هذه الأزهار في الحلقات المساجد من الكتب العربية بواسطة المترجم الذي يقوم باستيعاب الرحيق للعلوم الإسلامية ويزعها للطلابين بتعليمهم. هنا أن المترجم يقوم بدور كالبرج بين الشطرين. ويحمل الثقافة العربية إلى هذه الديار بتعليم العلوم الدينية.

نماذج بعض أعمال الأدب العربية المترجمة إلى ميلالم بواسطة الإنجليزية

الأعمال المليالية المترجمة من العربية بلغت قمة الشهرة في العالم. أكثر منها قد ترجمت من العربية – إلى الإنجليزية – وإلى المليالية. منها: مسرحيات لتوفيق الحكيم (سلطان العمير وطالع الشجرة) ترجمت من قبل الدكتور أم بشير إلى ميلالم باسم (سلطان دارما سانكادام ومارام كيري) والرواية لجبران خليل جبران (الأجنحة المتكسرة) باسم (أودنجا جراوكوكال) وبين القصرين

^١ ترى بعرآام في عرصاتها وقيعانها كأنها حب فلفل: الفلل من حبوب الهند. ينبع في أرضها والعرب كانوا يحبونه.

^٢ السحرية: البعيدة، الماضية

لنجيب محفوظ ترجمت بيد السيدة بي. يم زهرة باسم (كوتارا تيروف) غيرها كما ذكرنا في صور نماذجة.

وكذلك ممكن أن نرى أعمال الأدب العربية المترجمة إلى مليالم مباشرة بدون واسطة آية لغة، منها: والسيد تي كي عبيد قام بترجمة "كليلة ودمنة" لإبن المقفع. "دعاء الكروان" و "على هامش السيرة" لطه حسين نقلت بأيد الأستاذ محمد كوتاشيري باسم (باتيرا كوبيلينت راكام) وجيريا موندام عبد الرزاق على الإطلاق. وقد تمت ترجمة "عدراء قريش" لجورجي زيدان من قبل السيد أم. كي نالكت باسم (قريشي كانياكا).

وقام السيد عبد الرحمن آدارشيري بنقل الكتب الدينية الأدبية مثل "استمتع حياتك" لمحمد عاري بعنوان (جيويتام آسوديكو) والكتابان لأبي الحسن على الندوى "الربانية لا رهبانية" باسم (تصوف: شاكتييوم ساوندارياووم) و"الشخصيات وكتب عشرات في حياتي" (أنى سوادهينيجا وياكتيكتالوم كراتنانكالوم) والكتاب لعلامة شibli نعمان "مقدمة سيرة النبوة" باسم (نبي جاريتراتينامكمهام) والكتاب "الحقد الدفين" لسلطان بن محمد القاسمي (باكايدود روشاكنى) وغيرها.

وإذا لاحظنا في آفاق الأشعار العربية ممكن أن نجد عدة محاولات في هذا المجال. خاصة "بانت سعاد" لكعب بن زهير و"العلاقات الجاهلية" و "الرزانة" - قام بترجمتها إلى المليبارية السيد كي وي يم بانتاوور. وكذلك قد تم ترجمة "قصيدة البردة" للإمام شرف الدين البوصيري رحمه الله أيضا. "الأشعار العربية الحديثة" مثل آخر للترجمة في هذا النمط.

التأليفات الأدبية المليالية المترجمة إلى العربية

عدد الأعمال الأدبية المليالية المترجمة إلى العربية تجاوز عن الحصر والقصر. أن الرواية المليبارية لكتابها تاكازى باسم "تشامين" إلى العربية بيد الدكتور محي الدين آلواني، والسيد أبو بكر نانماندا قام بترجمة الشعر "فينا بوفو" لكومارناشان باسم (الزهرة الساقطة) والسيد ميدو مولوي نقل الشعر "يا الله" لكملا ثريا و الرواية المليبارية المثيرة المشهورة "آدو جيويتام" لبنيامين ترجمها سهيل وافي ورفقايه إلى العربية.

الشاعر العربي المشهور الدكتور شهاب غانم قام بنقل الأشعار المليالية كـ "رنين ثريا" وكذلك "قصائد من كيرلا". بالإضافة الرواية المليبارية "أرو سانكيرتانام بولي" لبيرومبا داوم شريداران إلى العربية ترجمت بيد محمد عبد إبراهيم.

وفيما يلي بعض الكتب المألفة بأيدي العلماء العربية المشهورة التي ترجمت إلى مليالم. ومنها: "الترجمة في تفسير القرآن" قام بنقله الشيخ محي الدين عبد القادر في ستة مجلدات. و "تفسير الرازي" قام بنشره مؤسسة المناف، و "الكتاب الصحيح البخاري" نقل من قبل سي أن أحمد مولوي وعبد السلام سلمي وغيرهم. كي وي عبد اللطيف مولوي وإي كي عثمان مولوي بذلا

جهدهما في ترجمة "رياض الصالحين" و الكتاب "مقدمة ابن خلدون" قام بنشره دي سي بوكس. وكتب أخرى مثل "محمد" محمد حسين هيكل و "فقه السنة" للسيد سابق و "الريحق المختوم" لمباركفوري و "الفتح المبين" للشيخ قاضي محمد و "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالى و "حجة الله البالغة" للإمام الشيخ الشافعى و "حياة الصحابة" ليوسف القرضاوى أيضا نقلت إلى ملوك ملوك بآيدي المترجمين البارزين.

الخاتمة

وبالجملة للترجمة فضائل كثيرة، إذا تناولت جانب الخير والعلم والأدب، وفي تنقل روابط الأدب والعلوم والفنون الإنسانية النافعة... وبهذا تتسع آفاق المعرفة وتوسّع ووتغير التطور والتقدم والبشرى في جميع مناحي الحياة.^١ وكذلك ليست الترجمة ناقلة للثقافة فحسب، بل للحقيقة أيضا وهي داعمة للتقدّم والحركة للتقدّم.

ومن الواضح أن للترجمة دور قاطب في تشكيل الأجيال الأبرز. وهم يعرّفون الكتب الملوءة بالعلوم والكنوز من خلال الترجمة. لها أهمية خاصة حتى في عصرنا المتقدّم لاسيما لاتزال تستمر العلاقة بين أهل العرب وكثيراً ما هي الآن.

المصادر والمراجع

- أحمد عودة، كتاب نحو ترجمة صحيحة، مؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان. ٢٠٠١ م
- الأستاذ عبد الغفور سيفي، الترجمة والمواصلات، شرف للنشرات، كيرلا ٢٠١٥ م
- حسن غزالة، الجامع في فن الترجمة، دار العلم للملايين، لبنان، ٢٠٠٧ م
- الدكتور ويران معي الدين، الشعر العربية في كيرلا-ميدوه وتطوره، عرب نيت، كاليكوت، ٢٠٠٨ م
- مغير معروف، المتقن في فن الترجمة - الإنجليزية - العربية، دار الكتب الراتب، بيروت، ٢٠٠٧ م.
- المجلة الدولية للبحوث المتقدمة (IJAR) مجلد: ٥ ، مايو- يونيو، ٢٠١٥ م، (ISSN 22787275)

^١ مغير معروف، المتقن في فن الترجمة - الإنجليزية - العربية، دار الكتب الراتب، بيروت، ٢٠٠٧ ، ص: ١٠.

قراءة عامة في روایات ثروت أباذهة

السيد رفيق. أم^١د/ سي. بي. أبو بكر^٢

الملخص

هذه المقالة تلقي بعض الأضواء عن براعة الكاتب الشهير ثروت أباذهة الدسوقي في استخدامه الأدب الإسلامي فنا نقياً في معالجة القضايا الاجتماعية في قصصه ورواياته. ومن الحقيقة التي لا غبار عليها أن هذا الأديب العملاق فاق غيره من معاصره أمثال نجيب محفوظ وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم في جعله مبادئ هذا الدين الإلهي ونظامه حلاً كاملاً لكل المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإنساني المعاصري حياته الفردية والاجتماعية. وقبل الولوج إلى الموضوع أود التقديم إلى القارئ بعض المعلومات عن حياة الكاتب وسيرته وأثاره الضخمة، وهو الكاتب الكبير الذي ذاع صيته في عالم الأدب العربي الحديث كروائي وقصصي وسياسي شديد التأثير في سياسة مصر وحكومتها. وقد ولد ببلدة "غزالة الخيس" بمركز الزقازيق بإقليم الشرقية بمصر في اليوم الخامس عشر من يوليو سنة ١٩٢٧ الميلادي. وكانت ولادته في أسرة ازدهرت بأزهار الفن والأدب حيث نشأ متنفساً هواء الأدب الصافي ومتطليباً طيب السياسية الساحر، ولم يكن ثروت طفلاً مثل باقي الأطفال يتمتعون بطفلوتهم ولم يلعب كثيراً معهم وإنما كان يصاحب والده الأديب الدسوقي أباذهة في كل مكان يذهب إليه حتى نال فرصاً كثيرة لمجالسة الوزراء والكتاب والأدباء والشعراء أمثال الكاتب الكبير عباس محمود عقاد وعميد الأدب العربي طه حسين وأحمد أمين بك ومصطفى هيكل وغيرهم ولذلك لم يهيب المناصب في كبره لأنّه نشأ بينها.

بعدما تخرج ثروت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٠ الميلادي بدأ حياته العملية بالمحاماة ثم تولى العديد من المناصب العليا في الهيئات السياسية الأدبية الصحفية، وكان وكيل مجلس الشوري كما كان عضواً بالمجلس الأعلى للثقافة والمجالس القومية المختلفة ومجلس أمناء إتحاد الإذاعة والتلفزيون والمجلس الأعلى للصحافة. وكان رئيس مشرف رابطة الأدب الحديث وعضو نادي القلم الدولي إلى جانب رئاسته إتحاد كتاب مصر حتى قدم استقالته عام ١٩٩٧م، وقد رأس تحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون عام ١٩٧٤م كما رأس القسم الأدبي بجريدة الأهرام ما بين عام ١٩٧٥م و١٩٨٨م. وظل يكتب في الصحفة حتى وفاته.

وبالنسبة إلى أدبه أنه بدأ الكتابة قبل أن تخرج من الجامعة حينما كان طالباً في المرحلة الثانوية ونشرت أول مقالته في مجلة الثقافة التي كبرت شهرتها في مصر وأقطاعها وخارجها معاً، وأما

^١ باحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت.^٢ مشرف البحث والرئيس السابق، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كاليكوت.

أول أعماله الأدبية فكانت بعد زواجه بقليل، كتب قصة تاريخية عن ابن عمار حيث تقررت وزارة التربية والتعليم تدرسيها أوائل الستينيات علي تلاميذ الشهادة الإعدادية. وإلى جانب هذا، ألف عدة قصص وروايات تحول عدد منها إلى أفلام سينمائية ومسلسلات تلفزيونية وكان أهمها رواياته الشهيرة 'هارب من الأيام، ثم تشرق الشمس، الضباب، وشیء من الخوف، أحلام في ظهیرة، طارق من السماء، الغفران، لؤلؤة وأصداف'. وتبلغ مؤلفاته أكثر من أربعين مؤلفاً، منها ثلاثة روايات ومسرحيتان وعشرة كتب في الدراسات الأدبية والتراجم، وكتب أيضاً سيرته الذاتية باسم ذكريات لا مذكرات. وجدير بالذكر هنا ما قالت عن أدبه الناقدة المعروفة هالة مرعي "لقد تنوع إبداع ثروت أباطحة ما بين الرواية والقصة والمسرحية والمقالة والدراسة، ولكنها من خلال هذا التنوع تتسلل إلى أعماق النفس وإلى خلจات المشاعر ونماط الصميم، لتكون أخلاق الناس وتربيتهم الكون جمیعاً في أحرف وكلمات"، كما أنه كان لا يمنع في رواياته المجرم والفاقد والفاقد من الفكرة نهائياً وإنما دائماً يترك لهم بصائر من الأمال ليحاسهم على اعتبار الأمل في الندم والتوبة.

وانطلق هذا الكاتب الكبير إلى جوار ربه في يوم الأحد ٢٠٠٢/٣/٥ بعد صراع طويل من المرض اثر اصابته بورم خبيث في المعدة ونقل جثمانها من المستشفى الصفي بالقاهرة إلى مسقط رأسه في المدينة الرقازيق بمحافظة الشرقية حيث أوصى بدفنه.

رواياته

بعدما تحول ثروت من كتابة المقالات النقدية والثقافية إلى الرواية أصبح أحد أكبر كتابها باللغة العربية بأسلوبه الجزل وغزارة انتاجه. وقد تميزت رواياته بالمستوى الفني الرفيع وبالنجاح الجماهري الواسع في آن واحد، ولم يختلف على قيمته الأدبية أحد.

والمسار الفني في روايات ثروت يحتضن الواقع الريفي بمصر وينطلق من رؤيا قضائها التي يعاني منها ضميره إزاء مختلف التناقضات التي تتماوج داخله مع الرصد الواعى لكافة الظواهر المعوقة أو الدافعة لحرية التفكير والتعبير، ولا يعنيه مطلقاً أنه جعل هذا المحور يدور حول الريف المصري الذي يتلذذ حلوى الحياة في قريته متخدنا من مبادئ تراث وطنه السامي هادياً ومرشدًا، بل كان قاسيًا على الجيل الجديد الذي يرى الحياة أحلى تلذذاً إذا امتزجت بالثقافات الغربية المنتشرة في جميع زوايا مدن مصر بسبب الإحتلالات الأجنبية المتواتلة كما يبذو في تحليله لشخصية الحاج وإلى عبد الهادي في رواية الضباب التي تمثل مأساة البطل المنسق واهتزامه حينما يرى التمزق الاجتماعي والأخلاقي قد جاوز كل حدود الإنسانية والمرؤة في أمر وارثيه 'حسين و محمد'، وهما يمثلان حلوى الحياة الحديثة المتأثرة بالمدنية الأجنبية بما فيها ما تستهى الأنفس وما يهتك جميع ما نال أبناء الوطن من الأخلاق السامية ومبادئ دينهم الإسلام العالية - من الخمر والشرب والدعارة والقامار والرقص وأندية ليالي الحمراء

^١ هالة مرعي، مجلة نصف الدنيا يونيو ٢٠١٠ <http://www.ahram.org.eg/Archive/2002/3/22/ARTS3.HTM>

بالرغم أن شخصية حسين قد حفظ القرآن الشريف والتحق بجامعة الأزهر ليكون عالماً وفقها كبيراً في الدين، فإن حياته في القاهرة قد أجبرته أن يختار طريقاً غير طريق الذى تمناه وجداً، الذاتي حتى أصبح زانياً يزنى في زي العالم الكبير بينما أن أخاه الصغير شخصية محمد الطيب المتزوج من امرأة القرية التي التزمت في حياتها بعرف الريف وعاداته، ثم أصبح مطلقاً، فقد اختار طريقاً غير طريق الذي كان قد جربه في طفولته من والده شخصية الحاج وللإيجاز، حيث وجد كلما يشتهر نفسه من حلويات الحياة الغربية وملذاتها بما فيها الخمر والمرأة والرقص والقمار وما عدا ذلك، حتى أصبح زانياً آخر مثل أخيه.

وكان من امكانية الكاتب أن يترك هتين الشخصيتين على حدتهمما مصوراً بهما أحوال مصر الراهنة كما هي في الواقع بدون أن يلتفت إلى الحل الكافى لإزالة تلك الشوارط التي انتشرت بين الأجيال الحديثة من أبناء مصر إثر مخالطتهم بالغربيين وثقافاتهم، غير أنه ألقى إليهما بصائر من الأمال والأرجاء للعود إلى حياة سليمة بالندم والتوبة وبالرجوع إلى الأصالة الدينية والوحدة الشعرية معاً.

هنا يبدو لنا بتحليله هتين الشخصيتين أن الكاتب احترم الإنسان والإنسانية بإعطائه فرص الحرية للتفكير مرة ثانية للعودة إلى سلامه النفس والطمأنينة كما قال بها عبد العزيز مصطفى بقوله هذا: كان الكاتب لا يحرم في رواياته المجرم والفاسد من الضمير نهائياً وإنما دائماً يترك لهم شعاعاً منه ليحاسبهم حتى وإن لم تصل إليهم يد العدالة على اعتبار أن الأمل في الندم والتوبة موجود دائماً.^١

عندما نقارن روايات ثروت أباطة بروايات معاصره طه حسين ونجيب محفوظ نرى هناك جوانب الاتفاق أكثر من جوانب الإفتراق. وقد اتفق هؤلاء الثلاث في تصوير أحوال المجتمع المصري إجتماعية وثقافية بصورةها الواقعية مع ترسيم مواقف الأحداث كما هي في الوجود في طبيعتها الحالمة. وقد نجحوا تماماً في تحريك الأقلام ضد الأشرار الاجتماعية المنتشرة بين المجتمع المصري إثر الإحتلالات البريطانية والإستعمارات الأجنبية بما فيها القتل والنهب والقهر والبغاءة وما عدا ذلك، غير أن ثروت سبقهما في إلقاء بصائر من الأمال والأرجاء للطغاة والمجرمين للعود إلى حياة سليمة بالندم والتوبة.

ورغم أن النقاد هاجموا عليه على "أنه برجوازى لا يستحق الكتابة عن أهل الريف الفلاحين"^٢ فإن اختلاطه بالفلاحين ودخله في أعمالهم ساعداه أن يعرف أنما يقوله الكتاب عن الفلاح بأنه ساذج وصف خاطئ فالفلاح المصري ذكي وحريص، حتى وإنه بناء على معرفته العميقه له كتب رواية عن القرية وهي 'هارب من الأيام' التي قال عنها الأديب العالمي نجيب محفوظ بأنها 'تميزت بالمستوى الفنى الرفيع وبالنجاح الجماهري في آن واحد'^٣.

^١ الدكتور عبد العزيز شرف، النماذج البشرية في أدب ثروت أباطة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢ م، ص: ٧٩.

^٢ المصدر السابق، ص: ٢٢

^٣ عفاف عزيز أباطة ، زوجي ثروت أباطة، دار المعارف ، القاهرة، ٢٠٠٣، م، ص: ١٦

وقفة بين الفن والدين في رواياته

حينما يلعب الدين دوراً مهماً في تثقيف الأدب وتحسينه وجعله خلقياً وإجتماعياً ويتحلى منصباً كبيراً في تميز الطيب من الخبيث والنقي من الكدر، فإن الكاتب ثروت أباظة اختار الدين الإسلامي أساساً لكل أعماله الأدبية والفكرية بني على سطحه حديث الروايات والقصص في كل كتاباته، وعلى سبيل المثال مقال عن "الدكتور عبد العزيز شرف" ذلك أن ثروت أباظة رحمه الله، يمثل سيرة الضمير المصري في العصر الحديث كأيقى ما تمثله السيرة الذاتية وما تنضوي عليه من إيثار للغير، وتمثل لضمير المجتمع وقد عبر في سيرته الأدبية والحياتية عن تمثل لمقومات الشخصية المصرية، ومنها: الوحدة الشعورية والأصلحة الدينية.^١

رواياته الشهيرة أمثال "الضباب" و"قصر علي النيل" و"شيء من الخوف" كلها المثل الأعلى لإقتدائها بالأصلية الدينية والوحدة الشعورية في بناء أحداث القصة في رواياته، حيث عالج فيها الإيمان والإخلاص والتوكّل والندم والتوبة مقاييس يقاس عليه شعور الإنسان واستجاباته حينما يصادم واقعية الحياة في شتى مراحلها. ويتبّع هذا بوضوح حينما تمثل الشخصيات الأولى والثانوية فيها جيلاً مصرياً جديداً متقدماً إلى ما فيه جودة وحداثة من الثقافات والحضارات الحديثة بل متممسكاً بالمبادئ الدينية ومتأنثاً بالوحدة الشعورية وبالشعور الوطنية كما تمثل جيلاً قوي الهمة وشديد الرجاء يتطلع إلى عالم جديد فيه حرية للفرد والمجتمع بدل سلسلة الاستبعاد الذاتي والإستغلال الفكري كما ينتظر ليوم يتحلى فيه الإنصاف والعدل بتيجان الشرف والقبول ويكتس فيه الدين والوطن لباس العز والتكريم ويدفن فيه كل ما شاع في البلاد من القتل والهبة والظلم والقهر والبغاء، وجدير بالذكر هنا إن كل واحد من الشخصيات التي صورها الكاتب في هذه الروايات كان لها وجود ظاهر في الواقع وتأثير شديد في المجتمع كما أن بعض التعبيرات التي استخدمها الكاتب في رواياته أصبحت لا تزال تحيي بين أطراف لسان القارئين والسامعين أمثال التعبير المشهور "زواج عتريس من فؤاد باطل" الذي عبره الكاتب في روايته الشهيرة شيء من الخوف.

وعندما تتفرع أحداث الرواية 'قصر على النيل' التي كتبها الكاتب سنة ١٩٦٤ الميلادي إلى شخصيات ثانوية أمثال 'أحمد بن سليمان والسيد عبد البديع الأفندى الـدكـر وفـوزـي وفـؤـاد' نرى الإسلامية تغلب على أفكارهم الشيوعية والإشتراكية حتى أصبحوا مذعنين لها ومؤمنين بها بعد ما صاروا رؤساء هذا المذهب الشيوعي وقد علمتهم التجربة الحياتية على أن النظام الإسلامي هو النظام الوحيد فيه العدل والمساواة والإنصاف وكلما يحتاج اليه المجتمع الانساني في مظاهر حياته الإجتماعية والإقتصادية والسياسية كما أقر بهذه الحقيقة الطربة شخصية 'فؤاد' أحد رفاق الخلية الشيوعية في خطبته

١٧ المُصْدَرُ السَّابِقُ، ص:

^٣ ثروت أباظة، شيء من الخوف، مكتبة، دار مصر للطباعة مصر، ١٩٩٢، ص: ٥٦

الشهيرة حينما أعلن فصله عن الخلية حيث اختتم خطبته بهذه الكلمات: "أيها الإخوان ، سأترككم بعد أن ألقى عليكم تحية الإسلام دين المشورة، ودين الأمان والإستقرار وأرجو أن تجيبوا تحبي وتبتعوني إلى الهواءطلق..السلام عليكم ورحمة الله^١"

ويتجلي هذا الإقرار والإعتراف بالنظام الإسلامي والإيمان به حينما قال عبد البديع الأفندى الراوى في المذهب الشيعي بعدهما خرج من السجن: "أبدأ وشرفك سأصلى الخمس وأصوم الشهر وسأحاج إن استطعت سبيلاً وسأؤدي الزكاة وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"^٢.

وفي نهاية الرواية نرى أيضاً أن شخصية أحمد أقربان المذهب الإسلامي هو الطريق الوحيد إلى النجاة في الحياة حينما قال لنفسه بعدهما تلذذ تجربته المديدة بالسجن: "إن الله أعطى عبده حرية التفكير والعمل ثم حاسمه.....الحرية أساس النظام الذي أقامه الله...سبحانك يا رب...فك قيدي لأقدس الحرية..إني ألجأ إليك يا رب!!"

ومن هنا كله يمكن أن يستفاد على أن الهدف الرئيسي للكاتب في كتاباته هو إشراق أفكار الوحدة الشعورية والأصالة الدينية في نفوس المصريين وجعلهما سلاحاً حاداً ضد كل ما أخذ ان يأثر على المجتمع المصري الحديث من الأفكار الشيوعية والإشتراكية والثقافات الغربية وغيرها.

الأصالة الوطنية والنظريات السياسية في رواياته

عندما تعرف الوطنية بأنها هي الجنون إلى وطنك الذي ولدت ونشأت أو احساسك القوي تجاه وطنك بأنه هو أجمل وأحسن اجتماعياً وثقافياً بالنسبة إلى بلاد أخرى كان الكاتب ثروت أباظة قد سبق غيره من الكتاب المصريين في ملزمه هذا الإحساس القوي في كل رواياته المكتوبة وجعلها عرضة مهمة تدور أحداث الروايات حولها.

وقد مارس السياسية مثلما كان يمارس الأدب بل أجمل منه لأنه ولد فيها ونشر بينها وتنفس هواها حتى خاض معارك السياسية كثيرة مدافعاً عن مواقف يرى صحيحاً ولم يكن من يغيرها لإرضاء أحد حتى أغضب منه الكثيرين وكان أكثر حروبه ضد كتائب اليسار والتاصريين والشيوعيين كما كان يصف الإخوان المسلمين في مقالته بأنهم بداية الإرهاب، كثيراً ما كانت زوجته وأولاده يحاولون أن يخففونه من هجومه إياهم بل كان جوابه لهذا "أنا مع الحق إلى أن أموت".

وكنت له حاسة سياسية صادقة وكثيراً ما تنبأ بأحداث سياسية قبل وقوعها وكاف لـنا مثلاً له مكان قد تنبأ بهيار الاتحاد السوفياتي في مقالة نشرتها في الأهرام سنة ١٩٧٠ م. ولعل نشأته في أسرة كلها سياسية ساعدت على تنمية هذه الحاسة في ضميره، وجدير بالذكر هنا أنه قد استخدم مهارته في

^١ ثروت أباظة، قصر على النيل، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٣ م، ص: ١٦٤

^٢ المصدر السابق، ص: ٢١

^٣ المصدر السابق، ص: ٢١٥

^٤ عفاف عزيز أباظة، زوجي ثروت أباظة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣ م، ص: ٨٩

الأدب سلاحاً حاداً على تدمير الأفكار الشيوعية والناصرية وتشديد الإحساس الوطني في أهل بلاده، وتثبت الحرية في مجتمعه بصفة عامة.

وإلى جانب كله أن الركيزة الأساسية في كتابته سواء كانت مقالة أو قصة أو رواية كانت رفضه للظلم والقهر السياسي والإجتماعي والتصدي لهما وانحيازه الكامل للديمقراطية والحرية - حرية المجتمع وحرية الفرد وحرية الرأي والتعبير التي أقامها الإسلام والدفاع عن قيم المجتمع الرفيعة وتقاليده السامية.

وقد نجحت روایتا الكاتب 'قصر على النيل' والضباب' في إلقاء الأضواء عن نظرياته تجاه الوطنية والسياسية المصرية نجاحاً تاماً، وخاصة حينما يقدم الكاتب إلى القراء شخصية 'وصفي'، بطل الرواية قصر على النيل بملازمته على هذا الإحساس الوطني في أقواله وآرائه واتجاهاته مع أنه سيامي كثير التأثير بين الحزب والشعب حيث تظهر قوة احساسه الوطني حينما يقول : 'أنا رجل وطني أحبيب وطني وهاجمت أعدائه وأثرت القلق في نفوسهم فقبضوا على مرات فما زادني هذا عند وطني ومواطني لا عزاً وحباً' ^١ ويوضح هذا بوضوح حينما يناقش ابن عمه سليمان المتأثر بالثقافات الأوروبية في صد حياة المرأة في الشرق والغرب . هنا، يصرّ وصفى على ثبات شرف الثقافة المصرية وعزّ حياة المرأة فيها حينما يقول: 'إننا هنا نحترم المرأة أكثر مما يحترمها الغربيون ، نحن نراها جوهرة يجب أن تظل بعيدة عن أيدي الطامعين ، وعن أنظارهم أيضاً' ^٢، أرأيت أنها نحب أن نثق بزوجاتنا نحبهن بجميعهن بذكرياتهن وأحلامهن وأمالهن ولا نحب هذه الذكريات أن تبدأ لا بعد الزواج فكلما قبل الزواج لانعرف به نحن الشرقيين حتى وان كنا الطرف الآخر فيه'

وعندما تتفق أحداث الرواية إلى الشخصيات الثانوية نرى فيها شخصية أخرى تلتزم بالإحساس الوطني، وهذه الشخصية هي جعفر بن وصفي وهو يمثل جيلاً جديداً يتمسك بتراث وطنه القديم السامي متلزماً بالشعور الوطني من الأفكار الشيوعية والإشتراكية وما عدا ذلك، وقد قام جعفر بمهاراته في الكتابة والخطابة وعبريته في الفصاحة والبلاغة بين أترابه الذين تأثروا بالثقافة الغربية والأفكار الشيوعية والإشتراكية مهاجماً بأفكاره الوطنية ونظرياته الإسلامية وملازماً على التراث الذي تحرى عليه مصر وأبناؤها منذ قديم الزمان.

وتتجلى نظريات الكاتب تجاه الوطنية والسياسية بوضوح عندما يكلمنا الكاتب بلسان فوزي أحد الشخصيات الثانوية في الرواية قصر علي النيل بأقواله "إن فترة الانتقال في ظل الدكتورية لا تنتهي، لأن الحاكم حين وصل إلى كرسي الحكم يعلم أنه وصل إليه على غير حق فهو يحيط نفسه بالحرس ويفرض أوامره فإذا هو قوانين وينب الأموال ويعيش عيشة رغدة بلا رقيب ولا حسيب، فالذين

^١ ثروت أباظة، قصر على النيل، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص: ٧

٨ المصدر السابق، ص:

حوله جميرا يتمتعون بما يتمتع به من رغد وتنشأ طبقة حكام أغنياء بطبقة محكومين فقراء وبناء على نظريتكم ،لابد أن تقوم ثورة أخرى لتتم المساواة في الرزق ومستوى المعيشة ويسقط هؤلاء الحكام ويتوالى الحكم حكام آخرون وتتكرر المأساة وكل حكم جديد يحتاج فترة انتقال،فإن سالت: انتقال إلى ماذا؟ وإلى أي مدى يدوم هذا الإنتحال؟ فلن تجد جوابا ولكننا نحن نعرف الجواب انه انتقال إلى الآخرة^١. ويلخص من هذه العبارات أن الركيزة الأساسية في كتابات الكاتب هي الهجوم على نظام الدكتاتورية التي خضعت لها مصر منذ زمان والنداء الكامل إلى الديمقراطية والحرية – حرية الفرد والمجتمع .

وبالجملة أن أعماله الأدبية كلها صورة متكاملة تمثل نظرياته السياسية والإجتماعية الحقيقة بصفة عامة كما ترسم الواقع والأحداث في صورة مجرد من الضم والكسر.

الخاتمة

هذه المقالة محاولة متواضعة للدراسة التحليلية عن الكاتب المصري الشهير ثروت أباطة دسوق وأسلوبه الممتاز في فن الأدب والدين مرکزة على رواياته الشهيرة أمثال 'قصر على النيل' ،'الضباب'. وجدير بالذكر هنا أن هذا الأديب الكبير كان في طريق عن نزعه الواقعية في تناول رواياته، والواقعية، كما أشار إليها طه وادي " ظهرت في الأدب العربي الحديث في مصر وتطورت في الأدب المصري بعد انحلال الثورة المصرية الأولى" ^٢ . وعلى كل حال، أن روايات الكاتب كلها نداء متكامل إلى حرية المجتمع وحرية الفرد وحرية الرأي والتعبير والدفاع عن قيم المجتمع الرفيعة وتقاليده السامية المبنية على النظام الإسلامي الصافي العذب.

المصادر والمراجع

- ثروت أباطة ، الضباب، مطبعة هبة مصر ، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٦ م
- ثروت أباطة ، ذكريات لا مذكرات، دار الغريب للطباعة ، القاهرة، ١٩٩٢ م
- ثروت أباطة ، قصر على النيل، دار هبة مصر ، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٧ م
- ثروت أباطة. لمحات من حياتي، مطبعة هبة مصر ، الفجالة، القاهرة، ١٩٩٦ م
- الدكتور عبد العزيز شرف، التماذج البشري في أدب ثروت أباطة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢ م
- عفاف عزيز أباطة ، زوجي ثروت أباطة، دار المعارف ، القاهرة، ٢٠٠٣ م
- محمود فوزى، ثروت أباطة الفلاح الأستقراطى، دار الغريب للطباعة، القاهرة ، ٢٠٠ م
- Adnan Muhammed Abdul aziz Wazzan,Realism in Arnold Bennett and Najib Mahfuz, A comparative study in Arabic and the English Novel,University of Edin burgh,1981
- <http://www.ahram.org.eg/Archive/2002/3/22/ARTS3.HTM>

^١ المصدر السابق، ص: ١١٧.

^٢ Adnan Muhammed Abdul aziz Wazzan- Realism in Arnold Bennett and Najib Mahfuz , A comparative study in Arabic and the English Novel –University of Edin burgh –page 134

الأبطال هي الأرقام في رواية (٣١) لأشرف أبو اليزيد: دراسة تحليلية

السيدة سبينة. كى^١

د/ محي الدين كوتى. أى. بى^٢

الملخص

هذه دراسة تحليلية لأحداث رواية ٣١ للروائي المصري أشرف أبواليزيد "وهذه رواية لا يوجد لأي من أبطالها اسم، فهم جميراً مجرد أرقام. ٦٦٦ هو بطل الرواية وراوتها، يمنح رقمه الوظيفي في إحدى المؤسسات العربية بديلاً من اسمه، في إشارة دالة على ما تفعله مؤسسات العصر التي تحيل الأشخاص على مجرد أرقام متسللة، بلا ملامح ولا سمات شخصية. فالبشر ليسوا سوى "أرقام" تؤدي وظائف محددة، وتبيع أوقاتها ومهاراتها من مؤسسات تشتري أعمار البشر ومواههم بأتمان بخسة.

هكذا يجد الفرد نفسه ملقى به في دائرة لامتناهية لمنظومة جائزة، يأكل فيها القوي الضعيف، ويمثل فيها ضعاف النفوس لما تحتّمه المنظومة من سلوكيات بائسة، من التلصص على زملاء العمل إلى الوشاية بهم، والتلاعب بظروفهم والاتجار بمواهبهم من أجل مكاسب صغيرة: ترقية، منحة، مكافأة. بينما في أعلى المنظومة، مجموعات من نسور افتراضية، تراقب الجميع من مكان خفي، لكي تتأكد أن أولئك المراقبين جميعاً، يمثلون لقوانين المنظومة، ويعملون على تحقيق مصالحها وارياحها الامتناهية. تأخذ الرواية عنوانها من بناء شكلي يرتبط بمضمونها حيث يتعرض الروايوi للفصل من العمل في إحدى المؤسسات في مدينة عربية، ولا يبقى له في المدينة سوى ٣١ يوماً. تنقسم فصول الرواية ٣١ فصلاً، يجسد كل منها يوماً من أيام الروايوi الأخيرة في المدينة".^٣

أحداث الرواية

هذه رواية مختلفة في العالم الروايوi بإسمها الخاص ٣١. والروائي أشرف أبو اليزيد جعل الرواية إلى ٣١ أجزاء(فصول)، أي جعله ٣١ يوماً. حسب رأي الروائي للأرقام دور رئيسي في حياة كل شخص حيث يقول "إن الحديث عن الأرقام ليس بعيداً عن أي منا بعد أن أصبحت حياتنا دفتراً من الأرقام، فنحن الأرقام، والأرقام هي نحن"^٤ يبدأ الفصل الأول من ٣١ ويختتم الفصل الأخير بـ ١. ومن خلال هذه الأجزاء يفصل الروايوi الأحداث المصادفة التي تجري في حياة الروايوi في ٣١ يوم سمحته المؤسسة للخروج منها. ويروي الروايوi القصة بلسان المتكلم.

^١ باحثة، قسم اللغة العربية، جامعة كاليفورن

^٢ مشرف البحث ورئيس القسم، قسم اللغة العربية، جامعة كاليفورن

^٣ انظر مدونة خاصة للروائي المصري أشرف أبو اليزيد، www.ashrafadali.com/blog

^٤ انظر الرابط: <http://www.middle-east-online.com/?id=120607> التاريخ: ٢٠١٦/٠٨/١

بعد تخرجه في الكلية التربوية الفنية إشتغل ٦٦٦(بطل الرواية أي الراوي) مدرساً للرسم عشرة أعوام، وظل خالها يتقدم بأوراقه إلى أكثرمن جهة للعمل بالخارج. قبل ثلاث سنوات جاءه عقد للعمل مصمماً للإعلانات مع المؤسسة التي أعطته رقماً وظيفياً مميزاً ٦٦٦. كان زملائه يحسدونه عليه في صباح جديد وانطلق ٦٦٦ في طريقه إلى المؤسسة ووجد قرب نهاية ساعات العمل الرسمية رسالة قصيرة من قسم الشؤون الإدارية تحمل شعار المؤسسة التي يعمل بها.

"الأخ الفاضل ٦٦٦ تود المؤسسة أن تشكركم على الفترة التي عملتموها منذ إتحاكم بالقسم الفني. وإن نتمنى لكم التوفيق ويسفنا إبلاغكم بإنتهاء عقدكم معنا. نظراً لسعى المؤسسة لتقليل الإنفاق جراء الأزمة المالية العالمية. ويسرنا أن نفيدكم بأن باقي مستحقاتكم المالية ستكون جاهزة خلال أسبوعين، على أن تتم مغادرتكم البلاد خلال ٣١ يوماً من تاريخه"^١. وفي خلال العامين الأخيرين أنه اعتاد أن يراجع الفاكس كل يوم حين أتى إلى مكتبه الذي يفتحه له الساعي مبكراً. لا يعرفها رئيس القسم ولا أي أحد من زملائه.

بدأت الحكاية بالمصادفة. أرسل له من مصر أحدهم أوراقه ليُسعي لها ليعمل في مكان ما "في أي داهة" على حد تعبيره أرسلها بالفاكس. وعندما أتى صباحاً كان كالعادة أسبق من سكرتير رئيس القسم. فراجع ماكينة الفاكس ليجد أوراق صديقه، وقد ضمنها شهادة ميلاده، شهادته الجامعية، شهادة خبرته ورسالة منه. ثم وجدت في أسفل الأوراق ورقة غريبة عبارة عن رسالة من صفحة واحدة بخط اليد لإمرأة، كما بدا له من السطور القليلة التي كتبها. وكان هذا الفاكس المرسلة لرئيس القسم (٣٦٦) من حبيبته (٧٧).

كان رئيس القسم رجلاً كثيباً. أتّاح له رقمه الوظيفي في المؤسسة ٣٦٦ الفرصة كي يصنع منه دعاية لا شك أنها وصلته. قال عنه إن رقم ٣٦٦ يوازي أيام السنة الكثيبة. وأصبح اسمه الحري الكبيس على وزن الكثيب يقولون جاء الكبيس ذهب الكبيس تأخر الكبيس. هو بالنسبة له شخص ممل، عديم الموهبة، ضحل التفكير، جاهل إلى أقصى حد فكيف تكتب له إمرأة هذا الكلام ! "عزيزي ٣٦٦ اشتقت إليك كثيراً. كنت أفكّر فيك طوال رحلي إلى أمريكا. سأصل اليوم مساء الغد وسأنزل في فندق البستان جناح ٧٧ بانتظارك"^٢.

وبعد هذه الحادثة طوال العامين أخذ أن يجمع الفاكسات المرسلة إلى ٣٦٦ والمرسلة إلى باقي زملاء القسم الفني. وكان يأخذ نسخة باستخدام الفاكس. وبمجرد أن تضع ورقة الفاكس في ماكينة التلقيم، وتضغط على الزر الأخضر تصنع نسخة طبق الأصل من الفاكس المرسل. وكانت تصليمة لا

^١ أشرف أبو اليزيد، ٣١ رواية، ط١، مكتب المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص: ٤.

^٢ المصدر السابق، ص: ٤.

وصف، وهو يقرأ الأسرار الكثيرة التي تلوّكها الأقلام. عامان كاملان من المتابعة الدؤوبة أهدياه مكتبة شاملة. صنف فيها مئات الصفحات موزعة على ملفات باسم أو رقم كل زميل كتب ٣٦٦ لـ ٧٧....

"الشفтан اللتان تسکبان الخمر في كل قبلة أريد أن أعصرهما عصراً. أذهب إلى رمال شاطئ فندق البستان كل يوم لأستدعى صورتك بلباس البحر. الموجة تسألي عنك فأقول لها أنك آتية لا ريب. سأجلس فوق النخلة أنتظر رطبك الذي يساقط على مع قطرات الماء النازلة من جسدك، فربما تطلعين من الماء مثل جنية أسطورية. لو أن لدى بساط الريح، لأخذتك إلى عالم سحري بعيد. وربما عدنا إلى زمن هارون رشيد. واستمتعنا بحياة راغدة ليس فيها هذا الصيف اللاعنة الذي يستغرق العام أو يكاد في هذه البلاد. سأكون في المنامة بعد أسبوع. ربما تكون لدينا حرية أكبر. لن أستطيع السفر في الوبكند لأن أم العيال تحاصرني بدعوة عائلتها. لعنهم الله".^١

"في المنام وفي المنامة أنت بطل كل الأحلام سأنتظرك .لابد أن تقعدين يومين .فقد دعيت إلى دورة في واشنطن وسأغيب عنك شهراً خلال الربع .لن أجده حريتي إلا معك ولن يعوضني عنك شيء ولا تمثال الحرية، فيد التمثال تتجه إلى السماء ، بينما أحتج يدك لتجه إلى" .وكان له صديق اسمه هكذا يسميه نسبة إلى سنة ميلاده .وكان ابن بلدته وهو يعمل بالصحافة ويصدر في كل إجازة سنوية كتاباً .وكان يسكن في الطابق الرابع بمدينة الصغيرة التي تختضنها دلتا نهر النيل في مصر .

ولما قال له الأحداث التي وقع في حياته في الأيام الماضية فأخبره بحيلة لأن يصدر الفاكسات المتجمعة كتاباً لأنها في رأيه الكنوز الحقيقة، ثم تنشر منها أجزاء على الإنترن特 وتصل أصحابه في المؤسسة فيخافون فيتراجعون عن إقصائه عن العمل، هذه هي الفائدة الحقيقة لهذه الأوراق ونصحه أن لا يضيع الفرصة حتى لو لم ترض بالإيتار لكي يعود إلى العمل يمكن أن ينشرها ككتاباً بعد أن تجردها من الأسماء، بمجرد أن يعلن أن هذا الكتاب يروي أسراراً لن تصدقكم رد الفعل على النشر، الكل يشتري ويحمل الأسماء المحذوفة لأن الناس تحب الفضائح.

وكذلك بدأ يجمعها من باب الطرافة في ملفات كبيرة وضع علمها أرقام الشهور والسنين ف الداخل كل ملف قسم الأوراق في مظاريف أصغر، يحمل كل منها إسم أو بالأخرى رقم الشخص الذي تعود إليه هذه الأوراق لأنه يعرف من أين أرسل الفاكس، وإلى أين أرسلت الفاكسات من هذا المكتب.

كان رئيس القسم رجلا كثيما وعرف ٦٦٦ أن رئيس القسم سيصبح رئيس المؤسسة، سيتم اختياره كرئيس جديد في إنعقاد الجمعية العمومية للمؤسسة ولذا إضطر على إعطاء الكتاب لأبيض للرئيس

المصدر السابق، ص: ١٧

١٧ المُصْدَرُ السَّابِقُ، ص:

المؤسسة. وكان في هذا الكتاب التقارير المتبادلة بين الرئيس القسم ١١١ و الذي له علاقة مباشرة بانتخابات الجمعية العمومية لرئاسة المؤسسة. وكان هنا قنبلة التي انفجرت في المؤسسة واحتفي ١١١ رئيس القسم من المكتب. وبهذه الأمور كلها أراد ٦٦٦ أن يعود إلى بلده. ولكن صديقه ١٩٦١ لا يوافق للعودة.

وفي هذه الأيام حدث في حياته حادثة مصادفة ذات يوم جاء السائق ٢٥ بسيارته ليصحبه إلى المؤسسة. وفي الطريق الجديدة التي سلكها توقفت السيارة. ولم تمض لحظات توقفت سيارة أخرى في جانبهم. ونزلت منها مجموعة من الأشخاص وفي يدهم صندوق وقبضوه بشدة وأخذوه في الصندوق واتجه في سبيلهم المجهول.. وبعد ساعات وصلوا في مكانهم وحرروا قدميه ويديه وأعطاه الأطعمة الالزمة وأرشده إلى الحمام. وظن أن هذا المكان هي إحدى القلاع البرتغالية. وفي هذه القلاع الخالية يذكر الأحداث الذي قضى في حياته الماضية خاصة عشيقته ١٠. التي أحبته ولكن رفض أبوها واضطرت لأن تتزوج رجلا آخر، وكان مadam يعشقاها.

وبعد يوم جاءه سكرتير القسم صفر الذي يعمل رئيس المؤسسة وطلب منه أن يتعاون معه. وسألته صفر عن باقي الأوراق ولكن أخبره أنه لا يريد أن يعطيه لأحد إنه يحميه أيضا. وبعد الطعام دخل الرجال وأعاداه إلى حاليه الأولى. التي جاء بها إلى هذا المكان قبل يومين، وفي خلاصة السيارة وضعاه وحان وقت المغرب. ثم وضعاه في الصحراء وقالوا ..

"لقد أو صانا سيدنا أن ندفنك بالصحراء. ولكننا لسنا قتلة سترتك لحال سبيلك. نحن نطيع ما نؤمر به إلا قتل الروح التي حرم الله^١ وتركاه في الصحراء وبعض الأطعمة الالزمة ثم غابوا."

وكان تائبا جدا ونام ولم يعرف ولا يدرى كم ساعة نام. ولما استيقظ في الصباح وجد وجهه جديدا في مقابلة الصخرة و سأله عنه. وكان ذلك الرجل يسكن في هذه الصحراء ليراقب الحياة البرية وكان يتكلم باللغة الإنجليزية. وذهب به إلى مسكنه وشاهد الرسومات التي رسمها الإنجلزي من هذه الصحراء. وكان أصدر كتابا باللغة الإنجليزية عن الحياة البرية في الصحراء. وفي هذه الليل نام فيها. ثم ساعده الإنجلزي لأن يذهب إلى مسكنه في السيارة التي تأتي من بلده. وأعطاه ٦٦٦ رقم هاتف ١٩٦١ ورقم المؤسسة.

وكان الوقت قد تجاوز منتصف الليل حين وصل إلى مسكنه وسأله الحراس عن غيابه . وجده غرفته بدون نظام وكان فيها آثار عبث رجال البرغوث صفر. قلبو كل شيء في شقته، واتصل بـ ١٩٦١ وجاء إلى شقته وقاله كل ما حدث في الأيام الماضية. ونصحه أن يذهب إلى المؤسسة وأن يظهر قوته لأنه تحدي الموت.

^١ المصدر السابق، ص: ٩٠.

وصل ٦٦٦ بصحبة ١٩٦٢ في المؤسسة. ولما رآهم الموظفون أدهشو. وكذلك سكرتير رئيس القسم صفر وكانت دهشته أقل من فزعه كمن رأى شيطاناً أو شبيحاً. وطلب منه أن يأتي جواز سفره من الشؤون الإدارية وشيخ بباقي مستحقاته المالية وورقة إخلاء الطرف المطلوبة لدى السفر. ولم تمض سوى نصف ساعة حتى وجدا بين أيديهم كل شيء طلبه. ومن ثم طلبه ١٩٦١ ألف دولار الذي ضاع من شقته..أخيراً قبل طلبه وأعطاهم الشيخ.

وفي هذه الليلة أتت فتاة فلبينية بصحبة صديقة لها وزوجها. وكانت هذه الفتاة عشيقة صديقه واحد، إنه خدعها واستدان ما منها من المال الذي يبلغ بـ ١٨٠٠ دولاراً ثم عاد إلى بلاده ولا بكت بشدة أحضر ٦٦١، ١٨٠٠ دولاراً من المال التي أعطاهم صفر وأعطتها إياها فشكنته ويعدها عادت إلى شقته. وبعد ذهابها ناقشا عن العودة وقررا أن يذهبان إلى المطار صباحاً وأن يذهب في أول طير ثم ناما في شقته. ولكن في هذه الليلة حدث شيئاً مصادفاً.

استيقظ ٦٦٦ وهو يسعى بشدة كانت الشقة تغمرها اللتب وسحب الدخان ونزل من السرير خرج من الغرفة إلى الردهة باتجاه غرفة التي يبيت فيها صديقه ١٩٦١. ولم يستطع أن يرى شيئاً تعطر وسقط مغشياً.

حين استيقظ كان قناع الأكسجين فوق أنفه، وقال له الطبيب أنه سليم ولكن حال صديقه أسوأ من حالته، وجهه سليم ولكن يديه مشوهةتان في النار لأنهما ملفوفتان بالضمادات تماماً. ولما وجده صديقه حكي له طرفاً مما حدث.

"لم أعرف كيف وصل مشعل النار إلى غرفة مكتب فالنواذن مغلقة ربما تكتشف الشرطة شيئاً بخصوص ذلك، المهم أنني رأيت تسرب الدخان، فخرجت وواجهتني النار. حاولت أن أدخل غرفة المكتب لأنني أعلم أن الحقيقة التي عدنا بها من البنك أمس كانت هناك. ولحسن الحظ أنني وجدتها ولكن وسط النار حاولت أطفأ النار لأن مالك وأوراقه الرسمية بها، وقد نجحت بعد أن تسلخ سعادتي واحتربت أسايعي، لكن الحقيقة كانت فارغة إلا من جواز السفر وأوراق أخرى. انطلقت إلى خارج الشقة أصرخ ليسمعني أحد. استيقظ الجيران وحين حاولت أن أعود إلى غرفتك كانت النيران حولي، ربما يكون الدخان قد أيقظك لأن آخر ما رأيته قبل أن هرول الناس وإنقاذهما هو شيك وأنت تسقط من خلف الدخان".^١

وشكى في رئيس السابق بالمكتب الكبيس ورئيس المؤسسة وصفر. وكانت شقته لا تزال تحت المعاينة لرفع البصمات، وكتابة تقرير عن التلفيات وال موجودات ولذا اضطر لأن يذهب إلى شقة صديقه ١٩٦١.

^١ المصدر السابق، ص ١٢٧.

ولما دخل إلى شقته وجد الكتب تعزو كل مكان حتى الحمام وبعد الإستراحة بحث في الشقة وبعث فيها عن رسالة التي كتبت زوجته. ومن خلال قراءة هذه الرسالة، يظن أن صديقه ١٩٦١ يبدو كريما ولكن لا ينفق على شقيقه الأصغر يتركه في محب الريح والرسالة أوقعته في حيرة بائسة ويظن هل يكون هو الذي سرقه ثم إفتعل حكاية الحريق ليغطي على السرقة ولقد كان لديه وقت لسرقة المال ويختبئ في مكان ما ثم يعود ويشعل النار في الشقة. وبالخلاصة رسالة واحدة من زوجته تهمه بكل شيء جعلته يشك في صديقه الوحيد في محنته.

وخرج إلى المطار صباحاً ليطير في أول الطيران. ولكن عرف أنه ممنوع من السفر بسبب هذا الحريق اللعين فعاد إلى شقته. وفي الصباح جاء إليه صديقه ١٩٦١ وقال له عما قاله الشرطي المكلف عن السرقة. وكان السارق هذا الرجل الذي أتى مع فلبينية في ليلة الحريق، وأعطاه المال في الكيس. ولما وجد المال أصبح مدهشاً. وكان فرحته مشوبة بالخجل من صديقه الذي شكى في ذمته. وكان إحتفالاً بعودة المال بالنسبة إلى صديقه.

وفي هذا اليوم أخبره زميله أن رئيس المؤسسة أصدر قراراً بإعادته للخدمة اعتباراً من الغد، وبضعف الراتب لأن هناك رسالة وصلت باسمه إلى القسم المؤسسة. في الصباح الباكر وصل في المؤسسة وجد فيها زميله ٦٦٧ . وقال له عن القرارات التي يصدر رئيس المؤسسة كل يوم. وأعطاه الرسالة التي وصلت في اسمه. وكانت هذه الرسالة من حبيبته الأولى ١٠.

وكان أبوها رفض عن الزواج منه ولذا إضطرت أن تتزوج من رجل آخر. وكان رجل أسوأ من أبيها وليس له عمل ولا يساعدها في أعمال البيت. إنه لا يرى لها واجباً سوى إشباع رغباته فانفصل، ثم توف والدها، الآن بعد هذه السنوات هي مستعدة للمجيء إليه حيث كان. وإن طلب لها أن تترك العمل لتتركها وإذا أراد أن يأتي معها مرافقاً فما أحب ذلك إلى نفسها. وكان هذا مضمون الرسالة. وكان رقم هواتفها وعنوانها مع الرسالة.

كانت كلمات الرسالة ترسله إلى أمل بعيد، أعاد قراءة الرسالة مرة بعد مرة. وبعد قراءة الرسالة وجد رئيس المؤسسة وقاله أنه أصدر قراراً بعودته للخدمة فطلب منه أن يمنحه إجازة قصيرة لمصر فاستأنفها إجازة أسبوع براتب كامل. وبعد تنظيف شقته سكنها فيها في هذه الليل ونام نوماً هنيئاً فيها وفي الصباح سلمه حارس البناء ظراً صغيراً أنيقاً يحمل خاتماً ورقاً بارزاً من سفارة البريطانية فيها تدعوه في حفل استقبال على هامش موري الباحث والمصور والبريطاني (٠٠١) الذي يقيم السفارة البريطانية بعنوان الصحراء العربية حياة متتجدة. وبعد الإفطار اكتشف أنه نسي جواز السفر بالبيت ولن يستطيع شراء تذكرة السفر بدونه. ولما عاد إلى البيت وجد فيها صديقه ١٩٦١ وطلبه أن يذهب معه إلى غرفته لأنه يريد أن يستشيره في أمر هام. ولما وصل في غرفته ناوله ملفاً بلاستيكياً بالتحويلات المالية طيلة السنوات السابقة لشقيقه ١٩٦٢. كانت رسالة ١٩٦٢ تفيض بكذب صدقته ووفسره ١٩٦١ سر

تلك الرسالة التي وجدتها من قبل وأزال الشك الذي وقع في قلبه وعانياً وكانت الدموع الساخنة تبلغ شفتيه.

وكان صديقه ١٩٦١ قد قرر أن يحول رسائله السرية إلى كتاب وقسم الفصول إلى ثنائيات. والطريف أنها أضاف إليها رسائل شخصية تخصه نفسه أرسلتها له فتيات في مجال الأدب والصحافة لم يكن يكتب أسماء المرسلات لكنه اكتفى بذكر رقم الحرف الأبجدي الذي يبدأ به اسم كل منهن. واختار لكتابه عنواناً "ألف رسالة ورسالة" واحتوى الكتاب أيضاً رسائل عسكرية وسياسية وتاريخية واجتماعية وثقافية وفنية.

وضمت مجموعة كتاب "ألف رسالة ورسالة" رسائل للأديب الكبير الدكتور زكي مبارك، تمثل وثائق تكون لدى قارئ الكتاب مشهداً جديداً يضيئ جزءاً من حياة زكي مبارك التربة بالنشاط المتوجهة بالمعارك والمفعمة بالإنتاج الأدبي. كانت الرسائل التي جمعها ١٩٦١ نهراً لا ينضب وقد تجاوز ألف صفحة وخصص كل فصل لشخص أو لعلاقة أو لموضوع ما. وكان ١٩٦١ يخفي مصادر رسائله ولأن تلك المصادر على الأغلب، حصلت بطرق غير مشروعة.

في اليوم التالي ذهب ٦٦٦ لحفل الإنجليزي ١ . . . وكان يرتدي بزة أنيقة، وكان شخصاً آخرًا غير الذي صادفه في الصحراء. وكان يتحدث كعالماً في الأحياء كمتخصص في العقاب^١ أفنى حياته بمراقبتها. وبعد الإنتهاء تكلم معه سأله عن ماله المسرور وإعادة تعيينه في المؤسسة. ودهش في سؤاله وكيف عرف عنها فأجابه إنه رأى الرسائل التي وضعها على الإنترنت. بروتوكول الموقع قاده إلى صديقه الذي أبلغه عن غيابه فربط الموقع به وأنه يحكي بما يجري في المؤسسة السابقة واللاحقة. وفي الطريق إلى المطار راجع أوراق حقيقته مرات ومرات. جواز السفر، تصريح إخلاء الطرف من المؤسسة وتصريح الشرطة الخاص بقضية الحريق وسرقة الشقة، ونقوده وأوراقه، وهاتفه النقال، بطاقة الرقم القومي في مصر ودفتر الهاتف كل شيء. وحاول صديقه ١٩٦١ أن يثري عنه، وكان يتحدث ولكن لا يسمعه. وكانت لافتات الإعلانات العملاقة تتراءى أمامه مثل شاشات تعرض لقطات من حياته هنا، أصوات كثيرة أبطالها أرقام عصفت بأيامه الأخيرة.

عائق صديقه ١٩٦١ موعداً وكان ي يريد أن يهرب بسرعة قبل أن تتبدل مشاعره، الخوف من المجهول كبير. لأن الفتاة التي يريد أن يلقاها لم ترد عليه ولم ترسل له بريداً إلكترونياً رغم إرسال العنوان لها رقم هاتفه وإيميله.

في الدقائق الأخيرة لمح أجهزة مجانية لاستعراض الإنترنت وعزم على تصفح البريد الإلكتروني فربماقرأ من حبيبته رسالة ما، ولكن لم يجد شيئاً منها ووجد رسالة فقط من ١٩٦١.

^١ طائر من كواسر الطير، قوي المحالب، مسؤول، له منقار قصير أعقاف، حاد البصر. يشرح المتخصص الإنجليزي ١ . . . عن طبيعة هذا الطائر كثيراً في هذه الرواية حيث أنه متخصص في البحث عنه.

"صديق العزيز، لا أعرف متى تقرأ هذا الإيميل ولكن أرجو أن لا تغضب عندما تتصفح الموقع إياه في المرة القادمة ، فقد سمحت لنفسي أن أضيف إليه رسالة وجدتها بين أوراقك حينما كنت في السفارة البريطانية. تعرف الفضول يا صديقي لكنني حذفت الأسماء بالطبع سواء كنت الآن في مصر، أنك قررت العودة إلينا، أو عزمت على السفر إلى حبيبتك ولا تغضب مني لأنني أدخلت شفرة جديدة تسمح لي وحدي بإضافة الرسائل الجديدة، وعدم حذف ما وضعته في السابق".^١

وفتح موقع الرسائل وكان صديقه ١٩٦١ قد غير شكله وكانت رسالة ١٠ التي أرسلها إليه مصورة في إحدى الصفحات . وقد كتب تعليقاً ذا معنى تتحتها لا يفهمه سواه: "الكل يراقب الكل. على زيوس أن يتواضع قليلاً". وفكر أن يعود إليه. تردد بين البقاء والسفر وكانت عقارب الساعة تجري مسرعة في يومه الأخير.

المصادر والمراجع

- أشرف أبو اليزيد، 31 رواية، ط١، مكتب المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١ م.
- الموقع الشخصي للروائي أشرف أبو اليزيد www.ashrafadali.com.
- <http://www.middle-east-onlie.com/?id=120607>

^١ أشرف أبو اليزيد، 31 رواية، ط١، مكتب المشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص: ٢٠٩.

^٢ المصدر السابق، ص: ٢١٠.

صور خيالية من التراث الدينية في كتابة الشاعر فاروق موسي

السيد محمد رافع. سي^١

د/ جمال الدين الفاروقى. كى^٢

الملخص

فاروق إبراهيم موسي شاعر فلسطيني وشعره رقيق خيالي وهو مؤثر بالقرآن الكريم منذ صغره لقب بحافظ القرآن لأنّه أُمِّمَ في مسجد قريته في صغره. شعر فاروق رقيق ومتين بالمعنى والمعنى وخياله أبعد مدى في وصف الطبيعة والتعبير المعنى والرموز إلى داخل الألفاظ والمعنى. هذه المقالة تحليل بعض قصائد فاروق موسي وخاصة ديوانه في انتظار القطار^٣ من ناحيته الأبعاد البينية والدلالية من التراث الدينية وخاصة القرآن الكريم. اذا اطلعنا إلى أشعاره عامّة ولدى ديوانه في انتظار القطار خاصة رأينا أن الشاعر فاروق موسي وهو متاثر بالقرآن الكريم في قصائده حقاً. ونرى في صغره انه حفظ كثيراً من الآيات القرآنية. وجدير بالذكر أن موسي كان قد فاز في مسابقة القرآن، وحصل على لقب "حافظ القرآن" سنة ١٩٦٧.

نبذة عن الشاعر

فاروق إبراهيم موسي شاعر وأديب فلسطيني ولد في باقة الغربية^٤ سنة ١٩٤١ م لوالدين من عائلة رقيقة الحال. وقد حفظ فاروق منذ صغره الكثير من السور القرآنية والتراث الدينية. في سنة ١٩٥٧ أغلقت المدرسة الثانوية في باقة الغربية أبوابها، فالتحق فاروق بمدرسة الطيبة الثانوية، حيث أنهى دراسته الثانوية هناك سنة ١٩٥٩، وما لبث أن عمل في الصحافة المحلية، وعلى إثر ذلك عين معلماً في شباط ١٩٦١، وظل في سلك التعليم في المدارس الابتدائية والإعدادية والثانوية في المدارس المختلفة، حتى أحيل على التقاعد بدءاً من أيلول ١٩٩٦، ولكنّه ما زال يعلم محاضراً في كلية القاسمي في باقة الغربية. في سنة ٢٠٠٧ حصل مؤخراً على لقب "محاضر كبير". وفي ٢٧ آذار ٢٠١١ حصل على درجة الأستاذية - بروفيسور.

صار رئيساً في قسم اللغة العربية في كلية القاسمي إلى ٢٠١٠ م، بعد أن كان عميد شؤون الطلبة (٢٠٠٦ - ٢٠٠٢)، ورئيس مركز اللغة العربية فيها (٢٠٠٦-٢٠٠٢) حاضر في الكلية العربية في حيفا (بدءاً من سنة ١٩٩٨ - ٢٠٠٧)، وكان قد عمل مرشداً لكتابة الأبحاث لطلاب المدارس الثانوية العربية (١٩٩٤/١٩٩٥)، وعيّن عضواً في لجنة اعداد منهاج قواعد اللغة العربية في جامعة حيفا (بدءاً من سنة

^١ محاضر، كلية الأنصار العربية، فلاغنور وباحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

^٢ مشرف البحث، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق وعميد كلية دار الأيتام، موتل، ويناد، كيرلا

^٣ فاروق إبراهيم موسي، في انتظار القطار، جمعية عمال المطبع، نابلس، ١٩٧١.

^٤ باقة الغربية منطقة فلسطينية تقع الآن في دولة إسرائيل

(١٩٨٤) عضواً في لجنة منهاج خاص لتعليم اللغة العربية والتراث للمدارس العربية، وعضوواً في اللجنة العليا لشؤون اللغة العربية.

وقد شارك مواسي في مهرجانات ومؤتمرات أكاديمية في داخل البلاد وخارجها، ونشط قلمه في الصحافة المحلية والصحافة في الخارج، وذلك بتقديم مقالات أدبية وسياسية واجتماعية. والتحق مواسي بجامعة تل أبيب ليقدم أطروحة الدكتوراه فيها بعنوان "أشعار الديوانين: العقاد والمازني وشكري" بإشراف الأستاذ ماتي بيلد.

وقد ترجمت أشعاره إلى بعض اللغات ، وأبرز ما صدر منها "الأحزان التي لم تفهم" بالعبرية. وفاز مواسي بجائزة التفرغ للإبداع من وزارة الثقافة سنة ١٩٨٣، ثم ثانية في سنة ٢٠٠٥، كما حصل على جائزة توفيق زiad للعام ٢٠٠١.

تحليل قصائده

إذا انعمنا النظر إلى أشعاره عامه ولـ ديوانه في انتظار القطـار خاصة رأينا أن الشاعـر فارـوق مواسي يعالج أبياته متأثراً بالقرآن عمـق بيـانه ودلـالـاته الخيـالية حقـاً. ويرتكز اقتباسـه من القرآن اتجـاهـين مهمـين.

- **البعد الشرعي** :- وفيه حدود الشرع الإسلامي، وحدود أوامره ونواهيه سبحانه.
- **البعد البياني** :- وفيه يـبـثـ الحقـ سـبـانـهـ بـيـانـاتـهـ الإـلـاهـيـةـ الـعـلـوـيـةـ ..ـ وـمـاـ تـضـمـنـتـهـ مـنـ أـخـبـارـ السـابـقـينـ وـمـوـاعـظـ الـلـاحـقـينـ.

ونحن إذ نتناول التأثير القرآني في شعر فاروق مواسي، إنما نتركز في البعد الدلالي المرتبط أصلاً بالعمق البياني.

وأما إذا بحثنا في البعد البياني وتعملقـهـ في التراتـيلـ الـديـنـيـةـ وـخـاصـةـ القرـآنـ الـكـرـيمـ.ـ نـرىـ أنـ الشـاعـرـ لمـ يـرـدـ أـنـ يـوـحـيـ بـهـ لـذـهـنـ الـقارـئـ.ـ فـإـنـ وـجـهـ الاـخـتـلـافـ الطـبـيـعـيـ وـالـمـنـطـقـيـ بـيـنـ كـلـ قـارـئـ وـمـتـلـقـيـ وـآـخـرـ.ـ فـذـلـكـ هوـ حـيـويـ وـضـرـوريـ.ـ وـيـحـقـقـ المـنـشـودـ مـنـ التـرـمـيزـ.ـ أـلـاـ وـهـوـ تـحـرـيـكـ ذـهـنـ الـمـتـلـقـيـ بـاتـجـاهـ رـوـحـ النـصـ.ـ وـتـحـدـيدـ مـدـىـ مـلـامـسـةـ النـصـ لـرـوـحـ الـمـتـلـقـيـ .ـ

وهـنـاـ تـظـهـرـ لـنـاـ قـدـرـةـ الشـاعـرـ ...ـ فـبـقـدـرـ مـاـ يـكـوـنـ توـظـيـفـهـ لـخـاصـيـةـ الـتـنـاصـ عـمـيـقاـ وـمـوـفـقاـ ..ـ بـقـدـرـ مـاـ يـكـوـنـ أـبـعـدـ أـثـرـاـ فيـ مـلـامـسـتـهـ لـلـأـرـواـحـ وـالـعـقـلـيـاتـ الـمـتـلـقـيـةـ ؛ـ مـتـشـعـبـاـ...ـ مـتـلـوـنـاـ...ـ قـوـياـ وـمـؤـثـراـ.ـ وـيـرـتـبـطـ ذـلـكـ أـيـضـاـ بـقـدـرـةـ الشـاعـرـ عـلـىـ توـظـيـفـ خـاصـيـةـ الـاـنـزـيـاحـ الدـلـالـيـ لـلـتـنـاصـ..ـ بـمـعـنـىـ:ـ قـدـرـةـ الشـاعـرـ عـلـىـ الـابـتـعـادـ بـالـنـصـ (ـالـقـرـآنـ هـنـاـ)ـ عـنـ دـلـالـتـهـ الـأـصـلـيـةـ..ـ وـخـلـقـ دـلـالـاتـ جـدـيـدةـ مـنـبـقـةـ مـنـهـ ..ـ وـمـرـبـطـةـ أـوـ مـسـتوـحـةـ مـنـ رـوـحـ الـأـصـلـ.ـ مـنـطـلـقـاـ بـذـلـكـ لـخـلـقـ أـجـوـاءـ دـلـالـيـةـ جـدـيـدةـ.ـ وـكـذـلـكـ يـرـتـبـطـ الـأـمـرـ بـقـدـرـةـ الـمـتـلـقـيـ عـلـىـ الـكـشـفـ عـنـ هـذـهـ دـلـالـاتـ..ـ اـسـتـيـعـاـبـاـ وـفـهـمـهـاـ وـالـتـفـاعـلـ مـعـهـاـ .ـ

وهنا... تجدر الاشارة إلى أن الشاعر موسي من الذين يستخدمون توظيف خاصية التناص في شعره. وأنه استطاع أن يوظف الانزياح الدلالي بمهارة فائقة؛ بحيث جعل التناص واضحًا.. عميقاً ومؤثراً في ذات الوقت. مع أنه حمله عملاً دالياً باستخدامه خاصية الانزياح بدرجات تتفاوت وتتنامي بتناصي الصورة الدلالية المترتبة على هذه التناص (التأثر بالقرآن) وما يحمل من الإيحاءات والرموز. والمعنى المقصود .

وما أكثر الأمثلة في شعر موسي .. إذ لا تكاد تخلو قصيدة من قصائد من التناص والتأثر القرآني. ولكننا في هذه الدراسة القصيرة سنحاول التركيز على بعض تلك التي تحمل انزياحاً دالياً واضحاً وقوياً.

المثال الأول :

من قصيدة "أنا ومحنة الغافقي"^١ حيث يقول :

وثاني اثنين إلى غار^٢ الحياة

يقول عند الكربلاء ..

ما زفت الحسناء

إلا على مهد الظنون .

وأول اثنين في غار الحياة .

يفلسف الأشياء

فالقارئ يستوعب ومنذ القراءة الأولى هذا التناص الشفاف ظاهرياً، حيث ينقل القارئ مباشرة إلى نص الآية الكريمة "ثاني اثنين إذ هما في الغار...."

ولكن سرعان ما يتتبه إلى أن البيان القرآني إنما أراد أن يثبت دليلاً على قدرة الله ورحمته بنبيه وصحابه.

وللنظر الآن إلى درجة الانزياح الدلالي في هذا التناص؛ ففي قول الشاعر:-

ثاني اثنين إلى غار الحياة = يقصد به المرأة (المخلوق البشري الثاني على الأرض)

أول اثنين إلى غار الحياة = يقصد به الرجل (المخلوق البشري الأول على الأرض).

وأما ثالثهما .. في غار الحياة .. فمتغير .. فهو الكربلاء أحياناً .. وهو الظنون أحياناً .. وفلسفة الأشياء أحياناً أخرى .

وما زلنا في نفس القصيدة .. لنجد الشاعر يصرح عن إنسان غار الحياة:^٤

^١ فاروق إبراهيم موسي، المجموعة الكاملة، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٥، ص: ٧

^٢ استعمال خيالية للغار ثور

^٣ سورة التوبة، الآية: ٤٠

^٤ فاروق إبراهيم موسي، المجموعة الكاملة، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٥، ص: ٨

"يُخْبَرُ فِي مَأْسَاتِهِ
يُدْبِّرُ فِي نَكَبَاتِهِ
يُلْوَبُ فِي صَوْتِ النَّجَيْعِ
طَعَامُهُ ضَرِيعٌ^١
نَسَاوَهُ مُثْلُ السَّقَرِ^٢

ولتنظر كيف أكمل البيان الثاني معنى البيان الأول... فالإنسان كما رأينا "ذكر وأنثى" ثالثهما الظنون، والكبرباء، وفلسفة الأشياء .. سيكون الناتج والحاصل حتما .. صراع نفسي، واهتزاز اجتماعي وحياتي عام يحيل الحياة إلى جحيم .

ثم يستمر البيان .. متخدنا من التناص قاعدة .. ومن التحكم بالانزياح الدلالي وسيلة .. حتى يصل إلى قمة الوضوح البياني متمثلًا بالنتيجة والمحصلة المترتبة على ذلك . بقوله :

"أَحْسَنْ شَوْقًا سَارِيًّا فِي مَهْجُوْتِي
أَذِيْبُ أَمْسِي ذَكْرِيَّاتِي
وَأَدَتْ سَاعَاتِي وَأَيَّامِي الْعَجَافِ
فِي غَمَرَةٍ فَلَا تَطَالِ^٣"

النص القرآني واضح. أما بعد البياني فقد أخذ اتجاهها آخر، انزاح عن دلالته الأولى انزيجاً حاداً جداً.
وأد البنات = وأد الأيام.

وإذا بحثنا في أسباب وأد البنات. سنجد أنه الفقر. والخوف من الجوع والشدة، والخوف من المجهول .. والخوف من السبي والعار ..

ووأد الأيام عند الشاعر يأتي بذات بعد البياني.. ولكن بانزياح دلالي.. وأد الأيام لأنها عجاف.. فارغة.. بلا قيمة ولا وزن ولا أمل ولا حياة.

ولنوضح فكرة الانزياح الدلالي في التنصيص أكثر. دعونا نأخذ أمثلة أخرى اتخذ منها الشاعر منطلقاً لأبعاد دلالية جديدة؛ تولدت من استخدام التنصيص لتوليد معان جديدة .
وفي قصيدة روعة الأسى حيث بدأها بقوله^٤ :

"أَهْمَّهَا الْأَنْسَانُ فِي وَجْهِ حَزِينٍ"

ثم يمضي باحثنا عمما يفسر علامات الحزن في هذا الوجه، فلجأ إلى النص القرآني. مستخدماً إيهام ليولد دلالات جديدة بعد أن يحدث فيها انزيجاً حاداً عن الدلالة الأصلية لها .

^١ طعام من النار

^٢ من أسماء النار

^٣ فاروق إبراهيم مواسي، المجموعة الكاملة، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٥، ص: ٩

^٤ المصدر السابق، ص: ٥٥

وهنا تكمن روعة التنصيص .. فيقول :-

"انت يا إنسان في وجه قسيم
طلب الغفران^١ لكن بـ صوتك
عندما غنت على وجه السنين
أغنيات من لهب
آت رحما من لدنك
^٢ بعد أن عزّ الطلب ..."

وعند قراءتنا للجملة الأخيرة .. مباشرة يقفز إلى الأذهان قوله تعالى .. "ربنا آتنا من لدنك رحمة" .
أما الانزياح عن هذا المعنى الأصلي المباشر. فيبدأ بالتحديد عند قول الشاعر "بعد أن عز الطلب".
والسبب :- أن النص القرآني جاء على لسان أهل الكهف .. المؤمنين الفارين إلى الله .
أما في التنصيص.. فقد جاء على لسان إنسان العصر .. ذي الوجه القسيم .. والم رد أغنيات من لهب. ولهذا .. عز الطلب هنا. بمعنى... لا رحمة .. ولا معجزات أو كرامات تنزل على إنسان هذا العصر كما تنزلت على أهل الكهف والرقيم .

ومروراً بقصيدة "نشيد أو نشيج"^٣ نجد تناصاً أكثر شفافية... والانزياح الدلالي فيه أقل حدة؛ والبيان أكثر وضوحاً بقوله:

- "وال默 عند الإله
حتى يكون به البلاء"^٤
ويكمل ليتضح المعنى. وتنكشف الدلالة ،
- "هذى المدينة والوبا .
أنقضها تتعنى
وتصلى في الحما
فتكت بهم رسول الظماء"

ويختتمها بقوله :-

- "يا للنبا ...
إنا أضعنا المتكا ...
" ويمكرون ويمكر الله .. والله خير الماكرين".^١

^١ المغفرة

^٢ فاروق إبراهيم موسى، المجموعة الكاملة، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٥، ص: ٥٦

^٣ نشيد أو نشيج قصيدة من ديوان في انتظار القطار

^٤ المصدر السابق، ص: ٢١

هذا هو البيان الإلهي الواضح الدلالة والمعنى، ولكننا إذا تأملنا بما صاغه الشاعر؛ نجده قد انزع عن هذا المعنى تدريجياً .. ليصبح مكر الله بلاء .. اختباراً .. ونتائجـه هي البيان المترتب عليه... والوباء.. الخراب .. الأنفاس التي تعني كل شيء... كل أنواع الحياة .. وتصلى في الحما .. (الحـما المسنون) وهـل من رسالة تصدر عن كل ذلك ؟ نعم .. إنه الظـمـا .. ظـمـا روحـي وجـسـدي .. ويـقـى بـعـد ذـلـك "الـبـأـ" - (عم يتسـأـلـون عن النـبـأـ العـظـيمـ الـذـي هـمـ فـيـهـ مـخـتـلـفـونـ).^١ والـجـوابـ : (إـنـاـ أـضـعـنـاـ الـمـتـكـاـ)ـ أـضـعـنـاـ الـرـاحـةـ .. أـضـعـنـاـ الـاسـتـقـرـارـ = (مـتـكـئـينـ فـيـهـ أـلـأـرـائـكـ لـاـ يـرـوـنـ فـيـهـ شـمـسـاـ وـلـاـ زـمـهـرـيـاـ).^٢
أما في قصيدة "مرثية حـظـ عـاثـرـ" فـتـعـانـقـ جـمـلـ التـنـاصـ وـبـيـانـاتـهـ لـتـشـكـلـ انـزـيـاحـاـ دـلـالـيـاـ كـبـيرـاـ .. إـذـ يـبـدـأـ الشـاعـرـ قـصـيـدـتـهـ بـقـوـلـهـ :

- يخفى السرله سرا
في كهف^٣ الأسر الطاعن
أرسم قوسا
يبقى درسا
ذكر إن نفعت ذكري^٤

فـإـذـ تـأـمـلـنـاـ النـصـ هـنـاـ يـتـضـعـ لـنـاـ أـنـ التـنـصـيـصـ جـاءـ مـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (فـذـكـرـ إـنـ نـفـعـتـ الذـكـرـ)
وـدـلـالـتـمـاـ فـيـ الـقـرـآنـ مـعـرـوفـةـ.ـ وـلـكـ مـاـ الـدـلـالـةـ الـتـيـ اـرـتـآـهـ الشـاعـرـ وـمـاـ الـبـيـانـ الـمـرـتـبـ بـهـ بـعـدـ انـزـيـاحـهـ
عـنـ معـنـاهـاـ الـأـصـلـيـ .ـ

لـبـيـانـ ذـلـكـ ... نـعـودـ إـلـىـ الـبـداـيـةـ :-

يـخفـيـ السـرـلـهـ سـرـاـ = (فـإـنـهـ يـعـلـمـ السـرـوـأـخـفـيـ)^٥
فـيـ كـهـفـ الأـسـرـ الطـاعـنـ = الأـسـرـ مـكـانـ لـاـ أـسـرـارـ فـيـهـ مـنـ هـوـ فـيـ دـاخـلـهـ لـذـلـكـ فـهـوـ طـاعـنـ .. قـاتـلـ .. آـسـرـ
الأـرـواـحـ وـالـنـفـوسـ فـيـ كـهـفـ الـخـلـافـاتـ .ـ
أـرـسـمـ قـوـسـاـ .. تـرـمـزـ إـلـىـ أـلـوـانـ قـوـسـ قـنـجـ .. إـلـىـ التـلـونـ
"فـذـكـرـ إـنـ نـفـعـتـ الذـكـرـ"^٦

هذه النماذج وغيرها كثير تدل على تأثير الانزياح الدلالي لخاصية التنصيص من التأثير القرآني في شعر د.فاروق مواسي.. وبالتالي فإن إثراء النص ورفده بالقرآن وبالتراث من أهم مميزات الأسلوب

^١ سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

^٢ سورة النبأ، الآية: ٣-١.

^٣ سورة الإنسان، الآية: ١٣.

^٤ من قصة سورة الكهف

^٥ فاروق إبراهيم مواسي، المجموعة الكاملة، مكتبة كل شيء، حيفا، ٢٠٠٥، ص: ٣١.

^٦ سورة طه، الآية: ٧.

^٧ سورة الأعلی، الآية: ٩.

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

لدى مواسي، فهو الذي حفظ القرآن في مطلع شبابه يجد الأصداء القرآنية ماثلة في نسيج شعره وفي لحمة المبني.

المصادر والمراجع

- سليمان نزال،أصوات وأصداء (دراسات في أدب فاروق مواسي) دائرة الثقافة العربية،مطبعة الحكيم،الناصرة،.م ٢٠٠٧
- فاروق إبراهيم مواسي،المجموعة الكاملة،مكتبة كل شيء،حيفا،٢٠٠٥
- فاروق مواسي،أقواس من سيرتي الذاتية،ط ٢ ،مزيدة ومنقحة،طولكرم،مطبعة ابن خلدون،طولكرم،٢٠١١ م
- <http://faruqmawasi.com>

الأدب من وجهة نظر القرآن الكريم

د/ يوسف محمد الندوي^١

الملخص

والقرآن الكريم كتاب الله الأزلي الذي تحدث به الأمة البشرية قاطبة أنزله جل وعز لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الطغيان إلى خير الإيمان، وهو يرشد الأمة الإنسانية في كل مجال من مجالات الحياة، وله نظرية خاصة في جميع المواضيع التي يدخل إليها الإنسان في طيلة حياته، أما نظرية القرآن الكريم إلى الأدب والفن واضحة كل الوضوح في الآيات القرآنية الكريمة من سورة الشعرا (وَالشُّعْرَاءُ يَبِعُّهُمُ الْغَاوُونَ ٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) وهي الأدب الذي يتضمن الخير والصلاح والتهديب ويحترم مكارم الأخلاق والأفكار ويبحث للعمل الصالح هو أدب يكرمه القرآن ويشجعه، والأدب الذي يحمل الشر والبغى ويقود إلى الفسق والفساد والمجون وينهض الأعراض الإنسانية هو أدب يرفضه القرآن ويحارب عليه.

التمهيد

الأدب أكبر وسيلة من وسائل الإعلام التي ظهرت على ظهر الأرض يتبادل به الإنسان تجاربه الشعورية والإنطباعات العاطفية والحقائق العلمية فقد لعب في ماضيه دوراً كبيراً في أدوار المجتمعات المتنوعة بين الحركات السياسية المختلفة والدعوات الدينية العالمية المتنوعة والتيارات الفكرية المادية المتعددة، أما القرآن الكريم هو كتاب عقيدة وهداية وكتاب دعوة وإرشاد رغم ذلك وهو أكبر مصدر أدبي في دنيا الأدب. والعصر الذي نزل فيه القرآن الكريم كان عصر القمة والكمال والنضج للأدب العربي في طوال التاريخ، نزل القرآن في هذا العصر مرتفعاً راية الأدب والفن ومتسللاً رجال الأدب المعاصرين كلهم ومتحدياً جميع أصقاع العرب وأدبائهم لإتيان مثل القرآن في أدبه وفي فنه وفي مضمونه، إن تلك التحديات القرآنية القوية تبقى في التاريخ العالمي إلى أيامنا هذه التي نعيش فيها الآن تحديات ثم تحديات لم يستجب لها أحد من العرب والعجم حتى الأمة الإنسانية كلها، والعلمون أجمعون هبتوا أمام هذه التحديات الأدبية القرآنية الخالدة.

التحديات القرآنية الأدبية

^١ أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية دار الأيتام، موتو، ويناد

^٢ سورة الشعرا، الآية: ٢٢٧-٢٢٤

- يقول الله عز وجل : قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَاهِرًا^١
- أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^٢
- وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَرَكْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شَهَادَاتِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^٣ (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأَنَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْجِحَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ)

إن هذه التحديات القرآنية تحتوي على جميع محتويات القرآن من نواحي المضمون والموضوع والأسلوب، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الأخيرة : فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضاً، وهذا وهم أفسح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروربه، لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشرية من الكلام الفصيح البليغ، الوجيز، المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة والمحكمة^٤

يقول الإمام القرطبي : هذا مع كونهم أرباب البلاغة واللحن، وعنهما تؤخذ الفصاحة والألسن فبلغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإياز والبيان، بل تجاوزت حد الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباء والزيادة^٥. يقول صاحب تفسير البحر المحيط والمراد بـ "من مثله" في حسن النظم ، وبديع الرصف ، وعجب السرد ، وغرابة الأسلوب وإيجازه وإتقان معانيه^٦ يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية ، مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر، والمبالغة في حفظ الواقع والأيام، لا سيما عند المظاهرة والتعاون ، ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به وداعي الأمر به^٧.

^١ سورة الإسراء، الآية: ٨٨

^٢ سورة هود، الآية: ١٣

^٣ سورة البقرة، الآية: ٢٤-٢٣

^٤ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، مصر، ٢٠٠٨، ص: ٢٠/١

^٥ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تفسير القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠١٠، ص: ٧٧/١

^٦ أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حبان، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ٢٢/١، هـ، ص: ١٤٢٠

^٧ أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص: ٨٣/١

إن للقرآن الكريم نظرة كاملة صريحة إلى الأدب والفن وهو يأخذ من الأدب والفن ما صلح ويشجعه، ويرفض ما قبح ويحارب عليه. هذا الموقف نفسه كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم، هذان المنهجان الكبيران - موقف القرآن وموقف النبي صلى الله عليه وسلم - هما الأساسان للأدب الإسلامي أو الفن الإسلامي.

الأدب من وجهة نظر القرآن

والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَتَقَبَّلُونَ (٢٢٧)

إن هذه الآية الكريمة نظرة كاملة للأدب من وجهة نظر الإسلام. والقرآن هناك أولًا يهاجم الأدب ورجاليه ويحاربه ويرفضه، هو الذي أدب يسوقه الشعراه الذين يتبعون الغاوون وهم يمدون في كل أودية شيطانية ويقولون ما لا يفعلون إن هذا النوع من الأدب لا يعترفه القرآن والإسلام. أما القرآن الكريم استثنى من هؤلاء الشعراء المذكورين الشعراء والأدباء المسلمين الذين يسوقون الأدب في سبيل الخير والصلاح وهم مؤمنون بالله واليوم الآخر وعاملون الصالحات وذاكرون الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا هذا النوع من الأدب نستطيع أن نعبره بالأدب الإسلامي أو الفن الإسلامي.

ذمُّ الأدب ويرفضه

١. والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦)

دراسة هذه الآيات الكريمة إن الإسلام يحارب نوعاً من الشعر والأدب الذي يتنافى الحق والعدل والصدق وينهض مكارم الأخلاق وكرامة الإنسان ويهاجم الإسلام رجاله، ويتبخ الهوى والأوهام، ويقلد خطوات الشيطان والشهوات كما كانت الحال للشعر الجاهلي. ولتفصيل القول نقرأ هذه الآيات مع بعض كبار المفسرين للقرآن الكريم لكي نقف حق المعرفة في فهم الآيات. يقول الأستاذ سيد قطب: ولقد كانوا يقولون عن القرآن أحياناً : إنه شعر ، ويقولون عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه شاعر . وهم في حيرتهم كيف يواجهون هذا القول الذي لا يعرفون له نظيراً ، والذي يدخل إلى قلوب الناس ، ويهز مشاعرهم ، ويعلهم على إرادتهم من حيث لا يملكون له رداً .

فجاء القرآن بين لهم في هذه السورة أن منهج محمد صلى الله عليه وسلم ومنهج القرآن غير منهج الشعراء ومنهج الشعر أصلاً. فإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح، ويدعو إلى غاية محددة، ويسير في طريق مستقيم إلى هذه الغاية . والرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول اليوم قولهً ينقضه

^١ سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧-٢٢٤

غداً، ولا يتبع أهواه وانفعالات متقلبة؛ إنما يصر على دعوة ، ويثبت على عقيدة، ويدأب على منهج لا عوج فيه. والشعراء ليسوا كذلك. الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة. تحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيما كانت. ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود. وفي لحظة أبيض. يرضون فيقولون قولاً، ويستخطون في يقولون قولاً آخر. ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال! هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها، ويتخيلون أفعالاً ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتآثرون بها. فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء، لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون عليه!

وليس كذلك صاحب الدعوة المحددة، الذي يريد تحقيقها في عالم الواقع ودنيا الناس. فلصاحب الدعوة هدف، وله منهج، وله طريق. وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين، مفتوح القلب، يقطع العقل: لا يرضى بالوهם، ولا يعيش بالرؤى، ولا يقنع بالأحلام، حتى تصبح واقعاً في عالم الناس. فمنهج الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهج الشعراء مختلفان ، ولا شبهة هناك، فالأمر واضح صريح **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُونَ الْعَأْوُونَ** () **أَلَمْ تَرَ أَهْمُمْ فِي كُلِّ وَادٍ هَبِيمُونَ** () **وَأَهْمُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ** () فهم يتبعون المزاج والهوى ومن ثم يتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى، الذين لا منهج لهم ولا هدف. وهم هبيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول ، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات.

وهم يقولون مالا يفعلون. لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم، يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم! ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها ، لأنهم عاشهوا في تلك العوالم الموهومة، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة..... والإسلام يحب للناس أن يواجهوا حقائق الواقع ولا يهربوا منها إلى الخيال المهوّم. فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم، ولا تتفق مع منهجه الذي يأخذهم به، دفعهم إلى تغييرها، وتحقيق المنهج الذي يريد. ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقية للأحلام المهوّمة الطائرة. فالإسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة، وفق منهجه الضخم العظيم.

ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ. إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن. منهج الأهواه والانفعالات التي لا ضابط لها؛ ومنهج الأحلام المهوّمة التي تشغّل أصحابها عن تحقيقها. فاما حين تستقر الروح على منهج الإسلام، وتتنضح بتأثيراتها الإسلامية شعراً وفننا؛ وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع؛ ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها، وتدعّع واقع الحياة كما هو مشوهاً متخلقاً قبيحاً!^١

يقول الإمام الطبرى رحمه الله :

^١ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة ٢٥، ١٩٩٦ م - ١٤١٧ هـ، ص: ٣٦٧/٥

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال فيه ما قال الله جل ثناؤه: إن شعراء المشركين يتبعهم غواة الناس، ومردة الشياطين، وعصاة الجن، وذلك أن الله عز وجل بقوله: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَبَعُهُمُ الْغَاوُونَ) فلم يخصص بذلك بعض الغواة دون بعض، فذلك على جميع أصناف الغواة التي دخلت في عموم الآية. قوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمْوُنُونَ) يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أئمهم، - يعني الشعراء - في كل واد يذهبون، كالهائم على وجهه على غير قصد، بل جائرا على الحق، وطريق، الرشاد، وقصد السبيل.^١

يقول صاحب زاد المسير: هذا مثلك من يهيم في الأودية؛ والمعنى أنهم يأخذون في كل فن من لغو وكذب وغير ذلك؛ فيمدحون بباطل ، ويذمرون بباطل ، ويقولون : فعلنا ، ولم يفعلوا^٢
 // . وَمَا عَلِمْنَاهُ الشِّعْرُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرُ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (٦٩)
 /// . وَمَا هُوَ بِقُوْلٍ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤١)

إن الآية الأولى تزه النبى صلى الله عليه وسلم بأن يكون شاعرا والآية الثانية تزه القرآن الكريم بأن يكون شاعرا، أما رسالة هاتين الآيتين الكريمتين ليست هجوما على فن الشعر ووظيفة الشاعر، بل هي ازالة الشك عن القرآن من أنه شعر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أنه شاعر ذلك حينما كما وصف القرishi وقت نزل القرآن الكريم بما استحوذ العرب قاطبة بسحره البلاغي وتأثروا بتأثيره الرفيع البيني وتحيزوا أمام أدبيته ! ودهشو به ! وسجدوا نحو البلاغة القرآنية المعجزة حتى صناديد قريش.

هذا هو وليد بن المغيرة من رؤساء قريش، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكانه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عَمْ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمدا تتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قوله يعلم قومك أَنَّكَ مُنْكِرٌ لِمَا قَالَ، وَأَنَّكَ كَارِهٌ لَهُ؛ قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار معي، ولا أعلم برجزه معي، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، والله إن لقوله لحلوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضي قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فَكَرَ قال: هذا سحر يأثره عن غيره.^٣

^١ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملاني، أبو جعفر الطبرى، جامع البيان فى تأویل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٠، ٧٨٩/٩.

^٢ ابن الجوزى ، زاد المسير فى علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ، ص: ٥/١٤٥.

^٣ سورة يس، الآية: ٦٩

^٤ سورة الحاقة، الآية: ٤٣-٤٠.

^٥ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملاني، أبو جعفر الطبرى، جامع البيان فى تأویل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٠، ص:

٢٤/٢٤

إن هذه الفترة لتأثير القرآن الكريم، كثُرَّ فيها رجال قريش يلجأون لسماع القرآن حباً وشوقاً في بلاغته حرصاً وشغفاً في روعته وقادوا يطلبون الحفلات القرآنية لسماعه والروي من موسيقار، حتى تحرّر زعماء قريش بهذا التيار التأثيري البياني للقرآن الكريم وزادوا حيراناً وخافوا رعباً وزللوا زلزالاً فبدأوا هاجمون القرآن وقالوا عنه:

إنه أضفاث أحلام....

إفتراء

أساطير الأولين..... بل هو شعر.....

سحر مبين

يقول القرآن عن هذه الأقوال : بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلَيَأْتِنَا بِأَيِّهٖ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ (٥) ١. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) ٢ فَلَمَّا جَاءُهُمْ أَيَّاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) ٣

هذه المكانة الأدبية الرفيعة للقرآن العظيم وهو يشجع شعر الخير وفن الصالح ولا يحارب الشعر والفن لذاته كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ. إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر والفن في العصر الجاهلي - منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ومنهج الأحلام الموهومة.

مدح الأدب وتشجيعه

١. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧) ٤

٢. أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيْبَةً كَشَجَرَةً طَيْبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) ٥ تُؤْتَيِ الْأَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبَّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْمَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ٦

٣. وَمَنْ أَخْسَنَ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّمَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) ٧

هذه الآيات الكريمة تخطو لنا خطوة واضحة للأدب الذي يقبله القرآن الكريم ويشجعه، ذلك أدب جميل في اللفظ والمعنى وأدب ظاهر صادق في الصورة والسيرة وأدب يراعي مكارم الأخلاق والأعمال وأدب يعزل الفواحش والفسق ويحارب عليه وأدب لا ينفض الأعراض الإنسانية وأدب لا يهيمون رجالهم في كل وادٍ وبئر وهو أدب هادف في الدعوة ونشر الخير، هذا النوع من الأدب يشجعه

^١ سورة الأنبياء، الآية: ٥

^٢ سورة النحل، الآية: ٢٤

^٣ سورة النمل، الآية: ١٣

^٤ سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧

^٥ سورة إبراهيم، الآية: ٢٦-٢٥

^٦ سورة فصلت، الآية: ٣٣

القرآن الكريم ويكرمه ويوعد لرجاله جزاءاً جزيلاً في اليوم الآخرة (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^١ ولتفصيل المعنى نقرأ الآيات مع كبار المفسرين للقرآن الكريم لما نزلت: (وَالشُّعَرَاءُ يَتَبَعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: جاء حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم ي يكونون، فقالوا: قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء، فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَأَنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلِبٍ يَنْقَلِبُونَ).^٢

قال ابن عباس: لما نزل ذمُّ الشعراء ، جاء كعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وحسان بن ثابت ، فقالوا : يا رسول الله ، أنزل الله هذا وهو يعلم أنت شعراء ، فنزلت هذه الآية . قال المفسرون : وهذا الاستثناء لشعراء المسلمين الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمموا من هجاه ، (وذكروا الله كثيراً { أي : لم يأشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم . وقال ابن زيد : وذكروا الله في شعرهم . وقيل : المراد بالذكر: الشّعر في طاعة الله عزوجل .^٣

يقول الإمام الزمخشري : استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكررون ذكر الله وتلاوة القرآن ، وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر ، وإذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه ، والحكمة والمعونة ، والزهد والأداب الحسنة ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلاحاء الأمة ، وما لا يأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة ، وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم^٤

يقول صاحب روح المعاني : استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكررون ذكر الله عزوجل ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله سبحانه وتعالى والبحث على الطاعة والحكمة والمعونة والزهد في الدنيا والترهيب عن الركون إليها والاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية والرغبة فيما عند الله تعالى ونشر محسناته صلى الله عليه وسلم ومدحه وذكر معجزاته ليتغلغل حبه في سوبياء قلوب السامعين وتزداد رغباتهم في اتباعه ونشر مدائنه آله وأصحابه وصلاحه أمتة نحو ذلك ولو وقع منهم في بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هاجهم من غير اعتداء ولا زيادة كما يشير إليه قراءة بعضهم^٥

^١ سورة الزينة، الآية: ٨-٧.

^٢ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الهمي، أبو جعفر الطبرى، جامع البيان فى تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠١٠، ص: ٢٤.

^٣ ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ص: ١٤/٥.

^٤ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، مصر، ٢٠٠٦، ص: ٥٤/٥.

^٥ شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الأولوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ، ص: ٥٤.

وخلاصة هذه الدراسة المتواضعة رأينا هناك من الأدب قسمين متميزين إحداهما: أدب طاهر يقوم لنشر الأغراض الإنسانية والأهداف الخيرية والأخلاق النبيلة. هو الأدب الذي يقبله القرآن ويشجعه، وثانيها: ما عدah من أدب يثير الشهوة ويصف الصورة والفراش وينهض مروءة الإنسانية ويدعو إلى الفسق والفحش ويعيش في عالم الأهواء والأوهام إنما هو أدب يرفضه القرآن ويحارب عليه.

المصدر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ
- أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ٢٠١٠ م
- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الكشاف عن حفائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار إحياء التراث العربي ، مصر ، ٢٠٠٦ هـ
- أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان ، تفسير البحر المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، تفسير القرطبي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ
- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٥٩٩٦ م - ١٤١٧ هـ
- شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسني الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٥ هـ
- محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الهمي ، أبو جعفر الطبرى ، جامع البيان في تأويل القرآن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠١٠ م

النسوية في وجهة الاسلام

السيدة سفيينة. أى. كى^١

د/ كى. علي نوبل^٢

الملخص

المرأة في العصر الجاهلي كانت تدس في التراب بسبب الإهانة والعار في ولادتها، ومنعها كل حقوق وواجبات، ولم تكن للمرأة قيمة ولا مكانة. لأن المجتمع كان يعتقد أنها خلقت لخدمة الرجال. لعبة في يد الرجل وخدمة له مع اهمال حقوقها. ولكن الإسلام رفعها ومنحها حقوقها مثل حق الحياة وغيرها . اليوم تطورت المرأة تطورا حسنا في كل مجال حتى السياسية. الإسلام حد للإنسان حدودا، سواء كان رجل ومرأة ولذا حرام على مسلم أن يتتجاوز هذا الحد، لأنه لقد كرم بني آدم.

لقد تكلم القرآن والسنة عن حال المرأة قبل بزوغ شمس الإسلام. تذكيرا للنساء بمنتهي الحرية من قيود النذل والإهانة . قال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِيلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَبِيرٌ"^٣ فقد خلق الله هذا الكون البشري من ذكر وأنثى وجعله شعوبا للتعرف بينهم، قدر الإسلام متساوية بين الرجل والمرأة لأنها حياة المرأة بلا رجل وحياة الرجل بلا مرأة حياة نك وشقاء ووحشة وضياع فسعادة كل واحد منها (بعد تقوى الله عزوجل) بوجود الآخر بجانبه. وقد حرر الإسلام المرأة من استغلال الجahلية ، ورفع من شأنها وأكرمتها بالأحكام التي وردت في القرآن والسنة . ولكن لا يمكن أن نفهم حال المرأة الإسلامية إلا بعد فهم حال المرأة في الجahلية وغيرها.

المرأة في الجahلية

كانت المرأة في الجahلية تعد من الشيء المطاع لا تقام لها قيمة ولا مكانة كمتعة مثل الأموال والبهائم ويتصرفون فيها كيفما شاؤوا. لقد أبغض العرب البنات ، وكان أحدهم إذا بشر بمولود أنثى يظهر على وجهه الكآبة والحزن. ثم يفكر في مصير تلك الأنثى أيمسكه على هون أم يدسه في التراب. قال تعالى : "إِذَا بَشَرَ أَحَدُهُمْ بِالأنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مَسُودًا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بَشَرَ بِهِ أَيْمَسَكَهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسَهُ فِي التَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ"^٤. بين القرآن أن الجahلين كانوا ينظرون أن مولود الأنثى إنهم عوار وإهانة في المجتمع والأسرة.

لقد حرم الجahليون المرأة حقها في الحياة انسانيا، فقتلوها وكذلك يئدون بناتهم أحياي أي تدفن البنت حية في التراب حتى تموت بدون رحمة ورأفة، السبب يرجع إلى العار والإهانة والنذل في

^١ باحثة، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

^٢ مشرف البحث والرئيس، قسم دراسات الماجستير والبحوث في اللغة العربية وأدابها، كلية فاروق، كيرلا

^٣ سورة الحجرات، الآية: ١٣

^٤ سورة النحل، الآية: ٥٨، ٥٩

المجتمع الجاهلي حتى أصبحت وأد البنات أمرا عاريا في ذلك المجتمع العربي . قال الله تعالى (وإذا المؤودة سئلت، بأي ذنب قتلت) ^١ وأد البنات عندهم كان أمرا طعينا في الجاهلية.

وكذلك لم يكن للمرأة حق في الإرث، وكانوا يرون المرأة أن ليس لها حق في الإرث وكانوا يقولون: لا يرثنا إلا من يحمل السيف ويحمي البيضة وكان العرب إذا مات الرجل وله زوجة وأولاد من غيرها كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيرها فهو يعتبرها إرثا كبقية أموال أبيه فأن لم يكن فأقرب من وجد من أوليائه أبا كان أو أخا أم عما . فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان الرجل إذا مات أبوه أو عموه فهو أحق بأمراته، إن شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها أو تموت فيذهب بمالها. رواه أبو داود.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم . وكذلك بعض أهل الجاهلية لا يرون القصاص من الرجل إذا قتل المرأة ويعفونه من الدية أيضا المرأة تملك ولا تملك، ولزوجها حق التصرف بما لها إن ملك ما لها بدون إذنها^٢.

وكذلك إذا حاضرت المرأة الجاهلية اعتزلت قومها في خباء أو في موضع خاص بها، حتى تنقض حيضتها، فلا يلتج عليها أحد ولا تلتج على أحد، ولا تطبخ الطعام لأحد، ولا تستعمل يديها في شيء، فهذا خير دليل إلى قبح معاملات العربي مع المرأة في العصر الجاهلي.

وإذا مات الزوج علمها عدة سنة كاملة وإضافة إلى هذا وترك الزينة حملوا علمها شر الملابس والغرفة والطيب والطهارة، فلا تمس ماء ولا تقلم ظفرا ولا تزيل شعرا ولا تبدو للناس في مجتمعهم.

وكذلك كان فيهم زواج الزيجات القبيحة

أنواع من الزيجات الفاسدة

أما الزواج عند أهل الجاهلية فشيء يدعوه إلى الغرابة والتعجب منها :-

زواج المقت

كان ينكح الولد إمرأة أبيه. أي إذا مات الأب يقوم أكبر أولاده بالقاء عبائته امرأة أبيه فيirth نكاحها. وإن لم يكن لها فمه حاجة يزوجها بعض إخوانه بمهر جديد. وإن شاء الأبناء زوجها من رغبوا فيه وأخذوا صداقها. وإن شاءوا لم يزوجوها مطلقا، ويحبسونها حتى تموت ليرونهما أو تفتدي نفسها.

^١ سورة التكوير، الآية: ٩

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، سوريا، ١٩٩٣ م، رقم الحديث (٤٦٢٩)

زواج الاستبضاع

الاستبضاع أن تنكح الزوجة من قبل رجل آخر بموافقة زوجها . ولايمسها زوج حتى يتبين حملها من ذلك الرجل. ويحدث الإستبضاع رغبة في صفات الرجل الآخر من شجاعة وفروسيّة وحكمة وقيادة. فإن ضاجعت الزوجة فارسياً شهيراً سمي ذلك الإستبضاع بالإستفحال بمعنى صفات الفحولة.

زواج الرهط

وفي هذا النكاح يدخل على إمرأة واحدة عدة رجال فيضاجعها كل منهم، وان حملت ووضعت مولودها، أرسلت إليهم فلم يستطع رجل أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها تقول لهم: قد عرفهم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمى من أحبت باسمه فليلحق به ولدتها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل.

زواج المتعة

زواج المتعة أو زواج موقت هو إلى أجل لا ميراث فيه للزوجة، والفرقة تقع عند إنقضاء الأجل.

زواج الشعار

هو نوع من الزواج كان منتشرًا في الجاهلية وهو أن يزوج الرجل ولاته (ابنته أو اخته) على أن يزوجه الآخر ولاته ليس بينهما صداق لا مهر.

زواج البدل

يتم بتنازل رجلين عن زوجتهما كل واحد للأخر أي يتبدل نساء برغبة الطرفين .

زواج السفاح

هو زواج الرجل من إمرأة بغير عقد متعارف عليه .

زواج الإكفاح

هو عدم تزويع المرأة العربية من الأعمى. شاع في الجاهلية وعمل به الأمويون حتى أبطله عمر بن العزيز رضي الله عنه.

فتبيين مما سبق أن المجتمع الجاهلي قد سادت أنواع مختلفة من الزواج، منها ما يفر منه المثقف المتدين. وكذلك كانت تواجه مشقات وذلة في عصور متالية أيضًا
المرأة في الحضارات والأديان السابقة

إذا التفتنا النظر إلى حال الجاهلية القديمة فنرى كيف كانت تنظر إلى المرأة، هل هي نظرة احترام وتقدير أم نظرة اشمئizar واحتقار؟ نفهم من صفحات الأمم السابقة من كلامهم عن المرأة ويجردون المرأة من جميع حقوقها الإنسانية. قال شيخ المؤرخين هيرودوت: "إن علاقات الرجل مع المرأة

كانت متزوجة إلى الصدفة ولا تفرق عما يشاهد بين الأئم و كان الشأن اذا ولدت المرأة ولدا أن يجتمع القوم متى وصل الولد الى سن البلوغ وينسبوه إلى أشبه الناس به^١

المرأة عند الإغريق

فقد كانت المرأة عندهم حقيقة مهينة، حتى إنهم يعدونها رجسا من عمل الشيطان، وكانت عندهم كملتاع فتباع وتشترى في الأسواق. قال سقراط: إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والإنهيار في العالم. إن المرأة تشبه شجرة مسمومة حيث يكون ظاهرها جميلا ، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حالا.

المرأة عند الرمان

كان شعراهم فيما يتعلق بالمرأة: "إن قيدها لا ينزع، ونيرها لا يخلع ". ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر - وهو مما لا يكاد يصدق - أن " مما لاقته المرأة في العصور الرمانية تحت شعراهم المعروف (ليس للمرأة روح) تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدنها، وربطها بالأعمدة، بل كانوا يربطون البريئات بذيلو الخيول، ويسرعون بها إلى أقصى سرعة حتى تموت")

المرأة عند الصينيين

تشبه المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التي تغسل السعادة والمال، ولصيني الحق في أن يبيع زوجته كالجارحة، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كثرة تورث، ولصيني الحق أن يدفن زوجته حية!.^٢

المرأة عند الهندو

في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر والريح والموت والحجم والسم والأفاعي والنار أسوأ من المرأة وذكر الدكتور مصطفى السباعي في كتابه " المرأة بين الفقه والقانون". أن المرأة لم يكن لها في الحياة بعد وفاة زوجها، بل يجب أن تموت زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهندو، وكانت تقدم قربانا للآلهة لترضى ، أو تأمر بالملطأ أو الرزق وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة.

المرأة عند الفرس

أبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والحالات وبنات الأخ وبنات الأخت، وكانت الأنثى في فترة الطمث إلى مكان بعيد خارج المدينة، ولا يجوز لأحد مخالفتها إلا خدام الذين يقدمون لها

^١ قاسم أمين، تحرير المرأة، دار الكتب المصرية، لبنان، ١٨٩٩، ص: ٣

^٢ المصدر السابق، ص : ٢٠

الطعام، وفضلاً عن هذا كله فقد كانت المرأة الفارسية تحت سلطة الرجل المطلق، يحق له أن يحكم عليها بالموت، أو ينعم عليها بالحياة.

المرأة عند اليهود

روى مسلم في صحيحه (في باب جواز غسل الحائض رأس زوجها) عن أنس بن ملك رضي الله عنه (أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فهم لم يؤاكلها ولم يجامعوها في البيوت).

وعند اليهود في ديانتهم المحرفة: إن المرأة في المحيض نجسة، تحبس في البيت، وكل ما يفعله الرجل من أعمال لا أخلاقية قائمة على المرأة.

كما كان ينظر إليها على أنها في مرتبة الخدمة، ولأبيها الحق في بيعها، وإعتبروها لعنة، لأنها سبب خروج آدم من الجنة عندما أخوته بزعمهم.

المرأة عند الفرنسيين

عقد الفرنسيون في عام ٥٨٦ م مؤتمراً للبحث: هل تعد المرأة إنسان أم غير إنسان؟ وهل لها روح أم ليست لها روح؟ وإذا كانت لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روح إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيراً "قرر أنها إنسان، ولكن خلقت لخدمة الرجل فحسب".

ومن أساسيات النصرانية المحرفة التنفير من المرأة وإن كانت زوجة وإحتقار الصلة الزوجية وترذيلها وإن كانت حلالاً، حتى بالنسبة لغير الرهبان، يقول أحد رجال الكنيسة (بونافتور) الملقب بالقديس: إذا رأيتم إمراة، فلا تحبسوها أنكم ترون كائناً بشرياً، بل ولكن وحشياً، وإنما الذي ترون هو الشيطان بذاته والذي تسمعون به هو صغير الثعبان.

قال رشيد الرضي:^١ من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف انكلترا في هذه الأيام أنه لا يزال يوجد في بلاد الأرياف الانكليزية رجال يبعون نسائهم بثمن بخس جداً كثلاثين شلنًا.

فواضح مما ناقشنا أعلاه..... أن المرأة كانت تتتعاقب عليها العقوبات حتى من قبل أصحاب الأديان المختلفة وأصحاب الحضارات والثقافات المختلفة قبل الإسلام. فلما أشرقت شمس الإسلام في أفق العالم بدل حالات المرأة في كل مجالها.

المرأة في الإسلام

أرسل الله محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم بنور الإسلام ومنقذ الناس. جاء رسول إلى الجاهلية وهم كانوا في حفرة الضلال. رفعهم رسول صلى الله عليه وسلم إلى البر والسلام عامة ومنح الحقوق كلهم خاصة للمرأة. دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى نور الإسلام وإلى أشعة السلام من ظلمات الجاهلية مهلاً مهلاً.

^١ رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص: ٢٠

إن الإسلام غير حياتهم كلها وبديل أرواحهم كما حدثت الثورة في حياتهم العامة، حيث تركوا تقاليد الجاهلية وتمسكوا بتعاليم الإسلام، واعتنى الإسلام بالصلاح المجتمع فقام بدور كبير في إنعماز المرأة من البيئة الفاسدة ولإيمان حقوقها الطبيعية. لأن الإسلام دين الحق والعدل والمساوات، ما كانت للمرأة أياً من المشاكل كالتي تواجهها اليوم وليس لها ظلم في الإسلام وهي تعتبر كنصف الأمة. منح الإسلام المرأة جميع الحقوق التي كانت قد حرمت منها في العصر الجاهلي ولم يفرق بين المرأة والرجل أبداً من الحقوق، فالإسلام نادى بانصاف المرأة وضمان حقوقها والدفاع عن شخصيتها وحمايتها ورفع مستوى المرأة المعنوي والقانوني والأدبي .

هكذا حرم الإسلام عملية الجاهلية وكراهيتهم جنس الإناث مثل وأد البنات قال الله تعالى في القرآن الكريم: "إِذَا مَوْتُوْدَةَ سَلَتْ - بِأَيْ ذَنْبٍ قَتَلَتْ "حفظ القرآن مروئتها. وكذلك فريق منهم يقتلون أولادهم مطلقاً، خشية إِملاق قال تعالى (لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ)^١ نهى رسول الله عليه وسلم القتال سواء كان بنتاً أو ولداً . منح الإسلام للمرأة حق الحياة كالرجل في كل معنى .

رفع الإسلام منزلة المرأة مقارنة بالرجل إذا نادى وبحرف واحد على لسان رسول صلى الله عليه وسلم "الجنة تحت أقدام الأمهات" وبدأ شعرت المرأة في شكل الأم الأول مرة في التاريخ البشري، أن لها كياناً وشخصية ممتازة، بعدما كانت في أول الأمر تعتبر عالة وثقلًا على الأمة ونلاحظ أن القرآن وكتب الحديث زاخرة بالأحاديث والآيات عن حقوق المرأة وعظامها وكرامتها وتكافؤها مع الرجل ومنها على سبيل المثال ما يرون من أن رجلاً جاء إلى رسول صلى الله عليه وسلم وقال له: من أحق الناس بحسن حمايتي؟ قال أمك قال: ثم من؟ قال ثم أمك ، قال ثم من؟ قال ثم من؟ قال أبوك^٢ . وكذلك أنزل الله في القرآن آيات كثيرة في شأن المرأة، ولا سيما في سورة البقرة وسورة النساء وسورة مريم وسورة النور وسورة المجادلة وسورة المتحنة وسورة التحرير وغيرها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة"^٣ . هذا الحديث يوضح مكانة المرأة وكذلك يشير إلى أنها داعية مسؤولة عن بيت زوجها ولده.

حقوق المرأة في الإسلام

أن الإسلام منح للمرأة مكانة عظيمة لا يساووها أي دين ومنهج وطريق غير الإسلام، ولذا وقد عالت المرأة المسلمة إلى المرتبة العليا في كل طور و المجال مع ذلك قام الإسلام حولها بالقانون والأحكام المناسبة لحمايتها وترقيتها. فنرى نماذج كثيرة في تاريخ الصحابة وكن مشغولات بالأعمال المختلفة في عيشهن حتى في الحرب وإنها تستمر في هذه الأيام كما قال الله "أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينْ".^٤

^١ سورة الإسراء، الآية: ٣١

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، سوريا، ١٩٩٣ م، ص: ١٩٨٥

^٣ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، دار الخير، الدمام، ١٩٩٦، رقم: ١٨٥

^٤ سورة آل عمران، الآية: ١٣٩

المرأة انسان مثل الرجل لا تختلف عن الأعضاء ووظائفها ولا في الإحساس ولا في الفكر ولا في كل ما تقتضيه يتحقق الإنسان من حيث هو إنسان إلا بقدر ما يستدعيه اختلافهما في الصنف . منع الإسلام اكراماً للمرأة، ويكرمنها بحيث وليدة ناشئة الأم والزوجة والبنت. كان للنبي صلى الله عليه وسلم قدوة في إكرام زوجاته وبناته ومعاشرتهن بالمعروف ، سلوك تجاه المرأة لم يكن غير تعبير عن إحترامه لعقلها وتفكيرها خصوصاً وهو القائل " استوصوا النساء خيراً " وأوصى بالأم خصوصاً في الكبر والشيخوخة (وقضى ربكم ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) ^١.

وقد أقر الإسلام مساوات المرأة الإنسانية بالرجل فمنحها الحقوق . فالقرآن يقرر أن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، والمرأة داخلة في هذا العموم، وأن الله كرم بنى آدم وفضلهم على سائر الكائنات والمرأة تستحق بهذا التكريم . توضع هذه الآيات ليس بينما فرق وتميز في أحكام الشريعة سواء في اتباع الأوامر أو في اجتناب النواهي كقوله تعالى : " ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فؤلئك يدخلون الجنة .^٢ أيضاً " فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل منكم من ذكر وأنثى ".^٣

هذا التساوي في المنزلة مع الرجل ينعكس تماماً في حقوق عديدة أخرى، يمكن ايرادها بايجاز وهي على الوجه الآتي . وكذلك منع الإسلام للمرأة حق لاختيار زوجها، وهي حرية في أمر عقد الزواج . فقد روى عن عباس رضي الله عنه قال: " الآيم أحق بنفسها من ولها، والبكر تستاذن في نفسها، وإذها صمتها"^٤ . ولكن في الجاهلية شأن عقد زواج المرأة محتقرًا بارزاً

وبالاضافة إلى حق اختيار الزوج لم يجعل الإسلام الطلاق من حق الرجل وحده بل اعطى المرأة حق التخلص عن الزوج عن طريق الخلع والطلاق . منع الإسلام المرأة حقوقاً عديدة تأكيداً لمبدأ تمتعها بالأهلية المدنية الكاملة . فالمرأة المسلمة حق التصرف بأموالها وممتلكاتها ، ولم يفرق الجنسية في هذه الناحية الاقتصادية والاجتماعية اطلاقاً.

يجب على الرجل أن يعاشرها بالمعروف والإحسان قال تعالى : " وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً وجعل الله فيه خيراً كثيراً" (النساء) وكذلك يجب على زوجها أن يعلمها أصول الدين قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقد وقدها الناس والحجارة " (التحريم) حق المهر

المهر هي عطية ثمينة فرضها الله للمرأة ، ليكون تعبيراً عن رغبة الرجل فيه ، ليست مقابلة سيئة يجب عليها بذلك إلا الوفاء بحق الزوجية، كما أنه لا يقبل الإسقاط ، ولو رضيت المرأة إلا بعد العقد قال تعالى: " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طين لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنئاً مريئاً" (النساء)

^١ سورة الإسراء، الآية: ٢٣

^٢ سورة النساء، الآية: ١٢٤

^٣ سورة آل عمران، الآية: ١٩١

^٤ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، سوريا، ١٩٩٣ م، رقم: ١٤١٠

لا يعني هذا اعتبار المرأة سلعة تباع بل هو رمز للتكرير والإعجاز ودليل على عزم الزوج على تحمل الأعباء وأداء الحقوق.

ولم يحدد الشعـر المهر بمقدار معين لا يزيد عليه ، ومع ذلك فقد رغب الشرع في تخفيف المهر وتيسيره وقال النبي صلـى الله عليه وسلم لرجل أراد الزواج "التمس ولو خاتما من حديد" متفق عليه. والحكمة من تخفيف الصداق وعدم المغالاة فيه واضحة وهي تيسير الزواج للناس حتى لا ينصرفوا عنه فتقع مفاسد خلقية واجتماعية متعددة .

إن الزواج نعمة من نعم الله تعالى، وأية من آياته، قال الله تعالى : (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ^١ قال رسول

صلـى الله عليه وسلم إنما النساء شقائق الرجال، وجعل بين الزوجين المحبة والمودة والرحمة .

المرأة في الثواب والعقاب

لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في الثواب الذي يحصل عليه كل من يعمل صالحاً، وأعطى الإسلام للمرأة ما يناسبها من جميع الحقوق والتصерفات الشرعية ، قال تعالى: ولهم مثل الذي علمهم بالمعروف وللرجال علمهم درجة والله عزيز حكيم^٢. من مختلف أنواع المعاملات من البيع والشراء والصلاح والوكالة والعارية والوديعة إلخ. والمرأة متساوية للرجل في الأجر، والإثابة على الإيمان والعمل الصالح، وبالاستمتاع بالحياة الطيبة في الدارين، قال تعالى: من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيـنه حـيـة طـيـبة ولـنـجـيـنـهـمـ أـجـرـهـمـ بـأـحـسـنـ ماـ كـانـواـ يـعـمـلـونـ^٣.

كما ساوي الإسلام بين الرجل والمرأة في العقاب عند ارتكاب المعاصي والجرائم، قال تعالى في سورة النور "الزنانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلد" . الرجل والمرأة متساويان في القيام بتنفيذ أمر الله بخصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"^٤ .

دور المرأة في المجتمع

إن المرأة نالت مركزاً طيباً وكان لها تأثير محسوس في المجتمع. واجهـتـ جـهـادـاـ عـظـيمـاـ في نـشـرـ الـاسـلامـ. وواجهـتـ صـعـوبـاتـ كـثـيرـاـ فـهـاجـرـتـ معـ منـ هـاـجـرـاـ إـلـىـ الحـبـشـةـ صـابـرـةـ مـحـتمـلـةـ وكـذـلـكـ سـاـهـمـتـ فيـ الجـهـادـ وـفـيـ خـدـمـةـ إـلـاسـلامـ وـمـنـ أـبـرـزـ مـثـالـ عـلـىـ ذـلـكـ زـوـجـةـ الرـسـوـلـ خـدـيـجـةـ (رـ)ـ وـغـيـرـهـاـ. نـسـطـطـيـعـ أـنـ نـرـىـ

أـمـثـلـةـ كـثـيرـاـ مـنـ النـسـاءـ فـيـ عـهـدـ الرـسـوـلـ الـكـرـيمـ وـالـصـحـابـةـ الـكـرـامـ .

^١ سورة الروم، الآية : ٢١

^٢ سورة البقرة ، الآية: ٢٢٨

^٣ سورة النحل، الآية: ٩٧

^٤ سورة التوبـةـ . الآية : ٧١

هكذا رفع الاسلام مكانة المرأة فلم تعد مخلوقة مستصرفة يزدرها المجتمع بل أصبح من الحقوق ما للرجال إلا في حق واحد هو حق رياضة الأسرة، وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه كما أن الحياة الزوجية هي حياة اجتماعية وشركة تخص أخص الإنسان والأصل فيها أن تكون دائمة مدى الحياة. نعم، تستطيع المرأة في المجتمع الاسلامي أن تعمل ولكن على ان ترعى آداب الاسلام. وفي عهد عمر بن الخطاب(ر) عين في السوق "شفاء" وهي صالحة وكانت ماهرة في تطبيق القوانين الشرعية على معاملات التجار، فجعلها محبسة وعيتها، ولا حرج في هذا والاسلام أقر هذا.

ولا شك أن هناك اختلافاً حقيقياً بشأن المساواة السياسية للرجل والمرأة مع الآراء "ان الاسلام لم يجز للمرأة تولي المناصب السياسية العليا في الدولة لما في ذلك من نتائج سلبية لانه ينظر المجتمع عن الواجبات الاساسية. وعلى سبيل المثال هناك بعض النساء المثقفات اللاتي كن يعتقدن المجالس الأدبية ويتسابقن فيها مع الشعراء والأدباء والأراء والأفكار، مثل: بنت الشاطئ، زينب الغزالى، وغيرها. النساء ساهمن مساهمنا كثيرة في كل مجال راجحاً ومرجوحاً. كانت لها دور في العلمية والأدبية والثقافية الفعالية في نشر العلم والدين.

تربية المرأة

فمن مظاهر تكريم الاسلام للمرأة أنها ساوية بينها وبين الرجل في حق التعليم والتثقيف ، وأباح لها أن تحصل على ما تشاء من فروع العلم والحكمة والمعرفة في مراحلها المتعددة، وقد كان الإسلام حاسماً في وجوب تعليم المرأة كل ما يتصل بأمور دينها ودنياها كالعقائد والعبادات، ومعرفة الحال والحرام، وسائل التصرفات. وقد حدّث الرسول عليه السلام النساء على طلب العلم فقال : " طلب العلم فريضة على كل مسلم ".^١ ولم يفرق الإسلام بين المرأة والأمة في مجال التعليم. وقد نافست المرأة الرجل وزاحتها في ميدان العلم والمعرفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يحكي أن النساء اجتمعن يوماً وقلن للرسول عليه السلام : " غالبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن ". كما يحكي أن سيدة من بنى عدي تدعى (الشفاء)

كانت تجيد فن الكتابة في الجاهلية وكانت تعلم الفتيات القراءة والكتابة، وكانت حفصة بنت عمر بن الخطاب إحدى تلميذاتها التي أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجهما من الرسول عليه السلام ، وقد تابعت حفصة تعليمها على الشفاء بعد زواجهما من الرسول، وكان ذلك بأمر منه صلى الله عليه وسلم. كانت دور العلم ومعاهد المعرفة مفتوحة الأبواب أمام المرأة العربية في فجر الإسلام، وقد نبغ بفضل ذلك عدد كبير من النساء في علوم القرآن، والفقه، والحديث، كما نبغ منهن عدد غير قليل في مجال الأدب واللغة والشعر. وفي نهاية عصر فجر الإسلام وما تلاه تبوأت المرأة مكاناً اجتماعياً، سياسياً، وأدبياً مرموقاً، وشاركت في أمور الدولة وإدارة شؤونها مثل سارة بنت عمر بن عبد العزيز ، كانت محدثة

^١ أحمد بن يزيد بن ماجه، ابن ماجه، دار السلام للطباعة والنشر، المغرب، ٢٠٠١، رقم: ١٣٩٣١

وراوية، وكانت ذات دين وصلاح وقد أجازها علماء عصرها، فرويـت الكثـير من الأحادـيث، وأشار السخـاوي في كتابـه (الضـوء الـلامـع) إلى مـبلغ درـجهـا في العـلم والمـعرفـة حيثـ قال: "نزلـ أهلـ مصرـ بمـوتهاـ سنةـ ٨٥٥ـ هـ فيـ الروـاـيـة درـجـة". ومنـ هناـ تستـطـيعـ المـرأـة أنـ تـسـهـمـ بأـوـفـرـ نـصـيبـ فيـ مـحـارـبـةـ الـأـمـيـةـ الـدـيـنـيـةـ والـقـاـفـيـةـ وـالـصـحـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ فيـ الـمـجـتمـعـ بـعـامـةـ وـفيـ مـحيـطـ الـأـسـرـةـ بـخـاصـةـ. ومنـ هناـ نـرىـ اـنـتـشـارـ الـمـدـارـسـ لـتـعـلـيمـ الـمـرأـةـ فيـ مـعـظـمـ الـدـولـ وـمـسـاوـاتـهـاـ بـالـرـجـلـ فيـ حـقـ الـتـعـلـيمـ وـهـذـاـ كـلـهـ مـنـ أـجـلـ ثـقـيـفـ الـمـرأـةـ فيـ أـمـورـ دـيـنـهـاـ وـدـنـيـاهـاـ، وـلـأـنـ لـهـاـ دـورـ كـبـيرـ فـيـ تـعـتـبـرـ نـصـفـ الـمـجـتمـعـ، وـذـلـكـ لـأـنـهـاـ تـقـومـ بـتـربـيـةـ الـأـبـنـاءـ، وـصـدـقـ الشـاعـرـ حـيـثـ قـالـ:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق^١

فـهيـ الـأسـاسـ فـيـ الـمـجـتمـعـ، فـبـالـعـلـمـ تـسـلـكـ الـمـرأـةـ الـطـرـيقـ الصـحـيـ، وـيـتـرـجـمـ ذـلـكـ فـيـ أـسـلـوبـ حـيـاتـهاـ وـسـلـوكـهاـ، مـاـ يـكـنـ لـهـاـ الـأـثـرـ فـيـ تـكـوـيـنـ الـثـقـافـةـ الـتـيـ تـكـوـنـ مـرـتـبـطـةـ بـالـشـرـيـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ وـمـؤـسـسـةـ عـلـىـ الـعـقـيـدـةـ، فـعـنـدـمـاـ يـكـونـ مـعيـارـ الـثـقـافـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ هـوـ الـمـعـيـارـ الـأـمـثـلـ وـالـذـيـ هـوـ الـشـرـيـعـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ لـيـدـرـكـ الـمـرأـةـ أـنـ سـلـوكـهـ وـعـمـلـهـ هـوـ الـعـلـمـ الـوـاعـيـ الـذـيـ نـتـجـعـ عنـ شـرـيـعـةـ شـامـلـةـ لـكـلـ شـؤـونـ الـبـشـرـيـةـ فـيـمـاـ يـصـلـحـهـمـ فـيـ مـجـتمـعـهـمـ.

خلاصة القول أن المرأة هي الأساس في بناء المجتمع حيث كانت المرأة متعلمة، مثقفة، واعية بثقافتها الإسلامية، مترجمة ذلك في عملها، أصبح جيلها هو الجيل الوعي، المدبر، المفكر، وهذا الجيل هو الذي ينشئ الأمة فيصبح المجتمع مجتمعاً محبة وأمناً وسلاماً . ممثلاً ذلك في قول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ مسؤول عن رعيته، والمراة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..."

يشجع الإسلام على المرأة التعليم كرجل بغير فرق بينهما لانه قال تعالى "إقرأ باسم رب الذي خلق" لن نستطيع أن نرى فرقاً بين الرجل والمرأة في هذه الآية. أخيراً لا يمنع المرأة على التعليم ولكن شجعها الإسلام بتحصيل العلوم حتى الإمكان.

حجاب المرأة

كل من عرف التاريخ يعلم حجاب المرأة له دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة في العالم نستطيع أن نرى في كل أديان، الحجاب ليس للإسلام فقط. قال لاروس تحت كلمة خمار: " كانت نساء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن ويخفين وجههن بطرف منه، كما هو الآن عند الأمم الشرقية". وقال: ترك الدين المسيحي للنساء خمارهن وحافظ عليه عند ما دخل في البلاد ، فكن يعطين رؤوسهن

^١ الشاعر حافظ إبراهيم

^٢ محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، سوريا، ١٩٩٣، م، رقم ٨٥٣

^٣ قاسم أمين، تحرير المرأة، دار الكتب المصرية، لبنان، ١٨٩٩، ص: ٧

اذا خرجن في الطريق وفي وقت الصلاة، وكانت النساء يستعملن الخمار في القرون الوسطى خصوصا في القرن التاسع، وكان الخمار يحيط باكتاف المرأة ويجر على الأرض تقربا. هكذا تستمر قصة حجاب المرأة ولكن بعض الأمم استحسنوها وأخذوهها وبالغوا فيها والبسوها لباس الدين كسائر العادات الحضارة.

ان الاسلام يقضي بالحجاب على ما هو معروف الان. قال الله تعالى "وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَنْبَسَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبَدِّلْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلِيَضْرِبُنَّ بِخُمُرِهِنَّ وَلَا يُبَدِّلْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعْولَتِهِنَّ أَوْ أَبَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعْولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكْتُ أَيْمَانِهِنَّ أَوِ التَّابِعَيْنَ غَيْرِ أُولَئِنَّ الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهِرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبُنَّ بِأَزْجَلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ، وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَمْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (النور) توضح هذه الاية عورة المرأة، فحكم الوجه والكفين وإنها ليست بعورة معروفة عند المالكية والحنابلة. في المذهب الشافعي "نظر الوجه والكفين عند أمن الفتنة من المرأة عند المعاملة، وعند تحمل الشهادة، وتکلف كشفه عند الاداء. روی عن عائشة (ر) أنها قالت : إن اسماء بنت أبي بكر (ر) دخلت على رسول (ص) وعلمتها ثياب راقق فقال لها يا اسماء إن المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجه وكفيه. وعلى سبيل المثال نصوص القرآن وروايات الاحاديث ، وأقوال أئمة الفقه كلها واضحة جلية في أن الله أباح للمرأة كشف وجهها وكفيها، وذلك للحكم التي لا يصعب ادراكتها على كل من عقل .

قال تعالى: "يَرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَوْلَا يَرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ". ولكن يوجد اختلاف كثير بين العلماء والمفكرين في حجاب المرأة المسلمة منذ قديم. ولكن جدير بالذكر أن الاسلام حدد نظام الحياة ولا تجاوزوا هذه الحدود، كما بين القرآن والسنة. نستطيع أن نرى المرأة لبست الثوب الرذيل اللين بدون حياء ولا شريعة. قال تعال: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِلَّذِرَوَاجِلَّ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْبِّيْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يُعْرَفَنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا . توضح هذه الآيات عن لباس المرأة المسلمة وعورتها. وفي العصر الراهن أخذت حركات مختلفة في مختلف أنحاء العالم لمساندة المرأة ولتحرير حقوقها. وقد أقيمت لها تنظيمات كثيرة في العالم لحماية حقوقها وأداء الحقوق لها.

الحركات النسوية

^١ سورة الأعراف، الآية: ٢٦

^٢ سورة الأحصاف، الآية: ٥٩

تستمر التقاليد في شأن المرأة الجهمالة ، فليس للمرأةرأي في الحياة العامة وفي الأعمال ولا في السياسية وليس فضيلة وطنية لم تخرج إلا في قضاء حاجتها مع الرجال وكذلك حرم التعليم في الخارج إلا في البيت، حينئذ رفع صوت على التقاليد من العلماء مثل قاسم أمين وغيره . وكذلك رفع صوت الكاتبات مثل لطيفة الزيات وبين الحركة النسوية والحركة الإسلامية من جهة أخرى في مصر وغيرها من البلاد. ومنهن فاطمة مرنيسي ، آمنة دود ونوال سعداوي وغيرهن.

ومن الجدير بالذكر أن الحركة الأنثوية بدأت متطلباتها التي تطورت في منتصف ١٩٨٩ م - حول توسيع فرص التعليم والمساواة القانونية، وحقوق المرأة الضائعة، ولسوء أوضاع المرأة في الغرب عامة في تلك الفترة ومع تطور الثورة الصناعية في المجتمعات الغربية ، ونظرًا لحاجة المصانع لمجهود المرأة ، تبنت الحركة الأنثوية أفكارًا أكثر تحررًا وحطمت كافة القيود الأخلاقية والاجتماعية المحيطة بالمرأة ، وتبنت متطلباتها حق المرأة المطلق في ممارسة الجنس كما تشتري ، ورفض مؤسسة الزواج كما تبنت الحق المطلق في الإجهاض.

وبعدما ركبت الأنثوية موجة العولمة عمدت إلى تشويه باقي الثقافات والحضارات الأخرى فأعلنت حربا شعواء على الإسلام وأحكامه والمرأة المسلمة، ونهجت في ذلك منهاجا يقوم على التشكيك في صحة الدين، والقول بأن الفقه الإسلامي ذكوري، يسوغ سيطرة الرجل على المرأة والتأكيد على المساواة المطلقة، ونقد نظام الزواج والأسرة الإسلامية وتقديم الاجتهاد من مجتهدين غير عالمين بأحكام الإسلام مقابل تقديم الجوائز المالية والأدبية لهم، أمثال "سعداوي" ، و"مرنيسي". وفي الجملة رسم الإسلام منوال الحياة عامة وخاصة سواء كان رجل أو مرأة. للمرأة المسلمة مكانة مرموقة في الإسلام على الأديان. ولكن اتهم متهم من الغربيين والمستشرقين على الإسلام بدون معرفة الشريعة الإسلام والحكمة.

الخاتمة

أن الإسلام قد اهتم بحرية المرأة وتنميتها. وقد كسر دين الله الإسلام كل أغلال التقاليد التي كانت سائدة في المجتمع في مختلف العصور. وأعطتها شخصية عظيمة كاملة في أسرتها ومجتمعها . ومع ذلك أمر لها ببعضها من الأحكام التي تحمي من مضرات المجتمع والأعمال القبيحة قد تحدث من الأشخاص.

ولكن من الأسف أن الطاعنين في النساء المسلمة لم يلتفتوا إلى تاريخ الإسلام وقبله وأيضا إلى ما كان للمرأة في بلاد مختلفة قبل الإسلام وبعده ، ولم يكن لها حق ولا رأي في مالها وعرضها وغير ذلك في مجتمعها. حتى أن الأوروبيين بحثوا عن المرأة وتسائلوا هل هي إنسان أم حيوان. ولم يتوهوا أي تحرير في مالها وأرضها وكسبيها. تكلم الإسلام لأجلها، واعتبرها إنسانا وأعطتها مكانة عظيمة مثل الرجل. بعد عصر الجاهلية تزينت مكانتها في كل مجال الحياة، ورفع صوتها في نواحي العالم. عجبنا لأمر المرأة في هذا العصر تروي عنها عجائب ووقائع وتنصب في أماكن متعددة.

المصادر والمراجع

- أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، دار الخير، الدمام، ١٩٩٦ م
- أحمد بن يزيد بن ماجه، ابن ماجه، دار السلام للطباعة والنشر، المغرب، ٢٠٠١، ١ م
- د / ابراهيم عبد الله المزوقي، حقوق الإنسان في الإسلام، مكتبة الهدى، كاليفورنيا، ٢٠١١، ١ م
- د/ رقية طه جابر العلواني، أثر العرف في فهم النصوص (قضايا المرأة انماذجها)، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣ م
- د/ زهراوي بنت علوى ماتول، المرأة؛ دورها ومكانها في الحياة المعاصرة، قسم النشر، جامعة كاليفورنيا، ٢٠١٤، ١ م
- راشد الغنوzy، المرأة بين القرآن وواقع المسلمين، مركز المغارب للبحوث والترجمة، لندن، ٢٠٠٠ م
- رشيد رضا، حقوق النساء في الإسلام، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ١ م
- شاه نواز محمد سليمي، الكتابات النسائية في الأدب العربي، مكتبة الهدى، كاليفورنيا، ٢٠١٠، ١ م
- عبد الرشيد، من المهمشات من النساء، مجلة الهمزة، كاليفورنيا، ديسمبر، ٢٠١٠، ١ م
- قاسم أمين، المرأة الجديدة، دار الكتب المصرية، لبنان، ١٩٠١، ١ م
- قاسم أمين، تحرير المرأة، دار الكتب المصرية، لبنان، ١٨٩٩، ١ م
- محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، صحيح البخاري، دار ابن كثير، سوريا، ١٩٩٣، ١ م

الكتاب الإلكتروني قادم رغم أنفه الورق

الكاتب عبده حقي^١

أعتقد أن النشر الإلكتروني قد أصبح في الوقت الراهن واقعاً وحقيقة تحاصرنا كل يوم بعد أن إعتبره إلى وقت قريب عديد من مقاومي (جهة الورقيين) معركة خاسرة منذ البداية ووهما بل موضة لن تفتّ أن تمرق بعمرها القصير مثل كثير من الم ospات الغربية التي برقت لفترة قصيرة ثم أفلت، في حين كانت جل المؤسسات الإعلامية العملاقة دور النشر الرائدة خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية تعيد هيكلة بنياتها التحتية واللوجستيكية وفق استراتيجية جديدة تتماشى والثورة التكنولوجية وال الرقمية التي إنعطفت بعلاقـات الإنسان وأسـانـيد النـشر التقليـدية إلى ١٨٠ درجة أي من أطنـان الأشـجار التي تحولـت إلى وـرق إلى فـسـحة فـضـاء الرـقمـية صـديـقة البيـئة والـقـابلـة للـتمـدد بلا حدود تـماـشـياً مع طـموـح وـغـواـية النـص السـرـدي ولـيـس لإـكـراهـات سـلـطـة الـبـياـض وجـغرـافـيـته المـحدـودـة... ما يـؤـكـد هـذـه الحـقـيقـة أـن جـمـيع المـناـبـر الإـعلامـية الـورـقـية المـسـتـقلـة ثـمـ الـحـزـبـية فيما بـعـد قدـ أـطـلـقـتـ في مـجـرـة النـشـر الإـلـكـتروـني نـسـخـها الرـقـمـية بـعـد سـنـوـات من التـرـدد مـخـافـة إـنـهـيـار صـرـحـها الـورـقـي الشـامـخـ الذي شـيـدـتـه قـبـل زـهـاء نـصـف قـرن وـنـيـفـ على أـقـل تـقـدـيرـ وأـيـضاً مـخـافـة التـرـاجـع الكـارـاثـي للمـبيـعـاتـ الـيـوـمـيـةـ والـذـيـ منـ دونـ شـكـ يـهـدـدـ بالـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ مـسـتـقـبـلـ مـؤـسـسـاهـاـ بـالـإـغـلاقـ وـطـاقـمـهاـ بـالـتـسـريحـ إـنـ لـمـ يـكـنـ التـشـريـدـ مـثـلـماـ وـقـعـ لـلـعـدـيدـ مـنـ المـناـبـرـ الإـعلامـيةـ السـيـارـةـ مـثـلـ (ـلـوـمـونـدـ وـلـوـاـشـنـطـونـ بـوـسـتـ وـنيـوزـويـكـ ..ـ إـلـخـ)

لم يعد إذن من باب السخرية اليوم أن نتحدث عن صحفـةـ (ـبـيـجامـةـ) كما كانت تـنـتـعـتـ قـبـلـ عـشـرـ سـنـيـنـ حيثـ يـكـونـ باـسـتـطـاعـةـ الصـحـافـيـ أوـ الـمـدـونـ عمـومـاـ وـهـوـ عـلـىـ سـرـيرـهـ يـحـسـيـ قـهـوـتهـ وـيـمـارـسـ مـهـنـةـ (ـالـمـتـاعـبـ) بـعـيـداـ عـنـ جـدـرـانـ قـسـمـ التـحـرـيرـ وـمـحـاطـاـ فـقـطـ بـمـلـحـقـاتـ إـلـكـتـرـوـنـيـةـ مـعـدـودـةـ عـلـىـ رـؤـوسـ الـأـصـابـعـ :ـ هـاتـفـهـ الـذـكـيـ وـحـاسـوبـهـ أوـ أـيـادـهـ وـرـبـطـ الشـبـكـيـ وـتـلـفـازـاـ مـتـطـورـجـداـ وـحـسـابـ بـرـيدـ مـايـلـ لـتـلـقـيـ أوـالـرـدـ عـلـىـ الرـسـائـلـ ..ـ إـلـخـ

وأعتقد أن الصحافة الورقية اليوم على إختلاف توجهاتها حزبية كانت أم مستقلة، متنوعة أو موضوعاتية قد بدأت تتحسن ضرورة الإنقال بأقل الخسائر من السند الورقي إلى السند الإلكتروني، ما يؤكد هذه الحقيقة هو إرتفاع عدد زوار مواقعها الذي بات يتجاوز يوماً بعد يوم الملايين الآلاف فيما عدد مبيعات النسخ الورقية في المقابل لا يتعدى بضعة آلاف في أحسن الأحوال.

وما كان لهذه الطفرة أن تتحقق غایاتها في إستهداف مئات الآلاف من القراء والمتعلقات الرقميين لو لا إنتشار الواسع للحوامل الإلكترونية وارتفاع عدد المواطنين المتصلين بالإنترنت في مختلف الأوساط

^١ مدير ومنسق موقع إتحاد كتاب الإنترنت المغاربة ورئيس لجنة الإنترت والعلاقات الرقمية باتحاد كتاب الإنترت العرب

والشائعات الإجتماعية وبحث هذه المنابر عن المعلومة الطاجزة وأخبار الإثارة التي تتحقق إشباع فضول القارئ وتجعل منه مواطناً متشبعاً بالمواطنة ومتفاعلاً كل لحظة وحين مع أحداث مجتمعه على اختلاف مستوياتها وأهميتها...

لایمك أن نتحدث بهذا الصدد عن ثورة النشر الرقمية دون أن نتحدث عن إستحواذها على مختلف وسائل نشر المعرفة والعلوم وفي مقدمتها (الكتاب) بما رسخه في ذهنية وذاكرة الإنسانية وعقلها أيضاً منذ قرون كوسيلة مقدسة بين تعاليم وشرائع ووصايا الله وعباده من البشرية وباعتباره أيضاً ذخيرة وأثراً وشاهداً على تطورها العلمي والمعرفي والفلسفى والأدبي .. الخ

آفاق شاسعة إذن فتحتها الرقمية والنشر الإلكتروني منذ مطلع التسعينيات حيث عمد مايك هارت عبر مشروعه الموسوم بـ(غوتبرغ) الرائد عالمياً على مستوى النشر النقدي، عمد إلى رقمنة الآلاف من الكتب العالمية المجانية غير الخاضعة لحقوق النشر إلى كتب إلكترونية متاحة عبر الشبكة العنكبوتية ملابين القراء عبر العالم ثم في أواخر التسعينيات تم إختراع برنامج (لوجيسيال) أدوب رايدر (بي يدي إيف) الذي أتاح للمتلقين إمكانية تخزين الكتب وأرفشتها في المكتبة الإفتراضية، ومسايرة للتطور الرقمي والتكنولوجي صارت هذه الكتب عبارة عن كتب (ميديا) تتضمن بالإضافة إلى النص السردي فقرات صوتية وفيديوهات وصور وعناوين متحركة في الإتجاهين مما جعل عالم النشر ينتقل من الكتاب البضاعة المحسوسة المعروضة على الرفوف وأرفصنة الأكشاك والتي نقلب صفحاتها بين أيدينا إلى بضاعة رقمية إفتراضية وربما بأبعاد ثلاثة مخبأة في جيوبنا ترافقنا في كل مكان وزمان بالليل كما بالنهار مما مكن عديد من الدول في العالم وفي عملية إستدراكية للوقت الضائع إلى نسخ تراثها العلمي والأدبي وعرضه على الأونلайн وبالمجان إلا فيما ندر وبالتالي فقد أصبح كل مواطن يملك حاملاً إلكترونياً (حاسوباً أو هاتف سمارتفون) مجهزاً بالتطبيقات الضرورية للقراءة الفائقة صار هذا المواطن حاملاً أوتوماتيكياً لأضخم مكتبة عالمياً لم يكن ليتصورها عقل إنسان قبل ربع قرن وتضم أشهر الأعمال الكاملة للأدباء العالميين مثل تولستوي وتشيغوف وطه حسين ونجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وأبي الطيب المتنبي وأمرؤ القيس وغيرهم...

أما في المغرب فما زالت تجربة نشر الكتب الإلكترونية تجربة غائية إن لم تكن مغيبة من برامج واستراتيجيات دور النشر بسبب الإرتباط العضوي لهذه الصناعة أساساً بنية تحتية إقتصادية وثقافية وعلمية متعددة وحاصرة بقوة على المستويين العمودي والأفقي وهي على كل حال غير مستعدة في الوقت الراهن بل حتى على المدى المتوسط على المغامرة بالاستثمار في هذا المجال الرقعي إستئنasa واقتداءاً بتجارب بعض الدول الرائدة مثل فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية التي فاق فيها إنتاج الكتب الإلكترونية عدد الكتب الورقية بفارق مهول يجعلنا نخمن أننا فعلاً قد ولجنا عصر نهاية الورق بكل تأكيد.....

وتعتبر تجربة مجلة إتحاد كتاب الإنترنت المغاربة التجربة الوحيدة الرائدة على المستوى المغربي حيث بادرت إلى نشر ما يناهز ثلاثين كتاباً إلكترونياً على مدى سنتين فقط لأشهر الشعراء والكتاب المغاربة والعرب نذكر من بينهم الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة (ديوان شعر في ثلاثة أجزاء) والشاعر العراقي سعدي يوسف ومحمد سناجلة رائد روایة الواقعية الرقمية وأفنان القاسم والشاعر الليبي سعد المنصوري والقاصة والإعلامية المغربية ليلى الشافعي ومحمد أديب السلاوي وغيرهم ولا مراء في أن هذا التطور التكنولوجي فضلاً عن د麦克رونة وسائل الإتصال ودسترة الحق في الوصول إلى المعلومة وإنخفاض التدريجي في أسعار الجوال الذكية كل هذه العوامل سوف تكون حواجز قوية على حد دور النشر على الولوج إلى عصر صناعة الكتب الإلكترونية وإعداد الآليات القمينة بالإنتقال السلس وبأقل الأضرار إلى عصر التواصل والمعرفة وخاتمة القول أن الكتاب الإلكتروني قادم رغم أنفة الكتاب الورقي . إن الأمر لا يتعلّق هنا بصراع أو حرب بين غريمين بل بحتمية التطور أحّب من أحب وكره من كره... التسميات: أدب رقعي

الهند في التراث العربي

الكاتب محمود سعيد^١

عثر علماء الآثار في جنوب العراق على نحت جداري يشتمل على قارب مبحري الماء فيه نخلة وحب الفلفل، وقد رزمه بنحو ستة آلاف سنة، يبين لنا هذا النحت قدم العلاقة الوثيقة بين العراق والبلدان العربية من جهة والهند من جهة أخرى. في الأخبار العربية القديمة كان العرب يطلقون على منطقة البصرة القديمة قبل الإسلام بفج الهند، أي سهل الهند، لأن السفن الهندية كانت ترسو فيها. ومما لا يخفى على أحد كانت الهند والصين وال العراق ومصر طيلة أكثر من أربعة آلاف عام مسيطرة على التجارة العالمية، وظل طريق الحرير الذي يبدأ من الصين فالهند، حتى العراق ومصر وأوربا رابطاً وثيقاً بين أهم قارات العالم منذ العصور القديمة وحتى افتتاح قناة السويس.

وبفضل العلم الحديث والتطور التكنولوجي بدأت الهند منذ عقدين الخطوات الأولى لاستعادة دورها التاريخي المهم في التجارة العالمية، فقد أعلنت الهند في سنة ١٩٩١ جملة إصلاحات اقتصادية بدأتها بخفض العملة الهندية، وتشجيع التصدير والغاء القيود على الواردات ورفع أسعار الفائدة الخ، حينئذ بدأت الهند تشق طريقها لتحقيق لشعها حياة كريمة معاصرة. فالهند كما يبدو للمراقب الخارجي تسير نحو القمة ببطء لكنها لحسن الحظ تسير بذباب في الطريق الصحيح، ولا بد أن تصل، لقد استبدل الصينيون والهندوؤ قوافل الجمال والبغال والحمير بالطائرات والشحن الجوي والإنتريت ليخلقوا طريق حرير آخر يسد حاجات العالم ويخدمه بسرعة قياسية، مذهلة، بعد أن اعتمدوا لا على قواهم البشرية العاملة الغزيرة بل على العلم والتقنية. ولعل هناك القليل من مثقفي العالم يعرفون أن عدد المهندسين الذين يتخرجون في ولاية أندhra براديش وحدها أكثر من عدد المهندسين الذين يتخرجون في الولايات المتحدة الأمريكية كلها. وفي المستقبل القريب سيفوق عدد ما يتخرج من المهندسين والتكنولوجيين والخبراء من الصين والهند جميع دول المعمورة، وتلك قوة جبارة تفوق إلى تفوق في النوع. وتحقق لهذين البلدين الفوز في سباق تكنولوجي واقتصادي يحقق الرفاه ليس لبلديهما بل لجميع بلدان العالم، ولن يكون ذلك اليوم بعيداً لأن أهـام عينـي والقضـية قضـية وقت لا غير.

ما سجل في تراثنا العربي منذ القدم أن الهند بلاد الحكمـة والعقل والرياضيات، وحسب بعض الأقوال العربية أن الهند كان مهد الإنسان الأول، إذ أن آدم أبو البشر كما يزعمون نزل في أجمل بقعة من بقاع الهند، وحسب الأساطير العربية أيضاً أن الحجز المقدس الوحيد في الإسلام أي الحجر الأسود نزل من السماء إلى الهند، ثم نقل إلى مكة، وكان أبيض لكن آثار البشر سودـته.

^١ الرواـيـيـ العـارـقـ الشـهـيرـ

وهكذا نرى أن ما يربطنا نحن العرب من وسائل مع الهند أقوى من أن تنقطع لا في الماضي والحاضر حسب بل في المستقبل أيضاً. في الكتب العربية نرى أن البوذية التي انبثقت في الهند كانت منتشرة في البلدان العربية وبخاصة في العراق وبالتحديد في مدينة الموصل ومدن كثيرة أخرى في العراق والشام، وكانت تسمى "سمنية" وظلت منتشرة حتى احتلال هذه المناطق من قبل الفرس الذين فرضا عليهم الزرادشتية. وكان العرب قبل الإسلام وبعده يستوردون أخشاب سفنهم من الهند، لعدم وجود الخشب الصالح لبناء السفن عندهم ولاستعماله في المعابد الضخمة المهمة وفي قصور الملوك. وهم في ذلك على سنة أجدادهم الذين يذهبون بسفنهم الشراعية إلى سواحل الهند وسيلان تحمل إليها التمور وحاصلات جزيرة العرب والعراق والذهب وتعود بهم محملة بحاصلات الهند ومنها الخشب الثمين. أما منطقة الخليج العربي فكان الوجود الهندي فيها كثيفاً، بحيث أصبحت عُمان والبحرين وشط العرب آهلة بالهنود كقواعد بحرية وتجارية، وما زال الوجود الهندي في الخليج واضحاً وذا تأثير قوي، فالشركات الهندية الآن تسيطر على نحو ثلث تجارة الخليج، وتوجهها نحو نصف حاجاته الإستهلاكية. في سنة ٧٧١ م، وصل إلى بغداد وقد هندي ومع الوفد كتاب بالسنسكريتية لأحد حكماء الهند، عن الرياضيات والفلك، فأمر الخليفة المنصور بترجمة هذا الكتاب إلى العربية، وأشرف على الترجمة إبراهيم الفزارى أحد علماء الرياضيات فى بلاطه، ومنذ ذلك الحين اكتشف العرب تفوق الهند، في الرياضيات والطب.

يزخر الشعر العربي بكلمة السيف الهندي، والسيوف الهندية، ويشيد بها أبطال العرب فمنذ ألف وستمائة سنة تغنى أحد شعراء العرب المهمين عنترة العبسي بلمعان أسنان حبيبه البيض مشياً إياها بلمعان السيوف الهندية في المعارك. إذ أن الشاعر كان يخوض معركتين الأولى مع العدو، والثانية مع الغرام، ويبدو أنه انتصر في كلا المعركتين. السيف الهندي آنذاك يعني الآن الصاروخ والطائرة والدبابة، يعني قمة التكنولوجيا، ومن يصنع سلاحاً فعالاً قبل ألفي سنة يستطيع الآن تصنيع كل شيء بما فيه الأسلحة والبصائر، ولهذا أراد أحد أعمدة الصناعة الهندية راتان تاتا أن يركز على إنتاج الحديد فلا مدن حديثة ولا تطور دون تصنيع الحديد.

ودرس العلماء العرب تاريخ الهند بشكل مدقق، فهذا ابن خلدون يؤكّد أن الفيضان العام الذي يسعى فيضان نوح لم يصل إلى الهند. وهذه نقطة جديدة بالدراسة والتحقيق لأن الأساطير القديمة تنص على أن فيضان نوح شمل الكره الأرضية. ولتأثير العرب بالهند منذ عهد ضارب في القدم، فهم يطلقون على الأنثى الجميلة كلمة "هند" بينما لم نقرأ أن أسم صين أطلق على أنثى أو ذكر عند العرب قط. ومما ذكر في تراثنا القديم عن الهند أن الهندو المسلمين يتزوجون واحدة، لكن لهم الحق بالزواج بأربعة فقط لا أكثر، إلا إن توفيت إحداهن فلزوجها الحق بالتزوج بأخرى. وأنهم يفضلون تزويج بناتهم للأقارب. وتذكر كتبنا القديمة أن الهندو يعتقدون إن حلقة شعر العانة يحدّ من شدة الشيق والشهوة، لذا فإن المتزوجين حديثاً لا يحلقوه عانتهم رجالاً ونساءً ولا أدرى إن كان

ممثلاً وممثلات بوليوود يتبعون هذه العادة الآن أم لا. وذكرت الكتب أيضاً أن الهندي يرمي الطعام البالى ولا يستيقىء ليأكله فيما بعد، وتلك عادة صحية أولاً لأن بقاء الطعام في جوّ ساخن كالهند يلوثه، وثانياً فهى تدل على رفاهية الهند آنذاك. لأنهم يرمونه مع الخزف الذى يحويه. وهذا يعني أن صناعة الخزف شائعة جداً، وأنها رخيصة. ومن عادات الهند الغربية التي ذكرتها الكتب العربية آنذاك أنهم يشربون الخمرة على الريق، أي قبل إفطار الصباح. ولا أدرى إن بقيت تلك العادة إلى آن أم لا. ولعل من الغريب أيضاً أن ذكر أن أسماء الأعداد الهندية مازالت تستعمل في لعبة الترد في العراق وفي كثير من الدول العربية: إيك. دو، سي، جهار. الخ.

لو تكلمت عن تأثير الهند في أدبنا وتاريخنا وتراثنا فسيستغرق ذلك لا أياماً حسب بل أسابيع وشهور، لكنني ساكتفي بموجز صغير عن ثلاثة كتب مهمة في الأدب العربي، كان للهند فيها دوراً مهماً.

١- كتاب ألف ليلة وليلة. أنا شخصياً أعتبر هذا الكتاب أعظم رواية إنسانية أدبية وعلمية في تاريخ العالم كله، ترجم هذا الكتاب إلى مختلف لغات البشر، وتأثر به كتاب لا يحصون عدداً في جميع أنحاء المعمورة، وقلدوه، ونقدوه، وعظّموه. واختلفوا في أصوله وفصوله وحكاياته، أما لماذا أعتبره أنا رواية إنسانية إضافة إلى أدبها الرفيع، فلأن الكتاب حاول تغيير نظرة العالم القديم إلى المرأة من وعاء للجنس إلى نِدٍ كامل للرجل، قادر على تغييره نحو الأحسن. ومساواة الجنسين فكرة متطورة عظى لم يتتبه إليها الفلاسفة الأوائل كocrates وأفلاطون وأرسطو الذين كانوا يعتبرون المرأة آلة حيّة خلقت لخدمة الرجل وإرضاء زوااته، وكما قلت إن الرواية علمية لأنها أول عمل أدبي في التاريخ تنبأ بالمخترعات الحديثة، كالطاولة والتلفزيون والتلفون وأشياء كثيرة أخرى لم تتحقق حتى الآن كطافية الإخفاء، هذا الكتاب العظيم لم نكن نحن العرب نستطيع قراءته لولا عثورنا على النسخة الموثوقة الحقيقية الكاملة في مكتبة حيدر آباد في الهند، تلك النسخة قادتنا إلى اكتشاف مؤلف الكتاب وعصره وبينته ومدينته.

٢- كتاب كليلة ودمنة. وحسبما يدعى كاتبه ابن المقفع أنه ترجمه عن الفارسية وأن النسخة الفارسية مترجمة عن الهندية، لكن لم يعثر أحد على النسخة الهندية أو الفارسية بشكل كامل، ومن ي يريد أن يقرؤه عليه أن يعتمد على النسخة العربية فقط، قيمة كتاب كليلة ودمنة هائلة، فهي تصوغ حكماً عميقاً على شكل قصص تدور حول نصائح للحكام في معاملة شعوبهم، وعلاقة الإنسان بالطبيعة، وبأخيه الإنسان، وتشير إلى مكارم الأخلاق، ولعلها كانت مقدمة ضرورية لمؤلفي قصص الكارتون في العصر الحاضر والتي لا تخloo منها محطات التلفزيون في جميع أقطار الأرض.

٣- أما الكتاب الثالث المهم فهو تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرذولة لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني. هذا الكتاب من أعظم الكتب في التاريخ القديم، وهو كتاب علمي اختصاصي إذ أنه يتكلم عن الهند فقط. يتكون الكتاب من ٧٦ فصلاً، العقائد والفلسفة والأرواح وتناسخها، وأنواع الناس وأسماءهم والطبقات الاجتماعية في الهند، والقوانين، والرسل

يناير ٢٠١٦

مجلة الصباح للبحوث

الدينين، والعادات، ولللغة والشعر والنحو والعلوم والخط وأنواعه، والرياضيات، والحساب، وجغرافيا الهند، من سهول وجبال وأنهار، وتقسيم الزمن، والتاريخ، وحروب الهند، وعلم الفلك عند الهندود، والشخصيات الهندية المهمة آنذاك، والحج والصدقة والمسموح من الطعام والمحظور، والزواج، والمحاكم، والعقوبات، والموراث، والصوم، والأعياد وأشياء كثيرة أخرى، ونستطيع أن نعتبر الكتاب موسوعة مختصرة للهند في القرن العاشر أي قبل أكثر من ألف عام من هذا التاريخ.



أهداف مجلة الصباح للبحوث وشروط نشرها

ترحب هذه المجلة بالبحوث المبتكرة ذات الصلة بأي مجال من المجالات الأدبية واللغوية والنقدية والتربوية والثقافية والفنية.

أهداف المجلة

- تقوم المجلة بنشر البحوث القيمة في حقول الآداب العربية في العالم.
- تهتم المجلة بنشر الدراسات في أي فضاء من علوم العربية من نحو وبلاغة وصرف وعروض.
- تعنى المجلة بنشر المقالات البحثية في الاتجاهات الأدبية وما إليها.
- تفضل المجلة بنشر المقالات المبتكرة في أي مادة من مواد الوسائل التعليمية النظرية للغة العربية للناطقين بها وبغيرها.

شروط النشر

- أن تكون المقالة ذات القيمة البحثية العربية ولم يسبق نشرها في أي مجلة أخرى.
- أن يكون عدد الصفحات يتراوح ما بين ٨-٦ صفحات.
- أن تكون المقالة على منهجية البحث الأدبية العلمية في اعدادها وكتابتها من توثيق وهوامش وملاحق ومصادر ومراجع.
- أن تكون المقالة مطبوعة مصححة على برنامج Microsoft Word في نوع خط Simplified Arabic وحجمه ١٤.
- أن تشمل المقالة على كتابة عنوانها واسم كاتبها مع البريد الإلكتروني ورقم الهاتف والسيرة الذاتية الموجزة.
- أن ترفق المقالة ملخصاً في حدود الصفحة بما فيه الكلمات المفتاحية وتحديد مشكلة البحث وأهداف الدراسة والمراجعة النقدية لما سبق وكتب عن الموضوع ووصف منهجية البحث والتحليل والنتائج.

الملاحظة

- المقالة تخضع للتحكيم العلمي على نحو سري.
- المقالات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات جذرية عليها تعاد إلى أصحابها والمقالات المرفوضة لا تعاد إلى أصحابها

EDITORIAL BOARD

ADVISORY BOARD

Chairman

Prof. E.P. Imbichi Koya, Principal, Farook College

MEMBERS

- Dr. Mohammed Basheer.K, Vice Chancellor, University of Calicut
- Dr. T.A. Abdul Majeed, Registrar, University of Calicut
- Dr.C.P. Aboobacker, Former Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College
- Dr. Basheer Ahmed Jamali, Professor,Center for Arabic and African studies, JNU
- Dr. Habeebullo Khan, Professor, Jamia Millia Islamia,New Delhi
- Dr. Sanahulla Nadvi, Aligarh Muslim University, Aligarh
- Dr. N.A.M Abdul Khadir, Honorary Professor, Department of Arabic, University of Calicut
- Dr. A.B. Moideen Kutty, Head, Department of Arabic, University of Calicut

CHIEF EDITOR

Dr. ALI NOUFAL. K

Asst. Professor & Head, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

EDITOR

Dr. MUHAMMED ABID. U.P

Asst. Professor, P.G & Research Department of Arabic, Farook College

MEMBERS

- Dr. Abdul Jaleel. M, Asst. Professor
- Mr. Sageer Ali. T.P, Asst. Professor
- Dr. Abbas. K.P, Asst. Professor
- Ms. Rubeena .UT, FIP Substitute
- Mr. Yasid Mattayi, FIP Substitute
- Dr. Anees Alangadan, FIP Substitute

□ Please note that all correspondence to be addressed to:

Editor,

Majallath Al Sabah Lil Buhooth,P.G & Research Department of Arabic,
Farook College, Farook College (PO) Calicut Dt., Kerala, India, 673632

Email: majallathalsabah@gmail.com
hodarabic@farookcollege.ac.in

Website: www.farookcollege.ac.in

Phone : 0495 2440660 Fax: 0495 2440464

⇒ Copyright rests with the authors of the respective papers, who alone are responsible for the contents and views expressed

Published by: P.G & Research Department of Arabic,Farook College
Printers : Puthiyara Printers,Calicut,673004

MAJALLATH

ISSN: 2454-7824

Al Sabah Lil Buhooth

PEER REVIEWED ANNUAL RESEARCH JOURNAL

Volume - I, January 2016



Editor

Dr. Muhammed Abid. U.P



P.G & RESEARCH DEPARTMENT OF ARABIC

FAROOK COLLEGE (AUTONOMOUS)

Calicut, Kerala, India, 673632

A College with potential for excellence identified by UGC, New Delhi

www.farookcollege.ac.in